# قواعد الإسلام

للإمام أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجبيطالي

المتوفى سنة ٧٥٠ هجرية

الجزء الأول

تصحيح وتعليق

بكلي عبدالرحمن بن عمر

المتوفى سنة ١٤٠٦هـ

تحقيق واخراج

أحمد بن صالح الشيخ أحمد

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الخامسة

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥ م

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٦٦٩

الناشر: E. mail: t.k.aldhamri@gmail.com

ص ب: ٢ السيب، الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عمان

# قواعد الإسلام
## الجزء الأول

للإمام أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجِيطَالِيُّ
المتوفى سنة ٧٥٠ هجرية

صححه وعلق عليه

بكلي عبد الرحمن بن عمر

تحقيق

أحمد بن صالح بن عمر الشيخ أحمد

نشر وتوزيع
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٦٦٩
الناشر: E. mail: t.k.aldhamri@gmail.com
ص ب: ٢ السيب. الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عمان

قال تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

[النحل:١٢٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبالعمل بطاعته تطيب الحياة وتنزل البركات، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وصحبه الأطهار ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فإن كتاب **"قواعد الإسلام"** الذي بين أيدينا للإمام أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي -رحمه الله- يتبوّأ مكانة معتبرة بين تراث الفقه الإسلامي عامة، وبين تراث الفقه الإباضي خاصة، وذلك لأسباب عديدة امتاز بها عن غيره.

وقد سماه **"قواعد الإسلام"** استئناسا في ذلك بحديث قواعد الإسلام الخمسة، المجموعة في قوله صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"[1].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِي، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس"، ر٨.

وخصصه المؤلف للفقه والأحكام، وخاصة فقه العبادات، حيث صدّره بركن التوحيد (العقيدة)، ثم أركان العبادات، بداية من الطهارات وانتهاء بالحج والعمرة، ثم ذيله بركني الحقوق والآداب.

وقد عني بعض علمائنا -رحمهم الله- بهذا الكتاب القيم: شرحا -بوضع حواش عليه- وتصحيحا وتعليقا:

١- أولهم الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة الجربي (ت: ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٨م)، حيث وضع حاشية على كتاب القواعد.

٢- والشيخ امحمد بن يوسف اطفيش (ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، حيث جمع بين كتاب القواعد وحاشية أبي ستة عليه في كتاب واحد، سمّاه: "الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص"، وأضاف إليهما كثيرا من تحقيقاته الفقهية.

٣-واقتفى الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي (ت: ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) منهج الشيخ أبي ستة، حيث وضع حاشية ثانية على كتاب القواعد.

٤-كما وضع الشيخ إبراهيم بن بكير حفار (ت: ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) حاشية على مقدمة كتاب القواعد فقط.

٥-وآخرهم الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (ت: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، حيث اعتنى بتصحيح الكتاب والتعليق عليه، وأصدره في جزأين.

وقد طبع هذا الأخير عدة طبعات: الطبعة الأولى في الجزائر، والطبعة الثانية والثالثة والرابعة في عُمان، وقد تلقته أنظار القراء -من كل المستويات- بالقبول والإعجاب لمنهج مؤلفه المتقن، ولأسلوبه الأدبي الراقي.

٦- وقد انبرى مؤخرا الباحث والمحقق الأستاذ بشير بن موسى الحاج موسى لتحقيق كتاب القواعد بحاشية الشيخ أبي ستة، بدون تعليقات وتصحيحات الشيخ عبد الرحمن بكلي، واعتمد في ضبط نصه على عدة نسخ مخطوطة. وصدر هذا التحقيق في جزأين مطبوعين: الأول في كتاب التوحيد، والثاني في كتاب الطهارات، وعسى أن ترى الأجزاء الباقية النور قريبا إن شاء الله.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب رغب الناشر: الفاضل طالب بن خلفان الضامري في إعادة طبعه من جديد في حلة تليق بقيمة الكتاب.

لذلك ارتأيت خدمة هذا الكتاب الجليل: مراجعة، وضبطا، وتصحيحا، وشرحا أو تعريفا، وتخريجا، وإخراجا.

فكان هذا الإنجاز الجديد الذي بين أيدينا مسك ختام هذه الاعتناءات بكتاب القواعد، حيث صدر بتحقيق علمي متميز، وبإخراج جديد في طبعة فاخرة.

ولبلوغ هذا الهدف المنشود كان العمل في هذا الكتاب كالآتي:

١- مراجعة النص وضبطه بمقابلته مع النسخ المطبوعة، واستعنتُ أيضا بالنص الذي حققه الأستاذ: بشير بن موسى الحاج موسى[1].

٢- عزو الآيات التي لم يخرجها المؤلف إلى سورها وذكر أرقامها.

٣- ضبط أحاديث الكتاب وإعادة تخريجها، وعزوها إلى مصادرها من كتب السنة، بداية بالجامع الصحيح للربيع بن حبيب، وقد اكتفيت في كثير منها بذكر راو واحد لها فقط.

٤- وضع ترجمة لمصحح الكتاب: الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلِّي.

٥- ترجمة الأعلام المهمة التي لم يترجم لها الشيخ بكلي.

٦- شرح الألفاظ والكلمات المبهمة لتقريب المعنى وتسهيله إلى ذهن القارئ.

٧- وضع عناوين جانبية للفصول والمسائل غير المعنونة.

٨- وضع فهرسة شاملة لمحتويات كل جزء من الكتاب.

٩- ما قمتُ بإضافته من: عنوان جانبي، أو شرح لفظ، أو إضافة تعليق، أو تخريج نص، أو ترجمة علم، ... الخ، فقد جعلته بين معكوفتين.

وأخيرا: أتقدم بالشكر الجزيل والدعاء الخالص لكل من تجشم معي الصعاب في مراجعة هذا الكتاب وضبطه، والشكر موصول أيضا إلى كل من أسدى إلي نصيحة أو ملاحظة في إنجاز هذا العمل أو في إخراجه.

---

(١) وهما الجزءان الصادران فقط: كتاب التوحيد، وكتاب الطهارات، أما بقية النص؛ بداية من كتاب الصلاة إلى آخر كتاب القواعد فقد اعتمدت في مقارنته على النسخ المطبوعة بتعليق وتصحيح الشيخ بكلي.

وأرجو منك أيها القارئ الكريم أن تتفضل علينا بكل ما تلاحظه في هذا الكتاب من خطأ أو نقص أو خلل، أو غير ذلك. نفعنا الله تعالى بعلمه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

المحقق: أحمد بن صالح بن عمر الشيخ أحمد

Hmidachikh٧٦٦@yahoo.com

هاتف رقم: ٩٥١٤٧٤٦٩ (٠٠٩٦٨)

السيب – مسقط: ربيع الأول ١٤٣٦هـ/ يناير ٢٠١٥م

# ترجمة الشيخ عبد الرحمن بكلي[١]

هو عبد الرحمن بن عمر بن عيسى، بكلِّي، الشهير بـ«البِكرِي»

ولد بالعطف سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، عالم جليل، وشخصية مرموقة، وعُرف بالبكري نسبة إلى أبي بكر الصديق الذي ينهي نسبه إليه.

تعلَّم القرآن ومبادئ التوحيد بمحضرة المسجد العتيق بالعطف، وأخذ مبادئ اللغة الفرنسية بالمدرسة الرسمية بها.

حفظ القرآن الكريم واستظهره في مقتبل العمر، ودخل حلقة إروان - حفظة القرآن - في سنة ١٩٢١م.

درس علوم اللغة والشريعة على عمِّه الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلِّي بمعهده؛ كما أخذ عن الشيخ يوسف بن بكير حمو علي في دار إروان بالعطف؛ ثمَّ انتقل إلى عاصمة الجزائر للاستزادة من اللغة الفرنسية؛ وأخذ عن الشيخ المولود الزريبي الأزهري شرح لامية الأفعال وشذور الذهب.

وبعد وفاة عمِّه الشيخ الحاج عمر انتقل إلى تونس في أواخر سنة ١٩٢٢م، والتحق بالبعثة العلميَّة الميزابية التي كان يشرف عليها الشيخ أبو اليقظان إبراهيم، ودرس في جامع الزيتونة على الشيخ محمَّد الطاهر بن عاشور والشيخ الطيب سيالة، والشيخ الزغواني، والشيخ محمَّد بن القاضي، والشيخ الصادق النيفر.

أمَّا في المدرسة الخلدونية فقد أخذ بها العلوم العصرية، ومن أساتذته فيها: الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، والأستاذ عثمان الكعَّاك، والشيخ العبيدي.

---

(١) انظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ر٥٤٨، ٥٢١/٣ (بتصرف بسيط).

كان طيلة وجوده بتونس ما بين سنة ١٩٢٣م و ١٩٢٩م مُساعداً للشيخ أبي اليقظان في رعاية البعثة العلمية الميزابية، وبعد انتقال الشيخ أبي اليقظان إلى الجزائر ليبدأ في جهاده الصحفي، بقي سنداً للشيخ قاسم بن الحاج عيسى ابن الشيخ ما بين ١٩٢٦م و١٩٢٩م.

وكان في هذه المدَّة التي قضاها بتونس شديد الاتصال بطلائع الحزب الحر الدستوري: الشيخ عبد العزيز الثعالبي، والشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، والشيخ توفيق المدني، والشيخ صالح بن يحيى، وفي تلك الندوات التي كانت تعقد في دار البعثة تكوَّنت آراؤه السياسية والوطنية.

لَّما أنهى دراسته بالزيتونة وعاد إلى العطف مسقط رأسه، وتولى منصب القضاء بها إلى أن ألغت السلطة العسكرية محكمة العطف.

عين عضوا في لجنة صياغة القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م.

وفي شهر ماي ١٩٣٤م عيِّن عضوا في حلقة العزَّابة بالعطف.

عند اشتداد الأزمة الاقتصادية الجزائرية - بحكم تبعيتها لفرنسا - دعاه والده ليستعين به في حركته التجارية، فلبَّى النداء، ودخل ميدان التجارة لعدَّة سنوات، وقام بواجبه فيها خير قيام، ولكنَّه كان دوما موصول السبب بالحياة الفكرية والثقافية والسياسية بعاصمة الجزائر، فكان نعم المعين للشيخ أبي اليقظان في نضاله الصحفي، سيما ما يتعلَّق بتعريب المهمِّ من المقالات التي تصدر في الصحف الفرنسية بالجزائر وبفرنسا لتضلُّعه في اللسانين؛ وقد نشرت له العديد من

المقالات، وكانت ممضاة باسم: «البكري».

كما كان يشارك في نشاطات جمعية العلماء بالعاصمة، وكان مع ذلك عضوا بارزا في جماعة الإباضية بالجزائر، ومتصلا اتصالا وثيقا بحركة الإصلاح بالعطف، من ذلك مشاركته ضمن الجماعة التي أسَّست أوَّل مدرسة نظامية إصلاحية في وادي ميزاب، وكان يديرها الشيخ أحمد بن الحاج يحيى بكلِّي.

وفي سنة ١٩٣٩م ترك ميدان التجارة نهائيا وانتقل إلى بريان، ليتفرَّغ للتعليم، فأدار مدرستها إدارة حازمة، ثمَّ عيِّن واعظا ومرشدا في مسجدها، فعضوا في حلقة عزَّابة بريان، ثمَّ رئيسا للحلقة.

وفي ١٩٤٥م شارك جماعة الإصلاح بالعطف في تأسيس جمعية النهضة، وعيِّن رئيسا شرفيا لها.

ثمَّ أسَّس بمشاركة إخوانه في بريان جمعية الفتح للإشراف على الحركة العلمية بها.

من أبرز الأحداث التي واجهها في بريان محاكمته هو وجميع أعضاء حلقة العزَّابة في المحكمة الجنائية بالبليدة، بتهمة ممارسة سلطة التأديب والتعزير في المسجد على منتهك حرمِه الشريف.

وعند اندلاع الثورة التحريرية وامتدادها للصحراء، شارك مشاركة فعَّالة في العمل السياسي والتنظيمي، فألقي عليه القبض عام ١٩٥٧م، هو ورفيقه الشهيد باسليمان إبراهيم لمنوَّر، الذي قتل تحت سياط التعذيب.

أطلقت السلطات الفرنسية سراح الشيخ بعد عدَّة شهور، واستمرَّ جهاده إلى يوم

الاستقلال ١٩٦٢م.

وفي سنة ١٩٦٦م عيِّن عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، وعضوا في لجنة الإفتاء التابعة لهذا المجلس.

وتولَّى رئاسة مجلس عمِّي سعيد بعد أن عجز الشيخ بيوض إبراهيم عن حضور جلساته في أخريات أيَّامه، ومَرضِ نائبه الشيخ يوسف ابن بكير حمو علي.

في السبعينيات - بعد أن عجز صحيا عن إلقاء دروس الوعظ والإرشاد اليومية في المسجد - نظَّم ندوة أسبوعية يوم الإربعاء في منزله، يحضرها نخبة من الأساتذة والمرشدين، استمرَّت إلى آخر يوم في حياته، ولا تزال تعقد هذه الندوات إلى يومنا هذا، وذلك بمسجد بريان، وتعرف بـ: ندوة الإربعاء، أو ندوة الشيخ عبد الرحمن.

من أعماله المطبوعة:

١. تحقيق «كتاب النيل» للشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، معتمد المذهب الإباضي في الفقه. (مط)

٢. تحقيق كتاب «قواعد الإسلام» للشيخ إسماعيل الجيطالي، في جزأين (مط).

٣. «فتاوى البكري» في جزأين، (مط).

٤. «وصية البكري»، تصدير وتقديم الشيخ الحاج أيوب إبراهيم القرادي، (مط).

أمَّا مؤلَّفاته غير المطبوعة، فنجدها في قائمة بخطِّ يده عنوانها: «ذكر تراثي الأدبي»، وقد طبعت هذه القائمة الهامَّة في ملحق «فهرس مخطوطات مكتبة البكري».

تخرَّج على يده نخبة من أبناء بريان، توجَّهوا إلى معهد الحياة، وإلى البعثة

العلمية بتونس، وإلى مختلف المعاهد الجزائرية بعد الاستقلال، وهم يعمرون مختلف المراكز في عموم القطر الجزائري.

وترك مكتبة ثرية بالمخطوطات والمطبوعات النفيسة، وهي حاليا في مسقط رأسه العطف، وقد أنجزت لها جمعية التراث فهرسا في إطار مشروعها: «دليل مخطوطات وادي ميزاب».

وافته المنية في بريان يوم الإثنين ٣ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٣ جانفي ١٩٨٦م إثر مرض خفيف انتابه، وشيِّعت جنازته يوم الإربعاء ٥ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٥ جانفي ١٩٨٦م، شهدها جمهور غفير من مختلف أنحاء القطر، ورثاه الخطباء والشعراء.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَةُ الْمُصَحِّحِ

الْحَمْد لِلهِ الَّذِي أَرْسَى قَوَاعِدَ دِينِهِ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَهَدَى إِلَى حَرَمِهِ الأَمِينِ أَوْلِيَاءَهُ الصَّالِحِينَ لِيَتَفَيَّؤُوا ظِلاَلَهُ، وَيَتَمَتَّعُوا بِثِمَارِهِ فَيَعِيشُوا هَادِئِينَ مُطْمَئِنِّينَ، وَتَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللهُ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ حَمَلُوا أَمَانَتَهُ، وَأَحْيَوْا سُنَّتَهُ، وَتَرَسَّمُوا سِيرَتَهُ، وَعَلَى الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُمَاةِ دِينِهِ، وَقَادَةِ أُمَّتِهِ، وَحَامِلِي شَرِيعَتِهِ.

**أَمَّا بَعْدُ:** فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ فَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[1]، فَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ قُوًى وَحَوَاسَّ، وَرَكَّبَ فِيهِمْ مِنْ عَقْلٍ وَإِحْسَاسٍ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ بِكُتُبٍ قَيِّمَةٍ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، فَأَوْجَبَ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ بَلَغَ الْحِنْثَ أَنْ يَتَعَلَّمَ دِينَهُ وَيُقِيمَ حَيَاتَهُ الْعَمَلِيَّةَ عَلَى قَاعِدَتِهِ؛ لِيَضْمَنَ لَهُ السَّعَادَةَ مَعَاشًا وَمَعَادًا، وَلَنْ تَتَحَقَّقَ هَذِهِ السَّعَادَةُ إِلاَّ إِذَا كَانَتْ عَقِيدَتُهُ صَحِيحَةً خَالِيَةً مِنَ الْبِدَعِ وَالْخُرَافَاتِ، خَالِصَةً مِنَ الأَهْوَاءِ وَالضَّلاَلاَتِ، تُحَبِّبُ لِلْعَبْدِ رَبَّهُ وَتُعَرِّفُهُ بِجَلاَلِهِ وَسَطْوَتِهِ لِيَعْمَلَ لَهُ كَامِلَ حَيَاتِهِ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَإِلاَّ إِذَا كَانَ عَمَلُهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ لاَ تَشُوبُهُ شَائِبَةُ الرِّيَاءِ، مُهَاجِرًا لِمَا نَهَى اللهُ

(١) الذاريات: ٥٦ - ٥٨.

عَنْهُ، مُؤْمِنًا أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، مُسْلِمًا سَلِمُوا مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، مُتَحَلِّيًا بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ الَّتِي بُعِثَ مُحَمَّدٌ لِتَتْمِيمِهَا، ثُمَّ لاَ بُدَّ لِمَنْ يُرِيدُ سُلُوكَ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ وَيَرْغَبُ فِي أَدَاءِ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ أَنْ يَتَلَقَّى دِينَهُ عَنْ عُلَمَاءَ عَارِفِينَ مُخْلِصِينَ وَمِنْ كُتُبِهِمُ الْمُحَرَّرَةِ الْمُنْتَقَاةِ، عُلَمَاءَ تَشَبَّعَتْ نُفُوسُهُمْ بِرُوحِ الدِّينِ فَأَفْرَغُوهَا فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ بِأُسْلُوبٍ سَهْلٍ مُسْتَسَاغٍ، يُجِيدُونَ الْقَوْلَ وَيُحْسِنُونَ الْعَرْضَ وَيُورِدُونَ آرَاءَ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ بِكُلِّ وُضُوحٍ وَنَزَاهَةٍ، وَيَقْرِنُونَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ بِدَلِيلِهَا مَعْزُوَّةً إِلَى أَصْلِهَا لِيُوَازِنَ بَيْنَهَا مَنْ لَهُ مُشَارَكَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَعَقْلٌ مُتَّزِنٌ وَصَدْرٌ سَلِيمٌ، فَيَقْطِفَ مِنْ بَيْنِ الآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَرْدَةَ الْحَقِّ الْفَوَّاحَةَ، وَيَكُونَ فِي دِينِهِ عَلَى بَيِّنَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ.

# الشَّيْخُ الْجِيطَالِيُّ وَكِتَابُهُ "قَوَاعِدُ الإِسْلاَمِ"

وَمِنْ هَؤُلاَءِ الْمُصَنِّفِينَ الْبَارِعِينَ الإِمَامُ أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الْجِيطَالِيُّ النفُوسِيُّ وَكِتَابُهُ **"قَوَاعِدُ الإِسْلاَمِ"** الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ إِعْدَادِهِ لِلطَّبْعِ، وَإِنَّكَ لَتُحِسُّ مَعِي أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ - عِنْدَ تَصَفُّحِ الْكِتَابِ - بِرُوحِ التَّأْثِيرِ تَغْمُرُكَ بِإِخْلاَصِهَا وَتَسْتَوْلِي عَلَى مَشَاعِرِكَ بِنَزَاهَتِهَا، تُقَرِّرُ لَكَ الْحَقَائِقَ وَاضِحَةً وَتَكْشِفُ عَنْ أَسْرَارِ الْعِبَادَاتِ جَلِيَّةً فَتَنْبَعِثُ جَوَارِحُكَ لِخَيْرِ الْعَمَلِ وَأَنْتَ لاَ تَشْعُرُ.

أَمَّا خُطُوطُ الْكِتَابِ الْعَرِيضَةُ فَتَنْحَصِرُ فِي ثَلاَثَةٍ:

١ - تَفْصِيلُ الْقَوْلِ فِي الْعَقِيدَةِ، ٢ - الْعِبَادَاتُ وَأَقْسَامُهَا، ٣ - الْكَلاَمُ عَلَى حُقُوقِ اللهِ وَالْعِبَادِ أَمْرًا وَنَهْيًا، فِعْلاً وَتَرْكًا، وَعَلَى شَيْءٍ مِنْ آدَابِ السُّلُوكِ.

**وَالْمُؤَلِّفُ إِلَى نَصَاعَتِهِ فِي التَّعْبِيرِ وَبَسَاطَتِهِ فِي التَّقْرِيرِ نَجِدُهُ:**

١ - قَدْ تَأَثَّرَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ بِمَسْلَكِ الإِمَامِ الْغَزَالِيِّ فِي **"الإِحْيَاءِ"** مِنَ اسْتِشْهَادِهِ بِالأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ أَحْيَانًا فِي بَابِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ عَنْ عَمْدٍ تَجَوُّزًا. سَلَكَ الْجِيطَالِيُّ هَذَا الْمَسْلَكَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ، وَهَا هُوَ ذَا يُوَضِّحُ رَأْيَهُ فِي نِهَايَةِ قَنْطَرَةِ الصَّوْمِ مِنْ كِتَابِهِ **"قَنَاطِرِ الْخَيْرَاتِ"** فَيَقُولُ: "اعْلَمُوا - أَرْشَدَكُمُ اللهُ - أَنِّي إِنَّمَا أَوْرَدْتُ الأَحَادِيثَ الْمُتَقَدِّمَةَ فِي فَضْلِ

صَلاَةِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحَادِيثِ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَمَا أَوْرَدْتُ مِنَ الأَحَادِيثِ هَهُنَا فِي فَضْلِ رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ مِنْ صَوْمِ الأَيَّامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَمَا سَنُورِدُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا غَيْرَ مُسْتَفِيضٍ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَلاَ مَوْثُوقٍ بِصِحَّتِهَا، فَإِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِحَدِيثٍ رَأَيْتُهُ فِي آثَارِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ بَلَغَهُ حَدِيثٌ فِي الرَّغَائِبِ وَالْفَضَائِلِ فِي الْعَمَلِ فَاجْتَهَدَ فِيهِ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ عَلَى نَحْوِ مَا بَلَغَهُ لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرُ حِفْظِهِ الْحَدِيثَ وَطَاعَتِهِ فِيهِ، وَأَجْرُ عَمَلِهِ بِهِ، وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ عَلَى غَيْرِ مَا بَلَغَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ عَلَى نَحْوِ مَا بَلَغَهُ؛ لأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، فَلاَ يَذْهَبُ اجْتِهَادُهُ لِلهِ وَنَصِيحَتُهُ لِرَبِّهِ مَا لَمْ يَكُنِ اجْتِهَادُهُ فِي بِدْعَةٍ)[1][2].

٢ - أَفَاضَ الْقَوْلَ فِي شَرْحِ الْعَقِيدَةِ وَاسْتِقْرَاءِ مَبَاحِثِهَا بِمَا يَثْلُجُ لَهُ صَدْرُ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ النَّزْعَةِ وَإِنْ أَطَالَ فِي بَعْضِهَا كَأَبْوَابِ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ، وَقَسَا حُكْمُهُ فِيهَا أَحْيَانًا.

٣ - وَلَئِنْ سَوَّغَ لَهُ وَلِمُعَاصِرِيهِ مَنْطِقُ عَصْرِهِمْ بَعْضَ هَذِهِ الْقَسَاوَةِ كَمَا هِيَ النَّزْعَةُ السَّائِدَةُ وَقْتَئِذٍ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الإِسْلاَمِيَّةِ، فَإِنَّ وَحْدَةَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي ضَعُفَتْ أَسْبَابُهَا فِي أَيَّامِنَا وَرَكَتْ حِبَالُهَا تَقْضِي عَلَى بَنِي الإِسْلاَمِ أَنْ يَتَفَاهَمُوا بِالْحُسْنَى وَلِينِ الْقَوْلِ وَيَسْلُكُوا مَعَ بَعْضِهِمْ مَسْلَكَ الإِفْهَامِ

(١) [لم أجد من خرجه].

(٢) [قناطر الخيرات، الفصل الخامس في الترغيب في صيام رجب وشعبان والأيام البيض، ١/ ٤٨٤].

وَالإِقْنَاعِ، وَأَنْ يَتْرُكُوا التَّرَاشُقَ بِالْكَلِمَاتِ الْجَارِحَةِ جَانِبًا مُحَافَظَةً عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ، وَإِلاَّ فَعَدُوُّهُمُ الْمُشْتَرَكُ بِالْمِرْصَادِ.

٤ - وَقَدْ حَشَّى عَلَى الْكِتَابِ الشَّيْخُ أَبُو سِتَّةَ مُحَمَّدٌ بْنُ عُمَرَ الْقَصَبِيُّ الْجربِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْمَشْهُورِ عِنْدَ إِبَاضِيَّةِ الْمَغْرِبِ بِالْمُحَشِّي لِكَثْرَةِ حَوَاشِيهِ، نَاهِيكَ أَنَّهَا بَلَغَتْ عَلَى مَا يُقَالُ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ حَاشِيَةً. وَحَاشِيَتُهُ هَذِهِ مَطْبُوعٌ عَلَى هَامِشِهَا كِتَابُ الْقَوَاعِدِ طَبْعَةً حَجَرِيَّةً بِمِصْرَ سَنَةَ ١٢٩٧هـ. وَقَدْ رَغِبَ مِنِّي بَعْضُ الإِخْوَانِ أَنْ نَطْبَعَهَا مَعَ الأَصْلِ لَكِنْ فَضَّلْنَا أَنْ يُطْبَعَ الْكِتَابُ مُجَرَّدًا عَنِ الْحَاشِيَةِ؛ لأَنَّ طَبْعَهُ بِمُفْرَدِهِ أَلْيَقُ وَأَجْمَعُ لِهِمَّةِ الطَّالِبِ، عَلَى أَنَّنَا رُبَّمَا نَقَلْنَا شَيْئًا مِنْهَا عَلَى بَعْضِ مَسَائِلِ الْكِتَابِ مَتَى اقْتَضَى الأَمْرُ ذَلِكَ.

٥ - كَمَا اخْتَصَرَ الْكِتَابَ وَالْحَاشِيَةَ مَعًا الْقُطْبُ أَطْفَيَّشُ ﷺ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ: **"الذَّهَب الْخَالِص الْمُنَوّه بِالْعِلْمِ الْقَالِصِ"** صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ أَطْفَيَّش دَفِينُ الْقَاهِرَةِ ﷺ، وَطَبَعَهُ بِالْمَطْبَعَةِ السَّلَفِيَّةِ سَنَةَ ١٣٤٣هـ.

٦ - وَرَأَيْنَا أَنْ نُخَرِّجَ مَا فِي الْكِتَابِ مِنَ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ تَكْمِيلاً لِمَا أَخَلَّ بِهِ صَاحِبُ الْقَوَاعِدِ وَإِتْمَامًا لِلْفَائِدَةِ.

٧ - وَرُبَّمَا قَسَمْنَا الْكِتَابَ إِلَى جُزْأَيْنِ بَدَلاً مِنْ جُزْءٍ وَاحِدٍ رَغْمَ تَجْرِيدِهِ مِنَ الْحَاشِيَةِ إِذَا مَا ضَخمَ حَجْمُ الْكِتَابِ بِالتَّعَالِيقِ وَتَخْرِيجِ الأَحَادِيثِ رِعَايَةً لِذَوْقِ الصِّنَاعَةِ وَتَسْهِيلاً لاقْتِنَاءِ الْكِتَابِ.

هَذَا وَلاَ نَأْلُو جُهْدًا فِي الاعْتِنَاءِ بِتَصْحِيحِهِ وَوَضْعِ الْعَنَاوِينِ الْجَانِبِيَّةِ لأَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ وَمَبَاحِثِهِ إِنْ أَمْكَنَ، وَالتَّعَالِيقِ عَلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا نَوْعُ غُمُوضٍ

اسْتِدْرَاكًا لِمَا يَجِبُ اسْتِدْرَاكُهُ، مُسَايَرَةً لِلتَّيَّارِ الْعِلْمِيِّ وَتَطَوُّرِ بَعْضِ نَظَرِيَّاتِهِ، وَسَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَحِّحِ نَفْسِهِ أَمْ مِنَ الْمُحَشِّي أَوْ مِنْ غَيْرِهِمَا.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُسَدِّدَ خُطَانَا فِي إِخْرَاجِ الْكِتَابِ الَّذِي ظَلَّ كَنْزًا مَدْفُونًا وَتُرَاثًا مَجْهُولاً عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ وَأَكْمَلِهِ، عَسَانَا أَنْ نُسْهِمَ بِذَلِكَ فِي إِمْدَادِ الْمَكْتَبَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَنُقَدِّمَ لِلأُمَّةِ عَمَلاً نَرْجُو بِرَّهُ وَذُخْرَهُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، إِنَّهُ وَلِيُّ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ، وَالْحَمْدُ لِلهِ أَوَّلاً وَآخِرًا.

**غرداية ٣ صفر ١٣٩٥هـ/ ١٥ فيفري ١٩٧٥م**

**بكلي عبد الرحمن بن عمر**

# تَرجَمَةُ الشَّيخِ الجِيطَالِيِّ[1]

هُوَ حُجَّةُ الإِسْلاَمِ الإِمَامُ أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الْجِيطَالِيُّ النفُوسِيُّ، نَشَأَ فِي مَدِينَةِ "جِيطَال" الزَّاخِرَةِ وَفْتَئِذٍ بِالْعُلَمَاءِ كَغَيْرِهَا مِنْ مُدُنِ نفُوسَةَ وَقُرَاهَا. وَ(جِيطَال) مَدِينَةٌ فَسِيحَةٌ تَقَعُ بَيْنَ (أَمْسِين) وَ(إِينَر)، عَلَى رَبْوَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ تُحِيطُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا غَابَاتٌ كَثِيفَةٌ مِنْ شَجَرِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ.

أَمَّا تَارِيخُ مَوْلِدِهِ فَلَمْ نَعْثُرْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ الْعَلاَمَةُ الشَّماخِيُّ فِي سِيَرِهِ الْجَامِعِ لِتَرَاجِمِ الأَشْيَاخِ، بَيْدَ أَنَّهُ كَانَ - وَلاَ شَكَّ - مِنْ عُلَمَاءِ الْخَمْسِينَ الثَّانِيَةِ لِلْقَرْنِ السَّابِعِ والأُولَى مِنَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ، وَإِنْ لَمْ نَسْتَطِعْ تَحْدِيدَ سَنَةِ مِيلاَدِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ.

## حَيَاتُهُ الْعِلْمِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ

أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الْعَالِمِ الْكَبِيرِ أَبِي مُوسَى عِيسَى بْنِ عِيسَى الطَّرْمِيسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٢هـ [١٣٢٢م] صَاحِبِ الْمَدْرَسَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَخْرَجَتْ عَدَدًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ كَمَا صَاحَبَ الشَّيْخَ أَبَا عَزِيزٍ زَمَانًا.

كَانَ رَحِمَهُ اللهُ قَوِيَّ الْحَافِظَةِ - عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّماخِيُّ - يَحْفَظُ دِيوَانَ الدَّعَائِمِ وَمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ وَالأَشْعَارَ السِّتَّةَ، وَيَقْرَأُ وَيَحْفَظُ كِتَابَ الْعَدْلِ وَالإِنْصَافِ

(١) [انظر معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ترجمة ر ١١٠، ١١٢/٢].

لِلإِمَامِ أَبِي يَعْقُوبَ الْوَارْجلاَنِيِّ فِي ثَلاَثَةِ أَجْزَاءٍ، وَجُمَلَ الزَّجَّاجِ فِي النَّحْوِ، وَشَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ بَعْضِ الأَشْيَاخِ أَنَّهُ كَانَ اتَّخَذَهَا أَوْرَادًا عَلَى أَيَّامِ الأُسْبُوعِ، وَخَصَّصَ الْيَوْمَ الأَخِيرَ لِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ لِتَكُونَ الْخَتْمَةُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ.

كَانَ هُوَ وَالشَّيْخُ عَامِرٌ صَاحِبُ الإِيضَاحِ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، تَخَرَّجَا مِنْ مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ مَدْرَسَةُ أَبِي مُوسَى الآنِفَةِ الذِّكْرِ، وَاتَّجَهَا اتِّجَاهًا وَاحِدًا فِي حَيَاتِهِمَا الْعِلْمِيَّةِ، كِلاَهُمَا تَرَكَ آثَارًا خَالِدَةً وَتَآلِيفَ قَيِّمَةً كَانَ لَهَا الصَّدَى الْبَعِيدُ فِي الأَوْسَاطِ الإِبَاضِيَّةِ إِلَى يَوْمِنَا، أَجَلْ إِنَّهُمَا وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي حُسْنِ التَّأْلِيفِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ وَنُصْرَةِ الْحَقِّ، غَيْرَ أَنَّ الشَّيْخَ الْجِيطَالِيَّ اشْتَغَلَ بِالتَّنَقُّلِ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي شَتَّى الْمَيَادِينِ حَتَّى فِي الأَسْوَاقِ، حَتَّى وَلَغَ بَعْضُ حَاسِدِيهِ فِي عِرْضِهِ فَقَالُوا: إِنَّهُ يُعَلِّمُ السُّوقَةَ مَسَائِلَ الْغِشِّ؛ يَعْنِي: يَنْهَاهُمْ عَنْهَا فَتَعَلَّمُوهَا.

أَمْضَى الإِمَامُ الْجِيطَالِيُّ حَيَاتَهُ الأُولَى فِي التَّنَقُّلِ بَيْنَ مُدُنِ الْجَبَلِ مُدَرِّسًا وَمُرَبِّيًا وَدَاعِيًا وَمُذَكِّرًا فِي عَادَةِ عُلَمَائِهِ رَحِمَهُمُ اللهُ، فَأَقَامَ مُدَّةً بِمَزْغُورَةَ، وَالْتَقَى فِي مَسْجِدِهَا الْكَبِيرِ بِالشَّيْخِ (أَبِي عَزِيزٍ) وَالشَّيْخِ (يدْرَاسِن)، ثُمَّ غَادَرَ مَزْغُورَةَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي عَزِيزٍ، وَسَكَنَ "فرسطَا" مِنْ بِلاَدِ الْجَبَلِ أَيْضًا تِسْعَةَ أَعْوَامٍ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْحُسَّادِ وَالأَضْدَادِ أَشْغَلُوهُ كَثِيرًا عَنْ أَدَاءِ رِسَالَتِهِ، فَصَرَفَ جَانِبًا مِنْ حَيَاتِهِ فِي مُقَاوَمَتِهِمْ وَدَفْعِ مَكَائِدِهِمْ. وَذَاتَ مَرَّةٍ سَافَرَ إِلَى طَرَابُلُسَ لِمَآرِبَ، فَاهْتَبَلُوا فُرْصَةَ وُجُودِهِ فِي مُحِيطِهِمْ فَلَمْ يَزَالُوا يُغْرُونَ بِهِ عَامِلَ طَرَابُلُسَ حَتَّى عَقَدَ لَهُ مَجْلِسًا مِنَ الْعُلَمَاءِ لِمُنَاظَرَتِهِ؛ لَكِنَّهُ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَأَفْحَمَهُمْ فَازْدَادُوا عَلَيْهِ غَيْظًا وَحَنَقًا، فَظَلُّوا يَسْعَوْنَ ضِدَّهُ لَدَيْهِ حَتَّى سَجَنَهُ وَمَكَثَ فِي سِجْنِهِ مُدَّةً، ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ الْجِيطَالِيَّ مَدَحَ ابْنَ مَكِّيٍّ صَاحِبَ الْقَيْرَوَانِ الَّذِي كَانَتْ جرْبَةُ تَحْتَ يَدِهِ

بِقَصِيدَةٍ، فَشَفَعَ فِيهِ لَدَى حَاكِمِ طَرَابُلسَ فَأَطْلَقَ سَرَاحَهُ. وَيَقُولُ الشَّماخِيُّ: إِنَّ أَبْنَاءَ أَبِي زَكَرِيَّاء بْنِ أَبِي مِسْوَرٍ تَسَبَّبُوا فِي إِطْلاَقِهِ مِنَ السِّجْنِ وَتَحَمَّلُوا مَعَهُ مَالاً، مَعَ ما تَقَدَّمَ مِنْ مَدْحِهِ لابْنِ مَكِّيٍّ، فَقَدِمَ جرْبَةَ وَقَصَدَ بِهَا أَبْنَاءَ أَبِي زَكَرِيَّاء بْنِ أَبِي مِسْوَرٍ، وَنَزَلَ الْجَامِعَ الْكَبِيرَ، وَتَلَقَّاهُ عُلَمَاءُ جِرْبَةَ أَحْسَنَ لِقَاءٍ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الطَّلَبَةُ فَكَانَ يُقْرِئُ ويُصَنِّفُ فِي المَجْلِسِ الْوَاحِدِ، وَهَكَذَا اسْتَوْطَنَ جِرْبَةَ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ[1].

## تَلاَمِيذُهُ

مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يَكُونَ لِلشَّيْخِ الْجِيطَالِيِّ - نَظَرًا لِغَزَارَةِ عِلْمِهِ وَقُوَّةِ نَشَاطِهِ - تَلاَمِيذُ بَارِزُونَ، لاَ سِيَّمَا بَعْدَ أَنِ اسْتَقَرَّ بِجرْبَةَ وَالْتَفَّ حَوْلَهُ الطَّلَبَةُ، لَكِنْ لَمْ يُحَدِّثْنَا التَّارِيخُ أَنَّهُ أَبْقَى مُرِيدِينَ نَابِهِينَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ مَحْظُوظًا كَزَمِيلِهِ (أَبِي سَاكِنٍ عَامِرٍ) الَّذِي تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلاَمًا تَصَدَّرُوا مَجَالِسَ الْعِلْمِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِمُ الْفَتْوَى، وَأَبْقَوْا لَنَا تَآلِيفَ قَيِّمَةً، فَكَانُوا هَمْزَةَ وَصْلٍ بَيْنَ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ، جَدَّدُوا مَا انْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَحْيَوْا مَا مَاتَ وَانْطَمَسَ، أَمْثَالَ: ابْنِهِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ عَامِرٍ، وَابْنِ ابْنِهِ سُلَيْمَانَ، وَالشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَرَّادِيِّ، وَأَبِي يَعْقُوبَ يُوسُفَ بْنِ مِصْبَاحٍ، وَالشَّيْخِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ، وَأَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ يُوسُفَ، وَأَبِي زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، وَالشَّيْخِ أَيُّوبَ الْجِيطَالِيِّ، وَنُوحِ بْنِ حَازِمٍ الْمرْسَاوَانِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ التَّفجَانِيِّ، وَأَبِي الضِّيَاءِ ابْنِ يسِّفاوْ الطَّرْمِيسِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَطُولُ تِعْدَادُهُمْ.

---

(١) [السير، الطبعة الحجرية، ٥٥٧/١].

# تآليفه

**قَالَ الشَّماخِيُّ:** وَلَهُ تَآلِيفُ جَلِيلَةٌ أَحْيَى بِهَا الْمَذْهَبَ: مِنْهَا الْقَوَاعِدُ، وَمِنْهَا الْقَنَاطِرُ فِي أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا شَرْحُ النُّونِيَّةِ فِي ثَلاَثَةِ أَجْزَاءٍ فِي أُصُولِ الدِّينِ عَلَى قَصِيدَةِ الشَّيْخِ أَبِي نَصْرٍ فَتْحِ بْنِ نُوحٍ المَلُوشَائِيِّ، وَمِنْهَا كِتَابُ الْحِسَابِ وَقَسْمِ الْفَرَائِضِ، وَمِنْهَا كِتَابُ الْحَجِّ وَالْمَنَاسِكِ، وَمِنْهَا مَا جُمِعَ مِنْ أَجْوِبَةِ الأَئِمَّةِ فِي ثَلاَثَةِ أَجْزَاءٍ، وَمِنْهَا مَا جُمِعَ مِنْ رَسَائِلَ، وَلَهُ قَصَائِدُ[1].

وَبَعْدُ فَقَدْ تَرَكَ الإِمَامُ الْجِيطَالِيُّ ثَرْوَةً كَبِيرَةً مِنَ الْجِهَادِ الْعِلْمِيِّ الْجَادِّ الْمُثْمِرِ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ الْقَيِّمَةِ الْعَمِيقَةِ هِيَ مِنْ أَرْفَعِ الْجُهُودِ الْعِلْمِيَّةِ وَأَخْصَبِهَا، وَيَجِدُ الْقَارِئُ فِي كِتَابِ الْقَنَاطِرِ صُورَةً جَلِيَّةً لِهَذِهِ الآفَاقِ الرَّحْبَةِ الَّتِي يَرْتَادُهَا هَذَا الْعَالِمُ الْكَبِيرُ فِي مَيَادِينِ الْمَعْرِفَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي تَدَفُّقٍ وَعُمْقٍ وَدِرَايَةٍ. تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ بِجرْبَةَ سَنَةَ ٧٥٠ هـ/ [١٣٥٠م]، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ الْمَذْكُورِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

**مُصَحِّحُ الْكِتَابِ**
**بكلي عبد الرحمن بن عمر**

---

(١) [السير، ٢٤٧/٢].

# [مقدمة المؤلف (الجيطالي)]

## بسم الله الرحمن الرحيم

### وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي اخْتَرَعَ الأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَدَبَّرَ الأُمُورَ عَلَى غَيْرِ تِمْثَالٍ، وَأَبْدَعَ بِحِكْمَتِهِ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ، فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ ذُرِّيَّةً وَشِيكَةَ الاضْمِحْلاَلِ، فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ قَبْلَ الاسْتِحْقَاقِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِمَضْمُونِ الأَرْزَاقِ، وَرَكَّبَ فِيهِمْ عُقُولاً إِلَيْهَا يَنْتَهُونَ وَيَعْرِفُونَ مَا يَأْتُونَ وَمَا يَتَّقُونَ، ثُمَّ بَعَثَ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ دُعَاةً، وَجَعَلَ لَهُمْ أَئِمَّةً وَهُدَاةً، وَخَتَمَ أَنْبِيَاءَهُ بِالنَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ الطَّاهِرِ الْمُطَهَّرِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَخْصُوصِ بِالْمَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ وَالْمَفَاخِرِ السَّمِيَّةِ، فَكَشَفَ بِهِ عَنِ الْهُدَى دَيَاجِيَ الْغُمَّةِ، وَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ الأُمَّةَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، فَكَلَّفَ فِيهِ عِبَادَهُ الْمَفْرُوضَاتِ، وَزَجَرَهُمْ فِيهِ عنِ ارْتِكَابِ الْمَحْظُورَاتِ، وَأَكَّدَ مَفْرُوضَاتِهِ بِمَوَاعِدِ الْمَثُوبَةِ تَرْغِيبًا، وَزَوَاجِرِهِ بِمَوَاعِيدِ الْعُقُوبَةِ تَرْهِيبًا؛ لأَنَّ الرَّغْبَةَ بَاعِثَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَالالْتِبَاسِ بِهَا، وَالرَّهْبَةَ رَادِعَةٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَارْتِكَابِهَا، فَالتَّكْلِيفُ يَجْمَعُ امْتِثَالَ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابَ الزَّوَاجِرِ، فَجَعَلَ مَا أَوْدَعَ كِتَابَهُ مِنَ الْقَصَصِ وَالأَمْثَالِ عِظَةً وَاعْتِبَارًا تَقْوَى بِهِمَا الرَّغْبَةُ فِي امْتِثَالِ الْعَزَائِمِ، وَتَزْدَادُ بِهِمَا الرَّهْبَةُ فِي اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، ثُمَّ جَعَلَ إِلَى رَسُولِهِ بَيَانَ مَا كَانَ مِنْ كَلاَمِهِ مُجْمَلاً وَإِيضَاحَ مَا كَانَ مِنْهُ مُشْكِلاً، فَبَيَّنَ ﷺ مَا أُجْمِلَ فِيهِ مِنَ الْحُدُودِ وَالأَحْكَامِ، وَأَنَارَ مَعَالِمَ الْحَلاَلِ مِنَ الْحَرَامِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَدَعَا إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ جَمِيعَ الْعِبَادِ،

وَأَمَرَهُمْ بِإِعْدَادِ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ حَتَّى أَكْمَلَ اللهُ دِينَهُ عَلَى لِسَانِهِ، وَقَبَضَهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ الأَبْرَارِ وَأَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتِ السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ مَنُوطَةً بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَاتِ وَجَبَ عَلَى الْمُكَلَّفِ إِتْقَانُ هَذَيْنِ التَّوْأَمَيْنِ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَهُمَا الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ امْتِثَالِ الأَوَامِرِ الْمَحْتُومَةِ وَالالْتِبَاسِ بِهَا فِعْلاً وَامْتِثَالاً، وَالْمَعْرِفَةُ بِمُوجِبِ اعْتِقَادِ قَلْبِ وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الأَخْلاَقِ الْمَذْمُومَةِ نُطْقًا وَاعْتِقَادًا وَنَفْيًا وَارْتِدَاعًا، وَلَمَّا كَانَ الْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عُمَرَ عَنْهُ ﷺ مُتَضَمِّنًا قَوَاعِدَ الإِسْلاَمِ[1]، وَكَانَتِ السُّؤَالاَتُ السَّبْعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2] مُشْتَمِلَةً عَلَى جَمِيعِ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ فِي الْمَعَادِ؛ رَأَيْنَا أَنْ نَقْصُرَ الْكَلاَمَ فِي هَذَا الْمُخْتَصَرِ عَلَى سَبْعَةِ أَرْكَانٍ تَحْتَوِي عَلَى جُمَلٍ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْمَظَالِمِ الَّتِي يُلْزَمُ بِهَا الإِنْسَانُ، وَكُلُّ رُكْنٍ مِنْهَا يَشْتَمِلُ عَلَى أَبْوَابٍ مُرَتَّبَةٍ مَبَانِيهَا وَفُصُولٍ مَشْرُوحَةٍ مَعَانِيهَا، تَكُونُ لِسَالِكِي هَذَا الْمَنْهَجِ مِنَ التُّحَفِ الْمَخْزُونَةِ وَالدُّرَرِ الْمَكْنُونَةِ يَقِلُّ عَلَى النَّاظِرِ لَفْظُهَا، وَيَسْهُلُ عَلَى الْقَارِئِ حِفْظُهَا، وَتَكُونُ لِلْمُسْتَرْشِدِينَ مَلْجَأً يَلْجَؤُونَ إِلَيْهَا وَعِصْمَةً يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَرْجُوُّ لِلتَّوْفِيقِ وَالْمُرْشِدُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ بِإِجَابَةِ السَّائِلِينَ حَقِيقٌ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

---

(١) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ..." الْحَدِيث. [سبق تخريجه].
(٢) الْفَجْر: ١٤.

# كِتَابُ التَّوْحِيدِ

# الرُّكْنُ الأَوَّلُ :فِي مَعْرِفَةِ اللهِ عز وجل وَوَظَائِفِهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ قَوَاعِدِ التَّوْحِيدِ وَأَرْكَانِهِ

## وَهَذَا الرُّكْنُ يَحْتَوِي عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَأَبْوَابٍ ثَلاَثَةٍ:

**أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ فَهِيَ**: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الدُّنْيَا وَحَفَّهَا شَهَوَاتٍ وَمَلأَهَا آفَاتٍ وَأَسْكَنَهَا الثَّقَلَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَخَّرَ لَهُمْ كُلَّ مَا فِي بِلاَدِهِ أَكْلاً وَانْتِفَاعًا وَلُبْسًا وَاسْتِمْتَاعًا، لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَأَسْرَعُهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ قَبُولاً وَفِعْلاً وَامْتِثَالاً، ثُمَّ رَكَّبَ فِيهِمْ عُقُولاً غَرِيزِيَّةً يَتَعَلَّقُ التَّكْلِيفُ بِكَمَالِهَا[1]، وَيَتَمَيَّزُ بِهَا الإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلاَفِ أَجْنَاسِهَا، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى أَصْلاً لِشَرِيعَتِهِ، وَجَعَلَ أَحْكَامَ الدُّنْيَا مُدَبَّرَةً بِوَاسِطَتِهِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ الخَلْقِ، وَسَاوَى بَيْنَ أَهْلِهِ فِي التَّكْلِيفِ وَأَدَاءِ الْحَقِّ، وَجَعَلَ مَا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ مَأْخُوذًا مِنْ وَاجِبٍ عَقْلِيٍّ وَرَدَ الشَّرْعُ بِتَأْكِيدِهِ، وَمَسْمُوعًا مِنْ خِطَابٍ نَقْلِيٍّ لاَ يَمْنَعُ الْعَقْلُ مِنْ جَوَازِهِ. وَلِذَلِكَ تَوَجَّهَ الْخِطَابُ إِلَى ذَوِي الأَلْبَابِ، وَبِهِ اسْتَوْجَبُوا الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَكْلِيفُ مَنِ انْعَرَى مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَكْلِيفُ الأَصَمِّ السَّمْعَ، وَتَكْلِيفُ الأَخْرَسِ النُّطْقَ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ إِهْمَالُ الْعَاقِلِ بِغَيْرِ تَكْلِيفٍ؛ لأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى إِبَاحَةِ الشَّتْمِ لَهُ وَالافْتِرَاءِ عَلَيْهِ بِمَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. فَكَيْفَ وَقَدْ نَزَّهَ الْجَلِيلُ ﷻ نَفْسَهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

---

(١) الْحَاصِلُ عِنْدَ الْبُلُوغِ وَإِلاَّ فَالكَمَالُ لاَ يَحْصُلُ إِلاَّ عِنْدَ الأَرْبَعِينَ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ عَلَى رَأْسِ الأَرْبَعِينَ إِلاَّ ابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى وَيَحْيَى، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (ولما بلغ أشده) (القصص: ١٤)، أَيْ: بَلَغَ الأَرْبَعِينَ. اهـ الْمُحَشِّي بِاخْتِصَارٍ. [والمحشي: هو أبو ستة، وقد سبق التعريف به في مقدمة المصحح].

﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ الآيَة[١]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٢]، أَيْ: مُهْمَلاً لاَ يُخَاطَبُ، وَمَتْرُوكًا لاَ يُعَاقَبُ؟ فَإِذَا صَحَّتْ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ مِنَ الإِنْسَانِ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ التَّكْلِيفُ وَالإِلْزَامُ، وَنَفَذَتْ لَهُ وَعَلَيْهِ الأَحْكَامُ.

## [علامات البلوغ]

وَقَدْ نَصَبَ الشَّرْعُ لِذَلِكَ عَلاَمَاتٍ بَادِيَةً وَحُدُودًا مُتَنَاهِيَةً:

**إِحْدَاهَا:** الاحْتِلاَمُ لِلذُّكُورِ، وَالْمَحِيضُ لِلنِّسَاءِ بِإِزَائِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٣] فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الاسْتِئْذَانَ بِبُلُوغِ الاحْتِلاَمِ، وَأَمَّا الْمَحِيضُ فَلِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُجِزْ لِمَنْ بَلَغَ الْمَحِيضَ مِنَ النِّسَاءِ أَنْ تُصَلِّيَ بِلاَ خِمَارٍ[٤]، فَدَلَّ أَنَّ التَّكْلِيفَ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا بِبُلُوغِ الْمَحِيضِ.

**وَالثَّانِيَةُ:** الإِنْبَاتُ فِي مَوْضِعِ الاسْتِحْدَادِ، لِحَدِيثِ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ حَكَمَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ أَنْ يُكْشَفَ عَنِ الأَطْفَالِ، فَمَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ سُبِيَ، فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرَظِيُّ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ فَتُرِكَ[٥] فِيمَا قِيلَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الْمُؤْمِنُونَ: ١١٥.

(٢) الْقِيَامَة: ٣٦.

(٣) النُّور: ٥٩.

(٤) [رَوَاهُ أبو داود، كتاب الصلاة، باب المرأة تصلي بغير خمار، ر٦٤١، والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء لا تُقبل صلاة المرأة إلا بخمار، ر٣٧٧]، بِلَفْظ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ حَائِضٍ إِلاَّ بِخِمَارٍ"، كَمَا سَاقَهُ الْمُؤَلِّفُ فِيمَا بَعْدُ بِهَذَا اللَّفْظِ.

(٥) ذَلِكَ هُوَ عَطِيَّةُ الْقُرَظِيُّ، [كَمَا فِي حَدِيثٍ عنه قال: "عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ قُرَيْظَةَ فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خُلِّيَ سَبِيلُهُ فَكُنْتُ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخُلِّيَ سَبِيلِي". رواه الترمذي، كتاب السير، باب ماء في النزول على الحكم، ر١٥٨٤، وابن ماجه، كتاب الحدود، باب من لا يجب عليه الحد، ر٢٥٤١]. قَالَ الصَّنْعَانِيُّ فِي سُبُلِ السَّلاَمِ: "وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه

وَقَدْ أَجَازَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ الْبُلُوغَ بِشَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا كَانَتْ سَوْدَاءَ غَلِيظَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالثَّالِثَةُ:** السِّنُونُ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي نِهَايَةِ ذَلِكَ، وَالْمَحْصُولُ مِنَ اخْتِلاَفِهِمْ قَوْلاَنِ: أَحَدُهُمَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَالثَّانِي سَبْعَ عَشْرَةَ، وَالصَّحِيحُ الأَوَّلُ لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْفَذَهُ فِي الْجَيْشِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَضَرَبَ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ سَهْمًا[1]، وَكَذَلِكَ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ يَضْرِبُ لِلْمُقَاتِلَةِ فِي الْغَنِيمَةِ مَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. فَهَذِهِ حُدُودُ الْبُلُوغِ فِيمَا بَلَغَنَا، فَمَتَى مَا ظَهَرَ مِنَ الإِنْسَانِ إِحْدَى هَذِهِ الْعَلاَمَاتِ، وَسَلِمَ عَقْلُهُ مِنْ شَوَائِبِ الآفَاتِ فَقَدْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَلَمْ يَسَعْهُ جَهْلُ التَّوْحِيدِ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، وَيَسَعُهُ جَهْلُ الْفَرَائِضِ حَتَّى تَجِيءَ أَوْقَاتُهَا، وَجَهْلُ الْمُحَرَّمَاتِ مَا لَمْ يَلْتَبِسْ بِهَا، أَوْ يَتَوَلَّى مَنِ ارْتَكَبَهَا، أَوْ يَقِفْ فِيهِ عَلَى عِلْمِهِ بِمَا ارْتَكَبَ مِنْ مُحَرَّمَاتِ رَبِّهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْبَالِغَ وَالْمُشْرِكَ مَأْمُورَانِ بِجُمْلَةِ الْفَرَائِضِ مَنْهِيَّانِ عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ قَوْلُ اللهِ ﷻ إِخْبَارًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا

---

يَحْصُلُ بِالإِنْبَاتِ الْبُلُوغُ، فَتَجْرِي عَلَى مَنْ أَنْبَتَ أَحْكَامُ الْمُكَلَّفِينَ، وَلَعَلَّهُ إِجْمَاعٌ". اهـ. [سبل السلام، ط، ٤، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ٣/ ٥٨]

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: (عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أربعَ عشرةَ سنةٍ فلمْ يُجْزِنِي، وعَرضتُ عليهِ يومَ الخندَقِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي). [البخاري، كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان، ر٢٥٢١، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ، ر٤٩٤٤]، وَإِذَا أَجَازَهُ وَأَسْهَمَ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، كَمَا أَفَادَهُ الْحَدِيثُ وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ غَيْرَ الْبَالِغِ لاَ يَنْفُذُ فِي الْجَيْشِ وَلاَ يُسْهَمُ لَهُ فِي الْغَنِيمَةِ، وَأَنَّ الْبُلُوغَ بِالسِّنِينَ يَتَحَقَّقُ بِبُلُوغِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَهُوَ الْقَوْلُ الْمُعْتَمَدُ عِنْدَنَا، وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ ﷺ: "إِذَا اسْتَكْمَلَ الْمَوْلُودُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً كُتِبَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، وَأُقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُدُودُ". [ابن حجر: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ر١٢٤١، وإسناده ضعيف]، ولذَلِكَ نَصَّ الْمُصَنِّفُ عَلَى تَرْجِيحِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه.

﴿سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾[1]، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمُ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ بِمَجْمُوعِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ، كَمَا اسْتَوْجَبُوهُ بِإِحْدَاهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ: الآيَةُ ٤٢ - ٤٦.

# [الباب الأول: في معرفة الله عز وجل، وَمَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ كُلَّ مُكلَّفٍ]

## فصل في أَدِلَّةُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدَّمَ مَعْرِفَتَهُ عَلَى الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا عَلَى سَائِرِ الْمَفْرُوضَاتِ كَمَا قَدَّمَ السُّؤَالَ عَنْهَا فِي الآخِرَةِ قَبْلَ سَائِرِ السُّؤَالاَتِ.

**[فمن القرآن]:** قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا عِبَادَهُ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآيَة[1] وَفِي أَمْثَالِهَا، وَقَالَ أَيْضًا - وَذَكَرَ أَصْلَ الإِيمَانِ -: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[2] مَعْنَاهُ: لَيْسَ الإِيمَانُ أَنْ تُصَلُّوا فَقَطْ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3]. وَسُئِلَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ، فَقَالَ السَّائِلُ: سَأَلْنَا عَنِ الإِيمَانِ فَتُخْبِرُنَا عَنِ الْبِرِّ؟ فَقَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ. فَهَذَا أَصْلُ الإِيمَانِ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ.

**وَمِنَ السُّنَّةِ:** مَا رُوِيَ "أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الإِيمَانُ؟ فَقَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَنَّهُ مِنَ اللهِ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقْتَ! قَالَ: فَمَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ ﷺ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ. قَالَ:

---

(١) التَّغَابُن: ٨.

(٢) الْبَقَرَة: ١٧٧.

(٣) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ زِيَادَةُ: (وَلاَ أَنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا غَيْرَ الصَّلاَةِ)، ثُمَّ ذَكَرَ الإِيمَانَ، وَقَدَّمَهُ عَلَى سَائِرِ وَظَائِفِ الإِسْلاَمِ، وَقَالَ: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ.. إِلَخْ).

فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: صَدَقْتَ! قَالَ: فَمَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ ﷺ: أَنْ تَعْمَلَ لِلهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: صَدَقْتَ..." الْحَدِيثُ[1]، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عَلَيَّ بِالرَّجُلِ، فَقَامَ أَصْحَابُهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ (وِجْهَةٍ)، ثُمَّ نَادَاهُمْ: أَنْ هَلُمُّوا فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ﷺ جَاءَكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ. فَبَدَأَ بِالإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ قَبْلَ وَظَائِفِ الإِسْلاَمِ كَمَا قَدَّمْنَا؛ لأَنَّهُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ تُؤَدَّى الْعِبَادَاتُ رَغْبَةً فِي مَرْضَاتِهِ، وَتُجْتَنَبُ الْمُحَرَّمَاتُ مَخَافَةَ سَطَوَاتِهِ وَالتَّعَرُّضِ لِمَقْتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَعْبُودَهُ كَيْفَ يَرْجُوهُ لِكَشْفِ مَلَمَّةٍ أَوْ تَيْسِيرِ مَهَمَّةٍ، أَوْ كَيْفَ يَخَافُهُ إِذَا ارْتَكَبَ مُوبِقَةً أَوْ أَهْمَلَ فَرِيضَةً؟ لِذَلِكَ قَالَ ﷺ: **"أَبَى اللهُ أَنْ يُقْبَلَ الْعَمَلُ إِلاَّ بِالإِيمَانِ"**[2]، وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ مِفْتَاحَ دَعْوَةِ كُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ**﴾[3] وَكَذَلِكَ فِي الْمَعَادِ إِنَّمَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ أَوَّلاً عَنِ الإِيمَانِ ثُمَّ الصَّلاَةِ ثُمَّ الزَّكَاةِ ثُمَّ سَائِرِ الأَعْمَالِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، وَاشْتُهِرَ عَنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ**﴾[4] يَعْنِي: مَلاَئِكَةً يَرْصُدُونَ الْعِبَادَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ عِنْدَ الْقَنَاطِرِ السَّبْعِ الْمَحَابِسِ، فَيُسْأَلُ الْعَبْدُ عِنْدَ أَوَّلِهِنَّ عَنِ الإِيمَانِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ مُخْلِصًا جَازَ إِلَى الثَّانِي، فَيُسْأَلُ عَنِ الصَّلاَةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً جَازَ إِلَى الثَّالِثِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً جَازَ إِلَى الرَّابِعِ، ثُمَّ يُسْأَلُ عَنِ الصَّوْمِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا جَازَ إِلَى الْخَامِسِ،

(١) [رَوَاهُ البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، ر٥٠، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام...، ر١٠٢].

(٢) [لَمْ أجد من خرجه، ذكره الهيثمي (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب لا يقبل إيمان بلا عمل، طبعة: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ ١/ ١٨٧) بلفظ: "لاَ يُقْبَلُ إِيمَانٌ بِلاَ عَمَل وَلاَ عَمَلٌ بِلاَ إِيمَانٍ"، وقال: رواه الطبراني في المعجم الكبير، فلم أجده عند الطبراني].

(٣) الأَنْبِيَاء: ٢٥.

(٤) الْفَجْر: ١٤. الْمَعْنَى أَنَّهُ لاَ يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ كَمَا لاَ يَفُوتُ مَنْ بِالْمِرْصَادِ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَعِكْرِمَةُ.

فَيُسْأَلُ عَنِ الْعُمْرَةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً جَازَ إِلَى السَّادِسِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الْحَجِّ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا جَازَ إِلَى السَّابِعِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الْمَظَالِمِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ظَلَمَ أَحَدًا جَازَ إِلَى الْجَنَّةِ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الأَبْوَابُ الثَّلاَثَةُ الَّتِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا هَذَا الرُّكْنُ الأَوَّلُ

**أَحَدُهَا: بَابٌ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ﷻ، وَمَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ كُلَّ عَاقِلٍ** سَلِمَ عَقْلُهُ مِنَ الآفَاتِ عِنْدَ حَالِ بُلُوغِهِ مِنَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ، وَهَذَا الْبَابُ يَتَوَزَّعُ عَلَى ثَلاَثَةِ فُصُولٍ:

**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ﷻ.

**وَالْفَصْلُ الثَّانِي**: فِي مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالإِقْرَارِ بِهِ.

**وَالْفَصْلُ الثَّالِثُ**: فِي مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَالإِقْرَارِ بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

---

(١) [رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ر٩١٥، ٢/ ٣٤٥، والقرطبي في تفسير سورة الفجر، ٢٠/ ٥٠].

# الفَصْلُ الأَوَّلُ
## فِي مَعْرِفَةِ اللهِ ﷻ

وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ:

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ: فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي اللهِ ﷻ وُجُوبًا وَإِثْبَاتًا، وَالثَّانِي:** فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدَهُ نَفْيًا وَاسْتِحَالَةً.

**أَمَّا الأَوَّلُ:** فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَالإِيمَانُ بِهِ نُطْقًا بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادًا بِالْجَنَانِ، وَيَعْقِدُ فِي قَلْبِهِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاحِدٌ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ فِي ذَاتِهِ، وَلاَ مَعَهُ ثَانٍ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، مَوْجُودٌ بِغَيْرِ مُشَاهَدَةٍ، قَدِيمٌ بِلاَ بِدَايَةٍ أَوْجَدَ مِنْهَا نَفْسَهُ، دَائِمٌ بِلاَ نِهَايَةٍ يَنْتَهِي إِلَيْهَا، حَيٌّ قَيُّومٌ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، عَالِمٌ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ظُلُمَاتٍ وَلاَ ضِيَاءٍ، قَادِرٌ بِلاَ تَكَلُّفٍ وَلاَ جَهْدٍ، مُتَكَلِّمٌ بِلاَ لِسَانٍ، سَمِيعٌ بِلاَ آذَانٍ، بَصِيرٌ بِلاَ حَدَقَةٍ وَلاَ أَجْفَانٍ، وَأَنَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمُنْشِئُهُ وَمُوجِدُهُ، خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ، وَاخْتَرَعَ الإِنْسَانَ وَصَوَّرَهُ، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَمَا يَجْلِبُ إِلَيْهِ حِسُّهُ، مُرِيدٌ لِكُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَجَمِيعِ مَا يَجْرِي عَلَى الْعَالَمِ مِنْ نَفْعٍ وَضَرٍّ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، صَادِقٌ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، عَدْلٌ فِي قَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، آمِرٌ بِطَاعَتِهِ، نَاهٍ

عَنْ مَعْصِيَتِهِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[1].

## الْقِسْمُ الثَّانِي: فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ نَفْيًا وَاسْتِحَالَةً

وَذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ وَالْعَدَمُ وَالتَّغَيُّرُ وَالْفَنَاءُ فِي الْحَالِ وَالأَزَلِ[2]، بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ عَلَى الإِطْلَاقِ، غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِزَمَانٍ وَلاَ مَخْصُوصٍ بِجِهَةٍ وَلاَ مَكَانٍ، بَلْ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِلاَ حِوَايَةٍ وَلاَ اجْتِنَانٍ، لاَ تُحِيطُ بِهِ الْجِهَاتُ وَالأَقْطَارُ، وَلاَ تُكَيِّفُهُ الْعُقُولُ وَالأَفْكَارُ، مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ وَالْجِهَاتِ، غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، مُتَعَالٍ عَنِ الْحُلُولِ عَلَى الْعَرْشِ وَالسَّمَوَاتِ، لَيْسَ بِمُتَّصِلٍ فَتَمَسُّهُ صَفَحَاتُ الأَجْرَامِ، وَلاَ بِمُنْفَصِلٍ فَتُدْرِكُهُ لَمَحَاتُ أَبْصَارِ الأَجْسَامِ، لاَ يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ وَلاَ بِالسُّكُونِ، وَلاَ تَعْتَرِيهِ وَسَاوِسُ الظُّنُونِ، تَعَالَى عَنِ الْعُيُوبِ وَالآفَاتِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ نَقَائِصِ الْعَاهَاتِ، لاَ تَبْدُو لَهُ الْبَدَوَاتُ، وَلاَ يُوصَفُ بِالْجَوَارِحِ وَالأَدَوَاتِ، وَلاَ تَحُلُّهُ دَوَاعِي الْخَطَرَاتِ، وَلاَ يُوصَفُ بِنَوْمٍ وَلاَ سُبَاتٍ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ يُنَازِعُهُ، وَلاَ كُفْؤٌ يُدَافِعُهُ، وَلاَ مِثْلٌ يُعَادِلُهُ، وَلاَ نَظِيرٌ يُشَاكِلُهُ[3]، وَلاَ وَزِيرٌ يُؤَازِرُهُ، وَلاَ نِدٌّ يُحَاوِرُهُ، وَلاَ تُكَيِّفُهُ الْعُقُولُ، وَلاَ تُمَثِّلُهُ النُّفُوسُ، وَلاَ تَلْحَقُهُ الأَوْهَامُ وَالأَفْكَارُ، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4] لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلاَ عَرَضٍ، وَلاَ بِذِي طُولٍ وَلاَ عُرْضٍ، وَلاَ بِذِي صُورَةٍ وَلاَ شَكْلٍ، وَلاَ هَيْئَةٍ وَلاَ مِثْلٍ، بَلْ

(١) الْحَدِيد: ٣.
(٢) [الأَوْلَى أَنْ يَزِيدَهُ]: وَالأَبَدِ.
(٣) وَفِي نُسْخَةٍ: يُشَارِكُهُ.
(٤) الأَنْعَام: ١٠٣.

هُوَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الْعَدْلُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، لاَ تَحُلُّهُ الْحَوَادِثُ وَالآفَاتُ، وَلاَ تَلْحَقُهُ النَّقَائِصُ وَالْعَاهَاتُ، وَلاَ يَلِيقُ بِهِ الظُّلْمُ، وَلاَ يَجُورُ فِي الْحُكْمِ، بَلْ قَضَاؤُهُ كُلُّهُ حِكْمَةٌ وَعَدْلٌ وَامْتِنَانٌ وَفَضْلٌ، كُلُّ أَفْعَالِ الْبَرِيَّةِ بِقَضَاءٍ مِنْهُ وَمَشِيئَةٍ، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[1]، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ، ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[3] ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

---

(١) الأنعام: ١١٥.

(٢) النحل: ٩٣، والآية: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

(٤) غافر: ٦٥.

# الفَصْلُ الثَّانِي
## فِي مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ

وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ نُطْقًا وَاعْتِقَادًا أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ هَاشِمِيُّ النَّسَبِ مَبْعُوثٌ مِنَ الْعَرَبِ بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ الأَمِينُ وَرَسُولُهُ الْمُبِينُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ أَجْمَعِينَ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّهُ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبَدَ رَبَّهُ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، وَصَدَعَ بِأَمْرِ رَبِّهِ مُجْتَهِدًا فِي تَبْلِيغِهِ، نَاصِحًا لأُمَّتِهِ، حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، رَؤُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمًا بِالْمُتَّقِينَ، آخِذًا بِالْعَفْوِ، آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ، مُعْرِضًا عَنِ الْجَاهِلِينَ، كَاظِمًا لِغَيْظِهِ، شَاكِرًا لأَنْعُمِ رَبِّهِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ لَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا فِي غَيْرِ ذِلَّةٍ، وَأَسْكَتَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَكَبُّرٍ، وَأَبْلَغَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيلٍ، آكِلاً مَا وَجَدَ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا فُقِدَ، يَلْبَسُ مَا تَيَسَّرَ لَهُ، وَيَرْكَبُ مَا أَمْكَنَهُ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَالأَمَةِ، وَيُجَالِسُ أَهْلَ الضَّعْفِ وَالْمَسْكَنَةِ، لاَ يَحْتَقِرُ الْفَقِيرَ لِفَقْرِهِ، وَلاَ يَهَابُ مَلِكًا لِمُلْكِهِ، قَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ السِّيرَةَ الْفَاضِلَةَ وَالسِّيَاسَةَ الْكَامِلَةَ وَالأَخْلاَقَ التَّامَّةَ.

هَاشِمِيُّ النَّسَبِ، مَبْعُوثٌ مِنَ الْعَرَبِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمَبْعَثُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطِيبَةَ، وَقَبْرُهُ بِالْمَدِينَةِ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ[1] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مَدَى اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ.

---

(١) قَالَ الْقُطْبُ أَطْفَيَّشُ رحمه الله فِي الذَّهَبِ الْخَالِصِ: "وَذَلِكَ أَنَّهُ قَطَعَ فِيهِ قَبْلَ فَتْحِهِ بِرْكَةً عَظِيمَةً لِتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ، وَتُسَمَّى (بِرْكَةَ التَّمِيمِيِّينَ)، وَهِيَ فِي أَعْمَالِ الْقُدْسِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ أَعْطَى لِتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدارِيِّ وَأَخِيهِ نُعَيْمٍ وَيَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ وَأَخِيهِ الطَّيِّبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَفَاكِهَةَ بْنِ

# الفَصْلُ الثَّالِثْ
## فِي مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ

وَهَذَا الْفَصْلُ يَحْتَوِي عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ قِسْمًا:

**أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ فَهِيَ**: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مِنَ الأَنَامِ مَعْرِفَةُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الدِّينِ وَالإِسْلاَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَوِي عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْقَصَصِ وَالأَمْثَالِ وَالْحُدُودِ وَالأَحْكَامِ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ فِي جَمِيعِ مَا نَطَقَ بِهِ مِنْ كَلاَمٍ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]، وَذَلِكَ أَنَّ دَعْوَةَ الرَّسُولِ ﷺ ثَلاَثُ جُمَلٍ لاَ يَسْتَغْنِي بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلاَ يَسَعُ جَهْلُهَا كُلَّ

---

النُّعْمَانِ، وَقَدْ أَسْلَمُوا وَسَأَلُوهُ الْهِبَةَ كِتَابًا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ ذُكِرَ فِيهِ مَا وَهَبَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلدَّارِيِّينَ إِذَا أَعْطَاهُ اللهُ الأَرْضَ: وَهَبَ لَهُمْ بَيْتَ عَيْنُونَ وَجبرُونَ وَالْمَرْطُومِ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا فِيهِنَّ إِلَى أَبَدِ الأَبَدِ، شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَخُزَيْمَةُ بْنُ قَيْسٍ وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَكَتَبَ، ثُمَّ قَالَ: انْصَرِفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَنِّي هَاجَرْتُ، وَلَمَّا هَاجَرَ قَدِمُوا عَلَيْهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَنْطَى - أَيْ أَعْطَى - مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ لِتَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَأَصْحَابِهِ، أَنِّي أَنْطَيْتُكُمْ بَيْتَ عيْنُونَ وَحبرُونَ وَالْمرْطوم وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ وَجَمِيعِ مَا فِيهِمْ نَطِيَّةَ بتّ وَنَفذت وَسلمت ذَلِكَ لَهُمْ وَلأَعْقَابِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدَ الأَبَدِ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهِ آذَاهُ اللهُ، شَهِدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَتَبَ، وَفُتِحَ ذَلِكَ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ وَأَنْفَذَهُ" [الذهب الخالص، ص ٢٨، ٢٩]. (يَعْنِي بِوَاسِطَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ) اهـ. وَيُسَمُّونَ هَذَا الإِنْطَاءَ الشَّرِيفَ، وَهُوَ مَحْفُوظٌ عِنْدَ أَوْلاَدِهِ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الإِصَابَةِ: وَالْكِتَابُ الْمَذْكُورُ مَشْهُورٌ بِيَدِ ذُرِّيَّةِ تَمِيمٍ، وَقَدْ كَتَبْتُ فِي شَأْنِهِ جُزْءًا أَسْمَيْتُهُ (الْبِنَاءُ الْجَلِيلُ بِحُكْمِ بَلَدِ الْخَلِيلِ). قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ فِي مُعْجَمِ مَا اسْتُعْجِمَ مِنْ أَسمَاءِ الْبِلاَدِ وَالْمَوَاضِعِ أَنَّ "جِبْرَى" بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَإِسْكَانِ ثَانِيهِ وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ عَلَى وَزْنِ فِعْلَى هِيَ إِحْدَى الْقَرْيَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَقْطَعَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ تَمِيمًا الدَّارِيَّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَالأُخْرَى "عيْنُونَ"، وَهُمَا بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَالشَّامِ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: وَلَيْسَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَطِيعَةٌ غَيْرَهَا. قَالَ: وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِذَا مَرَّ بِهَا لَمْ يُعَرِّجْ وَيَقُولُ: (أَخَافُ أَنْ تَمَسَّنِي دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ). اهـ. [الحاء والباء، ١/٤١٩، ٤٢٠].

(١) النَّجْم: ٣-٤.

عَاقِلٍ عِنْدَ بُلُوغِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الشِّرْكِ مَا لَمْ يَأْتِ بِهَا مَعْرِفَةً وَاعْتِقَادًا وَلَفْظًا وَإِقْرَارًا، وَهِيَ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ حَقٍّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى فَرْضِهَا [من القرآن] قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، وَمِنَ السُّنَّةِ: مَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدَرِ"[2]، وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ هِيَ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ، وَهِيَ الْجُمْلَةُ الَّتِي انْتَظَمَتِ التَّوْحِيدَ وَغَيْرَ التَّوْحِيدِ، فَإِذَا أَتَى الْعَبْدُ بِهَذِهِ الْجُمَلِ الثَّلاَثِ نُطْقًا وَاعْتِقَادًا فَقَدْ تَمَّ إِيمَانُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ، وَحَقَنَ بِهَا دَمَهُ وَمَالَهُ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ السَّبْيِ وَالْفَسَادِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ بِذَلِكَ أَحْكَامُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَصَارَ مَوْسُومًا بِالدُّخُولِ فِي الْمِلَّةِ، وَقِيلَ: إِنَّ إِيمَانَهُ قَدْ تَمَّ بِالْكُلِّيَّةِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِرِ الْبَرِيَّةِ، مَا لَمْ يُسْأَلْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ وَظَائِفِ الْجُمْلَةِ الَّتِي أَنَا ذَاكِرُهَا، فَيُنْكِرَهُ أَوْ يَخْتَجِلَهُ الشَّكُّ فِيهِ فَضْلاً عَنْ إِنْكَارِهِ؛ لأَنَّ تَصْدِيقَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مُشْتَمِلٌ عَلَى وَظَائِفِ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ، وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ إِيمَانَهُ لاَ يَتِمُّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ ﷻ حَتَّى يَأْتِيَ بِوَظَائِفِ التَّوْحِيدِ الَّتِي تَجِيءُ مُقَسَّمَةً إِنْ شَاءَ اللهُ بِالْكَمَالِ، وَقَدْ قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: مَنْ آمَنَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ آمَنَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، **فَالْقَوْلُ الأَوَّلُ** مَرْوِيٌّ عَنْ عَمْرُوسِ

(١) التَّغَابُن: ٨.

(٢) [رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في أن الإيمان بالقدر خيره وشره، ر٢٢٣٢، وابن ماجه، المقدمة، باب في القدر، ر٨١].

بْنِ فَتْحٍ[١] وَابْنِ زَرقُون[٢] وَالإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُسْتُمَ[١] وَأَبِي خَزرٍ

(١) الإِمَامُ عَمْرُوسُ بْنُ فَتْحٍ الْمَسَاكِنِيُّ النَّفُوسِيُّ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ وَكَهْفٌ مِنْ كُهُوفِ الْعِلْمِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ، كَانَ مِنَ الْمَوَالِيدِ الْمَيَامِينِ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي طَرِيقِ الْحَجِّ. قَالَ الشَّيْخُ السَّالِمِيُّ فِي اللُّمْعَةِ الْمَرْضِيَّةِ مِنْ أَشِعَّةِ الإِبَاضِيَّةِ: "وَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ يَحُجُّونَ بِالذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ حَتَّى وُلِدَ لَهُمْ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ثَلاَثُمِائَةِ مَوْلُودٍ مِنْهُمْ عَمْرُوسُ بْنُ فَتْحٍ". اهـ [١/ ١١]. وَلَعَلَّ الَّذِينَ لَهُمْ أَزْوَاجٌ حَوَامِلُ اسْتَصْحَبُوهُنَّ عَمْدًا لِيَلِدْنَ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ أَوْ فِي الأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ تَبَرُّكًا، وَلَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ صُدْفَةً، نَشَأَ فِي قَرْيَةِ (فطرس) مِنْ أَرْضِ الرُّحَيْبَاتِ (جَبَلِ نفُوسَةَ)، وَوَقَفَ حَيَاتَهُ عَلَى الْعِلْمِ تَحْصِيلاً وَتَأْلِيفًا وَتَدْرِيسًا وَقَضَاءً، فَتَرَكَ لَنَا كُتُبًا قَيِّمَةً مِنْهَا: الْعَمْرُوسِيُّ، وإِعْلاَمُ الْمِلَّةِ، وكِتَابُ الْحِكَمِ وَالْمَعَارِفِ، وكِتَابُ الدِّيْنُونَةِ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ لأَبِي مَنْصُورٍ إِلْيَاسَ حَاكِمِ جَبَلِ نفُوسَةَ، فَكَانَ مِثَالاً لِلْقَاضِي الْعَادِلِ الْجَرِيءِ فِي أَحْكَامِهِ، الْخَبِيرِ فِي حَلِّ مَشَاكِلِ الْقَضَاءِ وَقَضَايَاهُ الْعَوِيصَةِ، عَاصَرَ الإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ مَحْبُوبٍ عَالِمَ الشَّرْقِ فِي وَقْتِهِ، وَحَضَرَ مَجْلِسَهُ، فَسَأَلَهُ عَمْرُوسٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَكْنُونَاتِ الْعِلْمِ، فَتَعَجَّبَ ابْنُ مَحْبُوبٍ، وَكَانَ لاَ يَعْرِفُهُ إِلاَّ سَمَاعًا، فَقَالَ: "إِنْ كَانَ أَبُو حَفْصٍ - يَعْنِي عَمْرُوسًا - فِي هَذَا الْبَلَدِ فَهَذَا السُّؤَالُ مِنْهُ"، فَأَخْبَرَهُ الْحَاضِرُونَ بِالْحَقِيقَةِ، فَزَادَ فِي تَعْظِيمِهِ وَرَفْعِ مَقَامِهِ، وَعَاصَرَ الْفَقِيهَ الْمُحَدِّثَ أَبَا غَانِمٍ بِشْرَ بْنَ غَانِمٍ الْخُرَسَانِيَّ - صَاحِبَ الْمُدَوَّنَةِ - الَّذِي رَوَى عَنْهُ الإِمَامُ أَفْلَحٌ، اجْتَمَعَ بِهِ لَمَّا حَمَلَ إِلَى الإِمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ مُدَوَّنَتَهُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءًا، وَكَانَ قَدْ أَوْدَعَ نُسْخَةً مِنْهَا عِنْدَ عَمْرُوسٍ، فَاجْتَهَدَ فِي نَسْخِهَا مُسْتَعِينًا بِأُخْتِهِ، فَمَا عَادَ مِنْ تِيهَرْتَ حَتَّى كَانَ عَمْرُوسٌ قَدْ أَتَمَّ نَسْخَهَا، فَلَمَّا تَصَفَّحَهَا أَبُو غَانِمٍ وَجَدَ نُقْطَةَ حِبْرٍ، فَعَلِمَ أَنَّهُ نَقَلَهَا، فَقَالَ لَهُ: "قَدْ سَرَقْتَهَا يَا عَمْرُوسُ"، فَقَالَ عَمْرُوسٌ: "سَمَّانِي سَارِقَ الْعِلْمِ". وَلَوْلاَ نُسْخَةُ عَمْرُوسٍ لَحُرِمَ الْمَغْرِبُ هَذَا التُّرَاثَ الْعِلْمِيَّ الَّذِي انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ؛ لأَنَّ نُسْخَةَ الإِمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ذَهَبَتْ طُعْمَةً لِلنِّيرَانِ لَمَّا أُحْرِقَتِ (الْمَعْصُومَةُ) - مَكْتَبَةُ تيهَرْتَ الْعَظِيمَةِ -، وَقَدْ رَأَيْتُ نُسْخَةً مِنْهَا فِي خِزَانَةِ الْقُطْبِ أَطْفَيَّشَ ﷺ الَّذِي رَتَّبَهَا وَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهَا اسْتِدْرَاكَاتٍ ذَاتَ بَالٍ زَادَتْ مِنْ قِيمَتِهَا الْعِلْمِيَّةِ، وَمَاتَ ﷺ فِي وَقْعَةِ مَانُو بَيْنَ نفُوسَةَ وَابْنِ الأَغْلَبِ سَنَةَ ٢٨٢ اهـ.

(٢) هُوَ الرَّبِيعُ سُلَيْمَانُ بْنُ زَرْقُونَ أَحَدُ أَقْطَابِ الْعِلْمِ بنفُوسَةَ مِنْ قَرْيَةِ (تادْيُوت) وَمِنْ عُلَمَاءِ النِّصْفِ الثَّانِي لِلْقَرْنِ الرَّابِعِ، أَخَذَ الْعِلْمَ - هُوَ وَالأَمِيرُ أَبُو يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كيداد الْيَفْرَنِيُّ الْمُلَقَّبُ بِصَاحِبِ الْحِمَارِ - عَنِ الشَّيْخِ ابْنِ الْجَمْعِ أَحَدِ شُيُوخِ الْعِلْمِ الْبَارِزِينَ، صَحِبَهُ مُدَّةً، وَلَمَّا ارْتَضَى ذَكَاءَهُ وَنَبَاهَتَهُ اصْطَحَبَهُ مَعَهُ إِلَى سِلْجِمَاسَةَ، وَمَكَثَ هُنَاكَ سِنِينَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللهُ، فَأَوْصَى لَهُ بِكُتُبِهِ، فَلَمَّا عَادَ أَبُو الرَّبِيعِ إِلَى قَصْطَالِيَّةَ (بِلاَدِ الْجَرِيدِ بِالْجَنُوبِ التُّونُسِيِّ) اهْتَزَّتْ كُلُّهَا لِمَجِيئِهِ وَشُهْرَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، ثُمَّ شَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ لِنَشْرِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَمُقَاوَمَةِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ، فَكَانَ أَثَرُهُ فِيهَا عَظِيمًا.

ذَكَرَ عَنْهُ بَعْضُ الْمَشَايِخِ أَنَّهُ رَأَى لَهُ دِيوَانًا وَكُتُبًا فِي قَرْيَةِ تادْيُوت، وَلاَ نَدْرِي أَلاَ تَزَالُ بَاقِيَةً أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا أَمْ عَبَثَتْ بِهَا أَيْدِي الْبِلَى وَالْفَنَاءِ، وَالْبَقَاءُ لِلهِ وَحْدَهُ. اهـ مُصَحَّحه.

يَغْلاَ بْنِ زِلْتَافَ[٢] وَأَبِي مُعَاوِيَةَ عَزَّانَ بْنِ الصَّقْرِ[٣]، وَمَنْ شَايَعَهُمْ رَحِمَهُمُ اللهُ، وَهُوَ الأَرْفَقُ بِعَوَامِّ الأُمَّةِ، وَالأَلْيَقُ بِرَأْفَةِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ ذِي الرَّحْمَةِ، وَالأَشْهَرُ مِنْ دَعْوَةِ نَبِيِّ الأُمَّةِ الدَّاعِي عَوَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ، **وَالْقَوْلُ الثَّانِي** يُؤْثَرُ عَنْ

---

(١) الإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتُمَ أَحَدُ حَمَلَةِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَغْرِبِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَالسَّاعِدُ الأَيْمَنُ لأَبِي الْخَطَّابِ عَبْدِ الأَعْلَى الْمَعَافِرِيِّ فِي تَأْسِيسِ دَوْلَتَيْ طَرَابُلُسَ وَالْقَيْرَوَانِ وَتَسْيِيرِهِمَا عَلَى نَهْجِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الرُّسْتُمِيَّةِ بِتَاهِرْتَ الَّتِي لَقَّنَتْ سُكَّانَ الْمَغْرِبِ الأَوْسَطِ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ وَالدِّينَ الْقَوِيمَ، وَبَسَطَتْ عَدْلَهَا عَلَيْهِ مَا يَقْرُبُ مِنْ قَرْنَيْنِ، أَرْسَى قَوَاعِدَهَا وَوَطَّدَ أَرْكَانَهَا، فَازْدَهَرَتْ فِيهَا الْعُلُومُ وَطَابَتِ الْحَيَاةُ وَذَاقَ سُكَّانُ الْمَغْرِبِ وَمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا فِي ظِلِّهَا حَلاَوَةَ الدِّينِ وَطُمَأْنِينَةَ الأَمْنِ وَسَعَادَةَ الْحَيَاةِ، وَظَلَّ قَائِمًا بِدِينِ اللهِ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ، مَرْضِيًّا عَنْهُ مِنَ الأُمَّةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللهُ سَنَةَ ١٧١ هـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

(٢) أَبُو خزرٍ يَغْلاَ بْنُ أَيُّوبَ الْمَشْهُورُ بِابْنِ زِلْتَافَ، وَزِلْتَافُ أُمُّهُ، هُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الَّذِينَ بَلَغُوا دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ، وَعَدَّهُ الإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ الْوَارْجَلاَنِيُّ ضِمْنَ الأَئِمَّةِ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ انْفَرَدُوا بِآرَاءٍ فِي عِلْمِ الْكَلاَمِ.

عَاشَ فِي عَصْرِ الْعُبَيْدِيِّينَ الْغَاشِمِ الذِي اسْتُبِيحَتْ فِيهِ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ ظُلْمًا، وَارْتُكِبَتْ بِهِ أَفْحَشُ الْمَنَاكِرِ، فَكَانَ مِنْ ضَحَايَا هَذَا الظُّلْمِ الإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ يَزِيدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْيَهْرَاسِنِيُّ الْحَامِي الْعَالِمُ الْمُجْتَهِدُ الذَّائِعُ الصِّيتِ وَشَيْخُ أَبِي خزرٍ نَفْسِهِ.

أَعْلَنَ أَبُو خزرٍ الثَّوْرَةَ عَلَى الْعُبَيْدِيِّينَ لِمَقْتَلِ الإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَبُويِعَ لَهُ إِمَامَ دِفَاعٍ، لَكِنَّ ثَوْرَتَهُ أَخْفَقَتْ لأَسْبَابٍ لَيْسَ هُنَا مَحَلُّ ذِكْرِهَا، فَالْتَجَأَ إِلَى جَبَلِ نفوسَةَ الْمَنِيعِ، وَلَمَّا أَيِسَ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَخَافَ أَنْ تَتَجَدَّدَ الثَّوْرَةُ الإِبَاضِيَّةُ، بَذَلَ لَهُ الأَمَانَ فَرَجَعَ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ أَتَى الْمُعِزُّ إِلَى مِصْرَ سَنَةَ ٣٦٢ هـ فَأَخَذَهُ مَعَهُ كَعَالِمٍ الْمَغْرِبِ ظَاهِرًا وَكَرَهِينَةٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِيَأْمَنَ عَلَى خُلَفَائِهِ مِنْ نُشُوبِ ثَوْرَةٍ بَعْدَهُ، وَهَكَذَا ظَلَّ أَبُو خزرٍ فِي مِصْرَ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي بَعْضِ التَّقَايِيدِ أَنَّ لَهُ (رِسَالَةً) فِي الرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ الْمُخَالِفِينَ، تُوجَدُ نُسْخَةٌ مِنْهَا بِمَكْتَبَةِ الْبَغْطُورِيِّ فِي جِرْبَةَ، وَأُخْرَى بِكِتَابِ لَدَى أُسْرَةِ الْبَارُونِيِّ بِقَلَمِ عَمِيدِهَا الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى. هَذَا وَالظَّاهِرُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ أَبَا خزرٍ مَاتَ بِمِصْرَ سَنَةَ ٣٨٠ هـ إِذْ لَمْ يُحَدِّثْنَا التَّارِيخُ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٣) أَبُو مُعَاوِيَةَ عزَّانُ بْنُ الصَّقْرِ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ الْمَشَاهِيرِ فِي عُمَانَ، وَأَحَدُ الأَئِمَّةِ الْعَشَرَةِ الْمُجْتَهِدِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الشَّيْخُ أَبُو يَعْقُوبَ الْوَارْجِلاَنِيُّ فِي الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ [٢/ ١٤٧، ط: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م]، عَاصَرَ الإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ مَحْبُوبٍ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ إِمَامَةُ الإِبَاضِيَّةِ فِي أَيَّامِهِ، وَتَلْمَذَ لَهُ هُوَ وَالْفَضْلُ بْنُ الْحَوَارِيِّ، وَكَانَا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ فِي مِضْمَارِ الْعِلْمِ، وَكَانَتْ لِلْفَضْلِ بِعزَّانَ بْنِ الصَّقْرِ قَرَابَةٌ حَتَّى قَالَ فِيهِمَا الْقَائِلُ: "إِنَّهُمَا فِي عُمَانَ كَالْعَيْنَيْنِ فِي جَبِينٍ" [السالمي :تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مطبعة الشباب، القاهرة، ط٢، ١٣٥٠هـ ١/ ١٩٠]. فَمَاتَ عزَّانُ قَبْلَ الْفِتْنَةِ، - فِتْنَةِ الصَّلْتِ بْنِ مَالِكٍ - وَأَدْرَكَهَا الْفَضْلُ، فَأُصِيبَ مِنْهَا، وَقُتِلَ فِيهَا فِي وَقْعَةِ الْقَاعِ سَنَةَ ٢٧٨ هـ فِي إِمَامَةِ عزَّانَ بْنِ تَمِيمٍ. وَتُوُفِّيَ عزَّانُ ﷺ سَنَةَ ٢٦٨ هـ. اهـ.

سُلَيْمَانَ بْنِ يَخْلُفَ[1]، وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

(١) أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ يَخْلُفَ الْمزَاتِيُّ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ تَخَرَّجَ عَلَيْهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاشْتَهَرَ عِلْمُهُ فِي آفَاقِ الأَصْحَابِ، أَخَذَ العِلْمَ عَنِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ، وَلَهُ مِنَ التَّآلِيفِ الْمُتْحفُ فِي الأُصُولِ، وَكِتَابُ الْفَضَائِلِ وَالتَّعْرِيفِ بِالْخَيْرِ فِي الأُصُولِ وَالْكَلَامِ، وَكَتَبَ سِيرَةً حَوْلَ نِظَامِ الْعزَابَةِ الَّذِي وَضَعَهُ شَيْخُهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الطَّبَقَةِ الْعَاشِرَةِ، أَيِ النِّصْفِ الثَّانِي لِلْقَرْنِ الْخَامِسِ، وَتُوُفِّيَ ﷺ سَنَةَ ٤٧١ هـ.

# بَابُ
# ذِكْرِ الأَقْسَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الأُمَّهَاتِ مِنْ وَظَائِفِ الاعْتِقَادَاتِ

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ [الإيمان بالموت]**: فِيمَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي الاعْتِقَادَاتِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ وُرُودَ الْمَوْتِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ مِنْ سَاكِنِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفْعٍ وَخَفْضٍ، وَأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَسَالِكَةٌ سَبِيلَ الْفَوْتِ، وَأَنَّ الْفَنَاءَ جَارٍ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَعَلَى مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنْ سُكَّانِهَا، كُلُّ حَيٍّ يَمُوتُ إِلاَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الَّذِي لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[1]؛ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ وَعَلَى الآخِرَةِ الْبَقَاءَ، فَالأَشْيَاءُ كُلُّهَا فَانِيَةٌ عَلَى التَّلاَشِي لاَ عَلَى الانْقِلاَبِ، مَا خَلاَ الْمُكَلَّفِينَ وَأَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ فَنَاءَهُمُ الانْقِلاَبُ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَطْفَالِ الْكُفَّارِ، وَالأَصَحُّ أَنَّ فَنَاءَهُمْ عَلَى الانْقِلاَبِ[2] بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ**﴾[1] وَهِيَ بَنَاتُ

(١) الْقَصَص: الآية ٨٨.

(٢) لاَ عَلَى التَّلاَشِي، يَعْنِي: يَنْقَلِبُونَ وَلاَ يَتَلاَشَوْنَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "سَأَلْتُ اللهَ فِي اللاَّهِينَ فَأَعْطَانِيهِمْ خَدَمًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ" [رواه الحكيم الترمذي: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الأصل الرابع والستون في معنى الفطرة الأصلية، ١/ ٣١٤]. وَاللاَّهُونَ هُمْ أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: "سَأَلْتُ رَبِّي اللاَّهِينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْبَشَرِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ فَأَعْطَانِيهِمْ"

[رواه أبو يعلى في مسنده، ر٤١٠١]. بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ. وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُ اللاَّهِينَ بِأَنَّهُمُ الأَطْفَالُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ الْبَزَّار قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَقُولُ فِي اللاَّهِينَ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ الطَّائِفِ فَإِذَا هُوَ بِغُلاَمٍ قَدْ وَقَعَ يَعْبَثُ فِي الأَرْضِ، فَنَادَى مُنَادِيهِ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ اللاَّهِينَ؟ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ الأَطْفَالِ، ثُمَّ قَالَ: "اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ". هَذَا مِنَ اللاَّهِينَ. [رواه الطبراني: المعجم الكبير، ر١١٩٠٦، والبزار عن أبي هريرة مختصرا، ر٧٩٨٩].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: "سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلاَدِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ" [رواه البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، ر١٣١٧، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ر٦٩٣٦]، أَيْ: عَلَى أَيِّ دِينٍ يُمِيتُهُمْ لَوْ عَاشُوا فَبَلَغُوا الْعَمَلَ، فَأَمَّا إِذَا عَدِمَ مِنْهُمُ الْعَمَلَ فَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي يَنَالُهَا مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ. أَمَّا مَا أَوْرَدَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّعْبِيرِ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ الطَّوِيلِ فَهُوَ صَرِيحٌ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: "أَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي هُوَ فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ. قَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ" [رواه البخاري، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ر٦٦٤٠، وابن حبان، باب الخوف والتقوى، ر٦٥٥].

وَاخْتَارَ الْبُخَارِيُّ أَنَّ أَوْلاَدَ الْمُشْرِكِينَ غَيْرَ الْبَالِغِينَ يَصِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ [شرح النووي على مسلم، ط٢، ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٦/ ٢٠٨]، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥) وَإِذَا كَانَ لاَ يُعَذِّبُ الْعَاقِلَ لِكَوْنِهِ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ؛ فَلأَنْ لاَ يُعَذِّبُ غَيْرَ الْعَاقِلِ مِنْ بَابٍ أَوْلَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) التَّكْوِير: الآية ٩.

الْمُشْرِكِينَ فِي مَشْهُورِ التَّفْسِيرِ.

**وَاخْتَلَفُوا فِي الْبَهَائِمِ، فَقِيلَ:** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: حَشْرَ كُلَّ شَيْءٍ الْمَوْتُ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ فَإِنَّهُمَا يُوَافَيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهَا تُحْشَرُ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أُبَيّ بنِ كَعْبٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[1] وَلَيْسَ قَصْدُنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ التَّطْوِيلَ وَالإِسْهَابَ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) الأَنْعَام: الآية ٣٨.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِي قِيَامِ السَّاعَةِ

وَهُوَ مَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ اعْتِقَادُ وُقُوعِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[2]، وَهِيَ النَّفْخَةُ الأُولَى الَّتِي يُمِيتُ اللهُ بِهَا كُلَّ حَيٍّ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّفْخَةِ الَّتِي لِلْبَعْثِ أَرْبَعُونَ سَنَةً فِيمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[3] أَيْ: مَتَى مَنْتَهَاهَا؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[4] أَيْ: لاَ يَكْشِفُ عَنْ وَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[5].

## الْقِسْمُ الثَّالِثُ
## فِي اعْتِقَادِ كَوْنِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ

وَذَلِكَ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْتَقِدَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[6]، وَقَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[7]، وَقَالَ: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

(١) الْحَجّ: الآيَة ٧.
(٢) النَّحْل: الآيَة ٧٧.
(٣) النازعات: الآية ٤٢.
(٤) الأَعْرَاف: الآيَة ١٨٧.
(٥) لُقْمَان: الآيَة ٣٤.
(٦) الْحَجّ: الآيَة ٧.
(٧) الأَنْبِيَاء: الآيَة ١٠٤.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[١]. يَبْعَثُهُمْ مِنَ الْقُبُورِ -كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ- مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، وَقَدِ احْتَجَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ أَيْ: فِي شَكٍّ مِنَ الْبَعْثِ ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الآيَات كُلِّهَا[٢]. ثُمَّ ذَكَرَ آيَةً أُخْرَى فَقَالَ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٣] وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُنْكِرِي الْبَعْثِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٤] فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الَّذِي أَنْشَأَهُمْ مِنْ مَاءٍ مهِينٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا قَادِرٌ أَنْ يُعِيدَهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا.

## الْقِسْمُ الرَّابِعُ
## فِي الْحِسَابِ

وَعَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْحِسَابَ عَلَى الْعِبَادِ حَقٌّ فِي الْمَعَادِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[٥]، وَقَالَ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٦]، وَلَيْسَ حِسَابُ اللهِ الْعِبَادَ يَوْمَئِذٍ كَحِسَابِ الْخَلْقِ تَعَالَى اللهُ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ حِسَابَهُ فَصْلٌ وَتَمْيِيزٌ لاَ يَشْغَلُهُ حِسَابُ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ كَمَا لاَ يَشْغَلُهُ رِزْقُ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ.

---

(١) الأَعْرَاف: الآيَة ٣٠.
(٢) الْحَجّ: الآيَات ٥-٧.
(٣) الْحَجّ: الآيَات ٥-٦.
(٤) يس: الآيَات ٧٧، ٧٨، ٧٩.
(٥) التَّغَابُن: ٧.
(٦) أَوَّلُ الآيَة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ الأَنْبِيَاء: ٤٧.

قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الْعِبَادَ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ؟ فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ. وَيُقَالُ إِنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ ثَلاَثَةُ أَصْنَافٍ، صِنْفَانِ لاَ يُسْأَلاَنِ عَنِ الأَعْمَالِ، وَهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالْمُشْرِكُونَ، فَالأَنْبِيَاءُ إِلَى الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ[1]، وَالْمُشْرِكُونَ إِلَى النَّارِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2]، ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[3]، وَصِنْفٌ ثَالِثٌ يُسْأَلُ عَنِ الأَعْمَالِ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ.

وَاخْتُلِفَ فِيمَنْ مَاتَ عَلَى كَبِيرَةٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ مَاتَ عَلَى الْوَفَاءِ هَلْ يُحَاسَبَانِ أَمْ لاَ؟ وَالأَصَحُّ أَنَّ الْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى الْجَمِيعِ، أَمَّا الْمُسْلِمُ فَيُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُنَاقَشُ فِي الْحِسَابِ وَالْمُسَاءَلَةِ إِلْزَامًا لِلْحُجَّةِ وَقَطْعًا لِلْمَعَاذِيرِ، فَيُحَاسَبُ عَلَى النَّقِيرِ وَالْفَتِيلِ وَالْقِطْمِيرِ[4]، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) قَالَ الْمُحَشِّي: وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَلَمْ يَظْهَرْ لَنَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى عَدَمِ سُؤَالِهِمْ، بَلْ غَالِبُ نُصُوصِ الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى سُؤَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ٦)، وَقَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ (التغابن: ٧)، وَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا﴾، (المجادلة: ٦)، وَقَوْلِهِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، وَقَوْلِهِ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (الحجر: ٩٢). فَهَذِهِ الآيَاتُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُسْأَلُونَ.

(٢) الْقَصَص: ٧٨.

(٣) الرَّحْمَن: ٤١.

(٤) النَّقِير: هِيَ النُّقْرَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ. وَالْفَتِيلُ: مَا يَكُونُ فِي شَقِّ النَّوَاةِ، وَالْقِطْمِيرُ: هِيَ الْقِشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي تُغَطِّي النَّوَاةَ. الْمُرَادُ: أَقَلُّ الْقَلِيلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنبياء: ٤٧).

**وَفِي الْحَدِيثِ:** "يُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ"[1] وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

# الْقِسْمُ الْخَامِسُ
# فِي الثَّوَابِ

وَذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ وَاعْتِقَادُهُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لِلهِ ثَوَابًا لاَ يُشْبِهُهُ ثَوَابٌ، وَثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَيَعْلَمَهَا بِاسْمِهَا، وَأَنَّهَا كَائِنَةٌ لا محالة، وَأَنَّهَا ثَوَابُ اللهِ لأَوْلِيَائِهِ فِي الآخِرَةِ، لاَ انْقِطَاعَ لِدَوَامِهَا. وَقِيلَ عَنْ بَعْضِهِمْ: إِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْجَنَّةَ قُصُورٌ وَأَنْهَارٌ وَبَسَاتِينُ؛ لأَنَّهُمْ قَالُوا: لاَ يَعْرِفُ الأَشْيَاءَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَائِقَهَا، وَلَيْسَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْجَنَّةَ مَوْجُودَةٌ الْيَوْمَ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ وُجُودَهَا وَدَوَامَهَا، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[2]، وَقَالَ فِي أَصْحَابِهَا: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[3] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾[4].

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ر٢٥٣١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبراني في الكبير، ر١١١.

(٢) الرَّعْد: ٣٥.

(٣) الْحِجْر: ٤٧.

(٤) يس: آية ٥٦، ٥٧، وَقَبْلَهَا: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ..﴾ (يس: ٥٥، ٥٦).

# الْقِسْمُ السَّادِسُ
# فِي الْعِقَابِ

وَذَلِكَ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ اعْتِقَادُ وُجُودِهِ وَمَعْرِفَةُ كَوْنِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لِلهِ عِقَابًا لاَ يُشْبِهُهُ عِقَابٌ، وَلاَ غَايَةَ لِدَوَامِهِ، وَعِقَابُهُ هُوَ النَّارُ، يَعْلَمُهَا بِاسْمِهَا، وَأَنَّهَا عَذَابُ اللهِ لأَعْدَائِهِ فِي الآخِرَةِ، لاَ انْقِطَاعَ لِدَوَامِهَا، وَقِيلَ عَنْ بَعْضِهِمْ: إِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّارَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لاَ يَطْفَأُ لَهِيبُهَا وَلاَ يَخْمَدُ جَمْرُهَا، ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[1]، أُعِدَّتْ لِلْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2]، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[3]، ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾[4]، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾[5]، ﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[6]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[7]، عَذَابِهَا﴾[7]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾[8] لاَ يَمُوتُونَ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَ الآبَادِ، أَعَاذَنَا اللهُ مِنَ الْخِزْيِ وَعَذَابِ الْمَعَادِ، إِنَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ.

---

(١) التَّحْرِيم: ٦، وَأَوَّلُ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.
(٢) الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٤.
(٣) إِبْرَاهِيم: ٥٠.
(٤) الرَّحْمَن: ٤٤.
(٥) الْحَجّ: ١٩، ٢٠، ٢١.
(٦) غَافِر: ٧١، ٧٢.
(٧) فَاطِر: ٣٦.
(٨) الزُّخْرُف: ٧٥.

# الْقِسْمُ السَّابِعُ
# فِي الْمَلاَئِكَةِ

يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لِلهِ سُبْحَانَهُ جُمْلَةَ الْمَلاَئِكَةِ، وَهِيَ غَيْرُ جُمْلَةِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَنَّ وُجُودَ الْمَلاَئِكَةِ حَقٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآيَة[1]، مِنْهُمْ حَفَظَةٌ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَمِنْهُمْ رُسُلُ اللهِ تَعَالَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ الآيَة[2]، وَمِنْهُمْ مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ خَزَنَةٌ لِلنِّيرَانِ لِلنِّيرَانِ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3] وَهُمْ جُمْلَتَانِ: رُوحَانِيُّونَ وَكُرُوبِيُّونَ، فَالرُّوحَانِيُّونَ هُمُ الرُّسُلُ وَجِبْرِيلُ ﷺ مِنْهُمْ، وَالْكُرُوبِيُّونَ لَيْسُوا بِرُسُلٍ، عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[4]، وَيُقَالُ: الْمَلاَئِكَةُ الْمَلاَئِكَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ مِنْهُمُ الْكُرُوبِيُّونَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ، وَجُزْءٌ وَاحِدٌ لِلرِّسَالَةِ وَالْخزَانَةِ، وَلِمَا شَاءَ الرَّبُّ مِنْ أَوَامِرِهِ، وَهُمْ مُكَلَّفُونَ مُلْزَمُونَ مَأْمُورُونَ مُكْتَسِبُونَ: يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ[5]، خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ وَمَصِيرُهُمْ إِلَى السَّعَادَةِ، لاَ يُوصَفُونَ بِالتَّعَبِ وَلاَ بِالشَّهْوَةِ وَلاَ بِالذُّكُورِيَّةِ

(١) الْبَقَرَة: ٢٨٥.
(٢) الْحَجّ: ٧٥.
(٣) التَّحْرِيم: ٦.
(٤) الأَنْبِيَاء: ٢٠.
(٥) قَالَ الْمُحَشِّي: (يُنْظَرُ كَيْفِيَّةُ الصَّوْمِ فِي الْمَلاَئِكَةِ)، وَأَمَّا الصَّلاَةُ وَالْحَجُّ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ صَلَّى بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالنَّبِيُّ يُصَلِّي بِالصَّحَابَةِ. [رواه النسائي، كتاب الصلاة، باب آخر وقت العصر، ر٥١٢]، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ قَالَتْ لآدَمَ ﷺ: حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ. [رواه البيهقي، باب دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة، ر٩٦١٧]، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وَلاَ بِالأُنُوثِيَّةِ، وَلاَ بِالْجُنُونِ وَلاَ بِالطُّفُولَةِ، وَلاَ بِاللَّحْمِ وَلاَ بِالدَّمِ، وَلاَ بِالْبَوْلِ وَلاَ بِالْغَائِطِ، وَلاَ بِالْجُوعِ وَلاَ بِالْعَطَشِ، وَمَنْ وَصَفَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ أَخْطَأَ فِي صِفَتِهِمْ، وَجَعَلُوا الْخَطَأَ فِي صِفَةِ الْمَلاَئِكَةِ شِرْكًا؛ لأَنَّهُ جَعَلَ غَيْرَ الْمَلَكِ مَلَكًا[1]، وَجَعَلُوا الْخَطَأَ فِي صِفَةِ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ عَلَى وَجْهَيْنِ، إِنْ وَاجَهَ أَشْرَكَ، وَإِنْ تَأَوَّلَ نَافَقَ، وَإِنَّمَا تُوصَفُ الْمَلاَئِكَةُ بِمَا وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[2]، وَمَا وَصَفَهَا بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالْكَلاَمِ وَالرَّغْبَةِ فِي الطَّاعَةِ وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ بِلاَ تَعَبٍ وَلاَ نَصَبٍ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ الصِّفَاتِ، فَعَلَى الْمُكَلَّفِ الإِيمَانُ بِهِمْ، وَالْقَصْدُ إِلَى جِبْرِيلَ عليه السلام بِاسْمِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَى رُسُلِهِ عليهم السلام وَيَتَوَلاَّهُ بِالتَّرَحُّمِ دُونَ الاسْتِغْفَارِ، وَكَذَلِكَ وَلاَيَةُ سَائِرِ الْمَلاَئِكَةِ بِالتَّرَحُّمِ دُونَ الاسْتِغْفَارِ[3]، وَثَوَابُهُمْ وَاصِلٌ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ مَا يُوَافِقُ طَبَائِعَهُمْ. وَقِيلَ: الَّذِي يُوَافِقُهُمْ إِيصَالُ الْهَدَايَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَيُوَالُونَ وَيَبْرَءُونَ بِالظَّوَاهِرِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ[4].

---

(١) صَوَابُ الْعِبَارَةِ: جَعَلَ الْمَلَكَ غَيْرَ مَلَكٍ.

(٢) فَاطِر: ١.

(٣) لأَنَّ الرَّحْمَةَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَالاسْتِغْفَارَ لِلْمُذْنِبِينَ، وَهُمْ لاَ ذَنْبَ لَهُمْ اهـ.

(٤) يَبْدُو أَنَّ قَوْلَهُ: (يَبْرَءُونَ بِالظَّوَاهِرِ) يَتَنَافَى مَعَ قَوْلِهِ: (وَمَصِيرُهُمْ إِلَى السَّعَادَةِ)، وَقَوْلُهُ: (وَكَذَلِكَ وَلاَيَةُ سَائِرِ الْمَلاَئِكَةِ بِالتَّرَحُّمِ دُونَ الاسْتِغْفَارِ). قَالَ الْمُحَشِّي: وَإِنَّمَا قَالَ - صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين - ليدْخلَ هاروتَ وماروتَ. قالَ في السُّؤالاتِ بعدَ ذِكرِ آياتٍ تَدُلُّ عَلَى مَدْحِهِمْ مَا نَصُّهُ: "وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْمِدْحَةِ مَا لِجُمْلَتِهِمْ وَلَمْ يَخُصَّ زَمَانًا مِنْ زَمَانٍ وَلاَ مَلَكًا مِنْ مَلَكٍ، وَدَعْ عَنْكَ مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ وَمَا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ مِنَ افْتِرَائِهِمْ عَلَى اللهِ وَتَنْقِيصِهِمْ أَوْلِيَاءَ اللهِ، حَاشَاهُمْ مِنَ الْعِصْيَانِ، هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ أَئِمَّةُ الْهُدَى وَأُولُو النُّهَى" [السوفي: السؤالات، ص ١٦٤]. وَفِي بَعْضِ كُتُبِ قَوْمِنَا: وَلاَ يُرَدُّ هَارُوتُ وَمَارُوتُ إِنْ قُلْنَا بِأَنَّهُمَا مَلَكَانِ؛ لأَنَّهُمَا لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُمَا ذَنْبٌ، وَتَعْلِيمُهُمَا النَّاسَ السِّحْرَ إِنَّمَا كَانَ بِأَمْرِ اللهِ ابْتِلاَءً لَهُمْ وَتَمْيِيزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعْجِزَةِ، عَلَى أَنَّ تَعْلِيمَ السِّحْرِ لِلاحْتِرَازِ عَنْهُ لَيْسَ بِذَنْبٍ، بَلْ هُوَ طَاعَةٌ. اهـ.

وَوَقَعَ الاخْتِلاَفُ فِي مَوْتِهِمْ وخَلْقِهِمْ، هَلْ هُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْخَلْقِ وَالْمَمَاتِ أَمْ خُلِقُوا جَمِيعًا وَسَيَمُوتُونَ جَمِيعًا؟ قَوْلاَنِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَكَذَلِكَ وَقَعَ الاخْتِلاَفُ فِي عَدَدِ الْحَفَظَةِ وَفِي أَيِّهِمْ أَفْضَلُ: هُمْ أَمِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ؟ قَوْلاَنِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

## الْقِسْمُ الثَّامِنُ
## فِي الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ

وَذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ الإِيمَانُ بِهِمَا، وَهُمَا جُمْلَتَانِ عَلَى النَّاسِ مَعْرِفَتُهُمَا، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى حِدَةٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾[1] وَالأَنْبِيَاءُ أَعَمُّ مِنَ الرُّسُلِ؛ لأَنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَنْبِيَاءَ مُرْسَلِينَ وَأَنْبِيَاءَ غَيْرَ مُرْسَلِينَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَم الأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. قَالَ: قُلْتُ: كَم الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلاَثُمِائَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ، جَمٌّ غَفِيرٌ يَعْنِي كَثِيرًا طَيِّبًا، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ كَانَ أَوَّلَهُمْ؟ قَالَ: أَوَّلُهُمْ آدَمُ عليه السلام. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ رَسُولاً؟ قَالَ: نَعَمْ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَسَوَّاهُ رَجُلاً[2]، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرْبَعَةٌ سِرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشَيْثٌ وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ عليهم السلام. وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَصَالِحٌ، وَشُعَيْبٌ، وَنَبِيُّكَ

(١) الْبَقَرَة: ١٣٦.

(٢) بِيَدِهِ: أَيْ بِقُدْرَتِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ الَّتِي خَلَقَهَا، وَسَوَّاهُ رَجُلاً: يَعْنِي أَنَّهُ خَلَقَهُ اللهُ كَذَلِكَ وَلَمْ يَنْقُلْهُ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ كَالْوَاحِدِ مِنَّا، فَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: "إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ". [رَوَاهُ الربيع، باب قوله: خلق الله آدم على صورته، ر٨٤٤، والبخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ر٥٨٧٣]، وَالضَّمِيرُ فِي (صُورَتِهِ) لآدَمَ، أَيْ: عَلَى هَيْئَتِهِ الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا لاَ مُتَّصِفًا بِالصِّغَرِ، ثُمَّ كَبِرَ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا هُوَ شَأْنُ ذُرِّيَّتِهِ.

يَا أَبَا ذَرٍّ، وَأَوَّلُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ مُوسَى[١] وَآخِرُهُمْ عِيسَى عليهما السلام، أَوَّلُ الرُّسُلِ آدَمُ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ عليهم السلام[٢].

وَاخْتُلِفَ فِي النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ، فَقِيلَ: هُمَا اضْطِرَارٌ، وَقِيلَ: هُمَا اكْتِسَابٌ[٣] وَقِيلَ: النُّبُوءَةُ اضْطِرَارٌ، وَالرِّسَالَةُ اكْتِسَابٌ، وَالْوَحْيُ عِلْمُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: "كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَنْفَصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْصَبُّ عَرَقًا[٤].

وَالأَنْبِيَاءُ عليهم السلام مِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ عَيَانًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْهَمُهُ إِلْهَامًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ فِي النَّوْمِ فَيحفظُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَ كَمَا قَدَّمْنَا أَنَّ لِلهِ جُمْلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، أَرْسَلَهُمْ إِلَى عِبَادِهِ وَجَعَلَهُمُ الأُمَنَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَالْحُكَّامَ فِي بِلاَدِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَجَعَلَ أَوَّلَهُمْ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ رَسُولاً إِلَى أَوْلاَدِهِ، وَآخِرَهُمْ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ خَتَمَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيَكُونَ

---

(١) يَعْنِي أَنَّ أَوَّلَ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّةِ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ مِنْ صُلْبِهِ، هُوَ مُوسَى كَمَا وَجَّهَهُ الْقُطْبُ ﷺ.

(٢) [رواه ابن حبان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها، ر٣٦١].

(٣) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: "إِنَّ الرِّسَالَةَ تَتَصَرَّفُ فِي اللُّغَةِ عَلَى وَجْهَيْنِ: عَلَى مَعْنَى الإِرْسَالِ مِنَ اللهِ ﷻ، الثَّانِي عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ مِنَ الرُّسُلِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ الرِّسَالَةَ اضْطِرَارٌ ذَهَبَ بِالرِّسَالَةِ إِلَى الإِرْسَالِ مِنَ اللهِ ﷻ لِلرُّسُلِ، وَمَنْ قَالَ: الرِّسَالَةُ اكْتِسَابٌ ذَهَبَ بِمَعْنَى الرِّسَالَةِ إِلَى التَّبْلِيغِ مِنَ الرُّسُلِ، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمَّارٍ: وَهَذَا أَحْسَنُ مَا سَمِعْنَاهُ فِي هَذَا الْوَجْهِ". اهـ. [السوفي: السؤالات، ص ١٧٩]

(٤) [رَوَاهُ الرَّبِيعُ، باب في ابتداء الوحي، ر٢، والبخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ر٢].

مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَأَنَّهُ كَلاَمُ اللهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ كُلَّهُمْ آدَمِيُّونَ، مِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ كَافَّةً، كَآدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَدَاوُدَ وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ[1]، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) عَلَى أَنَّ إِرْسَالَ هَؤُلاَءِ إِلَى الإِنْسِ وَالْجِنِّ كَافَّةً مُشْكِلٌ مَعَ قَوْلِهِ ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كتاب التيمم، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ر٤٢٧، ومسلم، كتاب المساجد، ر١١٩١].
وَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ مَضْمُونِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ الْجِنِّ أَنَّ دَعْوَتَهُمْ كَانَتْ بِالتَّبَعِيَّةِ لِدَعْوَةِ الإِنْسِ لاَ اسْتِقْلاَلاً، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ رُسُلاً إِلَى الإِنْسِ وَالْجِنِّ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ مِنَ الْجِنِّ رُسُلاً، وَلاَ كَانُوا فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ غَيْرَ مُكَلَّفِينَ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ رُسُلُ الإِنْسِ هُمْ أَنْفُسُهُمْ رُسُلاً لِلْجِنِّ، وَأَنَّ الْجِنَّ يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُمْ دِينَ اللهِ كَمَا يَتَلَقَّى عَنْهُمُ الإِنْسُ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَعَلَيْهِ فَفِي كُلِّ زَمَانٍ نَذَرٌ مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُنْذِرُونَ أَقْوَامَهُمْ وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ. يَدُلُّ لِذَلِكَ فِي حَقِّ الإِنْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وَفِي حَقِّ الْجِنِّ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾...﴾ الآيات (الأحقاف: ٢٩)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَعْقُولِيَّةِ لِبَرَاهِينَ وَاعْتِبَارَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الأنعام: ١٣٠)، وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: ٤)، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ - إِلَى قَوْلِهِ- فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف: ٢٩- ٣٢). أَما أَنَّ أَهْلَ الْكَافَّةِ مَبْعُوثُونَ إِلَى الْجِنِّ، فَيُمْكِنُ حَمْلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى أَنَّ رُسُلَهُمْ كَانُوا رُسُلاً مَبْعُوثِينَ إِلَى الْكَافَّةِ يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُمْ وَيُبَلِّغُونَ إِلَى قَوْمِهِمْ كَمَا يُسْتَشَفُّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْلاَ مَا قَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ مِنْ صَرْفِهِمْ إِلَى الرَّسُولِ وَتَلَقِّيهِمْ عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ عَلَى دِينِ مُوسَى، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَخْدَمِينَ لِسُلَيْمَانَ وَمِنْ جُنْدِهِ، لَمَا عَلِمْنَا عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلَطَالَبْنَا مَنْ يُثْبِتُ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَرِدْ فِي حَقِّهِ نَصٌّ، بِدَلِيلٍ نَقْلِيٍّ قَاطِعٍ، كَيْفَ وَالْمَسْأَلَةُ مِنَ الاعْتِقَادِيَّاتِ الَّتِي يُشْتَرَطُ فِيهَا الْيَقِينُ، وَلَوْ عَمَّمُوا وَقَالُوا: إِنَّ كُلَّ رَسُولٍ مَبْعُوثٌ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الإِنْسِ وَإِلَى الْجِنِّ الَّذِينَ يُسَاكِنُونَهُمْ بِالتَّبَعِ، وَلَمْ يُخَصِّصُوا الْبَعْثَةَ إِلَيْهِمْ بِرُسُلِ الْكَافَّةِ لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْحَقِيقَةِ فِيمَا أَرَى. فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا فِي حَقِّ الْجِنِّ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّهُمْ مَوْجُودُونَ وَإِنِ احْتَجَبُوا عَنَّا، وَأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ مِثْلَنَا، بُعِثَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ كَمَا بُعِثَتْ إِلَيْنَا، يُثَابُ مُؤْمِنُهُمْ بِالْجَنَّةِ وَيُعَاقَبُ كَافِرُهُمْ بِالنَّارِ. وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ، وَهُوَ مَا يُلاَئِمُ سَمَاحَةَ الإِسْلاَمِ، وَأَخْذَهُ بِالْمَيْسُورِ فِيمَا

أُرْسِلَ إِلَى أَقْوَامٍ، فَيَسُوغُ لِمَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ كَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ عليهم السلام[1]، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ الأَعْظَمُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَا نَبَّأَ عَبْدًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ[2] لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾[3] وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى نَبَّأَ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ وَهُوَ عَبْدٌ لِبلخشخاش، وَنَبَّأَ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ عليهم السلام وَهُمْ بُدَاةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾[4]، وَنَبَّأَ مَرْيَمَ وَسَارَةَ وَأُمَّ مُوسَى عليهم السلام وَهُنَّ نِسَاءٌ[5].

---

جَاءَ بِهِ مِنْ تَعَالِيمَ وَأَحْكَامٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. هَذَا مَا بَدَا لِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. إِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنَ اللهِ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينٍ فَيَجِبُ عَلَيْهِ الاتِّبَاعُ، وَلاَ يَسَعُهُ الْمُقَامُ عَلَى الشِّرْكِ.

(٢) أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْعُمُودِ يَرْحَلُونَ وَيَنْزِلُونَ، وَلاَ يُرَدُّ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ (وجاء بكم من البدو) (يوسف: ١٠٠)؛ لأَنَّ يعقوبَ (ع.م) كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَاشِيَةِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ، لاَ أَنَّهُ مِمَّنْ يَرْحَلُ وَيَنْزِلُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٣) يُوسُف: ١٠٩.

(٤) يُوسُف: ١٠٠.

(٥) الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ لاَ يَكُونُونَ إِلاَّ ذُكُورًا أَحْرَارًا مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، وَإِنْ كَانَ ثَمَّةَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ لاَ يَرَوْنَ النُّبُوءَةَ مَقْصُورَةً عَلَى الذُّكُورِ، وَهُوَ مَا يُسْتَرْوَحُ مِنْ كَلاَمِ الإِمَامِ نُورِ الدِّينِ السَّالِمِيِّ مُعَقِّبًا عَلَى مَنْ يَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ (يوسف: ١٠٩) قَالَ: "أَقُولُ لَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى حَصْرِ النُّبُوءَةِ فِي الذُّكُورِ، وَإِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى قَصْرِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِمْ. وَلِذَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ [فتح الباري، ٦/ ٤٤٧]: (وَمِنَ النِّسَاءِ مَنْ نُبِّئَ وَهُنَّ سِتٌّ: حَوَّاءُ، وَسَارَةُ، وَهَاجَرُ، وَمَرْيَمُ، وَأُمُّ مُوسَى، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)، وَعَنْ غَيْرِهِ: وَقَدْ وَقَعَ الاخْتِلاَفُ فِي نُبُوءَةِ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ: (مَرْيَمَ، وَآسِيَةَ، وَسَارَةَ، وَهَاجَرَ)". اهـ [مشارق أنوار العقول، ١/ ٢٩]. وَمِمَّا لاَ رَيْبَ فِيهِ أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ: فَالرِّسَالَةُ تَسْتَلْزِمُ الْكِفَاحَ وَالْجِهَادَ فِي تَبْلِيغِهَا، وَهِيَ بِالرِّجَالِ أَنْسَبُ، وَطَبِيعَةُ النِّسَاءِ تَأْبَى تَكْلِيفَهُنَّ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَأْمُورِيَّةِ الثَّقِيلَةِ، وَأَنَّ فِيمَا شَغَلَهُنَّ اللهُ بِهِ مِنْ وَظِيفَةِ الأُمُومَةِ الْكَثِيرَةِ التَّكَالِيفِ لَحَاجِزًا حَصِينًا يَمْنَعُهُنَّ أَنْ يَكُنَّ رَسُولاَتٍ، بِخِلاَفِ النُّبُوءَةِ فَإِنَّمَا هِيَ إِلْهَامٌ وَتَوْجِيهٌ وَتَكْرِيمٌ مِنَ اللهِ لِعَقَائِلَ طَاهِرَاتٍ كَرَّمَهُنَّ بِوِلاَدَةِ رُسُلٍ كَأُمِّ مُوسَى وَمَرْيَمَ، أَوْ كَانَتْ مِثَالاً أَعْلَى فِي نَوْعِهَا مِنْ حَيْثُ ثَبَاتُهَا عَلَى صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ رَغْمَ مَا نَالَهَا مِنْ فِتْنَةِ فِرْعَوْنَ طَاغِيَةِ زَمَانِهِ وَتَعْذِيبِهِ كَآسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ نُبُوءَتُهُمْ وَحْيُ إِلْهَامٍ وَتَوْجِيهٌ فَلاَ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ نَبِيَّاتٌ لاَ رَسُولاَتٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

اهـ مُصَحِّحه.

# الْقِسْمُ التَّاسِعُ
# فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ

وَذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ الإِيمَانُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لِلهِ سُبْحَانَهُ جُمْلَةَ كُتُبٍ أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ بِوَاسِطَةِ الْمَلاَئِكَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ، وَيَقْصِدَ إِلَى الْقُرْآنِ وَيُؤْمِنَ بِهِ خُصُوصًا، وَيُؤْمِنَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ عُمُومًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الآيَةَ[1] وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ وَوَحْيُهُ وَفُرْقَانُهُ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، مُعْجِزَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَنْزِلُ بِهِ جِبْرِيلُ الأَمِينُ بَعْدَ ذَلِكَ نُجُومًا نُجُومًا عَلَى قَدْرِ مَا أَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ حَتَّى أَكْمَلَ اللهُ نُزُولَهُ فِي عِشْرِينَ سَنَةً، عَشْرٍ بِمَكَّةَ وَعَشْرٍ بِالْمَدِينَةِ[2]، وَاخْتَلَفُوا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ[1]

(١) النِّساء: ١٣٦.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَعْقُوبَ الْوارْجلانِيُّ فِي الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ [١٤٨/٣، ط: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م]: "قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مَا هُوَ أَوْكَدُ مِنْ هَذَا، فَلَمْ يُوجِبُوا مَعْرِفَتَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة: ١٣٦)، مَعَ إِجْمَاعِ الأُمَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ مَعْرِفَةِ إِبْرَاهِيمَ شَيْءٌ، وَلاَ مَعْرِفَةِ الأَنْبِيَاءِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْنَا الإِيمَانُ بِهِمْ جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، عَلَى أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى الإِيمَانِ بِهِمْ هَكَذَا، بَلْ إِلَى الْقَوْلِ بِالإِيمَانِ بِهِمْ، وَعَلَى أَنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّفْ أَحَدًا الشَّهَادَةَ إِلاَّ قَوْلَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَمَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَمَا سِوَى هَذَا فَلَيْسَ عَلَيْكَ فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ شَيْءٌ إِلاَّ الإِيمَانَ بِمَا قَامَتْ عَلَيْكَ بِهِ الْحُجَّةُ". اهـ.

(٢) الْمُتَبَادَرُ أَنَّ اللهَ أَكْمَلَ إِنْزَالَهُ فِي ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً اعْتِبَارًا مِنْ نُزُولِ أَوَّلِ آيَةٍ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ رَأْيُ الْجُمْهُورِ، لَكِنْ هُنَاكَ مَنْ يَعْتَبِرُ مُدَّةَ اقْتِرَانِ إِسْرَافِيلَ بِهِ كَالْمُصَنِّفِ ﷺ اعْتِمَادًا عَلَى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ. قَالَ الإِمَامُ الرَّبِيعُ بْنُ حَبِيبٍ فِي مُسْنَدِهِ: (بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقُرِنَ مَعَهُ إِسْرَافِيلُ أَوَّلَ مَبْعَثِهِ ثَلاَثَ سِنِينَ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، ثُمَّ عُزِلَ عَنْهُ إِسْرَافِيلُ، وَقُرِنَ مَعَهُ جِبْرِيلُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَشْرَ سِنِينَ بِمَكَّةَ وَعَشْرَ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ، فَمَاتَ

فَقِيلَ: هُوَ لَوْحٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ طُولُهُ قَدْرُ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ عَرْضًا، وَقِيلَ: هُوَ جَبْهَةُ مَلَكٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ﷺ تَعَالَى قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ كِتَابًا أَنْزَلَ اللهُ؟ قَالَ: مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، أَنْزَلَ عَلَى شَيْثَ بْنِ آدَمَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وَأَنْزَلَ عَلَى أَخْنُوخَ (إِدْرِيسَ) ثَلاَثِينَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ، وَعَلَى مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشْرَ صَحَائِفَ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ،

---

رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً) اهـ [مسند الربيع، باب في ذكر القرآن، ر٦٣]، وَكَذَلِكَ نَصَّ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ [١/ ٦١٠] عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً. يَظْهَرُ أَنَّ الْقَوْلَ الأَوَّلَ يُعَضِّدُهُ مَا ثَبَتَ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ أَنَّ أَوَّلَ آيَةٍ نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَتْ فِي غَارِ حِرَاءَ وَعُمُرُهُ حِينَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَلَمْ يَفْتُرْ عَنْهُ الْوَحْيُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلاَّ نَحْوَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ سُورَةَ الْمُدَّثِّرِ، ثُمَّ تَوَاتَرَ نُزُولُ الْوَحْيِ عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ إِلَى أَنْ كَمُلَ يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. هَذَا وَلاَ نَدْرِي مَا الْحِكْمَةُ مِنَ اقْتِرَانِ إِسْرَافِيلَ بِهِ ثَلاَثَ سِنِينَ بِلاَ وَحْيٍ، وَلَكِنْ لاَ حَظَّ لِلنَّظَرِ مَعَ وُرُودِ الأَثَرِ. اهـ مُصَحِّحه

(١) "اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ شَيْءٌ أَخْبَرَنَا اللهُ بِهِ، وَأَنَّهُ أَوْدَعَهُ كِتَابَهُ، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ (البروج، ٢١، ٢٢) [هذه الآية تكملة من المحقق بكلي]، وَلَمْ يُعَرِّفْنَا حَقِيقَتَهُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ مَوْجُودٌ، وَأَنَّ اللهَ حَفِظَ فِيهِ كِتَابَهُ إِيمَانًا بِالْغَيْبِ، وَأَمَّا دَعْوَى أَنَّهُ جِرْمٌ مَحْفُوظٌ فِي سَمَاءٍ مُعَيَّنَةٍ وَوَصْفُهُ بِمَا جَاءَ فِي رِوَايَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فَهُوَ مِمَّا لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الْمَعْصُومِ ﷺ بِالتَّوَاتُرِ، فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الْيَقِينِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَجْدَرَنَا- لَوْ أَرَدْنَا التَّأْوِيلَ- أَنْ نَأْخُذَ بِمَا قِيلَ: إِنَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ هُوَ لَوْحُ الْوُجُودِ الْحَقِّ وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَقَضَايَاهُ الشَّرِيفَةُ، لَمَّا كَانَ لاَ يَأْتِيهَا الْبَاطِلُ، وَلاَ يُدَانِيهَا الْخَطَأُ كَانَتْ ثَابِتَةً فِي لَوْحِ الْوَاقِعِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي لاَ حَقَّ إِلاَّ مَا وَافَقَهُ، وَلاَ بَاطِلَ إِلاَّ مَا خَالَفَهُ، وَلاَ بَاقِيَ إِلاَّ مَا رُسِمَ فِيهِ، وَلاَ ضَائِعَ إِلاَّ مَا لَمْ يَنْطَبِقْ عَلَيْهِ". اهـ مِنْ تَفْسِيرِ عَمِّ لِلشَّيْخِ عَبْدُه [نقل محمد رشيد رضا قول محمد عبده، انظر: تفسير المنار، ٧/ ٣٩٣]. وَلَنَا أَنْ نَقُولَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي قَلَمِ الْقَضَاءِ الْوَارِدِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: "رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" [رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ر٢٥١٦، وأحمد، ر٢٦٦٩]. يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ هَكَذَا مُجْمَلاً، وَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ صِفَتِهِ، وَلاَ مِنْ أَيِّ مَادَّةٍ هُوَ، وَلاَ كَيْفَ جَرَى، أَوْ بِأَيِّ لِسَانٍ سُجِّلَ مِمَّا لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الْمَعْصُومِ بِطَرِيقَةٍ يَقِينِيَّةٍ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ الاعْتِقَادِيَّاتِ لاَ تَثْبُتُ إِلاَّ بِالأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ، فَسَلاَمَةُ الْمُؤْمِنِ فِي الإِيمَانِ بِذَلِكَ مُجْمَلاً كَمَا وَرَدَ، وَلْنَكِلْ أَمْرَ التَّفْصِيلِ إِلَى اللهِ الَّذِي لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ. اهـ مُصَحِّحه

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: كَانَتْ أَمْثَالاً كُلُّهَا، (أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلَّطُ الْمَغْرُورُ الْمُبْتَلَى، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنِّي لاَ أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ)، وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ (وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِي صُنْعِ اللهِ ﷻ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَلاَّ يَكُونَ ظَاعِنًا إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، وَمَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ[1] وَلَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ، مَنْ عَدَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى عليه السلام؟ قَالَ: كَانَتْ عِبَرًا كُلُّهَا (عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ! وَعَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ! وَعَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا! وَعَجَبًا إِنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ هُوَ لاَ يَعْمَلُ! قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفِي أَيْدِينَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عليهما السلام؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا ذَرٍّ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"[2].

---

(١) وَفِي نُسْخَةٍ: وَحِرْفَةٍ. وَمَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَيْ: إِصْلاَحٍ لَهُ.

(٢) سُورَةُ الأَعْلَى: ١٤، ١٥، وَفِي نُسْخَةٍ: وَانْقِلاَبَهَا. وَلِهَذَا الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ بَقِيَّةٌ آثَرْنَا إِثْبَاتَهَا هُنَا لِمَا فِيهَا مِنْ وَصَايَا مُفِيدَةٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: (أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: (عَلَيْكَ بِتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ ﷻ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: (أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسْهُمْ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: (انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتَكَ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى مَا هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَكَ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: (قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنِي، قَالَ: (لِيَرُدَّكَ عَلَى النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَجِد عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي، وَكَفَى بِكَ عَيْبًا أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا تَجْهَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَجِد عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي)، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي

# الْقِسْمُ الْعَاشِرُ
# فِي الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ

وَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَنَفْعٍ وَضَرٍّ وَمَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ فَبِاللهِ يَكُونُ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى خَالِقٌ لِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ وَكَانَتْ مِنْهُ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا يُصِيبُ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ[1] رضي الله عنه عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّكَ لَنْ

---

فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، لاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلاَ حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ). [رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، ر ٣٦١، والطبراني في الكبير، ر ١٦٥١].

(١) هُوَ التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ وَالْمُحَدِّثُ الْكَبِيرُ الإِمَامُ الْحُجَّةُ أَبُو عَمْرٍو الرَّبِيعُ بْنُ حَبِيبٍ الأَزْدِيُّ الْفَرَاهِيدِيُّ صَاحِبُ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ الثُّلاَثِيِّ السَّنَدِ الْمَشْهُورِ بِمُسْنَدِ الرَّبِيعِ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ وَتَعَلَّمَ بِهَا، وَتَصَدَّى لِنَشْرِ الْعِلْمِ تَحْرِيرًا وَتَدْرِيسًا وَإِفْتَاءً حَتَّى أَصْبَحَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ وَفِي ذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يَزْخَرُ بِأَئِمَّةِ الدِّينِ وَأَسَاطِينِ الْعِلْمِ مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ وَيُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي حَلِّ الْمُعْضِلاَتِ، وَمِنْ أَجَلِّ مَا أَلَّفَ مُسْنَدُهُ الْمُومَى إِلَيْهِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ الثُّلاَثِيَّاتِ مِنْ أَصَحِّ الأَحَادِيثِ لِعُلُوِّ سَنَدِهَا وَلِقُرْبِهَا مِنَ الْيَنْبُوعِ الْمُحَمَّدِيِّ، وَرِجَالُ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الرَّبِيعِيَّةِ مِنْ أَوْثَقِ الرِّجَالِ وَأَحْفَظِهِمْ وَأَصْدَقِهِمْ، لَمْ يَشُبْ أَحَادِيثَهَا شَائِبَةُ إِنْكَارٍ وَلاَ إِرْسَالٍ وَلاَ انْقِطَاعٍ وَإِعْضَالٍ، لِذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا (سِلْسِلَةُ الذَّهَبِ) وَثُلاَثِيَّاتُه (أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَائِشَةَ) أَوْ (أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) أَوْ (ضُمَامٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) يُعْتَبَرُ بِهَا مُسْنَدُ الرَّبِيعِ مِنَ الْكُتُبِ الصِّحَاحِ الْمَوْثُوقِ بِهَا لَدَى أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ شَيْخُهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً جَمِيلاً، قَالَ: "الرَّبِيعُ ثَقِيفُنَا وَأَمِينُنَا وَثِقَتُنَا". وَقَالَ السَّمَاخِيُّ: "جَاءَ نَصْرٌ أَبُو مُحَمَّدٍ الأَزْدِيُّ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: ائْتِ الرَّبِيعَ، فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَهُ فَأَجَابَ بِغَيْرِ جَوَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَرَاجَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِيهِ وَقَالَ: الَّذِي حَفِظْتُ عَنْكَ كَذَا، قَالَ: أَوَ حَفِظْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لِلرَّجُلِ: انْظُرْ مَا قَالَ الرَّبِيعُ فَخُذْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ عَنِّي حَفِظَ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي وَقْتِ ذَلِكَ فِي شِكَايَةٍ، وَكَانَ الرَّبِيعُ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قِيلَ: وَيُقَالُ لَهُ: عَمَّنْ أَخَذْتَهَا؟ فَيَقُولُ: إِنَّمَا حَفِظْتُ الْفِقْهَ عَنْ ثَلاَثَةٍ: أَبِي عُبَيْدَةَ وَضُمَام وأبي نوح، وهذا قول أحدهم، ولم يكن يخفى عليه قولُ واحدٍ منهم. اهـ [الشماخي: كتاب السير، ١/ ١٠٣، ١٠٤]. على أنَّ الربيعَ نفسَه قد روَى عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ كَأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ. وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ شَيْخِهِ أَبِي عُبَيْدَةَ الرِّئَاسَةُ الْعِلْمِيَّةُ

تَجِدَ وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَنَّهُ مِنَ اللهِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَ الْقَدَرِ وَشَرَّهُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، فَإِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ"[1]. فَاعْلَمْ أَيَّدَكَ اللهُ أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، وَنَفْعٍ وَضُرٍّ وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، فَلاَ يَطِيرُ طَائِرٌ بِجَنَاحَيْهِ، وَلاَ يَدِبُّ حَيَوَانٌ عَلَى بَطْنِهِ وَرِجْلَيْهِ، وَلاَ تَسْقُطُ وَرَقَةٌ، وَلاَ تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلاَّ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ وَإِرَادَةٍ مِنَ اللهِ وَمَشِيئَةٍ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَدَرَ وَالطَّلَبَ لاَ يَتَنَافَيَانِ، وَالتَّوَكُّلَ وَالْكَسْبَ لاَ يَتَضَادَّانِ، وَذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا قَضَى اللهُ تَعَالَى فَهُوَ كَائِنٌ لاَ مَحَالَةَ، كَمَا أَنَّ مَا عَلِمَ اللهُ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَائِنٌ لاَ مَحَالَةَ، وَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ، فَرُبَّ أَمْرٍ قَدَّرَ اللهُ وُصُولَهُ إِلَيْكَ بَعْدَ الطَّلَبِ فَلاَ يَصِلُ إِلَيْكَ لاَ بِالطَّلَبِ، وَالطَّلَبُ أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ، وَلاَ فَرْقَ بَيْنَ الأَمْرِ الْمَطْلُوبِ وَبَيْنَ الطَّلَبِ، فَإِنَّهُمَا مَقْدُورَانِ، فَمِنْ هَهُنَا ثَبَتَ أَنَّهُمَا لاَ يَتَنَافَيَانِ، وَكَذَلِكَ التَّوَكُّلُ مَعَ الْكَسْبِ؛ لأَنَّ التَّوَكُّلَ مَحِلُّهُ الْقَلْبُ، وَالْكَسْبَ مَحِلُّهُ الْجَوَارِحُ، وَلاَ يَتَضَادَّ شَيْئَانِ فِي مَحَلَّيْنِ، فَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ أَنَّ التَّقْدِيرَ مِنَ اللهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ شَيْءٌ فَبِتَقْدِيرِهِ، وَإِنِ اتَّفَقَ فَبِتَيْسِيرِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَدَعُهَا وَأَتَوَكَّلُ، فَقَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ"[2]. فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى هُوَ الثِّقَةُ بِمَا ضَمِنَهُ وَالْقَطْعُ بِكَوْنِ مَا يَحْكُمُ بِهِ، فَمَنْ رَامَ أَمْرًا مِنَ الأُمُورِ فَلَيْسَ الطَّرِيقُ فِي تَحْصِيلِهِ أَنْ يُغْلِقَ بَابَهُ عَلَيْهِ وَيُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ وَيَنْتَظِرَ ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي أَرَادَهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

---

بِالْعِرَاقِ، وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ مِنْ مُخْتَلِفِ الأَقْطَارِ عُلَمَاءُ فَطَاحِلُ كَانَتْ لَهُمُ الصَّدَارَةُ فِي أَوْطَانِهِمْ. تُوُفِّيَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) [رواه الربيع، باب في القدر والحذر والتطير، ر٧٢].

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ر٢٥١٧، وابن حبان، باب الورع والتوكل، ر٧٣١.

ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ[١] وَاتَّخَذَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَظْهِرُ بِهِ وَيَحْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَأَقَامَ الرُّمَاةَ يَوْمَ أُحُدٍ يَحْتَفِظُ بِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ[٢]، وَيَلْبَسُ لأْمَةَ الْحَرْبِ، وَاسْتَرْقَى[٣] وَاكْتَوَى[٤] وَتَدَاوَى[٥] وَأَمَرَ بِالْمُدَاوَاةِ[٦]، وَقَالَ: إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّوَاءَ[٧]، وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالإِيمَانِ بِقَضَائِهِ، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾[٨] وَأَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَأْخُذُوا بِالْحَذَرِ وَقَالَ: وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٩] الآيَة، وَقَالَ: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[١٠] وَقَالَ ﷺ: "لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطُّيُورُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا"[١١]، فَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي طَلَبِ أَرْزَاقِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْمِلَهَا لَهَا إِلَى أَوْكَارِهَا، وَإِنَّمَا أَلْهَمَهَا الطَّلَبَ بِالْغَدْوِ وَالرَّوَاحِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ قَالَ لِعِيسَى ﷺ: يَا رُوحَ اللهِ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع، ر٢٥٩٠، والترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في الدرع، ر١٧٤٣. نَعَمْ ظَاهَرَ ﷺ بَيْنَ دِرْعَيْنِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، بَيْنَ دِرْعَيْنِ هُمَا: ذَاتُ الْفُضُولِ وَفِضَّةُ الَّتِي أَصَابَهَا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ. وَمَعْنَى ظَاهَرَ: لَبِسَ دِرْعًا فَوْقَ دِرْعٍ.

(٢) [رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ر٣٨١٧].

(٣) [رواه ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما عوّذ به النبي صلى الله عليه وسلم، ر٢٥٢٣].

(٤) [رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الكي، ر٣٨٦٦].

(٥) من ذلك ما رواه مسلم، [كتاب السلام، باب كراهية التداوي باللدود، ر٥٨٩١، والحاكم كتاب الطب، ر٧٤٦٣].

(٦) [رواه الترمذي، أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء، ر٢١٠٩، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ر٣٤٣٦].

(٧) [رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، ر٣٨٧٦، والحاكم، كتاب الطب، ر٧٤٣٣].

(٨) التَّوْبَة: ٥٢.

(٩) النِّسَاء: ٧٤.

(١٠) النِّسَاء: ١٠٤.

(١١) [رواه الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، ر٢٤٤٧، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، ر٤١٦٤].

أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَكَ إِلاَّ مَا قَدَّرَ اللهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا لَعِينُ. قَالَ: فَارْمِ نَفْسَكَ إِذًا مِنْ ذِرْوَةِ جَبَلٍ، فَإِنْ قُدِّرَتْ لَكَ السَّلاَمَةُ تَسْلَمْ[1]، قَالَ: يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ الْعِبَادَ الْعِبَادَ وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ أَنْ يَخْتَبِرُوا رَبَّهُمْ[2]، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ تَرَكْتُهُ حُبًّا لِلاخْتِصَارِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الطَّلَبَ وَالاكْتِسَابَ وَالأَخْذَ بِالْحَزْمِ وَالاحْتِرَازِ يُنَاقِضُ التَّوَكُّلَ فَقَعَدَ فِي بَيْتِهِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ مُتَوَكِّلاً عَلَى رَبِّهِ بِزَعْمِهِ، كَانَ عَنِ الْعَقْلِ خَارِجًا، وَفِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ وَالِجًا. وَيُقَالُ لِهَذَا: يَنْبَغِي لَكَ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِكَ: إِذَا جُعْتُ وَحَضَرَ الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْكَ أَنْ لاَ تَمُدَّ يَدَيْكَ إِلَيْهِ، وَلاَ تَفْتَحَ فَمَكَ، وَإِنْ وُضِعَ فِي فَمِكَ فَلاَ تَمْضَغْهُ حَتَّى يُقَيِّضَ اللهُ لَكَ مَلَكًا يَمْضَغُهُ لَكَ، أَوْ يُحْدِثَ شِبَعًا فِي بَطْنِكَ مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ وَلاَ تَنَاوُلٍ مِنْكَ، فَإِنْ تَمَّ عَلَى هَذَا كَانَ إِلَى الْعَقْلِ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالزُّهْدِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَرْيَمَ عليها السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[3]، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4] وَلَمْ يَأْمُرْ بِالْقُعُودِ. وَقَدْ قِيلَ عَنْ بَعْضِهِمْ: مَنْ لَزِمَ الْمَسْجِدَ وَقَبِلَ كُلَّ مَا يَأْتِيهِ فَقَدْ سَأَلَ النَّاسَ إِلْحَافًا. وَهَكَذَا جَمِيعُ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لاَ بُدَّ مِنَ الْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ، وَالصَّبْرِ وَالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

## الْقِسْمُ الْحَادِي عَشَرَ
## فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ

وَذَلِكَ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَيْضًا؛ لأَنَّهُمْ قَالُوا: لاَ يَعْرِفُ الأَشْيَاءَ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حَقَائِقَهَا.

---

(١) وَفِي نُسْخَةٍ: فَتَسْلَم بِالْفَاءِ.
(٢) رواه ابن كثير: [البداية والنهاية، ٧٩/٢، ٨٠]، بروايات مختلفة.
(٣) مَرْيَم: ٢٥.
(٤) الْجُمُعَة: ١١.

**أَمَّا التَّوْحِيدُ:** فَمَعْنَاهُ إِفْرَادُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ عَنِ الْخَلْقِ وَجَمِيعِ مَعَانِيهِمْ، وَتركُ التَّسوِيةِ بينَهُ وبيْنَ العبادِ فِي جميعِ أفعالِهم وصِفاتِهم، فَحَقِيقَةُ الْمَعْرِفَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الأَشْيَاءَ لاَ تُشْبِهُهُ وَلاَ يُشْبِهُهَا فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ: فِي فِعْلٍ وَلاَ اسْمٍ وَلاَ صِفَةٍ وَلاَ ذَاتٍ؛ لأَنَّهُ لَوْ أَشْبَهَ شَيْئًا مِنَ الأَشْيَاءِ وَلَوْ فِي أَقَلِّ الْقَلِيلِ لَدَخَلَ عَلَيْهِ الْعَجْزُ مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ، فَلِهَذَا وَجَبَ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلهِ تَعَالَى، وَيَصِفَهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفِيَ عَنْهُ شَبَهَ الأَشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَإِنِ اتَّفَقَتِ الأَسْمَاءُ فِي اللَّفْظِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْمَعَانِيَ مُخْتَلِفَةٌ، نَظِيرُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ وَعَالِمٌ لاَ يَجْهَلُ، وَيُقَالُ لِبَعْضِ الْخَلْقِ قَدِيمٌ وَعَالِمٌ وَلاَ يُقَالُ لَمْ يَزَلْ وَلاَ لاَ يَجْهَلُ، فَيَتَّفِقُ اللَّفْظَانِ وَيَخْتَلِفُ الْمَعْنَى؛ لأَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِ الْقَائِلِ: اللهُ قَدِيمٌ، أَيْ: مِنْ غَيْرِ بَدْءٍ وَلاَ أَوَّلَ لِوُجُودِهِ، وَالإِنْسَانُ قَدِيمٌ إِنَّمَا يَعْنِي بِعَدَدِ السِّنِينَ وَالأَوْقَاتِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ بَدْءٌ وَأَوَّلٌ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: فُلاَنٌ عَالِمٌ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ عِلْمٍ اسْتَفَادَهُ بَعْدَ جَهْلٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ جَاهِلٌ بِأَكْثَرِ الأَشْيَاءِ، فَالْفَصْلُ بَيْنَ مَعَانِي هَذِهِ الأَسْمَاءِ أَنَّكَ تَقُولُ: اللهُ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ وَلاَ يَزَالُ، وَلاَ يَجُوزُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ، وَتَقُولُ: عَالِمٌ لاَ يَجْهَلُ وَقَدِيرٌ لاَ يَعْجِزُ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الصِّفَاتِ عَلَى هَذَا الْحَالِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١)، وَقَالَ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾(٢)، وَقَالَ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٣). فَثَبَتَ بِدَلِيلِ الشَّرْعِ وَشَاهِدِ الْعَقْلِ أَنَّ اللهَ لاَ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي اسْمٍ وَلاَ صِفَةٍ وَلاَ ذَاتٍ وَلاَ فِعْلٍ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

**وَأَمَّا الشِّرْكُ:** فَمَعْنَاهُ التَّسَاوِي بَيْنَ الأَشْيَاءِ فِي الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ، وَمَعْنَاهُ فِي اللهِ ﷻ هُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي الذَّاتِ أَوِ الصِّفَاتِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ

(١) الشُّورَى: ١٠.
(٢) مَرْيَم: ٦٥.
(٣) الإِخْلاَص: ٤.

﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، أَيْ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَإِثْبَاتِ الأُلُوهِيَّةِ، فَالشِّرْكُ إِذًا عَلَى وَجْهَيْنِ: جُحُودٍ وَمُسَاوَاةٍ.

**وَيَتَصَرَّفُ عَلَى وُجُوهٍ:**

**مِنْهَا:** أَنْ يُنْكِرَ وُجُودَ اللهِ سُبْحَانَهُ الْبَتَّةَ كَالدَّهْرِيَّةِ الزَّاعِمَةِ أَنَّ الأَشْيَاءَ لاَ مُحْدِثَ لَهَا.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يُقِيمَ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مُقَامَهُ فِي الْخَلْقِ وَالإِنْشَاءِ وَالاخْتِرَاعِ كَالْمَانِيَّةِ وَالدَّيْصَانِيَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الأَشْيَاءَ تَكَوَّنَتْ مِنْ أَصْلَيْنِ قَدِيمَيْنِ وَهُمَا النُّورُ وَالظُّلْمَةُ، وَكَالْمَجُوسِ الزَّاعِمَةِ أَنَّ الأَشْيَاءَ الْقَبِيحَةَ مَخْلُوقَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُلْحِدَةِ.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يُقِيمَ الْخَلْقَ فِي الْعِبَادَةِ مَقَامَ اللهِ تَعَالَى كَمُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ وَيَقُولُونَ: هِيَ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ، مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ الْخَلْقَ وَالرِّزْقَ وَالإِحْيَاءَ وَالإِمَاتَةَ لِلهِ وَحْدَهُ.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يَجْهَلَ مَعْرِفَةَ وُجُودِ اللهِ تَعَالَى وَجَمِيعِ مَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ مِنْ وَظَائِفِ التَّوْحِيدِ الْمُتَقَدِّمَةِ[٢].

**وَمِنْهَا:** أَنْ يُكَذِّبَ اللهَ تَعَالَى بِإِنْكَارِ حَرْفٍ مِنْ كِتَابِهِ[٣] أَوْ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَوْ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ، أَوْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، أَوْ جَهْلِهِ الْبَعْثَ وَالْمَعَادَ، أَوْ شَكٍّ فِي وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ التَّوْحِيدِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِصِفَاتِ الْخَلْقِ وَمَعَانِي النَّقْصِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَجْزِ وَالْحُدُوثِ وَالْعَدَمِ وَالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَالْهَيْئَةِ وَالْجِسْمِ وَالسَّهْوِ وَالنَّوْمِ وَالأَكْلِ

(١) الشُّعَرَاء: ٩٩.
(٢) هَذَا عَلَى رَأْيِ الْجُمْهُورِ.
(٣) وَفِي نُسْخَةٍ: (مِنْ كَلاَمِهِ).

وَالشُّرْبِ وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالأَشْكَالِ وَالأَضْدَادِ وَالصَّاحِبَةِ وَالأَوْلاَدِ فِي جَمِيعِ مَا لاَ يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ يَصِفَ الْخَلْقَ بِصِفَاتِهِ ﷻ مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْوُجُودِ والقِدَمِ على الحقيقةِ، والإحياءِ والإماتةِ والخلقِ والاختراعِ من العدم إلى الوجودِ، وَالإِرْسَالِ وَالإِنْزَالِ مِنْ جَمِيعِ صِفَاتِهِ الَّتِي لاَ يَلِيقُ أَنْ يُوصَفَ الْخَلْقُ بِهَا.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يَتَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِمَعَاصِيهِ وَيَزْعُمَ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِهَا، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَهَى عَنْ طَاعَتِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ مِمَّا لاَ يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلُ فِي التَّنْزِيلِ.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى الْمَخْلُوقِ بِأَفْعَالِهِ مِنْ جَمِيعِ طَاعَةِ اللهِ ﷻ مِنَ الصَّلاَةِ وَالذَّبْحِ وَغَيْرِهِمَا.

**وَمِنْهَا:** أَنْ يَدْعُوَ الْعِبَادَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ كَفِعْلِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، وَقَدْ فُسِّرَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ الآيَةَ[1] فَمَهْمَا فَعَلَ الْعَبْدُ ذَلِكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَالشَّاكُّ فِي شِرْكِهِ مُشْرِكٌ؛ لأَنَّهُ لاَ يَسَعُ جَهْلُ شِرْكِهِ عَلَى حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ.

**وَمِنْهَا:** شِرْكُ الإِكْرَاهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ الْمُكْرَهِ عَلَى الْقَوْلِ بِإِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ، أَوْ إِنْكَارُهُ ﷻ رَأْسًا عَلَى جِهَةِ الإِكْرَاهِ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ شِرْكَ وَلاَ كُفْرَ وَلاَ مَعْصِيَةَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ شِرْكٌ وَلاَ شِرْكَ فِي الْحُكْمِ وَلاَ مَعْصِيَةَ وَلاَ كُفْرَ. وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ أَنَّهُ لاَ إِثْمَ وَلاَ مَعْصِيَةَ وَلاَ ذَنْبَ وَلاَ عِقَابَ، وَيُقَالُ: كَذِبٌ أُبِيحَ لَهُ.

**وَمِنْهَا:** مَا رُكِّبَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ وَقِلَّةِ الثِّقَةِ بِمَوْعُودِ اللهِ ﷻ، وَبِقَتْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَقُوَاهُمْ وَحِيَلِهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَثِقُونَ بِكِلاَبِهِمْ، فَسُمِّيَ هَذَا الْمَعْنَى شِرْكًا، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: لاَ تَزَالُونَ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ لَوْلاَ

(١) الأنبياء: ٢٩.

كِلاَبُنَا لَسُرِقْنَا، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1]، يَقُولُونَ: لَوْلاَ اسْتِوَاءُ الرِّيحِ لَهَلَكْنَا.

**وَمِنْهَا:** شِرْكُ الرِّيَاءِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يُرِيَ الْعَبْدُ فِعْلَهُ النَّاسَ وَيَتَزَيَّنَ بِهِ إِلَيْهِمْ رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَهُوَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ ذَرَّةٍ سَوْدَاءَ عَلَى صَخْرَةٍ صَمَّاءَ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ)**[2]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3] نَزَلَتْ فِيمَنْ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ وَيَلْتَمِسُ بِهَا الأَجْرَ وَالثَّنَاءَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي عَشَرَ
## فِي فَرْزِ مَا بَيْنَ كَبَائِرِ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ

وَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْمُكَلَّفِ، **قَالَ أَصْحَابُنَا:** مَنْ لَمْ يَفْرِزْ بَيْنَ كَبَائِرِ الشِّرْكِ وَكَبَائِرِ النِّفَاقِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَالشَّاكُّ فِي شِرْكِهِ مُشْرِكٌ[4]، قَالُوا: لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ

---

(١) الْعَنْكَبُوتِ: ٦٦.

(٢) [رَوَاهُ الرَّبِيعُ، باب الشرك أخفى من دبيب النمل، ر٨٣٠، والحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران، ر٣١٤٨].

(٣) الْكَهْف: ١١١.

(٤) لاَ يُرَادُ بِالشِّرْكِ هُنَا (الشِّرْكُ الأَكْبَرُ) الَّذِي تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشِّرْكِ مِنْ إِبَاحَةِ الدَّمِ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ، وَاسْتِحْلاَلِ الْمَالِ، وَحُرْمَةِ الزَّوْجَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ كَمَا هُوَ اصْطِلاَحُ إِبَاضِيَّةِ الْمَغْرِبِ - وَمُؤَلِّفُنَا مِنْهُمْ - [الشِّرْكُ الأَصْغَرُ] الَّذِي يُطْلَقُ عَلَى مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ فِي الاعْتِقَادِيَّاتِ، وَهُوَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: "الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ ذَرَّةٍ سَوْدَاءَ..." الْحَدِيث [سبق تخريجه]، وَلاَ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَلاَ مَشَاحَةَ فِي الاصْطِلاَحِ. قَالَ الْمُحَشِّي: "صَرِيحُ كَلاَمِ السُّؤَالاَتِ حَيْثُ رَتَّبَ الْمَعَاصِيَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ: أَنَّ الَّذِي تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ مِنْ كَبَائِرِ الشِّرْكِ بِعُنْوَانِ كَوْنِهِ كَبِيرَةَ شِرْكٍ؛ إِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ بِإِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ فَقَطْ؛ أَيِ الْقَوْلُ بِالتَّعَدُّدِ، وَيَجُوزُ لَهُ الشَّكُّ فِيمَا عَدَاهُ مِنْ كَبَائِرِ الشِّرْكِ حَتَّى يَأْخُذَ أَنَّهَا شِرْكٌ. وَذَلِكَ كَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ كُفْرٌ وَكَبِيرَةٌ وَمَعْصِيَةٌ عَلَيْهِ

ضَلُّوا مِنْ قِبَلِ فَرْزِ مَا بَيْنَهُمَا، **فَزَعَمَتِ الأَزَارِقَةُ** أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا كَبَائِرُ وَشِرْكٌ وَكُفْرٌ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1] فِي أَمْثَالِهِ مِنَ الْقُرْآنِ. **وَقَالَتِ النَّجْدِيَّةُ** مِنْهُمْ: الْكَبَائِرُ كُلُّهَا شِرْكٌ، وَأَمَّا الصَّغَائِرُ فَلاَ. **وَزَعَمَتِ الْمُعْتَزِلَةُ** أَنَّ كَبَائِرَ النِّفَاقِ فِسْقٌ وَضَلاَلٌ وَلَيْسَتْ كُفْرًا وَلاَ شِرْكًا، **وَقَالَتِ الْمُرْجِئَةُ** بِالشَّكِّ فِي وَعِيدِ مُرْتَكِبِي كَبَائِرِ النِّفَاقِ. **وَقَالَ أَصْحَابُنَا** رَحِمَهُمُ اللهُ: إِنَّ

---

الْعِقَابُ أَخَذَ أَوْ لَمْ يَأْخُذ، وَأَمَّا أَنَّهُ شِرْكٌ فَحَتَّى يَأْخُذَ". اهـ. نَرَى الْمُصَنِّفَ ﷺ يَتَشَدَّدُ فِي مَسْأَلَةِ الْعَقِيدَةِ حِرْصًا عَلَى نَقَاوَتِهَا وَحَمْلاً لِلْمُسْلِمِ عَلَى التَّثَبُّتِ فِيمَا عَسَى أَنْ يَعْتَرِضَهُ مِنْ شَكٍّ لِغُمُوضِ بَعْضِ صُوَرِهَا لِيَكُونَ فِي إِيمَانِهِ مُقَيِّدًا لاَ مُقَلِّدًا، بَيْدَ أَنَّ هَذَا التَّدْقِيقَ الْفَلْسَفِيَّ رُبَّمَا صَوَّرَ لَنَا الإِسْلاَمَ فِي صُورَةٍ لاَ تَتَّفِقُ وَبَسَاطَتَهُ الَّتِي ظَهَرَ بِهَا عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ لأَنَّنَا إِذَا رَجَعْنَا الْقَهْقَرَى إِلَى عَصْرِ النُّبُوَّةِ وَجَدْنَا الرَّسُولَ ﷺ يَكْتَفِي مِنَ الأَعْرَابِ بِظَاهِرِ الإِيمَانِ دُونَ أَنْ يُطَالِبَهُمْ بِفَرْزِ كَبَائِرِ الشِّرْكِ مِنْ كَبَائِرِ النِّفَاقِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اكْتَفَى مِنْ أَجْلاَفِ الْعَرَبِ بِالتَّصْدِيقِ وَالإِقْرَارِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ دَلِيل [لم أجد من خرجه، قال الغزالي في إحياء علوم الدين: "مشهور في كتب الحديث والسير"، ١/ ١٤]، وَحَسْبُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ فَيَعْتَبِرُهُ مُسْلِمًا، ثُمَّ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ دِينَهُ. قَالَ الإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَارْجَلاَنِيُّ ﷺ فِي الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ [١٦/٢]: "وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ شَرَّعَ لِلْوُفُودِ الَّتِي جَاءَتْهُ شَيْئًا سِوَى الْجُمْلَةِ الَّتِي كَانَ يَدْعُو إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا نَطَقَ أَحَدٌ بِالْجُمْلَةِ يَقُولُ ﷺ لأَصْحَابِهِ: "فَقِّهُوا أَخَاكُمْ وَلاَ تَجَاوَزُوا إِلَيْهِ مَسَائِلَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالآدَابِ" [الطبري: تهذيب الآثار، ٣/ ٢٣، بلفظ: "فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه، وعلموه القرآن، وأطلقوا له أسيره"]، وَلَمْ يُؤْثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ شَرَّعَ لأَحَدٍ مِنْ مَسَائِلِ الاعْتِقَادِ شَيْئًا إِلَى آخِرِ مَا أَطَالَ" اهـ. هَذِهِ الْبَسَاطَةُ هِيَ الَّتِي حَبَّبَتْ هَذَا الدِّينَ الْقَيِّمَ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَحْضَانِ الْوَثَنِيَّةِ، كَانُوا أَغْلَظَ أَكْبَادًا مِنَ الإِبِلِ، فَصَارُوا يَدْخُلُونَ فِيهِ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا مُخْتَارِينَ. وَلَقَدْ لاَحَظَ هَذَا الْمَلْحَظَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا الْمُجْتَهِدِينَ كَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُسْتُمَ، وَأَبِي خزرٍ، وَعَمْرُوسٍ، وَابْنِ زَرْقُونَ، وَابْنِ مَحْبُوبٍ، وَعزَّانَ بْنِ الصَّقْرِ رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالُوا: إِنَّ مَنْ أَتَى بِالْجُمْلَةِ الَّتِي كَانَ يَدْعُو إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَمَّ تَوْحِيدُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَالْعِبَادِ، هَذَا وَقَدْ سَبَقَ لِلْمُصَنِّفِ نَفْسِهِ أَنِ ارْتَضَى رَأْيَهُم قَائِلاً: وَهُوَ الأَرْفَقُ بِعَوَامِّ الأُمَّةِ، وَالأَلْيَقُ بِرَأْفَةِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ ذِي الرَّحْمَةِ، وَالأَشْهَرُ مِنْ دَعْوَةِ نَبِيِّ الأُمَّةِ الدَّاعِي عَوَامَّ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ. [وَالْخُلاَصَةُ] أَنَّ مَنْ أَتَى بِالْجُمْلَةِ تَمَّ تَوْحِيدُهُ وَوَسِعَهُ جَهْلُ مَا سِوَاهُ إِلاَّ إِذَا أَحْدَثَ بِأَنْ أَنْكَرَهَا أَوْ تَفْسِيرَهَا أَوْ جَهِلَهَا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ بِهَا، أَوْ شَكَّ فِيهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) الأحزاب: ٣٦.

الْكَبَائِرَ كُلَّهَا كُفْرٌ وَالْعِقَابَ عَلَيْهَا وَاجِبٌ، فَمِنَ الْكَبَائِرِ شِرْكٌ وَغَيْرُ شِرْكٍ؛ وَهُوَ النِّفَاقُ، فَمَنْ رَدَّ عَلَى اللهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ مُوَاجَهَةً بِلاَ تَأْوِيلٍ فَهُوَ مُكَذِّبٌ لِلهِ مُشْرِكٌ بِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ أَقْسَامِ الشِّرْكِ وَوُجُوهِهِ الَّتِي قَدَّمْنَا آنِفًا مَا خَلاَ الثَّلاَثَةَ الأَوْجُهِ الْمُتَأَخِّرَةِ: وَهُوَ شِرْكُ الإِكْرَاهِ، وَشِرْكُ الْهَلَعِ الْمُرَكَّبِ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَشِرْكُ الرِّيَاءِ إِذَا لَمْ يُقَارِنْهُ التَّقَرُّبُ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الثلاثةِ الأَوْجُهِ مِنْ إِنْكَارِ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ اللهِ ﷻ وَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكُتُبِ وَالْمَعَادِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَوْ وَصْفِ اللهِ سُبْحَانَهُ بِمَا لاَ يَلِيقُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ مَا قَدَّمْنَا فَهُوَ مِنْ كَبَائِرِ الشِّرْكِ.

**وَوَجْهٌ آخَرُ مِنْ كَبَائِرِ الشِّرْكِ**: هُوَ الاسْتِحْلاَلُ لِمَا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ نَصًّا بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَنِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَأَكْلِ الرِّبَا وَارْتِكَابِ الزِّنَا وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ وَدُخُولِ الْبُيُوتِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُطَوِّلُ ذِكْرُهُ، أَوِ اسْتَحَلَّ تَرْكَ الْفَرَائِضِ الْمَنْصُوصَاتِ كَالْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ جُمْلَةً، وَالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَصِلَةِ الأَرْحَامِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ نَصًّا كَالْبَيْعِ وَالنِّكَاحِ وَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِهِ الْكِتَابُ، فَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ التَّوْحِيدِ، أَوِ اسْتَحَلَّ تَرْكَهُ، أَوْ جَهِلَ الشِّرْكَ، أَو فَعَلَهُ، أَوِ اسْتَحَلَّ فِعْلَهُ، أَوْ أَمَرَ بِهِ، أَوْ تَقَرَّبَ بِفِعْلِ مَعْصِيَةٍ مَنْصُوصَةٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى، أَوِ اسْتَحَلَّ فِعْلَهَا، أَوْ أَنْكَرَ فَرِيضَةً مَنْصُوصَةً، أَوْ مَلَكًا أَوْ نَبِيًّا مَنْصُوصًا، أَوْ حَرَّمَ حَلاَلاً مَنْصُوصًا فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

# فَصْلٌ [فِي كَبائِرِ النِّفاقِ]

وَكَبَائِرُ النِّفَاقِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

**أَحَدُهُمَا:** اسْتِحْلاَلُ مَا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى بِتَأْوِيلِ الْخَطَأِ مِنْ فَاعِلِهِ أَوْ قَائِلِهِ كَخِلاَفِ جَمِيعِ مَنْ خَالَفَ الْمُسْلِمِينَ وَبَرَاءَتِهِمْ مِنْهُمْ بِتَأْوِيلِ الْخَطَأِ، فَهُمْ بِذَلِكَ مُنَافِقُونَ لَيْسُوا بِمُشْرِكِينَ وَلَوْ تَقَرَّبُوا بِذَلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ لأَنَّهُمْ مُتَأَوِّلُونَ.

**وَالْوَجْهُ الآخَرُ:** هُوَ مُقَارَفَةُ جَمِيعِ مَا أَوْعَدَ اللهُ عَلَى فِعْلِهِ النَّكَالَ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابَ فِي الآخِرَةِ، أَوْ عَذَّبَ بِهِ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ كَالْقَتْلِ وَالزِّنَا وَالرِّبَا وَالسَّرِقَةِ وَبَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ وَإِتْيَانِ الرِّجَالِ وَعَقْرِ النَّاقَةِ وَالاعْتِدَاءِ فِي السَّبْتِ لأَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا نَهى اللهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ النَّكَالَ مِمَّا يَطُولُ بِهِ الْكِتَابُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

## الْقِسْمُ الثَّالِث عَشَرَ

## [في معرفةِ حرمةِ دماءِ المسلمينَ وغنيمةِ أموالِهم وسبيِ ذرارِيهم]

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَغَنِيمَةَ أَمْوَالِهِمْ وَسَبْيَ ذَرَارِيِّهِمْ مُحَرَّمَةٌ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي مَعَهُمْ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: **"أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا**

الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا..." الْحَدِيثَ[1] وَوَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى هَذَا مِنْ جَمِيعِ الأُمَّةِ؛ لأَنَّهُ نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[2] وَمَنِ اسْتَحَلَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ وَزَعَمَ أَنَّهَا حَلاَلٌ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَإِنْ تَأَوَّلَ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَذَلِكَ مِثْلُ الصُّفْرِيَّةِ الزَّاعِمَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذَنْبًا فَهُوَ مُشْرِكٌ حَلاَلٌ دَمُهُ وَسَبْيُ ذُرِّيَّتِهِ وَغَنِيمَةُ مَالِهِ، وَتَأَوَّلُوا فِي ذَلِكَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى فِي ذِكْرِ الْمَيْتَةِ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[3] فَقَالُوا: كُلُّ مَنْ عَمِلَ ذَنْبًا فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ، وَمَنْ أَطَاعَهُ أَشْرَكَ. وَعِنْدَ الأَئِمَّةِ تَأْوِيلُ الآيَةِ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ فِي اسْتِحْلاَلِ الْمَيْتَةِ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ بِاسْتِحْلاَلِهَا، أَيْ: بِأَكْلِهَا. وَاللهُ أَعْلَم.

وَاخْتُلِفَ فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي تَحْرِيمِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقِيلَ: هُوَ خُرُوجُ الرُّوحِ، وَقِيلَ: مَا قَامَ عَنْهُ الْمَوْتُ. وَأَمَّا سَبْيُهُمْ وَغَنِيمَةُ أَمْوَالِهِمْ فَقِيلَ: إِنَّمَا يَعْتَقِدُ سَوقَهُمْ، وَإِنْ قَتَلَهُمْ فِي مَوْضِعِهِمْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْعِصْيَانِ، وَعَنْ بَعْضِ مَشَايِخِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ قَالَ: لاَ يَتِمُّ إِيمَانُ الرَّجُلِ حَتَّى يَعْرِفَ تَحْرِيمَ دَمِهِ وَمَالِهِ. وَمَعْرِفَةُ تَحْرِيمِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ تَوْحِيدٌ، وَجَهْلُهَا شِرْكٌ، وَكَذَلِكَ السَّبْيُ وَالْغَنِيمَةُ عَلَى هَذَا الْحَالِ، فَكَمَا وَجَبَتْ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَةُ تَحْرِيمِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَسَبْيِهِمْ وَغَنِيمَةِ أَمْوَالِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ وَالإِسْلاَمِ كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ تَحْلِيلِ دِمَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَأَمْوَالِهِمْ[4] بِالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ؛ لأَنَّ تَحْلِيلَ دِمَائِهِمْ وَسَبْيَ ذَرَارِيِّهِمْ وَغَنِيمَةَ أَمْوَالِهِمْ إِنَّمَا كَانَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا فِي تَحْرِيمِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَسَبْيِ غَنِيمَةِ أَمْوَالِهِمْ. وَأَحَلَّ اللهُ سَبْيَ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ لِيَجُرُّوهُمْ

(١) [رواه الربيع، باب جامع الغزو في سبيل الله، ر٤٦٤، والبخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابو وأقاموا الصلاة...، ر٢٥].

(٢) التَّوْبَة: ٥.

(٣) الأَنْعَام: ١٢١.

(٤) وَالأَوْلَى زِيَادَةُ: وَسَبْي ذَرَارِيِّهِمْ؛ لِيَنْسَجِمَ مَعَ مَا بَعْدَهُ.

بِذَلِكَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَقِيلَ: لِتَقْوِيَةِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَقِيلَ: نَظَرًا[1] لَهُمْ حِينَ قُتِلَ آبَاؤُهُمْ لِئَلاَّ يَمُوتُوا هَزلاً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الرَّابِع عَشَرَ

## [فِي مَعرفةِ أمرِ اللهِ وَنهيِهِ]

وَذَلِكَ أَيْضًا وَاجِبٌ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعَ الْبُلُوغِ، وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهَا ثَوَابًا، وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهَا عِقَابًا، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ أَشْرَكَ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ وَنَهَى عَنِ الشِّرْكِ فَلاَ يُجْزِئُهُ ذَلِكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَمَرَ بِالطَّاعَةِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ هَكَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ. فَكُلُّ مَا تَلْزَمُ مَعْرِفَتُهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ ﷻ لَزِمَتِ الْمَعْرِفَةُ بِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الثَّوَابَ، وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ بِأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَى تَرْكِهِ الْعِقَابَ فَلاَ يَلْزَمُ ذَلِكَ إِلاَّ فِي التَّوْحِيدِ خُصُوصًا دُونَ سَائِرِ الطَّاعَاتِ؛ لأَنَّ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ ثَوَابًا وعلى تركِهِ عقابًا، وأمَّا ما دونَ التَّوحيدِ منَ الفرائضِ فإنَّما على العبدِ أنْ يعلمَ أنَّ اللهَ أمرَ بِهِ وأوجبَ عليهِ ثوابًا فَقَطْ، وَكَذَلِكَ الْمَعَاصِي عَلَى هَذَا الْحَالِ مَا خَلاَ الشِّرْكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ نَهَى عَنْهُ وَأَوْجَبَ عَلَى فِعْلِهِ عِقَابًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ [فِي مَعرفةِ الإسلامِ والكُفرِ]:** وَعَلَى الْمُكَلَّفِ أَيْضًا أَنْ يَعْلَمَ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْكُفْرَ وَالْكَافِرِينَ، وَمَنْ وَسِعَ جَهْلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أُمِرَ بِالإِسْلاَمِ، وَأَنَّ الإِسْلاَمَ فِعْلُ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ فِعْلُ الْكَافِرِينَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [أي: رَحْمَةً].

# الْقِسْمُ الْخَامِس عَشَرَ
# فِي الْمَنِّ وَالدَّلاَئِلِ

وَهُمَا أَيْضًا مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُمَا مَعَ أَوَّلِ بُلُوغِهِ.

[أَمَّا المَنُّ]: وَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ الإِنْسَانُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ خَلْقَهُ أَطْوَارًا، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ صِغَارًا وَكِبَارًا مَنًّا وَفَضْلاً، لاَ وُجُوبًا وَفَرْضًا، بَلْ خَلَقَهُمْ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَتَحْقِيقًا لِمَا سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَلِمَا حَقَّ فِي الأَزَلِ مِنْ كَلِمَاتِهِ، لاَ لافْتِقَارِهِ إِلَيْهِمْ وَحَاجَتِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَشَرَعَ لَهُمْ دِينَهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ دَعَتْهُ إِلَى تَكْلِيفِهِمْ، وَلاَ مِنْ ضَرُورَةٍ قَادَتْهُ إِلَى تَعَبُّدِهِمْ، وَإِنَّمَا قَصَدَ نَفْعَهُمْ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ كَمَا تَفَضَّلَ بِمَا لاَ يُحْصَى عَدَدًا مِنْ نِعَمِهِ، بَلِ النِّعْمَةُ فِيمَا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ أَعْظَمُ؛ لأَنَّ نَفْعَ مَا سِوَى الْمُتَعَبَّدَاتِ يَخْتَصُّ بِالدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ، وَنَفْعَ الْمُتَعَبَّدَاتِ يَشْتَمِلُ عَلَى نَفْعِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا جَمَعَ نَفْعَ الدَّارَيْنِ كَانَ أَعْظَمَ نِعْمَةً وَأَكْثَرَ تَفَضُّلاً، وَجَعَلَ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ ثَلاَثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْمًا أَمَرَهُمْ بِاعْتِقَادِهِ كَالتَّوْحِيدِ وَوَظَائِفِهِ، وَقِسْمًا أَمَرَهُمْ بِفِعْلِهِ كَالْفَرَائِضِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَقِسْمًا أَمَرَهُمْ بِالْكَفِّ عَنْهُ، وَهُوَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٍ لإِحْيَاءِ نُفُوسِهِمْ كَنَهْيِهِ عَنِ الْقَتْلِ وَأَكْلِ الْخَبَائِثِ وَالسَّمُومِ وَشُرْبِ الْخُمُورِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى فَسَادِ الْعَقْلِ وَزَوَالِهِ، وَقِسْمٍ لائْتِلاَفِهِمْ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ كَنَهْيِهِ عَنِ الْغَصْبِ وَالظُّلْمِ وَالشَّرِّ الْمُفْضِي إِلَى الْقَطِيعَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَقِسْمٍ لِحِفْظِ أَنْسَابِهِمْ وَتَعْظِيمِ مَحَارِمِهِمْ، كَنَهْيِهِ عَنِ الزِّنَا وَنِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ، فَكَانَتْ نِعْمَتُهُ فِيمَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ كَنِعْمَتِهِ فِيمَا أَبَاحَهُ لَهُمْ، وَتَفَضُّلُهُ فِيمَا كَفَّهُمْ عَنْهُ كَتَفَضُّلِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ. فَهَلْ يَجِدُ الْعَاقِلُ فِي رَوِيَّتِهِ مَسَاغًا أَنْ يُقَصِّرَ فِيمَا أُمِرَ بِهِ وَهُوَ نِعْمَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ يَرَى فُسْحَةً فِي ارْتِكَابِ مَا نُهِيَ عَنْهُ وَهُوَ تَفَضُّلٌ عَلَيْهِ؟ وَهَلْ يَكُونُ مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَأَهْمَلَهَا مَعَ شِدَّةِ فَاقَتِهِ إِلَيْهَا إِلاَّ مَذْمُومًا فِي الْعَقْلِ مَعَ مَا جَاءَ مِنْ وَعِيدِ الشَّرْعِ؟ فَتَبَيَّنَ بِمَا ذَكَرْنَا لأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْبَصَائِرِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مُمْتَنٌّ عَلَى الْعِبَادِ فِي الدُّنْيَا

بِسَعَةِ الأَرْزَاقِ وَصِحَّةِ الْعُقُولِ وَالأَبْدَانِ، وَتَسْخِيرِهِ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَإِيجَابِهِ عَلَيْهِمُ الْفَرَائِضَ وَالْعِبَادَاتِ، وَتَحْرِيمِهِ عَلَيْهِمُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمُمْتَنٌّ عَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ فِي الآخِرَةِ بِالْغُفْرَانِ وَدُخُولِ الْجِنانِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

**وَأَمَّا الدَّلاَئِلُ:** فَهِيَ مَخْلُوقَاتُ اللهِ تَعَالَى الدَّالَّةُ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ، فَالْعَاقِلُ إِذَا نَظَرَ فِي ذَلِكَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ عَلِمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ ذَلِكَ عَبَثًا وَلاَ بَاطِلاً وَلَمْ يَتْرُكِ الإِنْسَانَ سُدًى وَلاَ مُهْمَلاً، بَلْ خَلَقَ الإِنْسَ وَالْجِنَّ لِيَمْتَثِلُوا أَوَامِرَهُ قَوْلاً وَفِعْلاً، وَجَعَلَ مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَمِنْ دَلاَئِلِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ الرُّسُلُ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ لِلْخَلْقِ أَدِلاَّءَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبًا تُتْلَى، وَجَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ دَلاَئِلَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

## الْقِسْمُ السَّادِس عَشَرَ
## فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

وَهُمَا فَرِيضَتَانِ وَاجِبَتَانِ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعًا فِي حَالَةِ الْبُلُوغِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْتَدِلاَ فِي قَلْبِهِ اعْتِدَالاً لاَ يَمِيلُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ؛ لأَنَّهُ إِذَا مَالَ الْخَوْفُ بِهِ فَذَلِكَ يَدْعُو إِلَى الإِيَاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَالإِيَاسُ أَعْظَمُ الْكَبَائِرِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2] وَإِنْ مَالَ بِهِ الرَّجَاءُ خُشِيَ عَلَيْهِ الأَمْنُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَهُوَ أَيْضًا كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3]

(١) يُوسُف: ٨٧.
(٢) الْحِجْر: ٥٦.
(٣) الأَعْرَاف: ٩٩.

وَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فِي قَلْبِهِ، وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ نَفْسِهِ ذَنْبًا، وَيَعْتَدِلاَنِ أَيْضًا وَلَوْ فِي حَالَةِ عَمَلِ الْمَعْصِيَةِ، وَبَلَغَنَا أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ ﷺ قَالَ لابْنِهِ: "يَا بُنَيَّ كُنْ ذَا قَلْبَيْنِ قَلْبٍ تَخَافُ اللهَ بِهِ خَوْفًا لاَ يُخَالِطُهُ تَقْنِيطٌ، وَقَلْبٍ تَرْجُوهُ بِهِ رَجَاءً لاَ يُخَالِطُهُ تَغْرِيرٌ"(١)، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ يَثْبُتَانِ فِي الْقَلْبِ بِزَوَالِ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ مِنْهُ، وَهُمَا سَوْطَانِ زَاجِرَانِ لِلْعِبَادِ، فَالْخَوْفُ زَاجِرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَرَادِعٌ عَنْهَا، وَالرَّجَاءُ دَاعٍ إِلَى الطَّاعَةِ وَبَاعِثٌ عَلَيْهَا، وَقَدْ قِيلَ بِالرُّخْصَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ مَا لَمْ يَنْعَرِ الْقَلْبُ مِنْ أَحَدِهِمَا، فَإِذَا انْعَرَى مِنَ الْخَوْفِ اطْمَأَنَّ، أَوِ انْعَرَى مِنَ الرَّجَاءِ أَيِسَ، فَحِينَئِذٍ يَضِلُّ بِهِ وَيَهْلِكُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ بِمِيزَانٍ تَرِيصٍ مَا زَادَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ"(٢)، وَمَعْنَى تَرِيصٍ: مُحكمٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِذَا احْتُضِرَ الْمُؤْمِنُ فَالرَّجَاءُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ أَلْيَقُ بِهِ وَأَحَقُّ، كَمَا رُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ حِينَ احْتُضِرَ أَنَّهُ قَالَ: "مَرْحَبًا بِزَائِرٍ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، لاَ فَرِحَ مَنْ نَدِمَ، اللهُمَّ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْدِلَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَالآنَ الرَّجَاءُ فِيكَ أَمْثَلُ"(٣). وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فَرِيضَتَانِ غَيْرُ مَحْدُودَتَيْنِ يَثْبُتَانِ فِي الْقَلْبِ بِفَرَائِضَ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ كَبِرِّ الآبَاءِ وَالنَّدَمِ عَلَى سَوَالِفِ الآثَامِ، وَبِجَهَالَةِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ مِنْ صَغَائِرِهَا وَمَا أَشْبَهَ هَذَا؛ لأَنَّهُ يَخَافُ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَكُونُ

---

(١) وَزَادَ فِي الْقَنَاطِرِ فَقَالَ: "يَا أَبَتَاهُ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا لَهُ قَلْبٌ وَاحِدٌ"؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَوْ شَقَّ قَلْبَهُ لَوَجَدَ فِيهِ نُورَ رَجَاءٍ وَنُورَ خَوْفٍ، وَلَوْ وُزِنَا لَمْ يَمِلْ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ"، وَهَذَا كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ ورجاؤه..." [الآتي إيراده وتخريجه بعد هذه الفقرة]. [الجبطالي: قناطر الخيرات، فصل اعلم أن الأمر كله يرجع إلى أصل واحد وهو خاتمة العمل، ٣/ ٣٥٨].

(٢) [لم أجد من خرجه، ذكره البيهقي: شعب الإيمان منسوبا إلى مطرف، باب في الرجاء من الله تعالى، ر١٠٢٦، الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ١/ ١٥٠].

(٣) [رواه أبو نعيم: حلية الأولياء، عن معاذ بن جبل، ١/ ٢٩٣، و عن حذيفة بن اليمان، ١/ ٢٨٢].

بِهِ مُؤَدِّيًا لِمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْفَرَائِضِ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِيهَا، وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَلَغَ الْحَدَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ فَيُثِيبُهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ، وَيَثْبُتَانِ أَيْضًا بِجَهْلِ الْمَصِيرِ وَعَاقِبَةِ الْخَاتِمَةِ، وَبِجَهْلِ قَبُولِ التَّوْبَةِ إِذَا تَابَ مِنْ ذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ، وَفَرَضَهُمَا اللهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ حَدًّا يَعْلَمُونَهُ؛ لأَنَّ ذَلِكَ أَصْلَحُ لَهُمْ فِي الاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَهُمَا حَدٌّ يَعْلَمُهُ اللهُ تَعَالَى إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ رِضَى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ عِنْدَ أَدَاءِ مَا عَلَيْهِ، وَهُمَا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِمَا، فَبَعْضُ النَّاسِ أَعْظَمُ خَوْفًا مِنْ بَعْضٍ، وَالأَنْبِيَاءُ عليهم السلام يَخَافُونَ اللهَ تَعَالَى خَوْفَ عِقَابٍ، أَلاَ تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حِينَ قَالَ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[1] وَرَاجُونَ اللهَ تَعَالَى رَجَاءَ ثَوَابٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[2] الآيَةَ؛ لأَنَّ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ مِنْ أَفْعَالِ[3] الْعِبَادِ اسْتَعْبَدَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِفِعْلِهِمَا[4] كَمَا اسْتَعْبَدَهُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَسَائِرِ الْفَرَائِضِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) إِبْرَاهِيم: ٣٥.
(٢) الشُّعَرَاء: ٨٢.
(٣) خ: أَفَاعِيل.
(٤) خ: بِهِمَا.

# الْبَابُ الثَّانِي مِنَ الرُّكْنِ الأَوَّلِ
## فِي الْوَلاَيَةِ الْبَرَاءَةِ وَأَحْكَامِهَا

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَنْبَعِثُ مِنْهُ ثَلاَثُ جُمَلٍ:

### الْجُمْلَةُ الأُولَى: فِي الْوَلاَيَةِ وَتَقَاسِيمِهَا

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا عَشَرَةُ فُصُولٍ:

# الفَصْلُ الأَوَّلُ

## فِي مَعْنَى الْوَلاَيَةِ وَالاسْتِشْهَادِ عَلَى وُجُوبِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ الْوَلاَيَةَ مَعْنَيَانِ لُغَوِيٌّ وَشَرْعِيٌّ، **فَالْوَلاَيَةُ فِي اللُّغَةِ**: الْقُرْبُ، مَأْخُوذٌ مِنْ وِلاَيَةِ أَمْرِ الْيَتِيمِ، وَهُوَ الْقِيَامُ بِأَمْرِهِ وَالاهْتِمَامُ بِمَصَالِحِهِ، وَهُوَ مَعْنَى وَلاَيَةِ اللهِ لأَوْلِيَائِهِ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[1]، أَيْ نَاصِرُهُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِهِمْ وَحَافِظُهُمْ. **وَالْوَلاَيَةُ فِي الشَّرِيعَةِ**: إِيجَابُ التَّرَحُّمِ وَالاسْتِغْفَارِ لِلْمُسْلِمِينَ.

**مَسْأَلَةٌ: الدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ الْوَلاَيَةِ** نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنَ السُّنَّةِ وَإِجْمَاعٌ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ: **أَمَّا الْقُرْآنُ**: فَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[2]، وَمَعْنَى الاسْتِغْفَارِ: طَلَبُ الْغُفْرَانِ بِصِحَّةِ الإِرَادَةِ.

**وَأَمَّا السُّنَّةُ**: فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لابْنِ مَسْعُودٍ: "يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، أَيُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الْوَلاَيَةُ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ"[3]، وَكَذَلِكَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ الْوَلاَيَةُ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ هِيَ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ، فَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِهَا فَلاَ دِينَ لَهُ وَلاَ وَلاَيَةَ لَهُ عِنْدَهُمْ.

---

(١) البَقَرَة: ٢٥٧.

(٢) مُحَمَّد: ١٩.

(٣) [رواه الطبراني: المعجم الكبير، ر١١٥٣٧، والبيهقي: السنن الكبرى، باب شهادة أهل العصبية، ر٢٠٨٥٨].

**وَأَمَّا الإِجْمَاعُ**: فَلَيْسَ بَيْنَ الأُمَّةِ اخْتِلاَفٌ فِي وَلاَيَةِ الْجُمْلَةِ، وَإِنَّمَا الاخْتِلاَفُ بَيْنَهُمْ فِي وَلاَيَةِ الأَشْخَاصِ، فَإِنَّ وَلاَيَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَوْنُهُمْ مَعَهُمْ عَلَى شَرِيعَتِهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الآيَة[2]، فَالْوَلاَيَةُ وَالْبَرَاءَةُ تَجِبَانِ مَعًا عَلَى الْمُكَلَّفِ فِي حَالِ الْبُلُوغِ، فَهُمَا سَوَاءٌ لاَ عُذْرَ لِمَنْ جَهِلَهُمَا، فَكَمَا تَجِبُ الْوَلاَيَةُ لأَوْلِيَاءِ اللهِ كَذَلِكَ تَجِبُ الْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ بِأَيِّ مَعْصِيَةٍ كَانَتْ مَعَ الإِصْرَارِ[3] عَلَيْهَا. وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) الْمَائِدَة: ٢.

(٢) التَّوْبَة: ٧١.

(٣) الإِصْرَارُ هُوَ: الإِقَامَةُ عَلَى الذَّنْبِ وَاعْتِقَادُ الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ.

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي وَلاَيَةِ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ

وَهِيَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي حَالِ الْبُلُوغِ، وَهُوَ أَنْ يُوَالِيَ الْمُسْلِمِينَ وَجَمِيعَ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَحَدٍ بِشَخْصِهِ، وَهِيَ فَرْضٌ مُضَيَّقٌ كَمَا قَدَّمْنَا، وَالْعَمَلُ بِهَا تَوْحِيدٌ، وَالتَّرْكُ لَهَا وَالْجُحُودُ وَالإِنْكَارُ وَالْجَهْلُ بِأَنَّهَا فَرْضٌ شِرْكٌ؛ لأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُطِيعِينَ وَيَبْرَأَ مِنَ الْعَاصِينَ، وَيَجِبُ لَهُمَا فِي كِلْتَا الْمَنْزِلَتَيْنِ مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ[1]؛ لأَنَّهُ إِذَا تَفَكَّرَ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُطِيعٍ لَهُ مَنْ لاَ يُوَالِي وَلِيَّهُ وَيُعَادِي عَدُوَّهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، فَلاَ قُرْبَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، وَلاَ بُعْدَ مِنَ النَّارِ إِلاَّ بِمُجَانَبَةِ الْهَوَى، وَإِلاَّ فَالنَّاسُ فِي دِينِ اللهِ سَوَاءٌ.

---

(١) وَيَجِبُ لَهُمَا أَيْ: يَثْبُتُ لِلْجِنْسَيْنِ. فِي كِلْتَا الْمَنْزِلَتَيْنِ أَيْ: فِي حَالَةِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ. مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ أَيْ: مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ. اهـ الْمُحَشِّي.

(٢) الْحُجُرَات: ١٣.

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# فِي وَلاَيَةِ الأَوْلِيَاءِ الْمَوْصُوفِينَ بِالْعِصْمَةِ وَالاصْطِفَاءِ فِي الْقُرْآنِ

**وَهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:** جُمْلَةٌ، وَأَفْرَادٌ، ذُكُورٌ، وَإِنَاثٌ.

**فَالْجُمْلَةُ** كَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَأَصْحَابِ الأُخْدُودِ وَالسَّحَرَةِ وَأَمْثَالِهِمْ. **وَالأَفْرَادُ نَوْعَانِ:** مُسَمًّى كَآدَمَ وَأَشْبَاهِهِ، وَغَيْرُ مُسَمًّى كَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهِ. **وَالذُّكُورُ نَوْعَانِ:** أَنْبِيَاءُ، وَأَوْلِيَاءُ. **وَالإِنَاثُ نَوْعَانِ:** مُسَمَّيَاتٌ كَمَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَأَشْكَالِهَا، وَغَيْرُ مُسَمَّيَاتٍ كَامْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهَا، فَجَمِيعُ مَنْ نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ فِي كِتَابِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالاصْطِفَاءِ فَوِلاَيَتُهُ تَوْحِيدٌ وَبَرَاءَتُهُ شِرْكٌ. وَإِنَّمَا تَجِبُ وَلاَيَتُهُمْ جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ مَا خَلاَ آدَمَ وَمُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مَنْ سُئِلَ عَنْهُمَا لاَ يَسَعُهُ إِلاَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُمَا أَنْبِيَاءُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: وَجِبْرِيلُ عليه السلام مِثْلُ ذَلِكَ[1] وَأَمَّا سَائِرُ مَنْ ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ إِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَلاَّهُمْ وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ إِنْ قَامَتْ عَلَيْهِ

(١) قَالَ الإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ الْوَارجَلاَنِيُّ فِي الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ مَا نَصُّهُ: "وَأَمَّا مَعْرِفَةُ جِبْرِيلَ وَآدَمَ عليهما السلام وَفَرْزُ الْقُرْآنِ مِنَ الْكُتُبِ فَلَمْ يَرِدْ فِيهِ شَيْءٌ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَوْقِيفًا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ حُمِلَ ذَلِكَ عَلَى الشُّهْرَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَلَمْ يَرِدْ فِي نُبُوءَةِ أَبِينَا آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَلاَ فِي رِسَالَتِهِ أَمْرٌ يُقْطَعُ بِهِ الشَّهَادَةُ لاَ مُتَوَاتِرًا وَلاَ مُسْنَدًا" اهـ. [٣/ ١٤٨].

الْحُجَّةُ بِتَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِمَّنْ ذَكَرْنَا فَعَلَيْهِ إِمْضَاءُ الْحُكْمِ فِيهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالْعِصْمَةِ بِالْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ الَّذِي لاَ يَتَحَوَّلُ، كَمَنْ صَحَّ عِنْدَهُ بِالتَّوَاتُرِ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[1] أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الْخَضِرُ ﷺ، وَأَنَّ الْفَتَى الْمَذْكُورَ فِي أَوَّلِ الآيَةِ هُوَ يُوشَعُ بْنُ النُّونِ، فَمَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِتَوَاتُرِ الأَخْبَارِ وَصَحِيحِ الآثَارِ بِتَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاَءِ اعْتَقَدَ عِلْمَ ذَلِكَ يَقِينًا بِمَا صَحَّ عِنْدَهُ، فَإِنَّ الشُّهْرَةَ الَّتِي لاَ تُدْفَعُ تُؤَدِّي إِلَى الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ الَّذِي لاَ يَتَحَوَّلُ، وَإِلاَّ فَالاقْتِصَارُ عَلَى ظَاهِرِ الْخِطَابِ مِنْ غَيْرِ الْتِفَاتٍ إِلَى إِشَارَةٍ وَلاَ تَسْمِيَةٍ مُحْتَمَلَةٍ أَسْلَمُ وَأَوْلَى، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) الْكَهْف: ٦٥.

## الفَصْلُ الرَّابِعُ

# فِي وَلاَيَةِ الْبَيْضَةِ

وَهِيَ وَلاَيَةُ الإِمَامِ الْعَادِلِ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى إِلاَّ إِنْ ظَهَرَ مِنْ أَحَدٍ مَا يُبْرَأُ بِهِ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ دَارٍ يَكُونُ أَهْلُهَا الْغَالِبُونَ عَلَيْهَا الْقَاهِرُونَ لأَهْلِهَا[1] هُمُ الْعَامِلِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ التَّنْزِيلُ، الْمُتَعَبِّدِينَ بِمَا شَرَعَهُ الرَّسُولُ، النَّاهِينَ بِمَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْعُ وَالْعُقُولُ، الدَّاعِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَالْعَمَلِ بِهَا، الرَّادِّينَ الْبِدْعَةَ عَلَى مَنْ جَاءَ بِهَا، غَيْرَ مُتَجَانِفِينَ لِلأَقَارِبِ، وَلاَ مُتَعَصِّبِينَ عَلَى الأَجَانِبِ، يَتَوَلاَّهُمُ الإِنْسَانُ وَيُسَمِّيهِمْ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَيَنْسِبُ الدَّارَ إِلَيْهِمْ فَيُسَمِّيهَا دَارَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ، فَكُلُّ مَنْ رَآهُ مِنْهُمْ فِي زِيِّ أَهْلِهَا فَلْيَحْكُمْ عَلَيْهِ بِحُكْمِهِمْ إِلاَّ إِنْ ظَهَرَ مِنْهُ خِلاَفُهُمْ، وَنَحْوٌ مِنْ هَذَا ذُكِرَ فِي جَوَابَاتِ الإِمَامِ أَفْلَحَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ﷺ[2] يَقُولُ: "إِذَا كَانَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ عَدْلاً فَكُلُّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ طَاعَتُهُ وَرَضِيَ بِحُكْمِهِ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ خِلاَفُ لِلْمُسْلِمِينَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ فِي حُكْمِهِمْ مِنَ الْوَلاَيَةِ، تَوَلَّوْنَهُ بِعَيْنِهِ وَيَتَوَلَّوْنَ جَمِيعَ مَنْ فِي الْبَيْضَةِ جُمْلَةً وَقَصْدًا"، وقَالَ: "وَإِنَّمَا الْوَلاَيَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الدُّنْيَا تَعَبَّدَ اللهُ بِذَلِكَ عِبَادَهُ عَلَى عِلْمِهِمْ بِمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ النَّاسِ دُونَ مَا غَابَ عَنْهُمْ، وَلاَ مَا انْفَرَدَ اللهُ بِعِلْمِهِ فِي

(١) أَيْ: وَأَنْ يَكُونَ الْقَاهِرُونَ لأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ إِلَخْ.
(٢) هُوَ ثَالِثُ أَئِمَّةِ الدَّوْلَةِ الرُّسْتُمِيَّةِ.

عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الْوَلاَيَةُ حَبْلٌ تَمَسَّكَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فَيُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا كَنَحْوِ مَا جَرَتْ بِهِ أَحْكَامُ الْمُوَارَثَةِ وَالْمُنَاكَحَةِ وَالذَّبَائِحِ، وَتُثْبَتُ بِهِ الأَنْسَابُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ؛ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُسَهِّلُ لأَوْلِيَائِهِ طُرُقَ مَا تَعَبَّدُوا بِهِ فِي أَحْكَامِهِمْ، وَحَطَّ عَنْهُمْ مَا عَجَزَتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ طَبَائِعُهُمْ"[1].

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي وَلاَيَةِ الْبَيْضَةِ: لاَ نَتَوَلَّى إِلاَّ مَنْ عَرَفْنَاهُ بِخَيْرٍ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَالْمَشْهُورُ هُوَ الْقَوْلُ الأَوَّلُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهِ قَوْلُ عُمَرَ ﷺ: "الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ عُدُولٌ إِلاَّ مُجَرَّبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ، أَوْ ظَنِينًا فِي وَلاَءٍ أَوْ نَسَبٍ"[2]، وَذَلِكَ أَنَّ الأَصْلَ فِي الْمُسْلِمِينَ الْعَدَالَةُ بِظُهُورِ الإِسْلاَمِ؛ لأَنَّهَا فَرْعٌ عَنْهُ وَنَتِيجَةٌ لَهُ، فَلَمَّا فَشَتِ الْخِيَانَةُ فِيهِمْ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ وَزَالَتِ الأَمَانَةُ أَحْدَثَ لَهُمُ الْمُزَكِّينَ وَاللهُ أَعْلَمُ. وَذُكِرَ فِي بَعْضِ كُتُبِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ أَنَّ الْمُتَوَلِّي بِوَلاَيَةِ الْبَيْضَةِ لاَ يُحْكَمُ بِشَهَادَتِهِ إِذَا شَهِدَ، وَلاَ يُسْتَتَابُ إِذَا عَمِلَ كَبِيرَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) لم أقف على قوله هذا.

(٢) الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ: "الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ مَجْلُودًا فِي حَدٍّ أَوْ مُجَرَّبًا عَلَيْهِ إِلَخْ..." [رواه الدارقطني، كتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري، ر١٥، والبيهقي، باب لا يحيل حكم القاضي على المقضي له والمقضي عليه...، ر٢٠٣٢٤].

## الفَصْلُ الخَامِسُ

# فِي وَلَايَةِ الْخَارِجِ مِنَ الشِّرْكِ إِلَى الإِسْلَامِ

إِذَا أَتَمَّ الْجُمْلَةَ وَجَبَتْ وِلَايَتُهُ وَإِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِهَا، وَتَحْرِيمُ مَالِهِ وَدَمِهِ بِالإِتْيَانِ بِهَا، وَإِنَّمَا تَجِبُ لَهُ هَذِهِ الأُمُورُ مِنَ الْوَلَايَةِ وَسَائِرِهَا بِالْوَفَاءِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَهُوَ تَرْكُ الذُّنُوبِ وَاعْتِقَادُ الإِسْلَامِ وَالدُّخُولُ فِيهِ، **[مِنَ الْقُرْآنِ]** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾[2] فِي بَعْضِ أَقْوَالِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: احْطُطْ عَنَّا خَطَايَانَا، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الأَوَّلِ. **وَمِنَ السُّنَّةِ**: قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: "الإِسْلَامُ جَبٌّ لِمَا قَبْلَهُ"[3]، أَيْ: قَطْعٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، فَالْمُسْتَجِيبُ إِلَى الإِسْلَامِ خَارِجٌ عَنِ الشِّرْكِ وَجَمِيعِ الْمَعَاصِي، فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ حُلُولِ الْفَرْضِ عَلَيْهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ حَدَثٌ أَوْ تَفْرِيطٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفُرُوضِ[4]، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُسْتَجِيبَ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافِ الْمُسْتَجِيبِ فِي زَمَانِ

---

(١) الأنفال: ٣٨.

(٢) البقرة: ٥٨.

(٣) [رَوَاهُ مسلم، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ر٣٣٦، وأحمد، ر١٧٨١٢].

(٤) نَعَمْ إِنْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيْشٍ أَنَّهُ آمَنَ، فَلَحِقَ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَاتَلَ غَضَبًا لِلهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ يُصَلِّ لِلهِ صَلَاةً [رواه أبو داود، باب فِيمَنْ يُسْلِمُ وَيُقْتَلُ مَكَانَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ر٢٥٣٩]، وَكَمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَهِم ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَمِّهِ: يَا عَمِّ، هَلُمَّ نُسْلِمْ لِلهِ وَنُؤْمِنْ بِالدِّينِ الْجَدِيدِ؟ فَهَدَّدَهُ عَمُّهُ قَائِلاً لَهُ: لَأَنْزَعَنَّ مِنْكَ كُلَّ مَا أَعْطَيْتُكَ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَتُهَدِّدُنِي؟ وَاللهِ لَنَظْرَةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. فَنَزَعَ عَنْهُ عَمُّهُ مَا أَعْطَاهُ حَتَّى ثِيَابَهُ، فَأَعْطَتْهُ أُمُّهُ بِجَادًا (كِسَاءً)، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى

الرَّسُولِ وَالْخُلَفَاءِ ﷺ، أَرَادَ أَنَّهُ لاَ يُتَوَلَّى حَتَّى يَدِينَ بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَإِلاَّ فَهُوَ كَوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَنُمْسِكُ عَنْ وِلاَيَتِهِ حَتَّى يَبْرَأَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَسَوَاءٌ دَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ مُوَافِقٌ أَوْ مُخَالِفٌ فَإِنَّهُ يُتَوَلَّى مَا لَمْ يُشَرِّعْ لَهُ الْمُخَالِفُ ضَلاَلَتَهُ فَيَتَّبِعَهُ عَلَيْهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

الرَّسُولِ ﷺ فَأَعْلَنَ إِسْلاَمَهُ وَغَزَا مَعَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَأَنْزَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَبْرِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ فَارْضَ عَنْهُ"، ثُمَّ صَاحَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَائِلاً: "لَيْتَنِي كُنْتُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ" [لم أجد من خرجه، ذكر العيني: عمدة القاري، ٣٢٤/٢٠، والسالمي: شرح الجامع الصحيح، ٣٤٨/٣].

(١) فِي هَذَا الْقَوْلِ تَشْدِيدٌ أَيْ تَشَدُّدٌ؛ لأَنَّ الاسْتِجَابَةَ بَرَاءَةٌ ضِمْنِيَّةٌ مِنْ أُولَئِكَ الْجَبَابِرَةِ، وَمَا أَحْوَجَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَسْهِيلِ طَرِيقِ الاسْتِجَابَةِ لاَ سِيَّمَا فِي عَصْرِنَا الَّذِي غَرَتْ فِيهِ الإِسْلاَمَ النَّزَعَاتُ الْبَاطِلَةُ، فَكَثْرَةُ الْقُيُودِ وَالشُّرُوطِ رُبَّمَا كَانَتْ حَجَرَ عَثْرَةٍ فِي سَبِيلِ الاسْتِجَابَةِ، وَالتَّيْسِيرُ أَوْلَى، وَلاَ يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا. قَالَ أَبُو الْمُؤَثِّرِ وَأَبُو فَحْطَانَ مِنْ أَئِمَّةِ عُلَمَاءِ عُمَانَ مَا نَصُّهُ: "إِنَّ الْبَرَاءَةَ مِنَ الأَشْخَاصِ لَيْسَتْ مِثْلَ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ لاَزِمَةً فَإِنَّمَا تَلْزَمُ مَنْ وَصَلَ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ بِنَظَرِ نَفْسِهِ، أَمَّا مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ بِنَظَرِ غَيْرِهِ فَلاَ تَلْزَمُهُ بِإِجْمَاعٍ، وَيَكْفِي أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ الْبَرَاءَةَ مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِ الضَّلاَلِ، فَقَدْ بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي جَاهِلِيَّةٍ عَمْيَاءَ، فَلَمْ يَكُنْ يَدْعُوهُم إِلاَّ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ، وَكَانُوا قَبْلَ ظُهُورِهِ يَتَوَلَّوْنَ آبَاءَهُمْ وَطَوَاغِيتَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ ﷺ يُلْزِمُهُمْ أَنْ يَبْرَءُوا مِنْهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا يَكْتَفِي مِنْهُمْ بِقَبُولِ الإِسْلاَمِ وَالدُّخُولِ فِي شَرَائِطِهِ، وَيَتَضَمَّنُ ذَلِكَ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَضْدَادِهِ". اهـ مُصَحَّحه.

## الفَصْلُ السَّادِسُ

# فِي وَلاَيَةِ الْخَارِجِ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْخِلاَفِ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْوِفَاقِ

### إِذَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ وِلاَيَتِهِ الْخِلاَفُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ

وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: مُتَدَيِّنٌ وَغَيْرُ مُتَدَيِّنٍ، **أَمَّا الْمُتَدَيِّنُ**: الَّذِي دَانَ بِبِدْعَتِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُتَوَلَّى حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ مَقَالَتِهِ إِلَى مَقَالَةِ الْمُسْلِمِينَ قَصْدًا كَمَا جَرَى لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ الْمَدَنِيِّ[1] حِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ بِمَعْذِرَةِ مَنْ جَهِلَ مُحَمَّدًا ﷺ، أَوْ جَهِلَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَالْبَعْثَ وَتَحْرِيمَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَالُوا: إِنَّ مُفْتِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ كَافِرٌ، فَالْتَقَى ابْنُ عَبَّادٍ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ رَحِمَهُ اللهُ بِمَكَّةَ[2] فَنَقَضَ عَلَيْهِ

(١) الْمَشْهُورُ بِابْنِ عَبَّادٍ اثْنَانِ [هُمَا]: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّادٍ الْمِصْرِيُّ الْفَقِيهُ (وَسَيَأْتِي التَّعْرِيفُ بِهِ)، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمُتَكَلِّمُ الَّذِي ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ قِصَّتَهُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ بِمَكَّةَ، كِلاَهُمَا إِبَاضِيٌّ، وَعَاشَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ، لِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَلْتَبِسُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، فَانْتَبِهْ! اهـ مُصَحِّحه.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ هُوَ كَهْفٌ مِنْ كُهُوفِ الْعِلْمِ وَأَحَدُ مُجْتَهِدِي الأُمَّةِ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ إِمَامَةُ الإِبَاضِيَّةِ الْعِلْمِيَّةُ فِي أَيَّامِهِ بِالْمَشْرِقِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى عُمَانَ، فَتَصَدَّى لِنَشْرِ الْعِلْمِ تَحْرِيرًا أَوْ تَقْرِيرًا وَقَضَاءً، وَحَسْبُهُ أَنَّهُ تَرَكَ لَنَا كِتَابَهُ الْجَامِعَ فِي سَبْعِينَ جُزْءًا، وَقَدْ لَعِبَ فَوْقَ ذَلِكَ دَوْرًا مُهِمًّا فِي إِقْرَارِ الإِمَامَةِ بِعُمَانَ، وَكَانَ إِمَامَ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ الَّذِينَ نَصَّبُوا الصَّلْتَ بْنَ مَالِكٍ الْخروصِيَّ إِمَامًا (٢٣٨-

ابْنُ مَحْبُوبٍ هَذِهِ الْمَسَائِلَ وَعَرَّفَهُ الْحَقَّ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: تُبْتُ مِنْ جَمِيعِ الْخَطَإِ، فَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ مُتَدَيِّنٌ لاَ يُجْزِئُكَ ذَلِكَ حَتَّى تَعُدَّهَا وَتَتُوبَ مِنَ اعْتِقَادِكَ فِيهَا كُلِّهَا، وَتُقِرَّ بِالْخَطَإِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ، فَخَافَ مِنَ الْبَرَاءَةِ فَصَارَ كَالْجَمَلِ الْمُحْرَنْجِمِ إِنْ تَقَدَّمَ نُحِرَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُقِرَ، فَلَمَّا رَآهُ ابْنُ مَحْبُوبٍ كَذَلِكَ قَالَ لَهُ: الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ الرَّاجِعُ عَنْهُ لاَ يَبْرَأُ مِنْهُ فِي قَوْلِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَتَابَ ورجعَ إِلَى مقالةِ الْمُسْلِمِينَ. وَإِنْ كَانَ الْمُبْتَدِعُ دَعَا إِلَى بِدْعَتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ فَأَرَادَ التَّوْبَةَ فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَنْ دَعَاهُ، لِيُعَرِّفَهُ أَنَّ الَّذِي دَعَاهُ إِلَيْهِ ضَلاَلٌ، وَأَنَّهُ تَابَ إِلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ غَابُوا وَكَانُوا بِحَيْثُ يَعْرِفُ أَثَرَهُمْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَعَرَّفَهُمْ تَوْبَتَهُ، وَرَدَّهُمْ عَنْ ضَلاَلِهِمْ، فَإِنْ قَبِلُوا فَسَبِيلُ ذَلِكَ كَالَّذِي جَرَى لِهِلاَلِ بْنِ عَطِيَّةَ[1]، وَكَانَ عَلَى دِينِ الصُّفْرِيَّةِ فِيمَا بَلَغَنَا، وَتَابَ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْقَوْمِ وَعَرَّفَهُمْ ضَلاَلَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عُمَانَ فَقَبِلُوا مِنْهُ، فَكَانَ مَعَ الْجُلَنْدَى بْنِ مَسْعُودٍ[2] الإِمَامِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ مَعَهُ شَهِيدًا.

---

٢٧٢هـ)، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ لاَ يَزَالُ عَلَى الْقَضَاءِ بِصحَارَ يَوْمَ ٣ الْمُحَرَّم سَنَةَ ٢٦٠هـ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ. اهـ مُصَحِّحه

(١) هُوَ هِلاَلُ بْنُ عَطِيَّةَ الْخُرَاسَانِيُّ أَحَدُ عُلَمَاءِ الإِسْلاَمِ الأَعْلاَمِ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ الْمُتَخَرِّجِينَ مِنْ مَدْرَسَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ بِالْبَصْرَةِ، عَاشَرَ الرَّبِيعَ صَاحِبَ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ فِي الْحَدِيثِ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَحْبُوبٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْجُلَنْدَى بْنِ مَسْعُودٍ، بَايَعَهُ وَقَاتَلَ فِي صُفُوفِهِ حَتَّى اسْتُشْهِدَ مَعَهُ فِي حَرْبِ خَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ الْخُرَاسَانِيِّ قَائِدِ السَّفَّاحِ سَنَةَ ١٣٤هـ يُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ خَازِمٌ جَمِيعَ أَصْحَابِ الْجُلَنْدَى، فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ هُوَ وَهِلاَلٌ؛ قَالَ الْجُلَنْدَى لِهِلاَلٍ: احْمِلْ يَا هِلاَلُ، فَقَالَ هِلاَلٌ: أَنْتَ إِمَامِي فَكُنْ أَمَامِي، وَلَكَ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَبْقَى بَعْدَكَ، فَتَقَدَّمَ الْجُلَنْدَى فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ﷺ، ثُمَّ تَقَدَّمَ هِلاَلٌ وَعَلَيْهِ لاَمَةُ حَرْبِهِ، فَكَانَ أَصْحَابُ خَازِمٍ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ ثِقَتِهِ وَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ، ثُمَّ عَرَفُوهُ فَقَالُوا: هِلاَلُ بْنُ عَطِيَّةَ، فَاحْتَمَلُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ﷺ. اهـ مُصَحِّحه

(٢) الإِمَامُ الْجُلَنْدَى بْنُ مَسْعُودٍ أَوَّلُ إِمَامٍ فِي عُمَانَ، وَإِمَامَتُهُ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، كَانَ فِي أَيَّامِهِ حَاجِبٌ وَالرَّبِيعُ فِي الْعِرَاقِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ وَهِلاَلُ بْنُ عَطِيَّةَ وَخَلَفُ بْنُ زِيَادٍ الْبَحْرَانِيُّ وَشَبِيبُ بْنُ عَطِيَّةَ الْعُمَانِيُّ وَمُوسَى بْنُ أَبِي جَابِرٍ الأَزْكَوِيُّ، وَبَشِيرُ بْنُ الْمُنْذِرِ النَّزْوَانِيُّ وَمُنِيرُ بْنُ النَّيِّرِ الْجِعْلاَنِيُّ، وَكُلُّهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ وَمِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، كَانَ فِي الْفَضْلِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْقِيَامِ بِالْحَقِّ بِمَنْزِلَةٍ أَتْعَبَتِ الأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ طَرَفًا مِنْ سِيرَتِهِ مُنِيرُ بْنُ النَّيِّرِ الْجِعْلاَنِيُّ ﷺ، ثُمَّ

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُتَدَيِّنِ: فَإِنَّهُ إِذَا تَابَ وَرَجَعَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ دُخُولِهِ فِي مَذْهَبِ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَجَدْتُ فِي أَثَرِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مَنْ يَقُولُ: وَعَنْ رَجُلٍ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: أَنَا مِنْكُمْ، وَلِيِّي وَلِيُّكُمْ، وَعَدُوِّي عَدُوُّكُمْ[1]، وَلاَ يَعْرِفُ شَرِيعَةَ الإِسْلاَمِ، قَالَ: إِذَا أَعْطَاهُمُ الْجُمْلَةَ الَّتِي لاَ يَسَعُ النَّاسَ جَهْلُهَا فَهُوَ مِنْهُمْ. وَوَجَدْتُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَحْبُوبِ بْنِ الرَّحِيلِ[2] يَقُولُ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ دَعَوْا بِسْطَامَ أَبَا النَّظْرِ[3] إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَكَانَ صُفْرِيًّا، وَكَانَ أَبُو النَّظْرِ يَقُولُ: لَمَّا دَعَوْنِي فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ نَدْعُوكَ إِلَى وَلاَيَةِ مَنْ قَدْ عَلِمْتَهُ يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُوكَ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتَهُ يَقُولُ بِخِلاَفِ الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُوكَ إِلَى الْوُقُوفِ عَمَّا لَمْ تَعْلَمْ حَتَّى تَعْلَمَ. قَالَ: وَذَلِكَ فِي الْكِتْمَانِ. قَالَ أَبُو النَّظْرِ: فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا مِنْ كَلاَمِهِمْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا

---

اسْتُشْهِدَ الْجُلَنْدَى بِجلفَارَ وَهِيَ [قريةٌ] الصّير فِي حَرْبِ خَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ الْخُرَاسَانِيِّ عَامِلِ السَّفَّاحِ سَنَةَ ١٣٤هـ وَكَانَتْ مُدَّةُ إِمَامَتِهِ سَنَتَيْنِ وَأَشْهُرَ.

يُحْكَى أَنَّ خَازِمًا هَذَا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ: أَبْشِرْ؛ فَقَدْ فُتِحَ عَلَى يَدَيْكَ، فَقَالَ: غَرَّرْتُمُونَا فِي الْحَيَاةِ، وَتُغَرِّرُونَا فِي الْمَمَاتِ! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ فَكَيْفَ بِقَتْلِ الشَّيْخِ الْعُمَانِيِّ. هَذَا وَبَعْدَ أَنِ اسْتُشْهِدَ الْجُلَنْدَى اسْتَوْلَى الْجَبَابِرَةُ عَلَى عُمَانَ، وَلَمْ تَنْتَعِشْ مِنْ عَثْرَتِهَا إِلاَّ بَعْدَ مَقْدِمِ حَمَلَةِ الْعِلْمِ مِنَ الْبَصْرَةِ، فَأَعَادُوا عَهْدَ الإِمَامَةِ، وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ شَعْبُ عُمَانَ الَّذِي لاَ تَحْلُو لَهُ الْحَيَاةُ إِلاَّ فِي حَقْلِ الدِّينِ، وَلاَ يَهْنَأُ لَهُ عَيْشٌ إِلاَّ تَحْتَ ظِلاَلِ الْعَدْلِ وَالنِّظَامِ. اهـ مُصَحّحه.

(١) الأَوْلَى: وَلِيُّكُمْ وَلِيِّي، وَعَدُوُّكُمْ عَدُوِّي.

(٢) هُوَ أَبُو سُفْيَانَ مَحْبُوبُ بْنُ الرَّحِيلِ الْقُرَشِيُّ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ وَمُحَدِّثٌ ثِقَةٌ، لِذَلِكَ نَجِدُ الإِمَامَ أَبَا يَعْقُوبَ مُرَتِّبَ مُسْنَدِ الرَّبِيعِ يَضُمُّ إِلَيْهِ رِوَايَاتِ مَحْبُوبٍ عَنِ الرَّبِيعِ، وَهُوَ إِلَى ذَلِكَ أَبُ أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى، حَسْبُكَ أَنَّهُ هُوَ وَابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَحْبُوبٍ وَحَفِيدَهُ بَشِيرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ مِنْ أَعْلاَمِ الإِسْلاَمِ الَّذِينَ بَلَغُوا دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ، وَتَرَكُوا فِي الْمَكْتَبَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ آثَارًا خَالِدَةً لاَ سِيَّمَا الْحَفِيدَ، فَقَدْ تَرَكَ مُؤَلَّفَاتٍ جَلِيلَةً، مِنْهَا كِتَابُهُ الْمَشْهُورُ الْخِزَانَةُ فِي سَبْعِينَ جُزْءًا وَكِتَابُ الْبُسْتَانِ فِي الأُصُولِ، وَكِتَابُ الرَّصْفِ فِي التَّوْحِيدِ، وَحُدُوثِ الْعَالَمِ، وَكِتَابُ الْمُحَارَبَةِ، إِلَى كَثِيرٍ غَيْرِهَا.

(٣) هُوَ أَبُو النَّظْرِ بِسْطَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ زُهَيْرٍ الضَّبِّيُّ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الدَّعْوَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ صُفْرِيًّا مِنْ أَصْحَابِ شَبِيبٍ، فَفَرَّ مِنَ الْحَجَّاجِ وَنَزَلَ الْبَصْرَةَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: نَزَلَ عِنْدَنَا فِي دَارِنَا فِي الأَزْدِ، وَكَانَ اسْمُهُ مصقلَةَ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ بِسْطَامٌ.. إِلَخ، فَدَعَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَأَجَابَ، قَالُوا لَهُ حِينَ دَعَوْهُ مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ: نَدْعُوكَ إِلَى وِلاَيَةِ مَنْ عَلِمْتَ ...إِلَخ. وَقَدْ عَدَّهُ الشَّمَاخِيُّ فِي طَبَقَةِ الرَّبِيعِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ، أَيْ فِي الْخَمْسِينَ الأُولَى لِلْقَرْنِ الثَّانِي، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مصححه.

دِينُ اللهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ. قَالَ: فَقَبِلَ الإِسْلاَمَ وَكَانَ خَيِّرًا فَاضِلاً، لَهُ فَضْلٌ فِي الإِسْلاَمِ وَشَرَفٌ.

وَالْمُبْتَدِعُ الَّذِي أَضَلَّ بِبِدْعَتِهِ الْخَلْقَ وَكَانَ مُتَدَيِّنًا فَلَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُظْهِرَ تَوْبَتَهُ وَيَدْعُو إِلَيْهَا كَمَا أَظْهَرَ بِدْعَتَهُ وَدَعَا إِلَيْهَا كَالَّذِي جَرَى لِعَائِشَةَ ﷺ يَوْمَ الْجَمَلِ وَقُتِلَ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَلَمْ يُلْزِمُوهَا إِلاَّ إِظْهَارَ التَّوْبَةِ، وَكَذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَخَلَفُ بْنُ السَّمْحِ[1] لَوْ رَجَعَا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ لَمْ يَلْزَمْهُمَا إِلاَّ إِظْهَارُ التَّوْبَةِ مِنْ غَيْرِ غُرْمِ شَيْءٍ أَتْلَفَاهُ؛ لأَنَّهُمَا مُتَدَيِّنَانِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) خَلَفُ بْنُ السَّمْحِ هُوَ أَحَدُ رِجَالاَتِ نفُوسَةَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الَّذِينَ كَانَتْ تَدَّخِرُهُمْ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرٍ لَوْلاَ انْحِرَافُهُ عَنِ الْجَادَّةِ وَمُفَارَقَتُهُ الْجَمَاعَةَ.
كَانَ أَبُوهُ السَّمْحُ وَجَدُّهُ عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ السَّمْحِ الْمَعَافِرِيُّ، كِلاَهُمَا عَظِيمٌ فِي أُمَّتِهِ، مَحْبُوبٌ وَمَرْضِيٌّ عَنْهُ لِعَدْلِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ، كَانَ الأَوَّلُ عَامِلاً عَادِلاً لِلإِمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرُّسْتُمِيِّ عَلَى جَبَلِ نفُوسَةَ، وَكَانَ الثَّانِي أَحَدَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمُؤَسِّسًا لِدَوْلَتَيْ طَرَابُلُسَ وَالْقَيْرَوَانِ، كِلاَهُمَا يَحْفَظُ لَهُ التَّارِيخُ ذِكْرًا جَمِيلاً عَلَى صَفَحَاتِهِ، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (القصص: ٦٠، والشورى: ٣٦)، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمَا خَلْفٌ هَدَمَ مَا أَعْلَيَا مِنْ مَجْدٍ وَأَفْسَدَ مَا أَنْهَجَا مِنْ صَلاَحٍ وَحُسْنِ سِيرَةٍ، وَسَيَّرَ الرُّكْبَانَ بِسُوءِ الْقَالَةِ بَعْدَ ذَلِكَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ، تَوَلَّى اللهُ جَزَاءَهُ. لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ رَأَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ أَنَّ أَحْسَنَ مُكَافَأَةٍ لآلِ السَّمْحِ أَنْ يُقَدِّمُوا وَلَدَهُ بَعْدَهُ اعْتِرَافًا بِجَمِيلِهِ وَزَيَّنُوا لَهُ ذَلِكَ، فَبَدَلَ أَنْ يَتَرَيَّثَ وَيَنْتَظِرَ أَمْرَ إِمَامِهِ وَثَبَ عَلَى الْمَنْصِبِ، فَاسْتَاءَ أُولُوا الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ هَذَا التَّهَافُتِ وَأَبَوْا أَنْ تَكُونَ قِيَادَةُ الْمُسْلِمِينَ فَوْضَى، فَعَارَضُوا أَمْرَهُ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ الإِمَامُ لَهُ أَوْ يُعَيِّنَ غَيْرَهُ، فَكَاتَبُوا بِذَلِكَ الإِمَامَ الَّذِي عَالَجَ الْمَوْقِفَ بِحِكْمَةٍ وَدَهَاءٍ، أَجَابَ بِكِتَابَيْنِ قَائِلاً: أَبْلِغُوا خَلَفًا الْكِتَابَ الأَوَّلَ الَّذِي يَتَضَمَّنُ عَزْلَهُ، فَإِنِ اعْتَزَلَ انْقِيَادًا لأَمْرِ الإِمَامِ فَأَعْطُوهُ الْكِتَابَ الثَّانِي الَّذِي فِيهِ تَوْلِيَتُهُ، وَبِذَلِكَ يَسْتَبِينُ حَقِيقَةُ أَمْرِهِ، وَفِعْلاً لَمَّا اطَّلَعَ خَلَفٌ عَلَى الْكِتَابِ الأَوَّلِ كَانَ قَدِ اسْتَلَذَّ طَعْمَ الرِّئَاسَةِ، فَأَبَى النُّزُولَ عَلَى حُكْمِ إِمَامِهِ، بَلْ أَبْعَدَ فِي النَّزْعِ، فَدَعَا إِلَى فَصْلِ جَبَلِ نفُوسَةَ عَنْ تِيهَرْتَ بِدَعْوَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ وَاعْتِرَاضِ دَوْلَةِ الأَغَالِبَةِ بَيْنَهُمَا. إِزَاءَ هَذَا التَّمَرُّدِ وَجَبَ عَلَى الإِمَامِ أَنْ يُعَيِّنَ بِكُلِّ سُرْعَةٍ حَاكِمًا قَوِيًّا يُرْهِبُ جَانِبُهُ، فَاخْتَارَ الْبَطَلَ الصِّنْدِيدَ فَارِسَ الْمَغْرِبِ أَيُّوبَ بْنَ الْعَبَّاسِ، فَمَا أَنْ سَمِعَ بِهِ خَلَفٌ حَتَّى قَبَعَ فِي جُحْرِهِ وَأَخْلَدَ إِلَى السُّكُونِ، أَمَّا أَيُّوبُ فَأَخَذَ زِمَامَ الأُمُورِ بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَظَلَّتْ فِتْنَةُ خَلَفٍ نَائِمَةً مُدَّةً وَلاَيَتِهِ حَتَّى إِذَا مَاتَ وَخَلَفَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ الْجَنَاوِنِيُّ نَجَمَ قَرْنُهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَشَجَّعَهُ عَلَى ذَلِكَ أُمُورٌ:
١- اسْتِضْعَافُهُ لِجَانِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ. ٢- اقْتِطَاعُهُ نَاحِيَةً مِنْ جَبَلِ نفُوسَةَ اتَّخَذَهَا مِنْطَقَةَ نُفُوذِهِ. ٣- خِصْبُ نَاحِيَتِهِ فِي بَعْضِ السِّنِينَ وَجَدْبُ نَاحِيَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَانْتِقَالُ أَصْحَابِ الْمَاشِيَةِ وَأَهْلِ الْبَادِيَةِ إِلَيْهَا طَلَبًا لِرَخَاءِ الأَسْعَارِ وَجَوْدَةِ الْمَرْعَى، فَكَثُرَ بِذَلِكَ أَتْبَاعُهُ وَقَوِيَ جُنْدُهُ، وَأُعْجِبَ بِذَلِكَ حَتَّى حَدَّثَتْ نَفْسُهُ بِالْهُجُومِ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ والاستيلاءِ عَلَى ما بيده، وضَمِّ الجبلِ كلِّه إليه، فأطلقَ أيدي أتباعِه يشنُّون

الغاراتِ عَلَى النَّوَاحِي التَّابِعَةِ لِحُكْمِ الإِمَامِ، يَنْهَبُونَ وَيَسْلبُونَ وَأَحْيَانًا يَقْتُلُونَ، فَرَاجَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ الإِمَامَ عَبْدَ الْوَهَّابِ، فَكَانَ يَأْمُرُهُ - وَكَذَلِكَ الإِمَامُ أَفْلَحُ بَعْدَهُ- بِمُسَايَرَةِ خَلَفٍ وَاسْتِعْمَالِ كُلِّ سِيَاسَةٍ تُوَطِّدُ الأَمْنَ وَتَحْقِنُ الدِّمَاءَ وَتَسُدُّ أَبْوَابَ الْحَرْبِ، فَلَمْ يَزْدَدْ إِزَاءُ هَذَا اللِّينِ إِلاَّ عُتُوًّا وَاسْتِكْبَارًا. إِزَاءَ هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَأْبَاهَا الشَّهَامَةُ، عِيلَ صَبْرُ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَاشْتَبَكَ مَعَهُ فِي مَعَارِكَ دَامِيَةٍ، كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالاً إِلاَّ الأَخِيرَةَ فَقَدْ دَارَتْ دَائِرَتُهَا عَلَى خَلَفٍ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٢٢١هـ فَعَادَ إِلَى (تِيمِي) أَوْ تِيمَتِي كَمَا ذَكَرَهَا الدَّرْجِينِيُّ مَرْكَزِ قِيَادَتِهِ- وَمِنْ نَحْسِ طَالِعِهِ أَنَّهُ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ مَنْ فِيهَا مِنْ نفُوسَةَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَمِيلُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، وَضَرَبَ لَهُمْ أَجَلَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، فَارْتَحَلُوا تَارِكِينَ مَنَازِلَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ، وَفِيهِمُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلُ وَالضُّعَفَاءُ وَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ وَلاَ دَخْلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَأَجْلَى مَعَهُمْ كَثِيرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ ظَنَّ فِيهِمُ الْمَيْلَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ غِلْظَةً وَجَفَاءً، فَأَدْرَكُوا أَنَّ أَمْرَهُ قَدْ أَدْبَرَ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَعَادَ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانُوا مَعَهُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَائِبِينَ، ثُمَّ أَدْرَكَتْ أَبَا عُبَيْدَةَ مَنِيَّتُهُ، فَخَلَفَهُ الْعَلاَّمَةُ الْعَبَّاسُ بْنُ أَيُّوبَ، وَكَانَ حَازِمًا شُجَاعًا، وَالسَّبْلُ مِنْ ذَاكَ الأَسَدِ، وَكَانَ قَدِ انْتَعَشَ أَمْرُ خَلَفٍ بَعْضَ انْتِعَاشٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَتَوْلِيَةِ الْعَبَّاسِ. فَعَادَ إِلَى فَسَادِهِ، فَنَاصَحَهُ الْعَبَّاسُ وَنَهَاهُ، وَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِ نَاصَبَهُ الْحَرْبَ، وَوَالَى عَلَيْهِ الْهُجُومَ إِلَى أَنْ شَتَّتَ أَمْرَهُ وَقَضَى عَلَيْهِ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ، وَبَقِيَ وَحِيدًا حَتَّى مَاتَ وَتَرَكَ وَلَدًا هَرَبَ إِلَى جِرْبَةَ، وَهَكَذَا انْتَهَتْ حَيَاتُهُ عَلَى أَسْوَأِ حَالَةٍ وَإِنْ ظَلَّ مَعَ ذَلِكَ إِمَامًا لِطَائِفَةٍ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ غَيْرِ الْوَهبِيَّةِ تَنْتَسِبُ إِلَيْهِ وَتَحْمِلُ اسْمَ (الْخَلَفِيَّةِ)، ظَلَّتْ لَهَا الْكَلِمَةُ فِي بَعْضِ الأَوْسَاطِ الإِبَاضِيَّةِ أَجْيَالاً، فَمَا كَانَ لِلهِ دَامَ وَاتَّصَلَ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ اللهِ انْقَطَعَ وَانْفَصَلَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ. اهـ مُصَحِّحه.

## الفَصْلُ السَّابِعُ

# فِي وَلاَيَةِ الْمَخْصُوصِ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ بِشَخْصِهِ

وَهِيَ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَذَا الْفَصْلِ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ:

**أَحَدُهَا:** فِي الأَدِلَّةِ عَلَى فَرْضِ وَلاَيَةِ الأَشْخَاصِ.

**وَالثَّانِي:** فِي كَيْفِيَّةِ وِلاَيَتِهِ.

**وَالثَّالِثُ:** فِي الْفَرْقِ بَيْنَ وِلاَيَةِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ وَغَيْرِهِ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ

### [فِي الاستدلالِ علَى فَرضِ وَلايةِ الأشخاصِ]

أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى وَلاَيَةِ الأَشْخَاصِ أَنَّهَا فَرِيضَةٌ فَإِنَّهَا لَمَّا اتَّفَقَتْ عِلَّتُهَا فِي الأَصْلِ وَجَبَ أَنْ يَتَّفِقَ حُكْمُهَا فِي الْفَرْعِ أَيْضًا؛ لأَنَّ الْعِلَّةَ إِنَّمَا هِيَ الْوَفَاءُ فِي كِلاَ الْوَجْهَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُ مُخَالِفِينَا: لَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ وَلاَيَةِ الأَشْخَاصِ شَيْءٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلاَّ بِشَرِيطَةِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قُلْنَا لَهُمْ: وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[1] فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ قَتْلِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا شَيْءٌ، وَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِمْ فِي الْجُمْلَةِ. فَمَنْ أَبْطَلَ وَلاَيَةَ الأَشْخَاصِ فَقَدْ أَبْطَلَ حُقُوقَ

(١) الآيةُ ٣٦ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ.

الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: "لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ سِتٌّ بِالْمَعْرُوفِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا تُوُفِّيَ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(١)، وقَالَ ﷺ: "رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ"(٢)، وَقَالَ أَيْضًا: "مَنْ أَعْطَى وَمَنَعَ وَأَحَبَّ وَأَبْغَضَ لِلهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ"(٣)، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي خزْرٍ ﷺ(٤) أَنَّهُ قَالَ: أَصْلُ الْوَلاَيَةِ الْمُوَافَقَةُ فِي الشَّرِيعَةِ، فَكُلُّ مَنْ وَافَقْتَهُ فِي الشَّرِيعَةِ فَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْكَ بَعْضُ وَلاَيَتِهِ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: "مَنْ رَأَيْنَا فِيهِ خَيْرًا قُلْنَا فِيهِ خَيْرًا وَظَنَنَّا فِيهِ خَيْرًا وَتَوَلَّيْنَاهُ، وَمَنْ رَأَيْنَا فِيهِ شَرًّا قُلْنَا فِيهِ شَرًّا وَظَنَنَّا فِيهِ شَرًّا وَتَبَرَّأْنَا مِنْهُ"(٥)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِي كَيْفِيَّةِ وَلاَيَتِهِ

وَهِيَ إِضْمَارُ الْحُبِّ لَهُ فِي الْجَنَانِ، وَإِعْلاَنُ التَّرَحُّمِ وَالاسْتِغْفَارِ بِاللِّسَانِ، فَمَتَى مَا ظَهَرَ مِنْ أَحَدِ الْوَفَاءُ بِدِينِ اللهِ تَعَالَى قَوْلاً وَعَمَلاً فَعَلَى مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ وَلاَيَتُهُ، وَاعْتِقَادُ الْحُبِّ لَهُ وَالاسْتِغْفَارُ لَهُ، وَتَحْرِيمُ بُغْضِهِ وَشَتْمِهِ وَغِشِّهِ وَغِيبَتِهِ

(١) [رواه البخاري، بلفظ: "حق المسلم على المسلم خمس..."، كتاب الأمر باتباع الجنائز، ر١١٨٣، ومسلم، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، ر٥٧٧٨، والترمذي، ما جاء في تشميت العاطس، ر٢٧٣٦].

(٢) [رَوَاهُ الحاكم: المستدرك، كتاب المغازي والسرايا، ر٤٣٧٣].

(٣) [رواه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ر٤٦٧٩، والترمذي، أبواب صفة القيامة، ر٢٦٤٢. وَفِي مَعْنَى الْحَدِيثِ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ" رواه أحمد، ر٧٩٥٤].

(٤) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٥) [رواه الربيع، باب جامع الآداب، ر٧٠٠].

وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِ؛ لأَنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَشْتُمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ وَلاَ يَحْسدُهُ وَلاَ يَطْعَنُ فِيهِ[١]، وَفِي حَدِيثٍ: "الأَخَوَانِ كَالْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى"[٢]، "وَالْمُؤْمِنُ كَبِيرٌ بِأَخِيهِ"[٣]، "وَالْمُسْلِمُونَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا"[٤]، "وَمَثَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَوَادُدِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَالْجَسَدِ إِنِ اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ"[٥]؛ لأَنَّ أَنْفُسَ الْمُسْلِمِينَ فِي حَقِيقَةِ الدِّينِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[٦]، أَيْ: لاَ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

**مَسْأَلَةٌ**: وَمَنْ شَهِدَ مِنَ الإِنْسَانِ الْوَفَاءَ بِدِينِ اللهِ تَعَالَى وَلَمْ يَتَوَلَّهُ فَهُوَ هَالِكٌ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْهُ تَضْيِيعًا أَوْ جَهْلاً، وَكَذَلِكَ إِنْ تَوَلاَّهُ قَبْلَ أَنْ يُشَاهِدَ مِنْهُ الْوَفَاءَ بِالدِّينِ فَهُوَ هَالِكٌ، وَوَقْتُ وُجُوبِهَا عِنْدَ عِلْمِ الْوَفَاءِ مِنْهُ بِالدِّينِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) [لقوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..." رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ر٢٣١٠، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ر٦٧٤٣].

(٢) رَوَاهُ السُّلَمِيُّ فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ [ر١٢٨، ١/ ٩٥]، وَأَبُو مَنْصُورٍ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِلَفْظِ: "مَثَلُ الأَخَوَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى". وَتَمَامُ الْحَدِيثِ: "وَمَا الْتَقَى الْمُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلاَّ أَفَادَ اللهُ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا" [ذكر فصول في الأمثال، ر٦٤١١].

(٣) [لم أجده بهذا الفلظ، وراه الديلمي، بلفظ: "المرء كثير بأخيه"، ر٦٦٢٥].

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظِ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا..."، [كتاب المساجد، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ر٤٦٨، ومسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب تراحم المؤمين وتعاطفهم، ر٦٧٥٠].

(٥) [رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ر٥٦٦٥، ومسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب تراحم المؤمين وتعاطفهم، ر٦٧٥١].

(٦) النِّسَاء: ٢٩.

# الْقِسْمُ الثَّالِثُ

## فِي الْفَرْقِ بَيْنَ وَلاَيَةِ الْمَنْصُوصِ وَغَيْرِهِ

اعْلَمْ أَنَّ وَلاَيَةَ الْمَنْصُوصِ[1] عَلَى وَجْهَيْنِ: تَكُونُ تَوْحِيدًا وَغَيْرَ تَوْحِيدٍ، فَالْمَقْصُودُ مِنَ الْمَعْصُومِينَ وَالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الأَمِينِ فَوَلاَيَتُهُمَا تَوْحِيدٌ وَتَرْكُ وَلاَيَتِهِمَا شِرْكٌ إِذَا وَجَبَتْ، وَالْجَهْلُ بِهَا أَنَّهَا فَرْضٌ شِرْكٌ أَيْضًا، وَأَمَّا جُحُودُهَا وَإِنْكَارُهَا فَهُوَ كُفْرٌ[2]، وَأَمَّا وَلاَيَةُ الْخَاصِّ مِنَ النَّاسِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ وَالْمَنْصُوصِ مِمَّنْ تَجِبُ وَلاَيَتُهُ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْوَفَاءِ فِي الدِّينِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَوَلاَيَتُهُ طَاعَةٌ غَيْرُ تَوْحِيدٍ، وَبَرَاءَتُهُ كُفْرٌ غَيْرُ شِرْكٍ، وَكَذَلِكَ الإِنْكَارُ لَهَا وَالْجَهْلُ بِهَا وَأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَيْهَا ثَوَابًا كُفْرٌ غَيْرُ شِرْكٍ أَيْضًا.

وَالْوَلاَيَةُ إِنَّمَا تَجِبُ بِالْوَفَاءِ بِجَمِيعِ الْفَرَائِضِ قَوْلاً وَفِعْلاً، وَالاِنْتِهَاءِ عَنْ جَمِيعِ الْكَبَائِرِ نُطْقًا وَامْتِثَالاً؛ لأَنَّ الْوَلاَيَةَ لاَ تَنْزِلُ عَلَى كَبِيرَةٍ وَلاَ صَغِيرَةٍ مُصَرًّا عَلَيْهَا، كَمَا أَنَّ الْبَرَاءَةَ يَسْتَحِقُّهَا الْمُقَارِفُ الْكَبِيرَةَ وَاحِدَةً أَوْ صَغِيرَةً مُصَرًّا عَلَيْهَا؛ لأَنَّهَا ضِدُّ الْوَلاَيَةِ الَّتِي لاَ تَجِبُ إِلاَّ بِالْوَفَاءِ بِجَمِيعِ الدِّينِ.

---

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: (الْمَخْصُوص)، وَالْمَوْصُوفُونَ بِالْعِصْمَةِ هُمُ الْمَعْصُومُونَ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى الْكَبِيرَةِ.

(٢) انْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ الْجُحُودَ وَالإِنْكَارَ كُفْرًا دُونَ شِرْكٍ، وَجَعَلَهُمَا أَنْزَلَ مَرْتَبَةً مِنَ الْجَهْلِ مَعَ أَنَّ حُكْمَهُمَا وَاحِدٌ كَمَا تَقَدَّمَ لَهُ ﷺ فِي وِلاَيَةِ الْجُمْلَةِ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ، وَكَمَا سَيَأْتِي لَهُ بَعْدَ سُطُورٍ أَنَّ الْكُفْرَ أَدْنَى مَرْتَبَةً مِنَ الشِّرْكِ، عَلَى أَنَّهُمْ نَصُّوا عَلَى تَسَاوِيهِمَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. اهـ الْمُحَشِّي بِتَصَرُّفٍ وَزِيَادَةٍ.

# الفَصْلُ الثَّامِنُ

# فِي وَلَايَةِ الأَطْفَالِ

اعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ عَلَى **أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:**

**فَقَالَتِ الْمُرْجِئَةُ** بِوَلَايَتِهِمْ جَمِيعًا، وَهُوَ مَذْهَبُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ.

**وَقَالَ بَعْضُهُمْ** بِالْوُقُوفِ فِيهِمْ جَمِيعًا، وَهَذَا الْقَوْلُ يُرْوَى عَنِ النُّكَّاثِ[1] وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ.

---

(١) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ أَطْفَيَّشُ: النَّكَّاثُ وَالنُّكَّارُ وَمستَاوَةُ وَالْيَزِيدِيَّةُ أَسْمَاءٌ لِفِرْقَةٍ وَاحِدَةٍ خَرَجَتْ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ الْوَهبِيَّةِ، وَخَالَفَتْ فِي مَسَائِلَ، وَإِنَّمَا سُمُّوا نُكَّاثًا لِنَكْثِهِمْ بَيْعَةَ الإِمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرُّسْتُمِيِّ، (وَيُسَمَّوْنَ النَّجوِيَّةَ أَيْضًا لِكَثْرَةِ نَجْوَاهُمْ)، وَنُكَّارًا لإِنْكَارِهِمْ لَهَا: وَمستَاوَةَ لِبَطْنِ الْبَرْبَرِ، وَيَزِيدِيَّةً نِسْبَةً إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ الْفَزَارِيِّ الْكُوفِيِّ، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الإِمَامِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ، خَالَفَ فِي مَسَائِلَ قَلَّا عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَهَجَرُوهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَلَهُ مَسَائِلُ فِي الْفُرُوعِ يُؤْخَذُ بِهَا. اهـ [أبو إسحاق: كتاب التاريخ (مفقود)، انظر: كتاب الوضع، هامش ص ٧١، ط١ المحققة: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م]، عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ الشَّمَاخِيَّ ﷺ ذَكَرَ فِي سِيَرِهِ فِرَقَ الإِبَاضِيَّةِ غَيْرِ الْوهبِيَّةِ فَقَالَ: "وَجَازَ ابْنُ زِرْقُونَ عَلَى رِيصُو فَوَجَدَ فِيهَا أَرْبَعَ فِرَقٍ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ ١- مستَاوَة: أَتْبَاعُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ الْفَزَارِيِّ. ٢- الْخَلَفِيَّةُ: أَتْبَاعُ خَلَفِ بْنِ السَّمْحِ. ٣- النَّفَاثِيَّةُ: أَتْبَاعُ نَفَاثِ بْنِ نَصْرٍ. ٤- أَهْلُ الدَّعْوَةِ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي الْخَطَّابِ وَسَيْلِ بْنِ سَتِينِ الزَّوَاغِيِّ، كَانَ أَمْرُ الْقَضَاءِ وَالأَحْكَامِ لأَبِي الْخَطَّابِ، وَالْفُتْيَا لِلنُّكَّارِ وَهُمْ مستَاوَةُ، وَإِمَامَةُ رَمَضَانَ لِلْخَلِيفَةِ، وَالأَذَانُ لِلنفَاثِيَّةِ" [السير، ١/ ٢٨٢]، ثُمَّ زَادَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ سِيَرِهِ فَقَالَ: إِنَّ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ غَيْرِ الْوهبِيَّةِ الْحُسَيْنِيَّةَ أَتْبَاعَ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الإِبَاضِيِّ، أَخَذُوا فِي الْفِقْهِ بِقَوْلِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبِي الْمُؤَرِّجِ وَحَاتِمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَشَعْبِ بْنِ الْمُعَرِّفِ [السير، ١/ ٢٨٠]. (كُلُّ هَؤُلَاءِ تَلَامِيذُ لِلإِمَامِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَزُمَلَاءُ لِلرَّبِيعِ) وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّبِيعِ خِلَافٌ فِي بَعْضِ مَسَائِلَ صَوَّبَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدَةَ قَوْلَ الرَّبِيعِ،

**وَقَالَ بَعْضُهُمْ**: إِنَّ الأَطْفَالَ بِمَنْزِلَةِ الآبَاءِ، فَأَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ مُسْلِمُونَ، وَأَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ مُشْرِكُونَ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَرْوِيٌّ عَنِ الصُّفْرِيَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَلِكُلِّ فَرِيقٍ حُجَّةٌ يَحْتَجُّ بِهَا تَرَكْتُهَا مَخَافَةَ التَّطْوِيلِ.

**وَقَالَ أَصْحَابُنَا وَمَنْ وَافَقَهُمْ** بِوَلَايَةِ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفِّ عَمَّا سِوَاهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا الْحُلُمَ، فَيُوَلَّوْنَ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمُ الْوَفَاءُ أَوْ يُبْتَرَأُ مِنْهُمْ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْهُمُ الْكَبَائِرُ.

**وَاحْتَجُّوا** بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[1] وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِوَلَدِهِ: "**تَمَامُ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ**"[2]، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا.

**وَاحْتَجُّوا فِي الْوُقُوفِ عَنْ أَطْفَالِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ** بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **وَقَدْ**

---

وَهَاجَرَهُمْ إِذْ أَصَرُّوا عَلَى نَظَرِيَّتِهِمْ، فَتَظَاهَرُوا بِالرُّضُوخِ، لَكِنَّهُمُ انْبَعَثُوا مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي عُبَيْدَةَ، هَذَا وَلَمْ يَكُنْ خِلَافُهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ، لَكِنَّهُ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْفِقْهِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ، وَلَهُمْ فِي الْفِقْهِ أَقْوَالٌ يُؤْخَذُ بِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) الطور: ٢١.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ الْقَاسِمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، درَّت لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ، فَلَوْ كَانَ اللهُ أَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رَضَاعَهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ إِتْمَامَ رَضَاعِهِ فِي الْجَنَّةِ"، قَالَتْ: لَوْ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ لَهَوَّنَ عَلَيَّ أَمْرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنْ شِئْتِ دَعَوْتِ اللهَ تَعَالَى فَأَسْمَعَكِ صَوْتَهُ". قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُصَدِّقُ اللهَ وَرَسُولَهُ. [ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله...، ر١٥١٢]. وَأَمَّا فِي حَقِّ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: "إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، وَلَوْ عَاشَ لَعَتَقَتْ أَخْوَالُهُ الْقِبْطَ، وَمَا اسْتُرِقَّ قِبْطِيٌّ" [ر١٥١١]، لَكِنْ بِلَفْظِ: (إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ). يَدُلُّكَ لِذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ الْمَعَارِفِ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: (مَكَثَ الْقَاسِمُ سَبْعَ لَيَالٍ ثُمَّ مَاتَ) [أولاد النبي، ١/ ٣٠]، أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ مِنْ مَقْدِمِهِ، وَعَاشَ سَنَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، فَلْيُتَنَبَّهْ. اهـ مُصَحِّحه.

سُئِلَ عَنْهُمْ فَقَالَ: "اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا صَانِعِينَ"[١].

**مَسْأَلَةٌ** وَتَجُوزُ وَلاَيَةُ أَطْفَالِ الْمُتَوَلِّي بِأَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

**أَحَدُهَا**: الْمَعْرِفَةُ أَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى فِرَاشِ آبائِهِم، **والثَّانِي**: إِقْرَارُ الأَبِ أَنَّهُ ابْنُهُ إِذَا حَضَرَ، وَقِيلَ: حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ أَمِينٌ آخَرَ؛ لأَنَّهُ مُدَّعٍ، وَقِيلَ: حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ أَمِينَانِ، **وَالثَّالِثُ**: شَهَادَةُ الأُمَنَاءِ أَنَّ لِفُلاَنٍ أَوْلاَدًا كَانُوا حُضُورًا أَوْ غِيَابًا، أَحْيَاءً كَانُوا أَوْ أَمْوَاتًا، **وَالرَّابِعُ**: شَهَادَةُ أَهْلِ الْجُمْلَةِ يَثْبُتُ بِهِمُ النَّسَبُ وَيُتَوَلَّى بِهِمُ الأَطْفَالُ إِذَا حَضَرُوا.

وَعَبِيدُ الْمُتَوَلِّي إِذَا كَانُوا أَطْفَالاً فِيهِمْ قَوْلاَنِ: قِيلَ بِالْوَلاَيَةِ، وَقِيلَ بِالْوُقُوفِ، وَالْمَوَالِي الأَطْفَالُ إِذَا أَعْتَقَهُمُ الْمُتَوَلِّي فِيهِمْ قَوْلاَنِ أَيْضًا، وَابْنُ أُمِّهِ يُتَوَلَّى بِوَلاَيَةِ أُمِّهِ إِذَا كَانَتْ مُسْلِمَةً، وَقِيلَ: لاَ يُتَوَلَّى إِلاَّ بِأَبِيهِ، وَكَذَلِكَ الَّتِي أَسْلَمَتْ مِنَ الشِّرْكِ وَلَهَا أَوْلاَدٌ فَإِنَّهَا تَجُرُّ بِهِمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَيُتَوَلَّوْنَ بِوَلاَيَتِهَا، وَالْعَبْدُ إِذَا أَعْتَقَهُ الْمُتَوَلِّي وَغَيْرُهُ فَإِنَّهُ يُتَوَلَّى بِالْمُتَوَلِّي مِنْهُمَا. وَأَمَّا الْمُشْتَرَكُ مِنَ الأَطْفَالِ بَيْنَ الْمُتَوَلِّي وَغَيْرِهِ فَقِيلَ فِيهِ بِالْكَفِّ، وَالْمُتَوَلِّي إِذَا ارْتَدَّ إِلَى الشِّرْكِ فَقِيلَ: إِنَّ أَوْلاَدَهُ فِي مَنْزِلَتِهِمُ الأُولَى مِنَ الْوَلاَيَةِ، فَإِنْ عُلِمَ مِنْ أَبِيهِمْ نِفَاقٌ فَالْكَفُّ عَنْ أَوْلاَدِهِ، وَأَطْفَالُ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ إِذَا بَلَغُوا فَهُمْ فِي الْوُقُوفِ، فَإِنْ عُلِمَ مِنْهُمُ الْوَفَاءُ فَهُمْ فِي مَنْزِلَتِهِمُ الأُولَى مِنَ الْوَلاَيَةِ، وَإِنْ عُلِمَ مِنْهُمْ كُفْرٌ فَهُمْ فِي الْبَرَاءَةِ، وَإِنْ تَشَابَهَ بُلُوغُهُمْ فَهُمْ عَلَى الأَصْلِ الأَوَّلِ مِنَ الطُّفُولِيَّةِ، وإِنْ قالُوا فِي حِينِ الشُّبهةِ: بلغنَا، حَكَمْنَا عليهِمْ بِحُكْمِ البَالِغِينَ، وَمَنْ تَجَنَّنَ فِي الطُّفُولِيَّةِ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الطِّفْلِ؛ إِنْ كَانَ أَبُوهُ مُتَوَلِّي فَإِنَّهُ يُتَوَلَّى، وَمَنْ كَانَ أَبُوهُ مُشْرِكًا أَوْ مُنَافِقًا وُقِفَ عَنْهُ، وَأَطْفَالُ

(١) [رواه البخاري، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ر٦٢٢٦، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ر٦٩٢٩].

الْمُتَوَلِّي إِذَا غَابُوا فَقِيلَ: هُمْ عَلَى وَلاَيَتِهِمْ مَا لَمْ يَتَبَيَّنْ بُلُوغُهُمْ بِالْمُشَاهَدَةِ أَوْ بِالأُمَنَاءِ، وَقِيلَ: يُنْظَرُ إِلَى أَتْرَابِهِمْ فَإِذَا بَلَغُوا حُكِمَ بِبُلُوغِهِمْ وَصَارُوا فِي الْوُقُوفِ، وَإِنْ قَالَ الأُمَنَاءُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا، أَوْ كِبَارٌ أَوْ لَزِمَتْهُمُ الْفَرَائِضُ فَجَائِزٌ. وَيُقَالُ ثَلاَثَةٌ لاَ يَعْلَمُ حَدَّهَا إِلاَّ اللهُ: الْحَدُّ الأَوَّلُ مِنَ الْبُلُوغِ، وَالْحَقِيقَةُ فِي الْمِكْيَالِ، وَالْمِيزَانِ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَوَلاَيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ وَاجِبَةٌ عَلَى التَّوْبَةِ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، وَكَذَلِكَ أَطْفَالُهُ وَعَبِيدُهُ إِذَا كَانُوا أَطْفَالاً، وَفِي وَلاَيَةِ أَطْفَالِ مَمَالِيكِ الْمُسْلِمِينَ قَوْلاَنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الفَصْلُ التَّاسِعُ

# فِي شُرُوطِ الْوَلاَيَةِ وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا

**أَمَّا شُرُوطُ الْوَلاَيَةِ** فَهِيَ أَرْبَعَةٌ، **أَحَدُهَا:** مَسْمُوعُ الأُذُنِ مَرْضِيٌّ، **وَالثَّانِي:** مَنْظُورُ الْعَيْنِ مَرْضِيٌّ، **وَالثَّالِثُ:** مَرْضِيُّ الْقَلْبِ مَقْبُولُ الْحَالِ، **وَالرَّابِعُ:** مُوَافِقٌ لِلْمَذْهَبِ وَالشَّرِيعَةِ؛ لأَنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى وَأَصْلاَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

**وَأَمَّا الْجِهَاتُ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا الْوَلاَيَةُ** فَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَيْضًا:

**إِحْدَاهَا:** الْخِبْرَةُ بِصَاحِبِهَا أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

**وَالثَّانِيَةُ:** الشُّهْرَةُ الَّتِي لاَ تُدْفَعُ: وَهُوَ أَنْ يُشْهَدَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ عَلِمَهُ لاَ يُعْلَمُ مِنْهُ إِلاَّ الْخَيْرُ، وَمَنْ جَهِلَهُ جَهِلَهُ؛ لأَنَّ الْمَشْهُورَ فِي الْخَيرِ يُتَوَلَّى بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالثَّالِثَةُ:** شَهَادَةُ الْعَدْلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَقُومُ بِهِمَا الْوَلاَيَةُ وَالْبَرَاءَةُ وَتَنْفُذُ بِهِمَا الأَحْكَامُ، فَهَذِهِ الثَّلاَثَةُ الأَوْجُه مُجْمَعٌ عَلَيْهَا، وَلاَ أَعْلَمُ فِيهَا خِلاَفًا.

**وَالرَّابِعَةُ:** مُخْتَلَفٌ فِيهَا، وَهِيَ شَهَادَةُ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ بِمَا يُوجِبُ لِلْمُعَيَّنِ الْوَلاَيَةُ، فَقِيلَ: ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى الْمَرْفُوعِ إِلَيْهِ الْوَلاَيَةُ، فَشَبَّهُوا ذَلِكَ بِالشَّاهِدِ فِي حُقُوقِ اللهِ ﷻ مِنْ صَوْمِ رَمَضَانَ دُونَ إِفْطَارِهِ، وَطَهَارَةِ الثِّيَابِ بِقَوْلِ الْغَاسِلِ،

وَدُخُولِ أَوْقَاتِ الصَّلاَةِ وَأَوْقَاتِ الإِفْطَارِ بِقَوْلِ الثِّقَةِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَقِيلَ: لَيْسَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ وَلاَ لَهُ؛ لأَنَّ الْوَاحِدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُجَّةً فِي الْكَفِّ دُونَ التَّصْدِيقِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَالْحُجَّةُ إِنَّمَا تَقُومُ بِأَمِينَيْنِ مُسْلِمَيْنِ حُرَّيْنِ أَوْ أَمِينٍ وَأَمِينَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَالشَّهَادَةِ فِي الأَحْكَامِ مِنَ الْحُقُوقِ وَالدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ، وَقِيلَ: هُوَ مُخَيَّرٌ فِي الْوَاحِدِ بَيْنَ الْقَبُولِ وَالْوُقُوفِ عَنْهُ، وَقِيلَ: إِنْ سَأَلَهُ ابْتِدَاءً لَزِمَهُ قَبُولُ قَوْلِهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَإِنَّمَا شَهِدَ ابْتِدَاءً فَهُوَ مُخَيَّرٌ فِيهِ بَيْنَ الْقَبُولِ وَالْوُقُوفِ عَنْهُ أَيْضًا، كَالْمعدّلِ لِلشُّهُودِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَأَجَازَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْوَلاَيَةَ وَالْبَرَاءَةَ بِقَوْلِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا كَانَتْ تُبْصِرُ الْوَلاَيَةَ وَالْبَرَاءَةَ، وَذُكِرَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّادٍ[1] أَنَّهُ رَخَّصَ لأَبِي مَيْمُونَ رحمه الله[2] أَنْ يَتَوَلَّى أُمَّهُ بِشَهَادَةِ امْرَأَةٍ مُتَوَلِّيَةٍ عِنْدَهُ، وَيَحُجَّ عَنْهَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّادٍ الْمِصْرِيُّ الْفَقِيهُ مِنْ جُلَّةِ فُقَهَاءِ الإِبَاضِيَّةِ، وَمِمَّنِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةُ الْعِلْمِيَّةُ بِمِصْرَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، كَمَا انْتَهَتْ رِئَاسَةُ الْعِرَاقِ الْعِلْمِيَّةُ إِلَى الرَّبِيعِ، وَحَسْبُكَ أَنَّ الإِمَامَ عَبْدَ الْوَهَّابِ الرُّسْتُمِيَّ اسْتَفْتَاهُمَا مَعًا لَمَّا مَنَعَتْهُ نفُوسَةُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْحَجِّ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ خُصُومِ الإِمَامَةِ، فَكَانَ مِنْ جَوَابِ الإِمَامِ ابْنِ عَبَّادٍ أَنَّهُ أَفْتَى بِسُقُوطِ الْحَجِّ عَنْهُ لِعَدَمِ أَمْنِ الطَّرِيقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَغَيْرُ خَافٍ أَنَّ أَمَانَ الطَّرِيقِ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ فِي وُجُوبِ الْحَجِّ. وَقَدْ أَثْبَتَتِ الأَيَّامُ صِدْقَ نَظَرِ نفُوسَةَ، فَقَدْ أَلْقَى الْعَبَّاسِيُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَبْضَ عَلَى أَبِي الْيَقْظَانِ حَفِيدِ الإِمَامِ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى الْحَجِّ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ أَسْرِهِمْ بَعْدَ طُولِ حَبْسِهِ إِلاَّ بِأُعْجُوبَةٍ، وَلاَ غَرْوَ فَالْمُؤْمِنُ بِنُورِ اللهِ يُبْصِرُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) أَبُو مَيْمُونَ: هُوَ أَحَدُ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نفُوسَةَ، مَاتَتْ وَالِدَتُهُ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ وَتَرَكَتْهُ وَصِيًّا لَهَا عَلَى وَصِيَّتِهَا، فَلَمَّا شَبَّ أَرَادَ إِنْفَاذَهَا وَالْحَجَّ عَنْهَا، فَسَأَلَ عَنْ وِلاَيَتِهَا فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَتَوَلاَّهَا إِلاَّ امْرَأَةً وَاحِدَةً صَالِحَةً، فَأَفْتَى لَهُ ابْنُ عَبَّادٍ بِوِلاَيَةِ أُمِّهِ بِشَهَادَةِ الْمُرُوءَةِ. اهـ مُصَحِّحه.

# الفصل العاشر

# فِي وَلاَيَةِ الأَئِمَّةِ وَقَادَةِ الأُمَّةِ

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي خزرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَسَعُ جَهْلُ الأَئِمَّةِ، فَقِيلَ: **أَرَادَ الأَئِمَّةَ التِّسْعَةَ، أَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ**: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ التَّيْمِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى الْكِنْدِيُّ طَالِبُ الْحَقِّ[1]، وَأَبُو الْخَطَّابِ عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ السَّمْحِ الْمَعَافِرِيُّ[2] رَحِمَهُمُ اللهُ، وَالْجُلَنْدَى بْنُ

(١) الإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى طَالِبُ الْحَقِّ، أَعْلَنَ الإِمَامَةَ بِالْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ ضَجَّتِ الأُمَّةُ مِنَ الْجَوْرِ وَالْفُجُورِ اللَّذَيْنِ أَتَى بِهِمَا عُمَّالُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَفَزِعَتْ إِلَى طَالِبِ الْحَقِّ وَهُوَ قَاضٍ يَوْمَئِذٍ بِحَضْرَمَوْتَ، فَلَمَّا وَضَعَتِ الأُمَّةُ ثِقَتَهَا فِيهِ قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَ اسْتِشَارَةِ الإِمَامِ أَبِي عُبَيْدَةَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَإِقَامَةً لِشَرْعِهِ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ قَائِدُ جُيُوشِهِ أَبُو حَمْزَةَ الْمُخْتَارُ بْنُ عَوْفٍ، وَذَلِكَ سَنَةَ ١٣٠هـ وَدَامَتْ إِمَامَتُهُ نَحْوًا مِنْ ثَلاَثِ سِنِينَ، وَانْتَهَتْ بِاسْتِشْهَادِهِ ﷺ، اهـ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ أَطْفَيَّشُ ﷺ [انظر ترجمته: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ر٦٠٥، ٣/ ٥٨٦].

(٢) أَبُو الْخَطَّابِ عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ السَّمْحِ الْمَعَافِرِيُّ الْيَمَنِيُّ هُوَ أَحَدُ حَمَلَةِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَغْرِبِ، بُويِعَ بِالإِمَامَةِ فِي حَيِّزِ طَرَابُلُسَ سَنَةَ ١٤٠هـ بِأَمْرٍ مِنْ شَيْخِهِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَسَارَ بِالأُمَّةِ سِيرَةً رَشِيدَةً، أَعَادَ فِيهَا لِلإِسْلاَمِ بَشَاشَتَهُ، وَأَقَامَ لِلْعَدْلِ دَوْلَتَهُ، امْتَدَّ حُكْمُهُ إِلَى الْقَيْرَوَانِ، فَطَهَّرَهَا مِنْ رِجْسِ وَرْفجُومَةَ الَّتِي بَلَغَ مِنْ طُغْيَانِهَا أَنْ رَبَطَتْ خَيْلَهَا بِمَسْجِدِ الْقَيْرَوَانِ، وَانْقَادَتْ لَهُ الرَّعَايَا، فَذَاقُوا فِي أَيَّامِهِ حَلاَوَةَ الإِسْلاَمِ، وَتَفَيَّئُوا ظِلاَلَ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، لَكِنَّ دَوْلَةَ الطُّغْيَانِ الْمُسَيْطِرَةَ وَالَتْ عَلَيْهَا هَجَمَاتِهَا، وَكُلَّمَا صَدَّ جَيْشًا أَوْ رَدَّ غَارَةً أَعْقَبَتْهَا جُيُوشٌ وَغَارَاتٌ حَتَّى سَقَطَ شَهِيدَ الْمَعْرَكَةِ، وَزَالَتْ دَوْلَتُهُ الَّتِي كَانَتْ مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي رَيعَانِ شَبَابِهَا؛ إِذْ لَمْ تَدُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَالْبَقَاءُ لِلهِ وَحْدَهُ. اهـ مُصَحِّحه.

مَسْعُودٍ إِمَامُ عُمَانَ[1] زَادَهُ بَعْضُهُمْ، وَخَمْسَةٌ مِنَ الْفُرْسِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتُمَ الْفَارِسِيُّ، وَابْنُهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ، وَأَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَفْلَحَ، وَيُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ ﷺ[2]، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِالتَّمَسُّكِ عَلَى مِنْهَاجِهِمُ الْقَوِيمِ وَطَرِيقِهِمُ الْمُسْتَقِيمِ، إِنَّهُ رَحِيمٌ كَرِيمٌ.

وَأَمَّا أَئِمَّةُ الدِّينِ وَالْهُدَى وَقَادَاتُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ وَالتَّقْوَى، فَإِنَّهُمْ يُتَوَلَّوْنَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا بِغَيْرِ حُجَّةٍ؛ لأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الدِّيَانَةِ مِنَ التَّفْسِيقِ وَالتَّكْفِيرِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَلَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ وَلاَيَةِ الأَشْخَاصِ وَبَرَاءَتِهَا. أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَنْتَقِلُ عَنْ وَلاَيَةِ الأَشْخَاصِ وَبَرَاءَتِهَا بِشَهَادَةِ الأُمَنَاءِ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ وَلاَيَةُ الأَئِمَّةِ؛ لأَنَّكَ لاَ تَنْتَقِلُ عَنْهَا بِالشُّهُودِ وَإِنْ كَثُرُوا، وَهَكَذَا الْبَرَاءَةُ مِنْ قَادَاتِ أَهْلِ الْخِلاَفِ، يَبْرَأُ مِنْهُمْ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ وَقَبِلَهُ؛ لأَنَّ الْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الدِّيَانَةِ كَمَا قَدَّمْنَا فِي وَلاَيَةِ أَئِمَّةِ الْهُدَى. قَالَ: "وَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ مَعْرِفَةِ الأَئِمَّةِ شَيْءٌ

---

(١) الْجُلَنْدَى، تَقَدَّمَ الْكَلاَمُ عَلَيْهِ، وَبَعْدُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِمَعْرِفَةِ هَؤُلاَءِ وَدُخُولِهَا فِي عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ؟ وَهَلْ تَجِبُ كَذَلِكَ مَعْرِفَةُ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ سَارَ فِي أَيَّامِهِ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي تَارِيخِ الإِسْلاَمِ؟ أَمْ ثَمَّتْ مَيْزَةٌ فِي هَؤُلاَءِ اسْتَوْجَبُوا بِهَا هَذَا التَّخْصِيصَ دُونَ سِوَاهُمْ؟ أَمَّا فِي حَقِّ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ فَلاَ كَلاَمَ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْعُدُولِ فَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ يَغَارُ عَلَى نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ أَنْ يَجْهَلَ هَؤُلاَءِ الأَئِمَّةَ غَيْرَ ثَمَّ [يبدو: غيرتهم أو كغيرهم] مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ الَّذِينَ رَفَعُوا لِوَاءَ الدِّينِ، وَأَقَامُوا قِسْطَاسَ الْعَدْلِ، وَأَحْيَوْا دُوَلَهُمْ فِي سِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ لِيَتَأَسَّى بِهِمْ مَنْ يَبْغِي السِّيرَةَ الرَّشِيدَةَ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ جَهْلُهُمْ قَدْحًا فِي الْعَقِيدَةِ فَلاَ نَرَى ذَلِكَ وَجِيهًا، اهـ مُصَحِّحه.

(٢) أُسْرَةُ بَنِي رُسْتُمَ أُسْرَةُ عِلْمٍ وَدِينٍ وَاضْطِلاَعٍ بِأَعْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ، كَانَتْ لَهَا مَمْلَكَةٌ قَاهِرَةٌ زَاهِرَةٌ، بَسَطَتْ نُفُوذَهَا عَلَى الْمَغْرِبِ الأَوْسَطِ، وَأَئِمَّتُهَا كَانُوا أَجَلَّ وَأَقْوَى أَئِمَّةٍ عَرَفَهَا شَمَالُ أَفْرِيقْيَا، أَوَّلُهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتُمَ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ، أَمَّا بَنُوهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٠هـ وَابْنُهُ أَفْلَحُ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠هـ وَقِيلَ ٢٥٠هـ وَابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَفْلَحَ (أَبُو الْيَقْظَانِ) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٨١هـ وَابْنُهُ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ (أَبُو حَاتِمٍ) الَّذِي مَاتَ مَقْتُولاً سَنَةَ ٢٩٤هـ، فَقَدْ بَسَطَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ الْبَارُونِيُّ فِي كِتَابِهِ (الأَزْهَارُ الرِّيَاضِيَّةُ فِي أَئِمَّةِ وَمُلُوكِ الإِبَاضِيَّةِ) أَخْبَارَهُمْ بِمَا لاَ مَزِيدَ عَلَيْهِ، فَاطْلُبْهَا إِنْ شِئْتَ هُنَاكَ. اهـ مُصَحِّحه.

إِلاَّ مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ"[١]، وَوَلاَيَةُ قَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ هِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ قَادَاتِ الْمُخَالِفِينَ، وَكَذَلِكَ وَلاَيَةُ قَادَاتِ أَهْلِ الْخِلاَفِ هِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ قَادَاتِ أَهْلِ الْوِفَاقِ، وَكَذَلِكَ التَّصْوِيبُ وَالتَّخْطِئَةُ عَلَى هَذَا الْحَالِ.

وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ تَقَلَّدَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ الْخِلاَفِ، فَحُكِيَ عَنْ أَبِي خزرٍ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ تَبَرَّأَ مِنْهُ لَمْ يَظْلِمْهُ"[٢][١]. وَقِيلَ: لَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ. وَاخْتَلَفُوا أَيْضًا هَلْ يَبْرَأُ مِنْهُمْ بِعَلاَمَتِهِمْ أَمْ لاَ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) [السوفي: السؤالات، ص ٢٩٠].

(٢) يَظْهَرُ أَنَّ الإِمَامَ أَبَا خزرٍ كَانَ شَدِيدَ الْحنقِ عَلَى مُخَالِفِيهِ حَتَّى اعْتَبَرَ مَنْ حَكَمَ بِالْبَرَاءَةِ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُ. قَالَ الْقُطْبُ ﷺ فِي الذَّهَبِ الْخَالِصِ قُلْتُ: ظَلَمَهُ لأَنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ، بَلْ أَسْرَعَ وَأَهْمَلَ. اهـ. وَنَحْنُ إِذَا بَحَثْنَا عَنْ سِرِّ هَذَا الْحنقِ وَجَدْنَاهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - يَرْجِعُ إِلَى تَأْثِيرِ الْبِيئَةِ، ذَلِكَ أَنَّهُ عَاشَ فِي عَصْرِ الْعُبَيْدِيِّينَ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ التَّعَصُّبُ الْمَذْهَبِيُّ أَشُدَّهُ، وَعُومِلَ فِيهِ أَئِمَّةُ الإِبَاضِيَّةِ مُعَامَلَةَ الْمَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ تَرَلُّفًا مِنْ مُخَالِفِيهِمْ لِلْجَوَرَةِ وَمُمَالأَةً لَهُمْ عَلَى سِيَاسَةِ الإِبَادَةِ الَّتِي انْتَهَجَتْهَا الدَّوْلَةُ الْعُبَيْدِيَّةُ فِي حَقِّهِمْ، الأَمْرُ الَّذِي حَمَلَ هَذَا الإِمَامَ أَنْ يَقْسُوَ مَعَ مُخَالِفِيهِ، وَيُقَابِلَ بِالتَّخْطِئَةِ مَنْ بَدَأَهُ بِهَا، وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الإِبَاضِيَّةِ وَلاَ مِنْ مَبَادِئِهِمُ التَّهَجُّمُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ فِي الرَّأْيِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْبَادِئَ بِالتَّخْطِئَةِ. وَقَدْ أَغْرَبَ الإِمَامُ السَّالِمِيُّ مِنْ إِبَاضِيَّةِ عُمَانَ عَنْ هَذَا الْمَبْدَأِ إِذْ يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ رَدًّا عَلَى طَعْنِ الْغزيَانِيِّ: "لَوْ سَكَتُوا عَنَّا سَكَتْنَا عَنْهُمْ" [السالمي: كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة، ص ٧]، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ جَوْهَرِ النِّظَامِ فِي عِلْمَيِ الأَدْيَانِ وَالأَحْكَامِ: "وَمُنْكِرٌ لِخَلْقِهِ يُخْتَلَفُ، فَقِيلَ: فَاسِقٌ وَقِيلَ نَقِفُ، مَا لَمْ يُخَطِّ لِلَّذِي قَدْ قَالاَ، بِضِدِّ مَا قَالَ فَمِ الْمَقَالاَ"، يَعْنِي: بِخَلْقِ الْقُرْآنِ [باب خلق القرآن، ١/ ١٧]، وَزَادَ ذَلِكَ تَوْضِيحًا فِي كِتَابِهِ تُحْفَةِ الأَعْيَانِ بسيرَةِ أَهلِ عُمَانَ فِي مَعْرِضِ الْكَلاَمِ عَلَى عَقِيدَةِ الإِبَاضِيَّةِ: "لَيْسَ مِنْ رَأْيِنَا - وَالْحَمْدُ للهِ - الْغُلُوُّ فِي دِينِنَا، وَلاَ الْغَشْمُ فِي أَمْرِنَا، وَلاَ التَّعَدِّي عَلَى مَنْ خَالَفَنَا... اللهُ رَبُّنَا، وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّنَا، وَالْقُرْآنُ إِمَامُنَا، وَالسُّنَّةُ طَرِيقُنَا، وَبَيْتُ اللهِ الْحَرَامُ قِبْلَتُنَا، وَالإِسْلاَمُ دِينُنَا"، إِلَخ إِلَخ. [١/ ٦٩].

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوارجلاَنِيُّ مِنْ إِبَاضِيَّةِ الْمَغْرِبِ [الْجَزَائِرِ] فِي كِتَابِهِ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ: "فَإِذَا لَمْ يَعْتَقِدُوهُ دِينًا وَلَمْ يَقْطَعُوا عُذْرَ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ خَالَفُوهُمْ عَلَيْهِ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ خَطأٌ مَحْمُولٌ عَلَيْهِمْ" - إِلَى أَنْ قَالَ -: "وَلِكُلِّ مُعْتَقَدُهُ مَا لَمْ يَنْبِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ، وَالتَّالِي أَسْلَمُ". اهـ [٣/ ١١٢، ١١٣].

وَبَعْدُ فَمَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ الإِسْلاَمِيَّةَ سِيَّمَا فِي عَصْرِنَا - وَقَدْ تَدَاعَتْ عَلَيْهَا الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ حَدبٍ وَصَوْبٍ - أَنْ تَتَغَاضَى عَنْ تَجْرِيحِ بَعْضِهَا، وَتَتَعَالَى عَنِ الْمُنَاقَشَاتِ وَالْمُهَاتَرَاتِ الَّتِي لاَ تَزِيدُ أَوْصَالَهَا إِلاَّ

تَفْكِيكًا وَكَلِمَتَهَا إِلاَّ انْقِسَامًا، وَلْتَكْتَفِ مَعَ بَعْضِهَا بِمَبْدَأِ التَّوْحِيدِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهَا، وَتَعْمَلُ يَدًا بِيَدٍ لِتَوْحِيدِ صُفُوفِهَا وَصَدِّ هَجَمَاتِ عَدُوِّهَا الْمُشْتَرَكِ، عَسَاهَا أَنْ تَسْتَرْجِعَ بِذَلِكَ مَا ضَاعَ لَهَا مِنْ عِزَّةٍ وَمَجْدٍ، أَوْ تُحَافِظَ عَلَى مَا بَقِيَ لَدَيْهَا مِنْ تُرَاثٍ عَلَى الأَقَلِّ، هَدَى اللهُ الْمُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَعِزَّتُهُمْ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) [السوفي: السؤالات، ص ٤٤٨].

# الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ
# فِي الْبَرَاءَةِ وَتَقَاسِيمِهَا

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ أَيْضًا تَنْبَعِثُ مِنْهَا عَشَرَةُ فُصُولٍ:

## الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

## فِي مَعْنَى الْبَرَاءَةِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَى وُجُوبِهَا مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ

**أَمَّا الْقُرْآنُ:** فَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فَنَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ وَلَايَةِ الْكُفَّارِ فَأَنْفَذَ فِيهَا الْوَعِيدَ فَقَالَ: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[3]، فَمَنْ تَوَلَّى مُشْرِكًا كَانَ مُشْرِكًا، وَمَنْ تَوَلَّى مُنَافِقًا كَانَ مُنَافِقًا صَاحِبَ كَبِيرَةٍ، وَقَالَ [تعالى علَى لسانِ] الْخَلِيلِ عليه السلام: ﴿إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

(١) آلُ عِمْرَانَ: ٢٨.
(٢) الْمُمْتَحَنَة: ١٣.
(٣) الْمَائِدَة: ٥١.

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١]، أَيْ: مُتَبَرِّئٌ مِنْكُمْ وَمِنْ عَمَلِكُمْ، مُخَالِفٌ لَكُمْ غَيْرُ مُوَافِقٍ، فَأَصْلُ الْبَرَاءَةِ كَمَا قَدَّمْنَا هُوَ الْمُخَالَفَةُ، كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْوَلَايَةِ الْمُوَافَقَةُ وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَى أَمْرِ اللهِ تَعَالَى؛ لأَنَّ الْوَلِيَّ قَدْ يَكُونُ فِي النَّسَبِ وَالدِّينِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أَيْ: يُسَاعِدُهُمْ وَيُوَافِقُهُمْ ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الشُّعَرَاء: ٢١٦.

(٢) الْمَائِدَة: ٥١.

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١]، أَيْ: مُتَبَرِّئٌ مِنْكُمْ وَمِنْ عَمَلِكُمْ، مُخَالِفٌ لَكُمْ غَيْرُ مُوَافِقٍ، فَأَصْلُ الْبَرَاءَةِ كَمَا قَدَّمْنَا هُوَ الْمُخَالَفَةُ، كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْوَلَايَةِ الْمُوَافَقَةُ وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَى أَمْرِ اللهِ تَعَالَى؛ لأَنَّ الْوَلِيَّ قَدْ يَكُونُ فِي النَّسَبِ وَالدِّينِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أَيْ: يُسَاعِدُهُمْ وَيُوَافِقُهُمْ ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الشُّعَرَاء: ٢١٦.

(٢) الْمَائِدَة: ٥١.

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي بَرَاءَةِ الْجُمْلَةِ

وَهِيَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي حَالِ الْبُلُوغِ كَالْوَلاَيَةِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، فَفَرْضُ الْبَرَاءَةِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَحَدٍ بِشَخْصِهِ، فَبَرَاءَةُ الْكَافِرِينَ هَكَذَا تَوْحِيدٌ، وَالتَّرْكُ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ شِرْكٌ، وَالْجَهْلُ بِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِهَا شِرْكٌ، وَكَذَلِكَ الْجَهْلُ بِأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا ثَوَابًا كُفْرٌ وَشِرْكٌ، وَالإِنْكَارُ لِوُجُوبِهَا وَفَرْضِهَا شِرْكٌ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْجِنِّ إِنَّمَا هِيَ جُمْلَةٌ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى أَحَدٍ بِعَيْنِهِ وَإِنْ ظَهَرَ كَلاَمُهُ، وَتُجْزِئُنَا الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ فِي الْجُمْلَةِ كَمَا تُجْزِئُنَا وَلاَيَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ جُمْلَةً، وَلَيْسَ ظُهُورُ الأَصْوَاتِ مِنْهُمْ بِظُهُورٍ، بَلْ ظُهُورُ الأَجْسَادِ[1] وَأَحْكَامُهُمْ بَيْنَهُمْ كَأَحْكَامِ بَنِي آدَمَ

---

(١) ظُهُورُهُمْ بِالأَجْسَادِ لاَ يَصِحُّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: ٢٧)، وَلَقَدْ بَالَغَ الْعُلَمَاءُ فِي إِنْكَارِهِ حَتَّى قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: مَنْ زَعَمَ أَنَّه يَرَى الْجِنَّ أَبْطَلْنَا شَهَادَتَهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا. [حاشية الجمل على شرح منهج الطلاب، ٨/ ٢٣٦]، أَمَّا الإِمَامُ ابْنُ بَرَكَةَ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمَشَارِقَةِ قَالَ بِتَجْرِيحِ مَنْ يَزْعُمُ رُؤْيَةَ الْجِنِّ وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ. وَالْحَقُّ أَنَّ مَا يُشَاهِدُهُ الْبَعْضُ مِمَّنْ لاَ يُتَّهَمُ بِالْكَذِبِ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ، قَالَ عُمَرُ ﷺ: "إِنَّ أَحَدًا لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ لَهُمْ سَحَرَةٌ كَسَحَرَتِكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَأَذِّنُوا" [ذكره ابن حجر: فتح الباري، ٦/ ٣٤٤]. وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ وَقَدْ كُلِّفَ بِتَبْلِيغِهِمْ وَلَمْ يَرَهُمْ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ، بَلْ عَلِمَ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (الجن: ١)، فَكَيْفَ يَصِحُّ لَنَا أَنْ نُثْبِتَ رُؤْيَتَهُمْ لِغَيْرِهِ ﷺ؟! اهـ مُصَحِّحه.

فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَإِنْ ظَهَرُوا كَانَتْ أَحْكَامُهُمْ وَأَحْكَامُنَا وَاحِدَةً؛ لأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ مَلْزُومُونَ مَأْمُورُونَ بِالطَّاعَةِ، مَنْهِيُّونَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ أَوْفَى مِنْهُمْ لِلهِ بِالطَّاعَةِ فَلَهُ عَلَيْهَا الْجَنَّةُ، وَمَنْ لَمْ يُوَفِّ بِالطَّاعَةِ وَاجْتَرَأَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَلَهُ عَلَيْهَا النَّارُ، وَقِيلَ: إِنَّ الْجِنَّ فِي الدُّنْيَا فِي الصَّحَارِي، وَإِنَّ الْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُونَ فِي صَحَارِي الْجَنَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَهُمْ كُلُّهُمُ الْمُطِيعُ مِنْهُمْ وَالْعَاصِي مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْلِيسَ، كَمَا أَنَّ الإِنْسَ كُلَّهُمُ الْمُطِيعُ مِنْهُم وَالْعَاصِي مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ النَّبِيِّ التَّقِيِّ الأَمِينِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

## الفصل الثالث

# فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَذْمُومِينَ فِي الْقُرْآنِ الْمَوْصُوفِينَ بِالإِسَاءَةِ وَالْعِصْيَانِ

**وَهُمْ قِسْمَانِ**: جُمْلَةٌ وَأَفْرَادٌ، **فَالْجُمْلَةُ**: كَقَوْمِ نُوحٍ وَلُوطٍ، وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَأَصْحَابِ الرَّسِّ، وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا، **وَالأَفْرَادُ** نَوْعَانِ، مُسَمًّى: كَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ وَأَبِي لَهَبٍ وَجَالُوتَ، وَغَيْرُ مُسَمًّى: كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ، وَكَالَّذِي آتَاهُ آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا، وَكَالْمَلِكِ الَّذِي يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا، وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الذُّكُورِ، وَكَحَمَّالَةِ الْحَطَبِ، وَامْرَأَةِ نُوحٍ، وَامْرَأَةِ لُوطٍ، وَأَشْبَاهِهِنَّ مِنَ الإِنَاثِ، فَجَمِيعُ مَنْ نَصَّ اللهُ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَوْصُوفِينَ بِالإِسَاءَةِ وَقُبْحِ الثَّنَاءِ فَبَرَاءَتُهُمْ تَوْحِيدٌ، وَوَلاَيَتُهُمْ شِرْكٌ، وَالْفَرْضُ عَلَيْنَا فِيهِمُ الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً، وَالْمَعْرِفَةُ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلاَّ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِتَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِمَّنْ ذَكَرْنَا، فَعَلَيْهِ إِمْضَاءُ الْحُكْمِ فِيهِ بِالْبَرَاءَةِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ بِالْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي لاَ يَتَحَوَّلُ، كَمَنْ صَحَّ عِنْدَهُ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ هُوَ النَّمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ -لَعَنَهُ اللهُ-، وَهُوَ الَّذِي كَفَرَ، وَأَنَّ الَّذِي آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا هُوَ بَلْعَامُ بْنُ بَاعُورَاء، وَقِيلَ: هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1] أَنَّ يُوسُفَ هَذَا غَيْرُ

(١) غَافِر: ٣٤.

يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ﷺ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾[١] أَنَّ هَارُونَ هَذَا لَيْسَ هُوَ بِأَخِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ، وَإِنَّمَا هُوَ أَخٌ لَهَا لأَبِيهَا صَالِحٍ اسْمُهُ هَارُونُ، وَقِيلَ: هُوَ رَجُلٌ فَاسِقٌ، وَإِنَّمَا نَسَبُوهَا إِلَيْهِ تَوْبِيخًا وَتَشْبِيهًا بِالْقَصَّةِ[٢]، فَهَذَا مَا يَأْتِي مُجْمَلاً، فَلاَ يَنْبَغِي لَنَا التَّكَلُّفُ فِي تَفْسِيرِهِ، وَلاَ يَلْزَمُنَا مِنْ عِلْمِ حَقَائِقِهِ أَكْثَرُ مِنَ الإِيمَانِ بِجُمْلَتِهِ عَلَى مَا هُوَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، إِلاَّ أَنْ يَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى تَأْوِيلِ أَحَدٍ، فَذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) مريم: ٢٨.

(٢) سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿﴾ (مريم: ٢٨) وَبَيْنَ عِيسَى وَمُوسَى عليهما السلام مَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: "كَانُوا يُسَمَّوْنَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَبِالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ" [رواه مسلم، باب النَّهْيِ عَنِ التَّكَنِّي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الأَسْمَاءِ، ر٧٥٢١، والترمذي، باب ومن سورة مريم، ر٣١٥٥].

## الفَصْلُ الرَّابِعُ

# فِي الْبَرَاءَةِ مِنْ إِمَامِ الْجَوْرِ وَجَمِيعِ مَنْ تَبِعَهُ عَلَى جَوْرِهِ

وَلاَ يُبْرَأُ مِنْ جَمِيعِ مَنْ كَانَ تَحْتَ وِلاَيَتِهِ؛ لأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ تَحْتَهُ بِالتَّقِيَّةِ، فَيَسُوغُ لَهُمْ ذَلِكَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُكْتَتِمًا بِمَكَّةَ، حَتَّى أَمَرَهُ اللهُ بِالْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَصَارَتِ الْخِلاَفَةُ مُلْكًا وَجَبَرِيَّةً، فَاضْطُهِدَ الإِسْلاَمُ، وَشَمِلَ الْجَوْرُ وَالظُّلْمُ جَمِيعَ الأَنَامِ، فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ تَحْتَ الْجَبَابِرَةِ بِالتَّقِيَّةِ، آخِذِينَ بِالرُّخْصَةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ رَغْبَةً فِي جِهَادِ الأَئِمَّةِ الظَّلَمَةِ، دَاعِيًا إِلَى اللهِ مُنْكِرًا لأَحْكَامِ الْجَوَرَةِ، شَاهِرًا سَيْفَهُ قَاتِلاً مَنْ نَاوَأَهُ وَصَدَّهُ، وَافِيًا لِلهِ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْعَتِهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا فِي ذَاتِ رَبِّهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ أَجَلَهُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَعُفَ عَنِ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ فَأَخَذَ بِالرُّخْصَةِ، فَعَاشَ تَحْتَ الظَّلَمَةِ مُتَمَسِّكًا بِالتَّقِيَّةِ. وَالأَصْلُ فِي هَذَا مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلاَ تَتَقَدَّمُوهَا، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلاَ تُعَلِّمُوهَا، وَأَطِيعُوهُمْ مَا أَقَامُوا فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، فَإِذَا عَصَوْهُمَا فَلاَ طَاعَةَ لَهُمْ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَاجْعَلُوهَا عَلَى عَوَاتِقِكُمْ، وَاضْرِبُوهُمْ بِهَا حتى تُبِيدُوا خَضْرَاءَهُم،وإلاَّ فعِيشُوا تحتَهُم حَرَّاثِينَ فَدَّادِينَ حَتَّى تَلْقَوْنِي بِسُوءِ حَالٍ"[1]. فَالْوَاجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ إِذَا رَأَى دَارًا

(١) [رَوَى جزأه الأول: "قدموا قريشا... ولا تعلمونها" الشافعي: المسند، ومن كتاب الأشربة وفضائل قريش وغيره، ر١٣٣٠، والبيهقي، باب من قال يؤمهم ذو نسب إذا استووا في القراءة

الْغَالِبُ عَلَيْهَا الْجَبَابِرَةُ وَالْحُكَّامُ الْجَوَرَةُ الضَّالَّةُ الْمُضِلَّةُ أَنْ يَنْسُبَ الدَّارَ إِلَيْهِمْ، فَيُسَمِّيَهَا دَارَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، وَيَبْرَأَ مِنْ كُلِّ مَنْ دَانَ بِطَاعَتِهِمْ، مَعَ انْقِيَادِ الرَّعِيَّةِ إِلَى أَحْكَامِهِمُ الْجَائِرَةِ وَدِيَانَتِهِمُ الْعَامَّةِ الْمُسَخَّرَةِ بِطَاعَتِهِمْ، وَيَبْرَأَ مِنْ كُلِّ مَنْ دَانَ بِطَاعَتِهِمْ وَاحْتَطَبَ فِي حِبَالِهِمْ، وَلاَ يَتَوَلَّى مِنْهُمْ أَحَدًا، إِلاَّ مَنْ يَعْرِفُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

والفقه، ر٥٠٨٠، وروى جزأه الثاني: "اسْتَقِيمُوا لِقُرَيْشٍ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَقِيمُوا فَضَعُوا أَسْيَافَكُمْ..." الطبراني: المعجم الأوسط، ر٧٨١٥، والمعجم الصغير، ر٢٠١].

## الفَصْلُ الخَامِسُ

# فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمُرْتَدِّ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلَى الشِّرْكِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ الآيَة[1] وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"[2]، وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ الْمُرْتَدُّ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلَى الشِّرْكِ، فَمَنِ ارْتَدَّ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلَى الشِّرْكِ فَحَقُّهُ الْبَرَاءَةُ وَالسَّيْفُ، لَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ رَأَى اسْتِتَابَتَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ - رَأْيًا مِنْ رَأْيِهِ- وَلاَ تُسْبَى لَهُ ذُرِّيَّةٌ، وَلاَ يُغْنَمُ لَهُ مَالٌ. وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ إِذَا مَضَتْ لَهُ ثَلاَثَةُ أَجْيَالٍ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْغَنِيمَةِ إِذَا دَرَجَتْ بَنُو أَبْنَائِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَقِيلَ فِي الثَّالِثِ مِنْ بَنِي الأَبْنَاءِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالْغَنِيمَةِ، فَإِذَا ارْتَدَّ الرَّجُلُ عَنِ الإِسْلاَمِ فَقَدْ حَلَّ قَتْلُهُ بَعْدَ الاسْتِتَابَةِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ أَزْوَاجُهُ، وَانْقَطَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْوَلاَيَةُ وَالْمُوَارَثَةُ وَالْمُنَاكَحَةُ وَالْمُدَافَنَةُ، وَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ سَاعَةً أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَهُ، وَإِنْ تَابَ جَدَّدَ لَهُ الْعَمَلَ"[3]، وَقَالَ

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢١٧.

(٢) [رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب لا يُعذَّب بعذاب أليم، ر٢٨٥٤، وأبو داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ر٤٣٥١].

(٣) [رَوَاهُ الرَّبِيعُ، باب في ذكر الشرك والكفر، ر٥٩].

تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الشِّرْكِ ثُمَّ اطُّلِعَ عَلَيْهَا، قِيلَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) الزُّمر: ٦٥.

## الفصل السادس

# في البراءة من الخارج من مذهب أهل الحق إلى مذهب أهل الخلاف

فمن خرج من مذهب أهل الحق إلى مذهب أهل الخلاف فتولى أئمتهم وتبرأ من أئمة المسلمين كان واجبا على المسلمين بغضه وعداوته وخلع ولايته حتى يتوب ويرجع إلى المسلمين، فيتولى وليهم ويعادي عدوهم، وإن خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهم وعابه منهم فقد حل قتله واغتياله بأي سبب وصلوا إلى إهلاكه وقتله، كما فعل الإمام الصالح جابر بن زيد[1]

(١) جابر بن زيد الأزدي: هو التابعي الجليل والبحر الزاخر الذي أخبر عن نفسه بقوله: (أدركت سبعين بدريا، فحويت ما عندهم من العلم إلا البحر الزاخر)، يعني ابن عباس. نعم صاحبه وغرف من بحره العذب الطامي ما شاء له استعداده، فتألقت شمسه في سماء ذلك العصر الذهبي خير العصور الذي كان يزخر بأئمة العلم والدين، حتى نال إعجاب شيخه ابن عباس فقال في حقه: (عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد! لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه)، وذات مرة سمع ابن عباس قائلا يقول: (من المصلي فوق الكعبة فإنه لا صلاة له؛ لأنه لا قبلة له)، فقال: (إن كان جابر في شيء من هذه البلاد فهو منه)، فكان الأمر كما تفرس. أما إياس بن معاوية فقد قال: (رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد). كان إمام المذهب الإباضي الأول الذي أرسى قواعده وأحكم بنيانه، فانحدرت منه نسبة الدين، وكان ممن يروي عنه الإمام البخاري الحديث، وتخرج عليه علماء مجتهدون، منهم: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الإمام الثاني للمذهب الإباضي، وضمام بن السائب، وأبو نوح صالح الدهان، وجعفر بن السماك العبدي، وصحار العبدي، وأضرابهم كثيرون، ألف ديوانه المشهور بديوان جابر الذي

حِينَ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ؟ فَقَالَ لِلسَّائِلِ: "أَفْضَلُ الْجِهَادِ قَتْلُ خَرْدَلَةَ"[1]، فَأَخَذَ الْغُلاَمُ خِنْجَرًا فَسَمَّهُ، فَمَضَى مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَعَتَ لَهُ خَرْدَلَةَ فَلَمْ يَرْضَ حَتَّى وَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى خَرْدَلَةَ فَانْصَرَفَ، وَدَخَلَ الْغُلاَمُ فَضَرَبَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَتَلَهُ، فَأُخِذَ الْغُلاَمُ فَقَتَلَهُ الْوَالِي بَعْدَ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَكَانَ خَرْدَلَةُ هَذَا فِيمَا وَجَدْتُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا، فَجَعَلَ يَطْعَنُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَدُلُّ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، بِذَلِكَ اسْتَحَلَّ جَابِرٌ ﷺ قَتْلَهُ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[2].

---

كَانَ مِنَ الأَعْلاَقِ النَّفِيسَةِ فِي خِزَانَةِ بَغْدَادَ الْعَظِيمَةِ الَّتِي ذَهَبَتْ ضَحِيَّةَ النِّيرَانِ فِي فِتْنَةِ التَّتَارِ، وَلَعَلَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَوْسُوعَةٍ أُلِّفَتْ فِي الإِسْلاَمِ؛ لأَنَّ عَهْدَ التَّأْلِيفِ لَمْ يُعْرَفْ فِيهِ إِلاَّ مِنْ عَهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ، وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ، أَيْ سَنَةَ ٢١هـ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ٩٣هـ، وَقِيلَ سَنَةَ ٩٦هـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) خَرْدَلَة: كَانَ هجيراه الطَّعْنُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَالدَّلاَلَةُ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، حَتَّى إِذَا مَا أَغْرَقَ فِي النَّزْعِ وَطَفَّ صَاعُهُ، وَعِيلَ صَبْرُ الإِمَامِ، أَشَارَ بِتَطْهِيرِ الأَرْضِ مِنْ رِجْسِهِ وَفَسَادِهِ، وَلَمْ يَسْتَبِحْ دَمَهُ لأَجْلِ أَنَّهُ خَالَفَ الْمُسْلِمِينَ فِي الرَّأْيِ، كَلاَّ وَحَاشَا الإِمَامَ أَنْ يُشِيرَ بِاغْتِيَالِ مَنْ يُخَالِفُهُ فِي الرَّأْيِ وَهُوَ التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ وَعَالِمُ الْبَصْرَةِ، فَتِلْكَ شَنْشَنَةُ الْخَوَارِجِ الصُّفْرِيَّةِ وَالأَزَارِقَةِ وَالنَّجْدِيَّةِ، وَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قُتِلَ بِدَلاَلَتِهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ظُلْمًا، (وَالدَّالُّ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ يُقْتَلُ)، فَأَمَرَ الإِمَامُ بِقَتْلِهِ قَصَاصًا، وَالزَّمَانُ زَمَانُ الْحَجَّاجِ الَّذِي يَأْخُذُ بِالظِّنَّةِ، وَيَتَعَقَّبُ حَرَكَاتِ الْمُسْلِمِينَ لَعَلَّه يُصِيبُ مِنْهُمْ غِرَّةً أَوْ تَبْلُغُهُ عَنْهُمْ وِشَايَةٌ وإن كاذبة، بل سعى فعلا. قال الشماخي: وكان خردلة قد سعى بجماعة المسلمين فقتلوا [السير، ١/ ٧٦]. هذا وهناكَ خردلةٌ آخَر يجبُ الانتباهُ لهُ حتَّى لا يشتبهَ الواحدُ بالآخَرِ لاتفاقِهما فِي الاسْمِ وَالصِّفَةِ، ذَلِكَ هُوَ خَرْدَلَةُ بْنُ سَمَاعَةَ مِنْ جَبَابِرَةِ بَنِي نَبْهَانَ فِي عُمَانَ الَّذِينَ حَكَمُوا بِالاسْتِبْدَادِ وَالْجَبْرِيَّةِ، وَكَانَ عَلَى سَمَائِلَ، عَاثَ فِيهَا فَسَادًا، وَاسْتَنْزَفَ أَمْوَالَ أَهْلِهَا بِلاَ شَفَقَةٍ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْعَالِمَ الْجَلِيلَ الشَّيْخَ أَحْمَدَ بْنَ النَّظْرِ -صَاحِبَ دِيوَانِ الدَّعَائِمِ- ظُلْمًا، وَأَحْرَقَ كُتُبَهُ وَمُصَنَّفَاتِهِ، فَحَرَمَ الْمَكْتَبَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ مِنْ نَفَائِسِهِ الَّتِي يَنْدُرُ وُجُودُهَا الْيَوْمَ، وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٢.

## الفَصْلُ السَّابِعُ

# فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَخْصُوصِ بِاسْمِهِ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ بِشَخْصِهِ

وَهَذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ.

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: فِي الأَدِلَّةِ عَلَى وُجُوبِ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ، **الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي حُكْمِ بَرَاءَتِهِ، **الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي بَرَاءَةِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ

### [في الاستدلالِ على فَرْضِ براءةِ الأشخاصِ]

اعْلَمْ أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى بَرَاءَةِ الْمَخْصُوصِ أَنَّهَا فَرِيضَةٌ اتِّفَاقُ[1] الْعِلَّةِ فِي بَرَاءَةِ الْجُمْلَةِ، وَهِيَ الْمُخَالَفَةُ فِي الدِّينِ وَالإِتْيَانُ فِيهِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَكَمَا اتَّفَقَتِ الْعِلَّةُ فِي الأَصْلِ فَكَذَلِكَ يَتَّفِقُ الْحُكْمُ فِي الْفَرْعِ، **وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ** الْبَرَاءَةَ مِنَ الْكُفَّارِ جُمْلَةً وَأَفْرَادًا وَتَعْمِيمًا وَتَخْصِيصًا، فَقَالَ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[2]، وقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وَقَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[1]، وَقَالَ فِي الأَفْرَادِ: ﴿وَوَيْلٌ لِّكُلِّ

(١) فِي نُسْخَةٍ: اتِّفَاقًا، وَالْعِلَّةُ إِلَخ. وَلَوْ زَادَ فِي آخِرِ الْجُمْلَةِ (مَعَهَا) لَكَانَتِ الْعِبَارَةُ أَوْضَحَ.
(٢) آل عِمْرَانَ: ١١٨.
(٣) النِّسَاء ١٤٤.

﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٢]، وَقَالَ فِي الْمُنَافِقِ الْمُفْرَدِ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[٣]، فَالْعِلَّةُ الَّتِي اسْتَوْجَبَتْ بِهِ النَّارَ جُمْلَةُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ هِيَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَبِهَا اسْتَوْجَبَهَا الْكَافِرُ الْمُفْرَدُ وَالمنافقُ المفردُ أَيْضًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**ومِنَ السُّنَّةِ** ما رُوي أنَّ النّبيءَ - صلى الله عليه وسلم - قالَ في أَبِي سفيانَ بنِ حربٍ وابنيْهِ عتبةَ ومعاويةَ: «لعنَ اللهُ الرّاكبَ والقائدَ والسّائقَ»[٤]، فِي أمثَالِها كثيرٌ، واللهُ أعلمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِي حُكْمِ [براءةِ الشَّخْصِ المَخْصُوصِ]

اعْلَمْ أَنَّ الْبَرَاءَةَ مِنَ الْمَخْصُوصِ وَاجِبَةٌ عِنْدَ مُقَارَفَةِ الْفِعْلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الْبَرَاءَةَ، فَمَنْ شَاهَدَ مِنْهُ فِعْلَ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ مُصِرًّا عَلَيْهَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْرَأَ مِنْهُ وَإِلاَّ كَانَ مِثْلَهُ. فَالْبَرَاءَةُ يَسْتَحِقُّهَا الْخَارِجُ مِنَ الدِّينِ وَلَوْ بِخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لأَنَّهُ بِذَلِكَ مُسْتَحِقٌّ اسْمَ ظَالِمٍ وَفَاسِقٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِذَا مَاتَ عَلَى ذَلِكَ مُصِرًّا، خِلاَفًا لِلْمُرْجِئَةِ الْقَائِلِينَ إِنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يُرْجَى أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ، أَوْ يُرْجَى لَهُمُ اللهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى خِلاَفًا لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٥]، أَيْ: مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهِ، فَقَلِيلُ الظُّلْمِ وَكَثِيرُهُ سَوَاءٌ فِي بَابِ الإِحْبَاطِ وَالإِسْقَاطِ إِذَا أَصَرَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الْمَاعُون: ٤.
(٢) الْهُمَزَة: ١.
(٣) التَّوْبَة: ٧٥ـ ٧٧.
(٤) [رواه البزار، ر٣٨٣٩، والطبراني: المعجم الكبير، ر٢٦٩٨].
(٥) طَه: ١١١.

فَمَنْ أَخَّرَ بَرَاءَةَ الْمَخْصُوصِ بَعْدَ وُجُوبِهَا أَوْ تَبَرَّأَ مِنْهُ قَبْلَ الْحَدَثِ فَهُوَ هَالِكٌ. وَبَرَاءَةُ الْمَخْصُوصِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْهُ الْكَبَائِرُ طَاعَةٌ غَيْرُ تَوْحِيدٍ، وَتَضْيِيعُهَا كُفْرٌ غَيْرُ شِرْكٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَمَنْ ضَيَّعَ وَلاَيَةَ رَجُلٍ أَوْ بَرَاءَتَهُ حَتَّى مَاتَ فَإِنَّهُ يَتُوبُ مِنْ تَضْيِيعِهِ، فَيَتَوَلاَّهُ أَوْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّالِثُ

## فِي حُكْمِ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ أَوْ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهِ فِي الْخَيْرِ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الأَفْعَالُ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْبَرَاءَةَ فَإِنَّهُ لاَ يُبْرَأُ مِنَ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِي الْخَيْرِ، وَيُعْتَقَدُ فِيهِ أَنَّهُ لاَ يَمُوتُ إِلاَّ بِالتَّوْبَةِ[1]، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِي الشَّرِّ تَوْحِيدٌ، وَوَلاَيَتُهُ شِرْكٌ، كَمَا أَنَّ وَلاَيَةَ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِي الْخَيْرِ تَوْحِيدٌ، وَبَرَاءَتَهُ شِرْكٌ. وَقَدْ قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ﷺ يَوْمَ الْجَمَلِ -وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الأَسِنَّةُ فِي هَوْدَجِ عَائِشَةَ ﷺ-: **"وَاللهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكِ زَوْجُ نَبِيِّنَا فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ لاَ نَدَعُ اللهَ يُعْصَى"**[2]. وَمَا نَزَلَ فِيهَا مِنَ

---

(١) أَيْ هُوَ وَلِيٌّ لِلهِ دَائِمًا وَأَبَدًا وَإِنْ أَشْرَكَ لاسْتِحَالَةِ تَغَيُّرِ عِلْمِهِ تَعَالَى، لَكِنَّ بَعْضَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ كَالإِمَامِ نُورِ الدِّينِ السَّالِمِيِّ يَرَى ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَى حَالَةِ الْحَيَاةِ، وَإِنِ اتَّفَقَ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ عَلَى إِجْرَاءِ الأَحْكَامِ الظَّاهِرِيَّةِ عَلَيْهِ، كَأَنْ يَفْعَلَ مَا يُوجِبُ حَدًّا أَوْ يَرْتَدَّ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، فَإِنَّهَا تَجْرِي عَلَيْهِ بِحَسَبِ إِتْيَانِهِ لِمُوجِبَاتِهَا، فَهِيَ نَافِذَةٌ حُكْمًا ظَاهِرِيًّا عَلَى جَمِيعِ مَنْ فَعَلَ أَسْبَابَهَا الْمُنَاطَةَ بِهَا، أَمَّا إِذَا مَا فَارَقَتْ رُوحُهُ الدُّنْيَا لَزِمَنَا أَنْ نَقْطَعَ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى تَوْبَةٍ مَقْبُولَةٍ وَإِنْ لَمْ نَطَّلِعْ عَلَيْهَا؛ لأَنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَبِضَمِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَبَرَيْنِ إِلَى الآخَرِ يَحْصُلُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ مَاتَ عَلَى تَوْبَةٍ مِنْ شِرْكِهِ، وَإِذَا قَطَعْنَا بِذَلِكَ لَزِمَنَا تَنْزِيلُهُ مَنْزِلَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَجِبُ الصَّلاَةُ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ مِيرَاثُهُ لِوَرَثَتِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَفْنُهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، خِلاَفًا لِجَمْهَرَةِ الأَصْحَابِ الَّذِينَ نَزَّلُوهُ - إِذَا مَاتَ عَلَى حَالَةِ شِرْكٍ فِي الظَّاهِرِ - حَيْثُ نَزَّلَ نَفْسَهُ فِي أَحْكَامِ الظَّاهِرِ، كَتَرْكِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ دَفْنِهِ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَدَمِ مِيرَاثِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ حَالِ حَيَاتِهِ وَحَالَةِ مَوْتِهِ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمُحَقِّقُ أَكْثَرُ مَعْقُولِيَّةً وَأَقْوَمُ قِيلاً. اهـ بِتَصَرُّفٍ مِنْ مَشَارِقِ أَنْوَارِ الْعُقُولِ [ ولاية الجملة وبراءة الجملة، ١/ ٢١٠].

(٢) [رواه البخاري، كتاب الفضائل، باب فضل عائشة...، ر٣٥٦١، وأحمد، ر١٨٣٥٧].

الآيَاتِ دَالٌّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا لَمْ تَلْحَقْ بِالْمَنْصُوصَاتِ حِينَ لَمْ يُذْكَرِ اسْمُهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[1]، وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَدْ سَيَّرَ أَبَا ذَرٍّ، قَالَ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ ارْتَقِبْهُم واصْطَبِرْ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَطَعَ يَمِينِي مَا بَغَضْتُهُ بَعْدَ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ وَمَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ أَصْدَقَ ذِي لَهْجَةٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ"[2]، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي صِدْقِهِ وَبِرِّهِ وَزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا وَرَغْبَتِهِ فِي الآخِرَةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ"[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَبِهِ الْحَوْلُ وَالتَّوْفِيقُ.

---

(١) النُّور: ٢٣ـ ٢٦.

(٢) [رَوَاهُ الترمذي، باب مناقب أبي ذر، ر٣٨٠١، وابن مَاجَةَ، فضل أبي ذر، ر١٥٦].

(٣) [رواه الطبراني: المعجم الكبير، ر١٦٢٦، وابن أبي شيبة، ما جاء في أبي ذر، ر٣٢٢٦٧].

## الفَصْلُ الثَّامِنُ

# فِي الْجِهَاتِ الَّتِي تَصِحُّ بِهَا الْبَرَاءَةُ

**وَهِيَ أَرْبَعٌ، إِحْدَاهَا**: الإِقْرَارُ مِنَ الْفَاعِلِ أَنَّهُ فَعَلَ كَبِيرَةً مِنَ الذُّنُوبِ، أَوْ نَصَبَ الْخَطَأَ دِينًا كَانَ بِهِ عَلَى اللهِ شَاهِدًا[1] وَفِي شَهَادَتِهِ عَلَيْهِ كَاذِبًا، أَوْ قَطَعَ عُذْرَ مَنْ خَالَفَهُ. **الثَّانِيَةُ**: الْمُشَاهَدَةُ لِلإِنْسَانِ الْبَالِغِ الْمُكَلَّفِ عَلَى كَبِيرَةٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَوْ صَغِيرَةٍ مُصِرًّا عَلَيْهَا. **الثَّالِثَةُ**: شَهَادَةُ عَدْلَيْنِ مِمَّنْ تَقُومُ بِهِمَا الْحُجَّةُ فِي الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ[2]، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جَابِرَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ سَمِعَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَتَحَدَّثَانِ حَتَّى ذَكَرَا رَجُلاً فَلَعَنَاهُ، فَقَالَ جَابِرٌ: لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنْتُمَا، فَقَالاَ: كَيْفَ تَلْعَنُ رَجُلاً لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَكَ لَعْنُهُ؟! فَقَالَ: وَأَيُّ إِثْبَاتٍ أَثْبَتُ مِنَ اجْتِمَاعِكُمَا عَلَى لَعْنِهِ؟[3]، وَرُوِيَ أَنَّ ضُمَامًا[4] ﷺ كَانَ مَعَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، فَذَكَرَ رَجُلاً فَنَقَّصَهُ، فَقَالَ

---

(١) وَفِي نُسْخَةٍ: شَهِيدًا.

(٢) وَهَذَا الْقَيْدُ لإِخْرَاجِ الأَمِينِ فِي الأَمْوَالِ فَقَطْ، وَلإِدْخَالِ الْعَدْلِ مِنَ الْعَبِيدِ مَثَلاً. قَالَ الإِمَامُ أَفْلَحُ ﷺ: (وَلاَ يُبْرَأُ مِنَ الْمُسْلِمِ مُطْلَقًا بِشَهَادَةِ الشُّهُودِ حَتَّى يَكُونَ حَاضِرًا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ). وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٣) [ذكر الدرجيني هذا الخبر في الطبقات، ٢/٢١٣].

(٤) ضُمَامُ بْنُ السَّائِبِ الْبَصْرِيُّ: هُوَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ بِالْبَصْرَةِ مِنْ طَبَقَةِ التَّابِعِينَ، أَخَذَ عَنِ الإِمَامِ جَابِرٍ أَبِي الشَّعْثَاءِ، وَهُوَ مِنْ طَبَقَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَحَدُ شُيُوخِهِ، وَقَضِيَّتُهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ تَبَرَّأَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ الْخُرَاسَانِيِّينَ فِي مَجْلِسِ ضُمَامٍ، فَتَبَرَّأَ مِنْهُ ضُمَامٌ، فَقَالَ لَهُ: أَتَبْرَأُ مِنِّي يَا ضُمَامُ؟ قَالَ لَهُ: أَنْتَ أَحْلَلْتَ بِي مَا تَرَى أَلْجَأْتَنِي إِلَيْهِ، أَتَرَى أَنَّكَ تَبْرَأُ مِنْ رَجُلٍ أَتَوَلاَهُ وَأَتَوَلاَّكَ؟ بِئْسَ مَا ظَنَنْتَ! قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ ضُمَامٌ: فَغَفَرَ اللهُ لَكَ. اهـ أَبُو إِسْحَاقَ. [انظر: سير الشماخي، ١/ ٨٧، ٨٨]

ضُمَامٌ: مَهْ لاَ تَفْعَلْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: بَرِئَ اللهُ مِنْهُ، فَقَالَ ضِمَامٌ: بَرِئَ اللهُ مِنْكَ، ثُمَّ أَنَّهُ تَابَ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ضُمَامٌ[١]. وَالرَّابِعَةُ: الشُّهْرَةُ الَّتِي لاَ تُدْفَعُ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ عَرَفَهُ لاَ يَعْرِفُهُ إِلاَّ بِالسُّوءِ، وَمَنْ جَهِلَهُ جَهِلُه، فَالاشْتِهَارُ أَعْظَمُ حُجَّة. وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْمُؤثِرِ[٢] أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الْمَشْهُورَ فِي الْخَيْرِ يُتَوَلَّى بِغَيْرِ شُهُودٍ، وَكَذَلِكَ الْمَشْهُورُ فِي الشَّرِّ يُتَبَرَّأُ مِنْهُ بِغَيْرِ شُهُودٍ"[٣]، وَمَنْ تَبَرَّأَ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَدْ ضَلَّ وَهَلَكَ، وَمَنْ عُرِفَ بِالصَّلاَحِ أَوْ كَانَ مَوْقُوفًا عَنْهُ فَشَهِدَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ عَدْلاَنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

قَالَ الْمُصَحِّحُ: كَانَ ضُمَامٌ مُتَبَحِّرًا فِي الْعُلُوم، وَنَاهِيكَ أَنَّهُ شَيْخُ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ الإِمَامِ التَّابِعِي لِلْمَذْهَبِ، وَكَانَ رَاوِيَةَ جَابِرٍ، حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ، سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ، وَمَا أَخَذَ عَنْ جَابِرٍ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ عَنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ. ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّمَاخِيُّ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَحْبُوبٍ أَنَّ أَبَا الْحرِّ عَلِيَّ بْنَ الْحُصَيْنِ الْعَنْبَرِيَّ قَالَ لأَبِي عُبَيْدَةَ: "أَفِمْ لِلنَّاسِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْمَوْسِمِ فَأَبَى، فَقِيلَ لَهُ: عَلَيْكَ بِضُمَام، فَقَالَ: أَوَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَكْتَفِي بِهِ النَّاسُ؟ قَالُوا: وَفَوْقَ ذَلِكَ، فَأَتَاهُ، فَأَقَامَ لِلنَّاسِ، وَكَثُرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ، وَكَانَ جَوَابُهُ: سَأَلْتُ جَابِرًا، وَسُئِلَ جَابِرٌ، وَسَمِعْتُ جَابِرًا، وَقَالَ جَابِرٌ". [السير، ١/ ٨٨].

(١) [ذكر الدرجيني هذا الخبر في الطبقات، ٢/ ٢٤٨].

(٢) أَبُو الْمُوثِرِ: هُوَ الصَّلْتُ بْنُ خَمِيسٍ الْخَرُوصِيُّ أَحَدُ أَعْلاَمِ الإِسْلاَمِ الْحُصَفَاءِ فِي عُمَانَ، وَكَانَ أَحَدَ رِجَالِ الشُّورَى الَّذِينَ قَامُوا بِبَيْعَةِ الإِمَامِ الصَّلْتِ بْنِ مَالِكٍ الْخَرُوصِيِّ بِعُمَانَ (٢٣٧- ٢٧٢هـ)، وَمُعَاصِرًا لِمُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ وَحَمَلَةِ الْعِلْمِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَكَانَ ﷺ قَوِيَّ الْعَارِضَةِ، مُسْتَحْضِرَ الْحُجَّةِ، وَإِنَّ مَوَاقِفَهُ إِزَاءَ مُشْكِلَةِ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمُهَنَّا بْنِ جيفَرٍ وَمَا حَاجَّ بِهِ خُصُومَهُ لَتَدُلُّ عَلَى أَصَالَةِ رَأْيِهِ، وَغَزَارَةِ عِلْمِهِ، وَبُعْدِ نَظَرِهِ فِي سِيَاسَةِ الأُمَّةِ، وَلَهُ مِنَ التَّآلِيفِ كِتَابُ الأَحْدَاثِ وَالصِّفَاتِ، ذَكَرَ فِيهِ الأَحْدَاثَ الْوَاقِعَةَ فِي أَيَّامِ الصَّلْتِ بْنِ مَالِكٍ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالْبُرْهَانِ. أَمَّا وَفَاتُهُ فَالرَّاجِحُ أَنَّهَا كَانَتْ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ، وَالْبَقَاءُ لِلهِ وَحْدَهُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٣) [ذكره السوفي: السؤالات، ص ٣٨٤].

## الفَصْلُ التَّاسِعُ

# فِي اسْتِتَابَةِ الْمُتَوَلِّي إِذَا قَارَفَ كَبِيرَةً

وَاسْتِتَابَةُ الْمُتَوَلِّي وَاجِبَةٌ إِذَا قَارَفَ ذَنْبًا، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَتِبْهُ فَهُوَ مِثْلُهُ، وَلَكِنَّ اسْتِتَابَتَهُ مِنَ الذَّنْبِ الصَّغِيرِ لاَ يَكُونُ بِتَضْيِيعِهِ كَافِرًا وَاللهُ أَعْلَمُ. وَإِذَا عَايَنَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَوَلِّي كَبِيرَةً مُوبِقَةً كَالزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَالرِّبَا وَالْقَتْلِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكَبَائِرِ الْمُوبِقَةِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ مِنْهُ ثُمَّ يَسْتَتِيبُهُ، فَإِنْ تَابَ رَجَعَ فِي الْوَلاَيَةِ، وَإِنْ أَبَى وَأَصَرَّ تُرِكَ فِي الْبَرَاءَةِ. وَقِيلَ عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَصْحَابِنَا فِي الْمُتَوَلِّي إِذَا قَارَفَ كَبِيرَةً أَنَّهُ يُسْتَتَابُ قَبْلَ الْبَرَاءَةِ، فَإِنْ لَمْ يَتُبْ بُرِئَ مِنْهُ إِلاَّ فِي فَاحِشَةَ الزِّنَى فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ فِي حِينِ الْفِعْلِ ثُمَّ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ رَجَعَ فِي الْوَلاَيَةِ وَإِنْ أَصَرَّ تُرِكَ فِي الْبَرَاءَةِ[1]، وَأَمَّا مَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً مِنْ أَهْلِ الْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ، فَإِنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُبْرَأَ مِنْهُ فَلاَ يُبْرَأُ مِنْهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ، وَلَكِنْ يُرَدُّ إِلَى حَالَةٍ مِنَ

---

(١) وَهَذَا الْقَوْلُ فِي غَايَةٍ مِنَ الْمَعْقُولِيَّةِ لَوْلاَ اسْتِثْنَاؤُهُ فَاحِشَةَ الزِّنَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْفَوَاحِشِ. وَلِمَ؟ أَتَكُونُ أَقْبَحَ مِنَ الرِّبَا مَثَلاً؟ وَلَئِنْ قَالَ اللهُ فِي حَقِّ الزِّنَا: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)، فَقَدْ قَالَ فِي حَقِّ الرِّبَا: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، وَقَالَ: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٧٩)، وَهُوَ أَشَدُّ تَهْدِيدًا فِي بَابِ الْوَعِيدِ، وَأَبْلَغُ مِمَّا وَرَدَ فِي الزِّنَا، وَلَوْ أَطْلَقَ وَلَمْ يَسْتَثْنِ لَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى رُوحِ التَّشْرِيعِ. اهـ مُصَحِّحه.

الْوُقُوفِ، وَقَالَ مَنْ قَالَ: يُبْرَأُ مِنْهُ وَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ[١]، وَعَلَى الْقَوْلِ الأَوَّلِ إِنْ سَبَقَهُ إِلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ مِنْهُ فَلاَ يَبْرَأُ مِنْهُ، وَلَكِنْ يُرَدُّ إِلَى الْوُقُوفِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَإِذَا اسْتُتِيبَ الْمُتَوَلَّى مِنْ فِعْلِ الْكَبِيرَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا إِلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، قَالَ بَعْضٌ: يُتْرَكُ فِي الْبَرَاءَةِ. وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: إِنْ أَقْبَلَ فَأَقْبِلْ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَأَدْبِرْ عَنْهُ[٢]، وَهَذَا عِنْدِي أَصَحُّ؛ لأَنَّ التَّوْبَةَ مَبْسُوطَةٌ مَا لَمْ يَتَغَرْغِرِ الْعَبْدُ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ. فَكَمَا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا اسْتِتَابَتُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ[٣]، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ[٤] ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "يُسْتَتَابُ حَتَّى يَكُونَ الشَّيْطَانُ هُوَ الْخَاسِر"، وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[٥].

**وَالْمُتَوَلِّى بِوَلاَيَةِ الْبَيْضَةِ قِيلَ:** إِنَّهُ لاَ يَلْزَمُنَا اسْتِتَابَتُهُ إِذَا قَارَفَ كَبِيرَةً[٦]، وَمَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً فَاسْتُتِيبَ مِنْهَا فَتَابَ، ثُمَّ أَنْكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: لَمْ أَتُبْ قَطُّ مِمَّا فَعَلْتُ، مُتَمَادِيًا مُصِرًّا فَإِنَّهُ يُبْرَأُ

---

(١) هَذَا بَاطِلٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَتَشْدِيدٌ تَأْبَاهُ سَمَاحَةُ الإِسْلاَمِ، كَيْفَ وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثًا شَرِيفًا أَنَّ: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ" [باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، ر٧٠٣٦].

(٢) [ذكره السوفي: السؤالات، ص ٢٠١].

(٣) يُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً" [رواه أبو داود، باب في الاستغفار، ر١٥١٦]، وَقَالَ ﷺ: "تَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا" [رواه البخاري، باب الجلوس على الحصير ونحوه، ر٥٥٢٣، ومسلم، باب فضيلة العمل الدائم...، ر١٨٦٣]، وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: فُلاَنَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: "مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ! فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ". [رَوَاه البخاري، باب أحب الدين إلى الله أدومه، ر٤٣، وأحمد، ر٢٤٢٩٠].

(٤) سَيَأْتِي التَّعْرِيفُ بِهِ قَرِيبًا.

(٥) [انظر السوفي: السؤالات، ص ٢٠١].

(٦) وَلِمَ ذَلِكَ؟ أَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؟!

مِنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْ عَالِمٍ وَاحِدٍ أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ يُبْرَأُ مِنْهُ فَقَبِلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ مِنْ كُلِّ مَنْ رَآهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ الْفِعْلَ إِذَا كَانَ عَاقِلاً، وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ ذَلِكَ عَنِ الْعَالِمِ فَرَأَى مَنْ يَفْعَلُهُ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْعَالِمَ، فَأَفْتَاهُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَبْرَأُ مِنْهُ إِلاَّ بِأَمِينَيْنِ، فَبِذَلِكَ تَقُومُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَيَنْقَطِعُ عُذْرُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالْمُتَوَلَّى إِذَا فَعَلَ كَبِيرَةً فَاسْتُتِيبَ فَقَالَ: تُبْتُ مِنْ جَمِيعِ ذُنُوبِي؛ هَكَذَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى الذَّنْبِ الَّذِي فَعَلَهُ، فَقِيلَ: لاَ يُجْزِئُهُ حَتَّى يَقْصِدَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَقِيلَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَالرَّجُلُ الْمُتَوَلَّى إِذَا قَالَ: بَرِئَ مِنِّي فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، وَهُمَا مُتَوَلِّيَانِ فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ، وَإِنْ قَالَ: قَدْ بَرِئَ مِنِّي فُلاَنٌ الْمُتَوَلِّي، عَلَى غَيْرِ مَا اسْتَحَقَّ، فَقَدْ رَمَاهُ بِكَبِيرَةٍ، فَلاَ مَخْرَجَ لِلرَّامِي مِنَ الْبَرَاءَةِ. فَمَنْ قَالَ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَفْعَالِ: إِنَّ هَذَا الْفِعْلَ كَبِيرَةٌ أَوْ كُفْرٌ، ثُمَّ فَعَلَهُ فَهُوَ إِلَى الْبَرَاءَةِ أَقْرَبُ، وَإِذَا قَالَ: بَرِئْتُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ، وَهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ فَهُوَ هَالِكٌ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَهْلَ وُقُوفٍ فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ.

وَالْمُتَوَلِّيَانِ إِذَا فَعَلَ أَحَدُهُمَا فِعْلاً لاَ يَدْرِي مَا هُوَ فَبَرِئَ مِنْهُ الآخَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَبَرِئَ مِنْهُ الْفَاعِلُ أَيْضًا، فَلَيْسَ عَلَى السَّامِعِ شَيْءٌ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مَعَ أَحَدِهِمَا مُتَوَلًّى آخَرُ وَالْمُتَوَلِّيَانِ حُجَّةٌ عَلَى السَّامِعِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ**: وَفِي بَعْضِ أَثَرِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ يَقُولُ فِيهِ: "وَقَدْ أَدْرَكْنَا الْمُسْلِمِينَ يَتَبَرَّأُونَ مِنَ النَّاسِ عَلَى الأَعْمَالِ الْمُكَفِّرَةِ لَهُمْ، مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ، وَمِنْ أَهْلِ الأَحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِمَا شَهِرَ مَعَهُمْ مِنْ قَبِيحِ آثَارِهِمْ وَمَسَاوِئِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي اسْتَحَلُّوا بِهَا مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدُوا أَحْدَاثَهُمْ، وَلَمْ يُدْرِكُوا زَمَانَهُمْ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَهُمْ بِهَا مَنْ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ شُهْرَةَ

أَعْمَالِهِمْ قَامَتْ عِنْدَهُمْ مَقَامَ الْمُعَايَنَةِ مِنْهُمْ لَهَا، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُشْتَهَرْ مَعَهُمْ لَهُ اسْمٌ وَلاَ عَمَلٌ مِنْ أَهْلِ الإِنْكَارِ وَلاَ مِنْ أَهْلِ الأَحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْحُجَّةُ، أَوْ شَهِرَتْ مَعَهُمْ أَسْمَاؤُهُمْ وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ بِأَحْدَاثِهِمْ كَانَتِ الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ مَوْضُوعَةً عَنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، فَإِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِمْ وَأَحْدَاثِهِمْ لَزِمَتْهُمُ الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ لَوْ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُشْتَهَرْ مَعَهُ تَكْذِيبُ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام وَلاَ غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ كَانَتِ الْبَرَاءَةُ عَنْهُ مَوْضُوعَةً حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ كَمَا قَدَّمْنَا، وَكَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَسْمَعْ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الأَحْدَاثِ فِي الإِقْرَارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ، أَوْ سَمِعَ بِهِمْ وَلَمْ يَسْمَعْ بِأَحْدَاثِهِمُ الشَّاهِرَةِ عَنْهُمْ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ شَهِرَتِ الأَحْدَاثُ مِنْهُمْ كَانَتِ الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ مَوْضُوعَةً عَنْهُ حَتَّى تُشْتَهَرَ مَعَهُ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَحْدَاثُهُمْ، أَوْ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِذَلِكَ، أَوْ يُشْتَهَرَ مَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ"[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

---

(١) [انظر الكندي: بيان الشرع، ٣/ ٥٢، ٥٣ بتصرف].

(٢) إِنَّ الْبَحْثَ وَرَاءَ أَحْدَاثِ مَنْ سَبَقَنَا لِلتَّحَقُّقِ مِنْ حَالَةِ أَشْخَاصٍ خَاضُوا فِي فِتَنٍ مُنِيَتْ بِهَا أُمَّةُ الإِسْلاَمِ عَبْرَ تَارِيخِهَا كَفِتْنَةِ الصَّحَابَةِ مَثَلاً، لَيْسَ مِنْ وَرَائِهِ فَائِدَةٌ وَلاَ أَثَرٌ مَحْمُودٌ يَنْفَعُ الأُمَّةَ فِي مُسْتَقْبَلِهَا، بَلْ بِالْعَكْسِ لاَ يَزِيدُ شَمْلَهَا إِلاَّ تَشْتِيتًا، وَلاَ شِقَّةَ الْخِلاَفِ بَيْنَهَا إِلاَّ انْفِرَاجًا، عَلَى أَنَّ التَّوَصُّلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا النَّفْسُ يَصْعُبُ جِدًّا، مَعَ مَا نَرَاهُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ مِنْ تَضَارُبِ أَخْبَارِهَا وَاخْتِلاَفِ رِوَايَاتِهَا وَكَثْرَةِ التَّدْلِيسِ فِيهَا عَمْدًا أَوِ انْسِيَاقًا مَعَ الْهَوَى، أَوْ خُضُوعًا لِلسِّيَاسَةِ الْغَاشِمَةِ الَّتِي تَصْبُغُ الْحَوَادِثَ بِاللَّوْنِ الَّذِي يَحْلُو لَهَا، وَعَلَيْهِ فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي يَسْتَبْرِئُ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ أَنْ لاَ يُفْنِيَ عُمْرَهُ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ هَنَاتِ أَشْخَاصٍ أَصْبَحُوا فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ، وَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْ ذَلِكَ بِبَرَاءَةٍ الْجُمْلَةِ، وَيَكِلَ أَمْرَ التَّفْصِيلِ إِلَى مَنْ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَإِذَا كَانَ الإِمَامُ الْعَادِلُ أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرُّسْتُمِيُّ يَقُولُ فِي كَلِمَتِهِ الرَّصِينَةِ: (لاَ يُبْرَأُ مِنَ الْمُسْلِمِ مُطْلَقًا بِشَهَادَةِ الشُّهُودِ حَتَّى يَكُونَ حَاضِرًا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ). فَمِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ نُحْضِرَ مَنْ تَغْلَغَلَ فِي أَحْشَاءِ الْقِدَمِ لِيَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ؟!

وَلِلْعَلاَّمَةِ خَلْفَانَ بْنِ جَمِيلٍ السِّيَابِيِّ - مِنْ عُلَمَاءِ عُمَانَ الْمُعَاصِرِينَ الْمُتَوَفَّى (١٥ شَعْبَان ١٣٩٢) - كَلاَمٌ نَفِيسٌ فِي الْمَوْضُوعِ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ وُجِّهَ إِلَيْهِ نَصُّهُ: مَا بَالُنَا نَرَى الأَصْحَابَ مُنْقَسِمِينَ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الْفِتْنَةِ؛ بَعْضٌ يُشَدِّدُ، وَبَعْضٌ يَتَوَقَّفُ، وَبَعْضٌ يُوَالِي، وَمَبْدَأُ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ؟ قَالَ رحمه الله: "أَمَّا الْقَوْلُ فِي الْفِتَنِ الَّتِي كَانَتْ نِيرَانُهَا مُشْتَعِلَةً بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَلاَ تَزَالُ

فَالْخَطْبُ سَهْلٌ، فَتِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا أَيْدِينَا فَلْنُطَهِّرْ مِنْهَا أَلْسِنَتَنَا ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ (البقرة: ١٣٤، ١٤١). فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ فِي الْوَلَايَةِ قَبْلَ الافْتِرَاقِ، أَمَّا بَعْدَ الافْتِرَاقِ فَمَنْ تَوَقَّفَ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْفِتْنَةِ فَهُوَ عَلَى حَالِهِ فِي الْوَلَايَةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ دَخَلُوا الْفِتْنَةَ وَاقْتَتَلُوا فَأَصْحَابُنَا الأَوَّلُونَ حَكَمُوا عَلَى كُلٍّ بِمَا عَايَنُوهُ فِيهِ أَوْ صَحَّ عِنْدَهُمْ، لَكِنْ طَالَ الزَّمَانُ وَتَسَاهَلَ النَّاسُ فِي نَقْلِ مَا كَتَبُوا، فَقَدْ قَلَّتِ الأَمَانَةُ، وَكَثُرَتِ الأَهْوَاءُ، وَعَمَّ التَّعَصُّبُ بِسَبَبِ الْجَهْلِ، فَلَمْ يَتَحَتَّمْ عَلَيْنَا التَّنْقِيبُ وَالْبَحْثُ عَنْ خَفِيَّاتِ مَنْ مَضَى، وَالسِّتْرُ مَطْلُوبٌ، وَإِنْ أَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تَحْتَكِمَ فَاحْكُمْ فِيهِمْ بِمَا تَسْتَيْقِنُهُ مِنْهُمْ بِلاَ رَيْبٍ، وَأَمَّا مَا تَغَيَّبَ أَوْ يَخْفَى أَوِ ارْتَبْتَ فِيهِ فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّفَ، وَلاَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُقَلِّدَ مَنْ سَبَقَ فِي دِينِنَا، بَلْ لاَ نَحْكُمُ إِلاَّ بِعِلْمِنَا فِيهِمْ، سِيَّمَا وَالشَّكُّ وَالتَّحْرِيفُ مُحْتَمِلاَنِ فِي النَّقْلِ عَنْهُمْ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، فَلْنَكْتَفِ بِوَلَايَةِ الْجُمْلَةِ فِيمَا غَابَ عَنَّا عِلْمُهُ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا وَيُلْهِمَنَا رُشْدًا. اهـ

مَا أَعْذَبَهُ كَلاَمًا وَأَعْدَلَهُ حُكْمًا! فَلَقَدْ وَقَفَ مَوْقِفًا مُعْتَدِلاً أَبَانَ فِيهِ عَنْ صِحَّةِ عَقِيدَةٍ وَاسْتِبْرَاءٍ لِلدِّينِ وَالْعِرْضِ؛ إِذِ احْتَرَسَ عَنِ الْخَوْضِ فِي قَضِيَّةٍ شَائِكَةٍ لاَ يُؤْمَنُ فِيهَا الزَّلَقُ وَالزَّلَلُ، نَاهِيكَ أَنَّهَا تَنَاوَلَ سَلَفَنَا الصَّالِحَ وَرَعِيلَنَا الأَوَّلَ الَّذِي كَانَ الْوَاسِطَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِنَا الأَعْظَمِ ﷺ فِي تَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَتَلَقَّوْهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَقَادَمَ الْعَهْدُ وَكَثُرَتِ الأَهْوَاءُ وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ، فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ حَتَّى فِيمَا سَطَّرَهُ بَعْضُ ثِقَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ قَضَايَا تِلْكَ الْفِتَنِ الْكُبْرَى يَجِدْ بَيْنَهَا اخْتِلاَفًا كَثِيرًا لاخْتِلاَفِ الْمَصَادِرِ الَّتِي اسْتَقَوْا مِنْهَا مَعْلُومَاتِهِمْ، فَكَانَتِ السَّلاَمَةُ حَقًّا فِي الْكَفِّ عَنْ تَعَصُّفِ تِلْكَ الْمَجَاهِيلِ، وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ خَاضُوا فِي هَذِهِ الْفِتَنِ بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ- سِيَّمَا الَّذِينَ أَسْرَفُوا مِنْهُمْ فِي الطَّعْنِ- تَنَزَّهُوا وَتَوَقَّفُوا كَمَا فَعَلَ عَلاَّمَتُنَا الْجَلِيلُ، وَكَرَّسُوا حَيَاتَهُمْ فِي إِصْلاَحِ حَاضِرِ الْمُسْلِمِينَ وَعَمِلُوا بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ (البقرة: ١٤١) لَتَجَافَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الفِتَنِ وَالْبَلاَيَا الَّتِي عَانَتْهَا الأُمَّةُ عَبْرَ الْقُرُونِ وَلاَ تَزَالُ، وَالأَمْرُ لِلهِ، عَصَمَنَا اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَهَدَى الأُمَّةَ إِلَى مَا فِيهِ وَحْدَتُهَا وَعِزَّتُهَا. اهـ مُصَحِّحه.

## الفَصْلُ العَاشِرُ

# فِي حَقِيقَةِ الْوَلَايَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَوَلَايَةِ اللهِ فِي الْعِبَادِ وَأَلْفَاظِ الْوَلَايَةِ وَالْبَرَاءَةِ

وَهَذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ

## فِي حَقِيقَةِ الْوَلَايَةِ وَالْبَرَاءَةِ

**اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ الْوَلَايَةِ** كَمَا قَدَّمْنَا هِيَ: الْمُوَافَقَةُ فِي الشَّرِيعَةِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ: ﴿**وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟**﴾[1]، **وَالْبَرَاءَةُ أَيْضًا حَقِيقَتُهَا**: الْمُفَارَقَةُ لِلْكُفَّارِ، وَأَكْثَرُ شُرُوطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا لِمَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ أَنْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ وَيَكُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ[2] هَذَا نَفْسُ الْوَلَايَةِ وَالْبَرَاءَةِ، وَسَائِرُ ذَلِكَ تَوَابِعُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، فَكُلُّ مَا جَازَ فِي الْوَلَايَةِ مِنَ الْمَحَبَّةِ بِالْقُلُوبِ وَالتَّوَادُدِ بِالْجَوَارِحِ وَسَائِرِ حُقُوقِ أَهْلِهَا مِنَ الإِسْعَافِ

(١) آل عِمْرَان: ١٠٣.

(٢) مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟**﴾ (الأنفال: ٧٢)، وَقَوْلُهُ: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً**﴾ الآية (النساء: ٩٧)، وَقَوْلُهُ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ (التوبة: ١١٩).

وَالاسْتِغْفَارِ وَالتَّرَحُّمِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُوَافَقَةِ فِي الشَّرِيعَةِ، جَازَ فِي الْبَرَاءَةِ مِثْلُهُ مِنَ الْبُغْضِ بِالْقَلْبِ، وَالشَّتْمِ بِاللِّسَانِ، وَالْقَطِيعَةِ، وَتَرْكِ الاسْتِغْفَارِ لأَهْلِهَا، وَمُفَارَقَتِهِمْ عَلَيْهَا؛ لأَنَّ مَا جَازَ فِي شَيْءٍ جَازَ فِي ضِدِّهِ خِلاَفُهُ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الأَئِمَّةِ فِيمَا وَجَدْتُ؛ لأَنَّ مَنِ انْعَرَى مِنْ مَحَبَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَوَدَّتِهِمْ لَنْ يَنْتَهِيَ دُونَ بُغْضِهِمْ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِي وَلاَيَةِ اللهِ فِي الْعِبَادِ

اعْلَمْ أَنَّ وَلاَيَةَ اللهِ فِي الْعِبَادِ الْعِلْمُ بِمَا يَسْتَوْجِبُونَ مِنَ الثَّوَابِ، وَكَذَلِكَ عَدَاوَتُهُ الْعِلْمُ بِمَا يَسْتَوْجِبُونَ مِنَ الْعِقَابِ، وَفِي جَوَابَاتِ الإِمَامِ أَفْلَحَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رحمه الله يَقُولُ: "وَذَكَرْتُ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ وَرَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللهُ عز وجل فِي الْقُرْآنِ: إِنْ كَانُوا مَعْصُومِينَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَالَ: مَدَحَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِمَحَاسِنِهِمْ، وَسَكَتَ عَنْ مَسَاوِئِهِمْ، وَذَمَّ أَهْلَ النَّارِ بِمَسَاوِئِهِمْ، وَسَكَتَ عَنْ مَحَاسِنِهِمْ"[2]، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه مِثْلُ ذَلِكَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ تَعَالَى عَادَى فَلَمْ يُوَالِ، وَوَالَى فَلَمْ يُعَادِ"، وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ فِيمَا بَلَغَنَا عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُوَالٍ وَمُعَادٍ لَمْ يَزَلْ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ

(١) الْمُمْتَحنَة: ٤.

(٢) [لم أقف على قول الإمام أفلح].

وَقَبَائِلِهِمْ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ الصَّلاَةِ - فِيمَا وَجَدْتُ - اخْتِلاَفٌ فِي هَذَا الأَصْلِ(١)، وَاخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ، فَزَعَمَ ابْنُ الْحُسَيْنِ وَالنُّكَّاثُ - فِيمَا وَجَدْتُ - أَنَّ وَلاَيَةَ اللهِ لأَوْلِيَائِهِ وَعَدَاوَتَهُ لأَعْدَائِهِ تَتَقَلَّبَانِ عَلَى تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ فِي أَعْمَالِهِمْ: إِنْ عَمِلُوا بِالإِيمَانِ فَاللهُ وَلِيُّهُمْ، وَإِنْ عَمِلُوا بِالْكُفْرِ فَاللهُ عَدُوُّهُمْ، عَلَى أَيِّ حَالٍ انْقَلَبُوا وَكَانُوا بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ، فَقَالُوا: إِنَّهُمْ يَتَحَوَّلُونَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَى عِلْمِهِ. وَقَالَ أَصْحَابُنَا وَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ: إِنَّ وَلاَيَةَ اللهِ وَعَدَاوَتَهُ لاَ تَتَقَلَّبَانِ، وَإِنَّ مَنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الإِيمَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ وِلاَيَتِهِ وَسُكَّانِ جَنَّتِهِ وَإِنْ كَانَ يَعْمَلُ بِالشِّرْكِ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ، وَإِنَّ مَنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَتِهِ وَإِنْ كَانَ يَعْمَلُ بِالطَّاعَةِ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ، وَاحْتَجُّوا فِي ذَلِكَ بِأَنَّ عِلْمَ

---

(١) يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: "فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا" [رواه البخاري، كتاب القدر، ر١٢٢٦]، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: "خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعَهُ كِتَابَانِ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى كَفَّيْهِ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟ قُلْنَا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الَّذِي فِي يَمِينِي فِيهِ بِاسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ وَعَدَدِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرُّوا فِي الأَرْحَامِ، إِذْ هُمْ فِي الطِّينَةِ مُنْجَدِلُونَ، فَلَيْسَ بِزَائِدٍ فِيهِمْ وَلاَ نَاقِصٍ مِنْهُمْ إِجْمَالاً مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي فِي يَسَارِي هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَسْمَاءِ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ وَعَدَدِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرُّوا فِي الأَرْحَامِ، إِذْ هُمْ فِي الطِّينَةِ مُنْجَدِلُونَ، فَلَيْسَ بِزَائِدٍ فِيهِمْ وَلاَ نَاقِصٍ مِنْهُمْ إِجْمَالاً مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا وَلاَ تَغْتَرُّوا، فَكُلُّكُمْ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَصَاحِبَ أَهْلِ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ" [رواه الترمذي، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار، ر٢١٤١].

قَالَ الْمُحَشِّي: فَذَكَرَ الْعَدَدَ فِي كُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِزَائِدٍ فِيهِمْ وَلاَ نَاقِصٍ مِنْهُمْ، وَهَذَا مِمَّا يُكَذِّبُ الْقَوْلَ بِالْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ؛ لأَنَّهُ لَوْ خَرَجَ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَحَصَلَتِ الزِّيَادَةُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالنُّقْصَانُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَمِمَّا يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى عَدَمِ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧)، فَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا خَتَمَ لَهُ بِالْخَيْرِ، فَنَسْأَلُهُ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ آمِينَ. اهـ مُصَحِّحه.

اللهِ لاَ يَتَحَوَّلُ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ[١] وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَلاَ أَعْلَمُ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتِلاَفًا، وَقَدْ ذَكَرْتُ احْتِجَاجَ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ مُسْتَقْصًى فِي كِتَابِ شَرْحِ قَصِيدَةِ الشَّيْخِ أَبِي نَصْرٍ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ[٢].

---

(١) أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ التَّمِيمِيُّ. لمن قَالَ الشَّاعِرُ [ابن دريد]:

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمْرٌ عَنَا

فَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَخْلُقُ أَجْيَالاً، وَيُحْيِي أُمَمًا، وَيُنْشِئُ دُوَلاً، وَيَسْعَدُ عَلَى يَدَيْهِ أَقْطَارٌ وَأَوْطَانٌ، وَمِنْ هَؤُلاَءِ الإِمَامُ التَّابِعِيُّ أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ التَّمِيمِيُّ الْمَشْهُورُ بِالأَعْوَرِ وَبِالْقَفَّافِ؛ لأَنَّهُ يَحْتَرِفُ صِنَاعَةَ الْقِفَافِ وَيَرْتَزِقُ بِهَا هُوَ وَطَلَبَتُهُ - وَهِيَ كَمَا تَرَى - حِرْفَةٌ شَرِيفَةٌ تَسُدُّ الضَّرُورَةَ وَلاَ تُشْغِلُ عَنْ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ.

كَانَتْ مَدْرَسَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ - رَغْمَ مَا يَكْتَنِفُهَا مِنْ مُضَايَقَاتِ الْحَجَّاجِ وَمُعَاكَسَاتِهِ - مَصْدَرَ إِشْعَارٍ دِينِيٍّ أَضَاءَ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، فَبِاللهِ مَا أَبْرَكَهَا عَلَى الإِسْلاَمِ! فَقَدْ تَخَرَّجَ مِنْهَا الْعَلاَّمَةُ الْبَغْطُورِيُّ الَّذِي عَادَ إِلَى لِيبِيَا وَانْقَطَعَ لِنَشْرِ الْعِلْمِ تَدْرِيسًا وَإِفْتَاءً، وَظَلَّ هُنَاكَ مُرَابِطًا، وَبَارَكَ اللهُ فِي عُمُرِهِ إِلَى أَيَّامِ الإِمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرُّسْتُمِيِّ، فَكَانَ سَاعِدَهُ الأَيْمَنَ فِي قَمْعِ الظَّالِمِينَ وَالْمُفْسِدِينَ، كَمَا تَخَرَّجَ مِنْهَا الْعَلاَّمَةُ سَلَمَةُ بْنُ سَعْدٍ رَائِدُ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الصَّافِيَةِ مِنْ شَوَائِبِ الْبِدَعِ وَالْخُرَافَاتِ، الَّذِي طَافَ أَنْحَاءَ الْمَغْرِبِ وَدَعَا أَقْوَامَهُ إِلَى اللهِ، فَأَيْقَظَ مِنْهُمْ عُيُونًا غَافِيَةً، وَأَهَابَ بِقَبَائِلِ الْبَرْبَرِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَأَلْهَبَ نُفُوسَهُمْ إِلَى الْعِلْمِ وَالاكْتِرَاعِ مِنْ يَنَابِيعِهِ الصَّافِيَةِ، وَأَلْفَتَ نَظَرَهُمْ إِلَى مَدْرَسَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالْبَصْرَةِ، فَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنِ الْتَحَقَ بِهَا مَنْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعِيدَ لِلإِسْلاَمِ بَشَاشَتَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، أُولَئِكَ هُمْ حَمَلَةُ الْعِلْمِ إِلَى الْمَغْرِبِ الَّذِينَ أَسَّسُوا دَوْلَتَيْ أَبِي الْخَطَّابِ بِطَرَابُلُسَ وَالْقَيْرَوَانِ، وَدَوْلَةَ بَنِي رُسْتُمَ بِتَاهِرْتَ، وَمِنْ خِرِّيجِي مَدْرَسَتِهِ حَمَلَةُ الْعِلْمِ إِلَى الْمَشْرِقِ الَّذِينَ انْتَزَعُوا عُمَانَ مِنْ أَيْدِي الْجَبَابِرَةِ، وَأَقَامُوا بِهِ إِمَامَةً أَحْيَوْا بِهَا سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، كَمَا أَزَالَ مُرِيدُوهُ مَعَالِمَ الْجَوْرِ مِنَ الْيَمَنِ وَحَضْرَمُوتَ، وَعَلَى أَيْدِيهِمْ وَبِمَشُورَتِهِ كَانَتْ إِمَامَةُ عَبْدِ اللهِ طَالِبِ الْحَقِّ الَّتِي بَسَطَتْ نُفُوذَهَا عَلَى الْيَمَنِ وَسَائِرِ الْحِجَازِ، وَإِنْ لَمْ يَطُلْ أَمَدُهَا. هَذَا بَعْضُ مَا تَمَّ عَلَى يَدَيْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ، وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يُسَمَّى (جُنْدِيَّ الإِسْلاَمِ الْمَجْهُولَ)، ثُمَّ لاَ غَرْوَ أَنْ يَقُولَ فِيهِ الْخَلِيفَةُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ إِذْ بَلَغَهُ مَوْتُهُ: "أَوَقَدْ مَاتَ؟ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذَهَبَتِ الإِبَاضِيَّةُ" [سير الشماخي، ١/ ٩١]. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي خِلاَفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ حَوَالَيْ سَنَةِ ١٥٠هـ رَحِمَ اللهُ تِلْكَ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ وَالرُّوحَ الْجَبَّارَةَ الَّتِي دَكَّتْ صُرُوحَ الْقَاسِطِينَ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. اهـ مُصَحَّحه.

(٢) يُشِيرُ إِلَى شَرْحِهِ لِقَصِيدَةِ أَبِي نَصْرٍ النُّونِيَّةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا:

سَلاَمٌ عَلَى الإِخْوَانِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِنَجْدٍ وَخِيفٍ وَالسَّهُولَةِ وَالْحَزْنِ [الجيطالي: شرح النونية، ٢/ ٢٣، شرح البيت ٣٤].

مَسْأَلَةٌ: وَوَلاَيَةُ الْعِبَادِ فِي اللهِ قَبُولُ أَوَامِرِهِ بِالامْتِثَالِ، وَزَوَاجِرِهِ بِالانْتِهَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّالِثُ

## فِي مَا يَجُوزُ مِنَ الأَلْفَاظِ فِي الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَمَا لاَ يَجُوزُ

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ وَجَبَتْ وَلاَيَتُهُ فَقَدْ وَجَبَ تَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ عَلَى مَنْ تَوَلاَّهُ، وَيُحِبُّ لَهُ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَدْعُو لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ بَرَاءَةُ رَجُلٍ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ بُغْضُهُ وَإِهَانَتُهُ وَتَحْقِيرُهُ، وَلاَ يَدْعُو لَهُ بِدُعَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ بِكُلِّ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ قَالَ لِلْمُسْلِمِ يَا عَدُوَّ اللهِ، أَوْ يَا كَافِرُ، أَوْ يَا ضَالُّ، أَوْ يَا فَاسِقُ، أَوْ قَاتَلَكَ اللهُ، أَوْ ذَمَّكَ اللهُ، أَوْ لَعَنَكَ اللهُ، أَوْ أَخْزَاكَ اللهُ، أَوْ أَضَلَّكَ اللهُ، أَوْ أُفٍّ لَكَ، أَوْ سُحْقًا لَكَ، أَوْ بُعْدًا لَكَ، أَوْ قَبَّحَكَ اللهُ، أَوْ حَشَرَكَ اللهُ عَلَى شَبَهِ الْيَهُودِ أَوْ دِينِ الْكُفْرِ، وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّ الدُّعَاءَ بِالشَّرِّ كُلَّهُ فِي الآخِرَةِ بَرَاءَةٌ كَانَ الْمَدْعُوُّ عَلَيْهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، وَالدُّعَاءَ الْحَسَنَ كُلَّهُ فِي الآخِرَةِ وَلاَيَةٌ كَانَ الْمَدْعُوُّ لَهُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، وَكُلُّ دُعَاءٍ كَانَ ضَرًّا فِي الدُّنْيَا لاَ يَكُونُ بَرَاءَةً مِمَّنْ دَعَا بِهِ عَلَى أَحَدٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا لاَ يَكُونُ وَلاَيَةً مِمَّنْ دَعَا بِهِ عَلَى أَحَدٍ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الدُّعَاءُ السُّوءُ عَلَى الْمُسْلِمِ بَرَاءَةٌ؛ لأَنَّهُ لاَ يَشْتُمُهُ إِلاَّ وَهُوَ يَبْغَضُهُ، وَمَنْ قَالَ لِمَنْ رَأَى مِنْهُ الْوَفَاءَ بِدِينِ اللهِ: يَا مُسْلِمُ، يَا بَارُّ، يا تقيُّ، يا مُحسنُ، يَا

---

وَأَبُو نَصْرٍ: هُوَ فَتْحُ بْنُ نُوحٍ الْمَلُوشَائِيُّ النَّفوسِيُّ. قَالَ الشَّيْخُ الشَّماخِيُّ: عَالِمٌ فَائِقٌ، وَوَاعِظٌ صَادِقٌ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ خَالِهِ أَبِي يَحْيَى زَكَرِيَّا بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَهُ عَلَيْهِ مَرْثِيَةٌ، وَكَانَ لُغَوِيًّا قَرَضَ مَا أَلْفَهُ شِعْرًا، لَهُ النُّونِيَّةُ فِي أُصُولِ الدِّينِ، شَرَحَهَا الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى (وَهُوَ الشَّرْحُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ)، وَلَهُ الْقَصِيدَةُ الرَّائِيَّةُ فِي الصَّلاَةِ [السير، ١/ ٥٤٨]، وَدِيوَانُ قَصَائِدَ بَيْنَ فِقْهِيَّةٍ وَوَعْظِيَّةٍ، وَمَقَامَاتٍ نَثْرِيَّةٍ بَلِيغَةٍ عَلَى غِرَارِ أَطْوَاقِ الذَّهَبِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ، تَنُمُّ عَنْ عُلُوِّ كَعْبِهِ فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ السَّابِعِ مِمَّنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الزُّهْدُ، وَتَآلِيفُهُ تَنْضَحُ بِذَلِكَ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ. اهـ مُصَحَّحه.

مَرْحُومُ، يَا مُثَابُ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ؛ فَذَلِكَ وَلاَيَةٌ، وَلاَ تُجْزِئُهُ، وَإِنْ قَالَ: أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ وَعُمْرَكَ فَلاَ يُجْزِئُهُ ذَلِكَ، إِلاَّ إِنْ قَالَ: فِي الْجَنَّةِ. وَإِنْ قَالَ: آجَرَكَ اللهُ فَلاَ يُجْزِئُهُ حَتَّى يَقُولَ: أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَإِنْ قَالَ: وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكَ قَبْرَكَ وَنَوَّرَهُ لَكَ، وَبَرَّدَ ضَرِيحَكَ، وَهَوَّنَ عَلَيْكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَغَفَرَ اللهُ ذُنُوبَكَ؛ فَذَلِكَ وَلاَيَةٌ تُجْزِئُهُ، وَإِنْ قَالَ لِمَنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ: يَا ضَالُّ، يَا مُشْرِكُ، أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ؛ فَذَلِكَ بَرَاءَةٌ وَلاَ تُجْزِئُهُ، وَإِنْ قَالَ: ضَيَّقَ اللهُ عَلَيْكَ قَبْرَكَ، فَلَيْسَ بَرَاءَةً، وَإِنْ قَالَ: أَظْلَمَ اللهُ عَلَيْكَ قَبْرَكَ، ذَلِكَ بَرَاءَةٌ، وَإِنْ قَالَ: أَذَلَّكَ اللهُ، فَلاَ يُجْزِئُهُ إِلاَّ إِنْ قَالَ: فِي الآخِرَةِ، وَإِنْ قَالَ: نَقَشَ اللهُ عَلَيْكَ الْحِسَابَ، فَذَلِكَ بَرَاءَةٌ وَتُجْزِئُهُ، وَإِنْ قَالَ لِمَنْ يَتَوَلاَّهُ: يَا مَشْؤُومُ، يَا مَنْحُوسُ، فِيهِ اخْتِلاَفٌ.

وَفِي بَعْضِ أَثَرِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ: الْمَحَبَّةُ وَالتَّرَحُّمُ وَالْبَرَكَةُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِسَائِرِ النَّاسِ عَافَاكَ اللهُ وَأَصْلَحَكَ، وَلاَ يُقَالُ لِلْمُتَبَرِّعِ: رَحَّبَ اللهُ بِكَ، وَأَمَّا مَرْحَبًا فَفِيهِ اخْتِلاَفٌ، وَالأَصَحُّ جَوَازُهُ، وَلاَ يُقَالُ لِغَيْرِ الْمُتَوَلَّى: أَيَّدَكَ اللهُ، وَلاَ قَوَّاكَ اللهُ، وَلاَ سَلاَمُ اللهِ عَلَيْكَ، وَلاَ حَيَّاكَ اللهُ، وَلاَ بَارَكَ اللهُ فِيكَ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ الْجِهَالاَتِ[1] عَنْ بَعْضِ الْمَشَايِخِ مَا يَدُلُّ أَنَّهُ يَرَى الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْعُهْدَةِ بِالْمَعَارِيضِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ

(١) كِتَابُ الْجِهَالاَتِ تَأْلِيفُ الشَّيْخِ تَبْغُورِينَ بْنِ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ الْمَلْسُوطِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنِ يَخْلِفَ الْمُزَاتِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧١هـ، وَعَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ اللَّتِّيِّ، وَكَانَ كَمَا قَالَ الشَّمَاخِيُّ: "مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ قَدْرًا وَأَكْثَرِهِمْ عِلْمًا وَأَشَدِّهِمْ عَمَلاً، تَعَلَّمَ الْعُلُومَ وَعَلَّمَهَا وَاسْتَفَادَ وَأَفَادَ، وَطَلَبَ الْعُلاَ فَسَادَ" [السير، ١/ ٤٣٢]، تَخَرَّجَتْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ كَانَتْ لَهُمُ الصَّدَارَةُ فِي أَوْسَاطِهِمْ، لاَ مِنَ الرِّجَالِ فَقَطْ بَلْ حَتَّى مِنَ النِّسَاءِ، كَالْعَلاَّمَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ مُعَاذٍ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا إِنَّهَا خَيْرُ نِسَاءِ أَجْلُو (بلْدَة أعْمر)- بَلَغَتْ فِي الْعِلْمِ شَأْوًا بَعِيدًا، وَكَانَتْ تُجَالِسُ الْعُلَمَاءَ وَتُنَاقِشُهُمْ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ الْحَقُّ فِي جَانِبِهَا، كَمَا تَرَكَ لَنَا ثَرْوَةً عِلْمِيَّةً مِنَ التَّآلِيفِ الْقَيِّمَةِ فِي الْعَقَائِدِ على الأخصِّ، تدلُّ علَى نباهةِ شأنِهِ وعُلُوِّ درجتِهِ، ككتابِهِ في الكلام، وكتابِ الأدلَّةِ والبيانِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَأَبْرَزُ كِتَابٍ اشْتُهِرَ بِهِ هُوَ كِتَابُ الْجِهَالاَتِ الْمُوَمَّى إِلَيْهِ، كَانَ مَوْضِعَ عِنَايَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ لأَهَمِّيَّتِهِ، شَرَحَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَمَّارٍ عَبْدُ الْكَافِي التَّاوَرْتِيُّ،

وَيَقُولُ: أَعَانَكُمُ اللهُ، قَوَّاكُمُ اللهُ. وَفِي كُتُبِ بَعْضِ مُخَالِفِينَا ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ فُقَهَائِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ لَهُ جَارٌ نَصْرَانِيٌّ يَقْضِي لَهُ حَوَائِجَهُ وَيَنْفَعُهُ، فَكَانَ الْفَقِيرُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: أَبْقَاكَ اللهُ، تَوَلاَّكَ اللهُ، أَقَرَّ اللهُ عَيْنَيْكَ، يَسُرُّنِي وَاللهِ مَا يَسُرُّكَ، جَعَلَ اللهُ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ، وَلاَ يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَيَبْتَهِجُ النَّصْرَانِيُّ بِهَا وَتَسُرُّهُ، فَعُوتِبَ الْفَقِيهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَدْعُو بِمَعَارِيضَ، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِي، أَمَّا قَوْلِي: أَبْقَاكَ اللهُ وَتَوَلاَّكَ اللهُ؛ فَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يُبْقِيَهُ لِغُرْمِ الْجِزْيَةِ وَيَتَوَلاَّهُ بِالْعَذَابِ، وَأَمَّا قَوْلِي: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَيْكَ؛ فَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تَقَرَّ بِشَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا، فَلاَ تَتَحَرَّكَ جُفُونُهَا. وَأَمَّا قَوْلِي: يَسُرُّنِي وَاللهِ مَا يَسُرُّكَ؛ فَإِنَّ الْعَافِيَةَ وَاللهِ تَسُرُّنِي كَمَا تَسُرُّهُ، وَأَمَّا قَوْلِي: جَعَلَ اللهُ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ؛ فَأُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ الْيَوْمَ الَّذِي أَدْخُلُ فِيهِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِي يُدْخِلُهُ النَّارَ بِكُفْرِهِ.

**وَفِي كِتَابِ ابْنِ جَعْفَرٍ**(١): "وَمَنْ كَانَ فِي حَدِّ التَّقِيَّةِ جَازَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ لِمَنْ لاَ يَتَوَلاَّهُ بِمَا يَدْعُو بِهِ لأَهْلِ الْوَلاَيَةِ، وَيَعْتَقِدَ الْمَعْنَى لِغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ قِيلَ: إِذَا عَزَّى مَنْ لاَ يَتَوَلاَّهُ فِي مُصِيبَةٍ جَازَ لَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ، وَجَبَرَ مُصِيبَتَكَ، وَيَجْعَلَ الْمَعْنَى لِغَيْرِهِ"(٢).

---

وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْمِصْعَبِيُّ الْمِلِيكِيُّ، وَالشَّيْخُ أَبُو سِتَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْقَصَبِيُّ الْجِرْبِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْمُحَشِّي، وَشَرَحَهُ أَخِيرًا مُجْتَهِدُ الأُمَّةِ الشَّيْخُ امحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أَطْفَيَّش. وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ تَبْغُورِينُ حَلْقَةً فِي سِلْسِلَةِ أَئِمَّةِ الدِّينِ، رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) الْمَشْهُورُ بِجَامِعِ ابْنِ جَعْفَرٍ، تَأْلِيفُ الْعَلاَّمَةِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الأَزْكَوِيِّ، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ بِعُمَانَ، وَالْكِتَابُ فِي ثَلاَثَةِ مُجَلَّدَاتٍ، وَفِيهِ زِيَادَاتُ أَبِي الْحَوَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَابْنِ الْمُسَبِّحِ، جَعَلُوا زِيَادَتَهُمْ حُكْمَ الْحَوَاشِي، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْعَلاَّمَةُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ: "كِتَابٌ مُبَارَكٌ نَافِعٌ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ" [اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، ١/ ٢٢]، هَذَا وَقَدْ أَلَّفَ الإِمَامُ أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْكِدْمِيُّ كِتَابَ الْمُعْتَبَرِ، اعْتَبَرَ فِيهِ الآثَارَ، وَتَعَقَّبَ بِهِ جَامِعَ ابْنِ جَعْفَرٍ، فَفَصَّلَ مُجْمَلاَتِهِ، وَأَوْضَحَ مُشْكِلاَتِهِ، وَاسْتَخْرَجَ كُنُوزَهُ، فَكَانَ فِي مُتَنَاوَلِ أَيْدِي الرَّاغِبِينَ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) [ابن جعفر: الجامع، ١/ ١٥٠].

وَذُكِرَ فِي بَعْضِ الآثَارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ[١] مِثْلُ هَذَا فِي الصَّاحِبِ وَالْجَارِ وَالرَّحِمِ[٢]. وَبِالْجُمْلَةِ: إِنَّ كُلَّ مَنْ لاَ يَتَوَلاَّهُ لاَ يُدْعَى لَهُ بِرِضَى اللهِ وَلاَ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلاَ بِمَا يَكُونُ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْجَنَّةَ، إِلاَّ إِنِ اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ بِالتَّقِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا؛ لأَنَّهُمْ قَالُوا: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ"[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا بَابٌ يَنْبَغِي لِذِي الدِّينِ حِفْظُهُ وَإِتْقَانُ مَخَارِجَ الْمَعَانِي فِيهِ.

---

(١) سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٢) [ابن جعفر، ١/١٥٤].

(٣) يُشْعِرُ تَعْلِيلُ الْمُصَنِّفِ: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ" أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ كَلاَمِ الرَّسُولِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ حَدِيثٌ [رواه البيهقي، باب المعاريض فيها مندوحة عن الكذب، ر٢٠٦٣١].

# الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ
# فِي الْوُقُوفِ

**وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا ثَلاَثَةُ فُصُولٍ، أَحَدُهَا:** فِي الأَدِلَّةِ عَلَى فَرْضِ الْوُقُوفِ وَوُجُوبِهِ، وَ**الثَّانِي:** فِي حُكْمِ الْمَوْقُوفِ فِيهِ مِنَ الأَشْخَاصِ، و**الثَّالِثُ:** فِي الأَفْعَالِ الْمَوْقُوفِ فِيهَا.

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

# فِي الأَدِلَّةِ عَلَى فَرْضِ الْوُقُوفِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1] فِيهِ تَأْوِيلاَنِ، **أَحَدُهُمَا**: أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ وَلَمْ تَرَ، وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ، **وَالثَّانِي**: لاَ تَتَّبِعْ مَا لاَ يَعْنِيكَ وَمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[2]، أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، فَلَمَّا نَهَاهُمْ عَنِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ثَبَتَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالإِمْسَاكِ عَنْهُ؛ لأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ أَمْرٌ بِضِدِّهِ.

وَمِنَ الإِجْمَاعِ الَّذِي لاَ مُنَاكَرَةَ فِيهِ أَنَّ النَّاسَ مَعَ كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ فَرِيقَانِ، **أَحَدُهُمَا**: مَجْهُولُ الْحَالِ، **وَالآخَرُ**: مَعْلُومُ الْحَالِ، فَمَجْهُولُ الْحَالِ عِنْدَ الْمُكَلَّفِ فِي وُقُوفِ الدِّينِ اللاَّزِمِ فِي كُلِّ مُشَارٍ إِلَيْهِ بِعَيْنِهِ لاَ مَحَالَةَ، بَلِ الْحُكْمُ النَّقْلِيُّ يَشْهَدُ بِأَنَّ الأُمُورَ ثَلاَثَةٌ: أَمْرٌ بَانَ لَكُمْ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ بَانَ لَكُمْ غَيُّهُ

(١) الإسْرَاء: ٣٦.
(٢) الْحُجُرَات: ٦.
(٣) الأَعْرَاف: ٣٢.

فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَكِلُوهُ إِلَى اللهِ[1]، وَهَذَا الثَّالِثُ هُوَ الْفَرِيقُ الْمَجْهُولُ، وَأَمَّا الْفَرِيقُ الْمَعْلُومُ الْحَالِ فَصِنْفَانِ: صِنْفٌ عُلِمَ مِنْهُ الْخَيْرُ وَهُوَ الْمُوَافَقَةُ فِي الدِّينِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَهَذَا هُوَ الْوَلِيُّ الْمُسْتَحِقُّ الْوَلاَيَةَ، وَصِنْفٌ عُلِمَ مِنْهُ الشَّرُّ، وَهُوَ الْمُخَالَفَةُ فِي الدِّينِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَهَذَا هُوَ الْمَخْلُوعُ الْمُسْتَحِقُّ الْبَرَاءَةَ وَالْعَدَاوَةَ، وَبِهَذَا التَّقْسِيمِ صَارَ الْوُقُوفُ فِي الدِّينِ وَهُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ يُضَادُّ الْوَلاَيَةَ وَالْبَرَاءَةَ، وَهُمَا مَعْنَيَانِ مُتَضَادَّانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْوُقُوفَ عَنْ جَهْلٍ وَالْوَلاَيَةَ وَالْبَرَاءَةَ عَنْ عِلْمٍ بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ، فَثَبَتَ بِمَا أَوْرَدْنَاهُ مِنَ الاحْتِجَاجِ الأَصْلِيِّ وَالنَّقْلِيِّ أَنَّ الْوُقُوفَ فَرْضٌ لاَزِمٌ، وَمَعْنَاهُ الإِمْسَاكُ عَنِ الإِمْضَاءِ، فَضِدُّ الْوُقُوفِ الإِمْضَاءُ، كَمَا أَنَّ ضِدَّ الإِمْضَاءِ الْوُقُوفُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) هَذَا مِنْ كَلاَمِ عِيسَى عليه السلام، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ [ر١٠٧٧٤] بِإِسْنَادٍ لاَ بَأْسَ بِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَوَاهُ بِصِيغَةِ الإِفْرَادِ: [أن عيسى بن مريم عليه السلام قال:] "إِنَّمَا الأُمُورَ ثَلاَثَةٌ: أَمْرٌ يَتَبَيَّنُ لَكَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعْهُ، وَأَمْرٌ يَتَبَيَّنُ لَكَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبْهُ، وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَرُدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ".

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي حُكْمِ الْمَوْقُوفِ عَنْهُ

وَاعْلَمْ أَنَّ وَقْتَ وُجُوبِ فَرْضِ الْمَوْقُوفِ عَنْ مُعَايَنَةِ شَخْصٍ لاَ يُدْرَى مِنْهُ كُفْرٌ وَلاَ إِيْمَانٌ، فَالْمَوْقُوفُ عَنْهُ مِنَ الأَشْخَاصِ **نَوْعَانِ، أَحَدُهُمَا**: كُلُّ شَخْصٍ بَالِغٍ مُكَلَّفٍ لاَ يُعْرَفُ مِنْهُ كُفْرٌ وَلاَ إِيْمَانٌ، فَالْفَرْضُ فِيهِ الْوُقُوفُ عَنْهُ حَتَّى يُعْلَمَ حَالُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَسْتَحِقَّ حِينَئِذٍ الْوَلاَيَةَ أَوِ الْبَرَاءَةَ، فَمَنْ أَمْضَى فِيهِ الْوَلاَيَةَ أَوِ الْبَرَاءَةَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ هَالِكٌ. **وَالنَّوْعُ الثَّانِي**: هُمْ أَطْفَالُ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، فَهُمْ عِنْدَ أَصْحَابِنَا فِي حُكْمِ الْوُقُوفِ حَتَّى يَبْلُغُوا الْحُلُمَ وَيُشَاهَدَ مِنْهُمُ الإِيمَانُ فَيُتَوَلَّوْنَ، أَوِ الْكُفْرُ فَيُتَبَرَّأُ مِنْهُمْ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَحْكَامَهُمْ قَبْلَ هَذَا.

**مَسْأَلَةٌ**: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْمُتَوَلَّيَيْنِ إِذَا قَتَلَ بَعْضُهُمَا بَعْضًا فَلَمْ يُدْرَ الْمُحِقُّ مِنْهُمَا مِنَ الْمُبْطِلِ، وَفِي الْمُتَلاَعِنَيْنِ اللَّذَيْنِ لَمْ يُعْرَفِ الظَّالِمُ مِنْهُمَا مِنَ الْمَظْلُومِ إِذَا كَانَا مُتَوَلَّيَيْنِ، وَفِي كُلِّ مَنْ لَهُ أَصْلُ الْوَلاَيَةِ ثُمَّ أَحْدَثَ فِعْلاً وَلاَ يُدْرَى مَا هُوَ، فَقَالَ مَنْ قَالَ بِالْوُقُوفِ فِيهِمَا جَمِيعًا، لِئَلاَّ نَتَوَلَّى كَافِرًا أَوْ نَتَبَرَّأَ مِنْ مُسْلِمٍ، فَالْوُقُوفُ فِيهِمَا جَمِيعًا أَسْلَمُ، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَوْلُ النَّاكِثَةِ وَابْنِ الْحُسَيْنِ[1] وَقَالَ مَنْ

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالنُّكَّاثِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَكَثُوا بَيْعَةَ الإِمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الرُّسْتُمِيِّ، وَخَالَفُوا الإِبَاضِيَّةَ الْوَهْبِيَّةَ فِي مَسَائِلَ، بَلْ أَصْبَحُوا فِرْقَةً مِنَ الإِبَاضِيَّةِ غَيْرِ الْوَهْبِيَّةِ، أَمَّا ابْنُ الْحُسَيْنِ فَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُ كَانَ رَئِيسًا لِفِرْقَةٍ مِنَ الإِبَاضِيَّةِ غَيْرِ الْوَهْبِيَّةِ تَنْتَسِبُ إِلَيْهِ وَهِيَ الْحُسَيْنِيَّةُ. اهـ مُصَحِّحه.

قَالَ بِالْوَلاَيَةِ لَهُمَا عَلَى الأَصْلِ الأَوَّلِ، قَالُوا: لأَنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ الْوَلاَيَةَ عَلَيْنَا لِمَنْ أَظْهَرَ لَنَا الْوَفَاءَ بِدِينِهِ، وَالْبَرَاءَةَ مِمَّنْ أَظْهَرَ لَنَا خِلاَفَهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ فَلاَ مَخْرَجَ لَنَا مِنْهَا إِلاَّ الثُّبُوتُ عَلَى الأَصْلِ الأَوَّلِ إِذَا كَانَ ثَابِتًا بِالْعِلْمِ؛ لأَنَّهُ لَوْ زَالَ لَثَبَتَ ضِدُّهُ مِنَ الْبَرَاءَةِ، فَأَمْضَيْنَا الْوَلاَيَةَ فِيهِمَا، وَاللهُ تَعَالَى يَحْكُمُ فِيهِمَا بِعِلْمِهِ، وَأَظُنُّهُ قَوْلُ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ أَقْيَسُ؛ لأَنَّ الْيَقِينَ لاَ يُزِيلُهُ إِلاَّ الْيَقِينُ، وَالرُّجُوعَ عَنِ الْعِلْمِ لاَ يَسَعُ عِنْدَ الْجَمِيعِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَالاحْتِجَاجِ فِيهَا لِكِلاَ الْفَرِيقَيْنِ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ الشَّيْخِ أَبِي نَصْرٍ[1] وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الأَصْحَابِ بِمَسْأَلَةِ الْحَارِثِ وَعَبْدِ الْجَبَّارِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِالشَّيْخِ أَبِي نَصْرٍ وَالإِشَارَةُ إِلَى قَصِيدَتِهِ وَشَرْحِهَا.

## الفصل الثالث

# فِي أَحْكَامِ الْوُقُوفِ فِي الأَفْعَالِ الإِنْسَانِيَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ الأَفْعَالَ الَّتِي يَكُونُ حُكْمُهَا الْوُقُوفُ هِيَ الأَفْعَالُ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ، وَلاَ يُدْرَى مَا هِيَ كَبَائِرُ أَوْ صَغَائِرُ، فَالْحُكْمُ فِي كُلِّ فِعْلٍ يَصْدُرُ مِمَّنْ لَهُ أَصْلُ الْوَلاَيَةِ أَنْ يُوقَفَ عَنِ الْفِعْلِ حَتَّى يُدْرَى مَا هُوَ، وَيَكُونُ الْوَلِيُّ الْفَاعِلُ لَهُ عَلَى أَصْلِ وَلاَيَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْفِعْلُ مَا هُوَ حَكَمَ عَلَى الْفَاعِلِ بِمَا يَقْتَضِيهِ فِعْلُهُ مِنْ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ، فَإِذَا كَانَ الْفِعْلُ كَبِيرَةً مُوبِقَةً بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ يَشْهَدَانِ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ كَبِيرَةٌ يُتَبَرَّأُ مِنْ فَاعِلِهِ ثُمَّ يُسْتَتَابُ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرَةً اسْتُتِيبَ قَبْلَ الْبَرَاءَةِ، فَإِذَا تَابَ قُبِلَ مِنْهُ، وَإِنْ أَصَرَّ بُرِئَ مِنْهُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

مِثَالُ ذَلِكَ أَنْ يَرَى الإِنْسَانُ مُتَوَلًّى لَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ شِبْهِ الزِّنَى، وَلاَ يَدْرِي مَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ، فَيَأْتِي إِلَيْهِمْ فَيَقُولُ: مَا تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ مِمَّنْ تَتَوَلَّوْنَهُ رَأَيْتُمُوهُ يَزْنِي، مَا هُوَ عِنْدَكُمْ؟ وَلاَ يَقُولُ: رَأَيْتُ فُلاَنًا يَزْنِي؛ لأَنَّهُ إِذًا قَالَ ذَلِكَ بَرِئُوا مِنْهُ؛ لأَنَّهُ رَمَى مُتَوَلًّى لَهُمْ بِكَبِيرَةٍ، فَإِذَا سَأَلَهُمْ كَمَا وَصَفْنَا، فَإِذَا أَخْبَرُوهُ أَنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ بَرِئَ مِنْهُ، وَيَكُونُ إِنَّمَا يَقِفُ حَتَّى يَسْأَلَ، وَيَكُونَ مَنْ بَرِئَ مِنْهُ عِنْدَهُ مُسْلِمًا، إِذَا كَانَ أَوَّلُ مَنْ يَلْقَاهُ فَيَسْأَلُهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ لَهُ: هُوَ كَافِرٌ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَبْرَأَ مِنَ الَّذِي قَالَ: هُوَ كَافِرٌ، وَلَكِنْ يَتَوَلاَّهُ وَيَقُولُ: أَنَا سَائِلٌ، فَإِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بَرِئَ مِنْهُ، وَهَكَذَا يَحْتَرِزُ فِي سُؤَالِهِ عَنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ وَمَا يُشْبِهُهَا، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَعَنْ ثَلاَثَةِ نَفَرٍ رَأَوْا رَجُلاً مِنْ أَهْلِ وَلاَيَتِهِمْ قَارَفَ ذَنْبًا مِمَّا يَسَعُ جَهْلُهُ، وَهُوَ كَبِيرٌ فِي الْوَصْفِ وَلاَ يَدْرُونَ مَا يَبْلُغُهُ ذَلِكَ، فَتَوَقَّفَ فِيهِ أَحَدُهُمْ، وَتَوَلاَّهُ الآخَرُ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ آخَرُ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ.

الْجَوَابُ فِيهِ: أَنَّ الَّذِي تَوَلاَّهُ عَلَى فِعْلِ كَبِيرَةٍ وَالَّذِي وَقَفَهُ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْوَلاَيَةِ ضَالاَّنِ، وَأَمَّا الَّذِي تَبَرَّأَ مِنْهُ فَقِيلَ: إِنَّهُ أَخْطَأَ خَطَأً لاَ يَهْلِكُ بِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ يَهْلِكُ بِتَقَدُّمِهِ فِي الْبَرَاءَةِ مِنْهُ بِرَأْيِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي هَذَا وَفِي كُلِّ فِعْلٍ لاَ يُدْرَى مَا هُوَ إِذَا كَانَ مَنْ فَعَلَهُ مِنْ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَصْلِ وَلاَيَتِهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ فِعْلُهُ ذَلِكَ، وَمَا يَبْلُغُ بِهِ فَاعِلُهُ كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ هَذَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَمَنْ وَقَفَ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ، أَوْ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ كُلِّهِمْ، أَوْ تَوَلاَّهُمْ كُلَّهُمْ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ لأَنَّ مَنْ وَقَفَ فِيهِمْ كُلِّهِمْ فَقَدْ وَقَفَ فِي الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَكَذَلِكَ الْوَلاَيَةُ وَالْبَرَاءَةُ عَلَى هَذَا الْحَالِ. وَالسَّامِعُ يُعْذَرُ فِي الْوَلاَيَةِ فِيمَا وَجَدْتُ فِي الأَثَرِ، وَأَمَّا الْوُقُوفُ وَالْبَرَاءَةُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْرَأَ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ تَبَرَّأَ مِنَ الْجِنْسِ الْمُعَلَّقِ بِالصِّفَةِ كَالْعَمَى أَوِ الْبُكْمِ، أَوِ الْمُعَلَّقِ إِلَى الصَّنْعَةِ كَالْحِيَاكَةِ وَالنِّجَارَةِ، فَتَبَرَّأَ مِنَ الْحَيَّاكِينَ أَوِ النَّجَّارِينَ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ؛ لأَنَّهُ كَمَنْ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ عَلَى صَنْعَتِهِمْ، وَإِنْ قَالَ: تَبَرَّأْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ أَوِ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ إِنْ لَمْ يَحِلَّ لِي، فَذَلِكَ مِنْ أَخْلاَقِ السُّوءِ، وَقِيلَ: يُبْرَأُ مِنْهُ، وَإِنْ قَالَ: تَبَرَّأْتُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ إِلاَّ إِنْ لَمْ يَحِلَّ لِي ذَلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ؛ لأَنَّ عَلَيْنَا وَلاَيَتَهُمْ جُمْلَةً.

وَمَنْ تَبَرَّأَ مِنَ الأَطْفَالِ وَالْبَهَائِمِ فَقَدْ كَفَرَ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَنْ لاَ تَجْرِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَلاَيَةٌ وَلاَ بَرَاءَةٌ مِنْ جَمِيعِ الأَشْيَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ إِذَا مَاتَ عَلَى الْوَفَاءِ فَشَهِدَ عَلَيْهِ أَمِينَانِ بِالْكُفْرِ، فَقِيلَ: يَبْرَأُ مِنْهُ، وَقِيلَ: مَنْ مَاتَ عَلَى الْوَفَاءِ لاَ تُقْبَلُ فِيهِ شَهَادَةُ الشُّهُودِ. وَفِي جَوَابَاتِ الإِمَامِ أَفْلَحَ ﷺ: أَنَّهُ لاَ يَبْرَأُ مِنَ الْمُسْلِمِ وَإِنْ شَهِدَ الشُّهُودُ عَلَى بَرَاءَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ حَاضِرًا يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

**مَسْأَلَةٌ:** مَنْ حَكَى عَنْ مُتَوَلًّى كَبِيرَةً فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنَ الْحَاكِي، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْجُمْلَةِ إِذَا حَكَوْا عَنْ مُتَوَلًّى كَبِيرَةً أَوْ بَرِئُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُمْ جَمِيعًا، وَإِنْ حَكَى مُتَوَلًّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجُمْلَةِ كَبِيرَةً أَوْ تَبَرَّأَ مِنْهُ، فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ إِنْ حَكَى الشِّرْكَ أَوِ الزِّنَى، وَإِنْ حَكَى مُتَوَلًّى عَنْ مُتَوَلًّى كَبِيرَةً فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنَ الأَوَّلِ، ومنْ قالَ لرجلٍ مُتولًّى: يَا كافرُ، فقال لهُ: أَنْتَ الكافرُ، فإنَّهُ يُبرَأُ مِنَ الأَوَّلِ إِذَا كَانَا مِنْ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِالْكُفْرِ أَحَدُهُمَا، وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ"[2]، وَأَمَّا إِنْ قَالَ لَهُ: يَا زَانٍ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الزَّانِي، فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُمَا جَمِيعًا، وَسَوَاءٌ فِي هَذَا كَانَا مُتَوَلَّيْنِ أَوْ غَيْرَ مُتَوَلَّيْنِ، أَوْ أَحَدُهُمَا مُتَوَلًّى وَالآخَرُ مِنْ أَهْلِ الْجُمْلَةِ.

وَعَنْ رَجُلَيْنِ مُتَوَلَّيْنِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَحَدُنَا كَافِرٌ إِمَّا أَنْتَ وَإِمَّا أَنَا، فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ بِذَلِكَ الْقَوْلِ، سَوَاءٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَانَا اثْنَيْنِ أَوْ جَمَاعَةً.

إِذَا قَالَ: وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ كَافِرٌ أَوْ أَنَا، أَوْ قَالَ: وَاحِدٌ مِنْهُمْ كَافِرٌ، إِذَا كَانُوا كُلُّهُمْ أَهْلَ وَلاَيَةٍ، فَإِنَّهُ لاَ يُبْرَأُ مِنْهُ لِهَذَا الْقَوْلِ مُتَوَلًّى كَانَ أَوْ غَيْرَ مُتَوَلًّى، وَإِنْ قَالَ هَذَا لِغَيْرِ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ.

---

(١) [انظر: جوابات الإمام أفلح، ص ١٥١ (مخطوط)].

(٢) رِوَايَةُ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "مَنْ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ كَافِرٌ. فَقَدْ بَاءَ بِالْكُفْرِ أَحَدُهُمَا، وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ". قَالَ الرَّبِيعُ: "اسْتَحَقَّ اسْمَ الْكَافِرِ دُونَ صَاحِبِهِ لِقَوْلِهِ لَهُ: يَا كَافِرُ" [مسند الربيع، باب في ذكر الشرك والكفر، ر٦٥].

وَأَمَّا فِي بَابِ الدَّعَاوَى وَمَا يَقَعُ مِنَ الْخَصْمِ لِصَاحِبِهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فَلاَ يُبْرَأُ مِنْهُ، مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا ادَّعَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ أَنَّهُ قَتَلَ وَلِيَّهُ بِالتَّعْدِيَةِ، أَوْ جَرَحَهُ، أَوْ ظَلَمَهُ، أَوْ أَكَلَ مَالَهُ، أَوْ أَفْسَدَهُ، أَوْ بَغَى عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لاَ يُبْرَأُ مِنَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ بِهَذَا، سَوَاءٌ كَانَ مُتَوَلِّى أَوْ غَيْرَ مُتَوَلِّى، وَكَذَلِكَ الشُّهُودُ إِذَا كَانُوا مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْوَلاَيَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْوَلاَيَةِ فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ إِذَا كَانَ الَّذِي شَهِدُوا عَلَيْهِ مِمَّا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ الْبَرَاءَةَ، وَكَذَلِكَ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ إِذَا شَهِدُوا عَلَيْهِ بِالزُّورِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ مِنْهُمْ، وَكَذَلِكَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ بِمَا لَيْسَ عَلَيْهِ يَبْرَأُ مِنَ الْمُدَّعِي، وَلاَ يَبْرَأُ مِنَ الشُّهُودِ عَلَيْهِ إِذَا قَالَ لِلشُّهُودِ: شَهِدْتُمْ عَلَيَّ بِالزُّورِ، أَوْ قَالَ لِلْمُدَّعِي: ادَّعَيْتَ عَلَيَّ بِمَا لَيْسَ لَكَ عَلَيَّ، أَوْ قَالَ لِلْحَاكِمِ: حَكَمْتَ عَلَيَّ بِالْجَوْرِ، فَلَيْسَ عَلَيْنَا أَيْضًا مِنْهُ بَرَاءَةٌ، وَأَمَّا الشُّهُودُ وَالْحَاكِمُ فَإِنَّهُمْ يَبْرَأُونَ مِنْهُ إِذَا لَمْ يَكُونُوا كَمَا زَعَمَ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ لِلشُّهُودِ: أَنْتُمْ شُهُودُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ لِلْحَاكِمِ: أَنْتَ حَاكِمُ الْجَوْرِ؛ فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِنْهُ.

وَمَنْ قَالَ: النَّاسُ كُلُّهُمْ عِنْدِي فِي الْوَلاَيَةِ إِلاَّ مَنْ ظَهَرَ مِنْهُ مَا يَبْرَأُ بِهِ، فَإِنَّهُ يُبْرَأُ مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ. وَمَنْ رَأَى مِنْ رَجُلٍ كَبِيرَةً فَتَبَرَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَآهُ فَعَلَ كَبِيرَةً أُخْرَى فَلَيْسَ عَلَيْهِ إِعَادَةُ الْبَرَاءَةِ، سَوَاءٌ كَانَتِ الْكَبِيرَةُ شِرْكًا أَوْ نِفَاقًا. وَمَنْ تَوَلَّى رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ عَلَى خَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّاعَةِ فَقَدْ كَفَرَ، وَاللهُ أَعْلَمُ وأَحْكَمُ، وَبِهِ الحَوْلُ وَالتَّوْفِيقُ.

# الْبَابُ الثَّالِثُ مِنَ الرُّكْنِ الأَوَّلِ
## فِي الْمِلَلِ السِّتِّ وَأَحْكَامِهَا(١)

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاَثِ جُمَلٍ مِنَ الأَحْكَامِ، **إِحْدَاهَا:** فِي أَحْكَامِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ، وَ**الثَّانِيَةُ:** فِي أَحْكَامِ مِلَلِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالأَصْنَامِ، وَ**الثَّالِثَةُ:** فِي الْقَوَاعِدِ وَالأَرْكَانِ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا الدِّينُ وَالإِسْلاَمُ.

### الْجُمْلَةُ الأُولَى: فِي أَحْكَامِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَحْتَوِي عَلَى مُقَدِّمَةٍ تَجْمَعُ الْقَوْلَ فِي الْمِلَلِ السِّتِّ، وَعَلَى فَصْلَيْنِ مُخْتَصَّيْنِ فِي أَحْكَامِ الْمِلَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، **أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ:** فَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِلْعِبَادَةِ، وَسَبَقَتْ كَلِمَتُهُ فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مِنْهُمْ وَالسَّعَادَةِ، ثُمَّ أَظْهَرَ مِحْنَتَهُ عَلَى إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَالْمَلاَئِكَةِ فِي أَمْرِهِ لَهُمْ بِالسُّجُودِ لآدَمَ الْمُخْتَصِّ بِالْكَرَامَةِ،

---

(١) الْمِلَلُ السِّتُّ، قَالَ الشَّيْخ أَبُو إِسْحَاقَ أَطْفَيِّشُ فِي مُقَدِّمَةِ التَّوْحِيدِ تَعْلِيقًا عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: "اعْلَمْ أَنَّ مَسْأَلَةَ الْمِلَلِ مِنْ جِهَةِ الإِيمَانِ مِنْ أَجْمَلِ الْمَسَائِلِ وَأَعْجَزِهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتَ شَأْنٍ يُعْتَبَرُ فِي رِيَاضِ الإِيمَانِ وَالْكَمَالِ الإِسْلاَمِيِّ – إِلَى أَنْ قَالَ – وَنَرَى أَنَّ أَبَا نَصْرٍ ﷺ يَقُولُ: لَقَدْ شَدَّدُوا فِي جَاهِلِ الْمِلَلِ الأُولَى، فَاعْتُبِرَ قَوْلُهُمْ فِيهَا مِنْ قِبَلِ الإِيمَانِ تَشْدِيدًا. وَفِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ مَغْزًى لاَ يَخْفَى عَنِ اللَّبِيبِ – وَرَحِمَ اللهُ شَمْسَ الدِّينِ أَبَا يَعْقُوبَ إِذْ يَقُولُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِهِ الدَّلِيلِ: "وَأَمَّا حِكَايَةُ الشَّيْخِ – يَعْنِي عَلَمَ الدِّينِ أَبَا الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنَ يَخْلُفَ – لاَ يَسَعُ جَهْلُ الْمِلَلِ، وَهُمُ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالصَّابُونَ وَالْمَجُوسُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا؛ فَهَذِهِ أَبْعَدُ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ كُلِّهَا وَأَخْمَلُ، وَلَمْ تَبْلُغْ دَرَجَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا أَنْ يَقْرِنَ اللهُ الإِيمَانَ بِهِ بِالإِيمَانِ بِهِمْ، بَلْ هُمْ أَخَسُّ مِنْ ذَلِكَ إِلَخْ إِلَخْ" [الدليل والبرهان، ٢/ ٣٢] [مقدمة التوحيد وشروحها لبدر الدين الشماخي، هامش ص ١٠٧]. اهـ مُصَحّحه

فَسَجَدَتِ الْمَلاَئِكَةُ إِذْعَانًا بِالطَّاعَةِ، وَأَبَى إِبْلِيسُ مِنَ السُّجُودِ اسْتِكْبَارًا وَأَنَفَةً، وَأَظْهَرَ الإِصْرَارَ رُكُونًا إِلَى الْمَعْصِيَةِ، فَصَارَتِ الطَّاعَةُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ أَصْلاً لِلْمُطِيعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَصَارَتِ الْمَعْصِيَةُ مِنْ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ أَصْلاً لِلْعَاصِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ امْتَحَنَ آدَمَ لِنَهْيِهِ إِيَّاهُ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَاهُ إِذْ أَطَاعَ زَوْجَتَهُ وَهَوَاهُ، حِينَ دَلاَّهُمَا إِبْلِيسُ بِالْوَسْوَسَةِ وَالْغُرُورِ، فَأَهْبَطَ اللهُ الْجَمِيعَ مِنَ الْجَنَّةِ دَارِ السُّرُورِ إِلَى مُسْتَقَرِّ الأَرْضِ وَمَظَانِّ الثُّبُورِ، بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُمْ أَعْدَاءَ مُتَفَرِّقِينَ وَأَحْزَابًا مُتَبَاغِضِينَ، فَشَرَعَ اللهُ لَهُ الإِسْلاَمَ دِينًا ارْتَضَاهُ لِلْعِبَادِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ، بَعْدَ أَنْ تَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَبَعَثَ رُسُلَهُ دُعَاةً إِلَى دِينِهِ جَمِيعَ الْخَلْقِ، وَبَثَّ إِبْلِيسُ جُنُودَهُ سَعْيًا وَعِنَادًا فِي مُخَالَفَةِ الْحَقِّ، بَعْدَ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ خَمْسَةَ أَدْيَانٍ تَحْتَوِي عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾ يَعْنِي الْيَهُودَ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ مُوسَى ﷺ، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ وَهُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلاَئِكَةَ، وَيَقْرَأُونَ الزَّبُورَ، وَيُصَلُّونَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَقِيلَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ قَوْمٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اخْتَارُوا مَطَايِبَ التَّوْرَاةِ وَمَطَايِبَ الإِنْجِيلِ فَقَالُوا: أَصَبْنَا دِينًا، وَقِيلَ: هُمْ قَوْمٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ؛ لأَنَّ مِنْ دِينِ الْمَجُوسِ الْقَوْلُ بِالتَّثْنِيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: هُرْمُزُ خَالِقٌ لِلْخَيْرِ وَالأَشْيَاءِ الْجَمِيلَةِ، وَالشَّيْطَانُ خَالِقٌ لِلشَّرِّ وَالأَشْيَاءِ الْقَبِيحَةِ، وَالصَّابِئُونَ أَيْضًا قَوْمٌ يَقُولُونَ فِيمَا بَلَغَنَا بِالتَّثْنِيَةِ: نُورٌ وَظَلاَمٌ، وَالْقَوْلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُمْ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الزَّبُورَ كَمَا قَدَّمْنَا، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ وَهُمْ أَهْلُ مِلَّةِ عِيسَى ﷺ، ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ وَهُمْ عَبَدَةُ النِّيرَانِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، وَيَنْكِحُونَ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْتَاتِ مِنَ الْبَهَائِمِ، ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا﴾ وَهُمْ عَبَدَةُ الأَصْنَامِ مِنْ أَهْلِ اللاَّتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةِ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى،

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [١] فَجَمِيعُ فِرَقِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَصْلُهَا مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ السِّتِّ الْمَذْكُورَةِ، وَتَنْحَصِرُ أَفْعَالُهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِيمَانٍ وَنِفَاقٍ وَشِرْكٍ، كَمَا أَنَّ أَسْمَاءَ فَاعِلِيهَا ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ: فَفَاعِلُ الإِيمَانِ يُسَمَّى مُؤْمِنًا بِثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ: نُطْقٍ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٍ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٍ بِالأَرْكَانِ، وَفَاعِلُ النِّفَاقِ يُسَمَّى مُنَافِقًا، مُقِرًّا بِاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ، مُضَيِّعًا لِلأَرْكَانِ، مُتَّصِفًا بِالنِّفَاقِ بِتَضْيِيعِ فَرِيضَةٍ أَوِ انْتِهَاكِ حُرْمَةٍ مُوبِقَةٍ، وَفَاعِلُ الشِّرْكِ يُسَمَّى مُشْرِكًا بِالْجُحُودِ وَالإِنْكَارِ، وَالأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [٢]، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهَا فَقَالَ: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ أهل التضييع والخيانة في الإقرار، ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أَهْلَ الْجُحُودِ وَالإِنْكَارِ، ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [٣] أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

**مَسْأَلَةٌ:** قَالَ أَصْحَابُنَا: مَعْرِفَةُ الْمِلَلِ وَأَحْكَامِهَا وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي أَوَّلِ حَالِ بُلُوغِهِ، وَشَدَّدُوا فِيمَنْ جَهِلَهَا أَنْ يُبْلِغَهُ ذَلِكَ إِلَى الشِّرْكِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقُولُ: عَلَيْنَا مَعْرِفَةُ الْمَجُوسِ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ أَشْرَكَ، وَاخْتُلِفَ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَقِيلَ: عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ أَشْرَكَ، وَقِيلَ: يَعْلَمُ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ كَفَرَ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) الْحَجّ: ١٧.
(٢) الأَحْزَاب: ٧٢.
(٣) الأَحْزَاب: ٧٣

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

# فِي حُكْمِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ

**وَهِيَ**(١) **قِسْمَانِ، أَحَدُهُمَا:** فِي حُكْمِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْوِفَاقِ، **وَالثَّانِي:** فِي حُكْمِ أَهْلِ الْخِلاَفِ.

### [القسم الأول: في حُكمِ أهلِ الوِفاقِ]

أَمَّا حُكْمُ أَهْلِ الْوِفَاقِ **فَنَوْعَانِ:** أَهْلُ وَلاَيَةٍ، وَأَهْلُ بَرَاءَةٍ، **أَمَّا أَهْلُ الْوَلاَيَةِ:** فَالْحُكْمُ فِيهِمْ إِجْرَاءُ جَمِيعِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَصَرْفِ الأَذَى عَنْهُمْ، وَتَحْرِيمِ بُغْضِهِمْ، وَاغْتِيَابِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. **وَأَمَّا أَهْلُ الْبَرَاءَةِ:** فَالْحُكْمُ فِيهِمْ إِذَا صَحَّتْ بَرَاءَتُهُمْ بِمُعَايَنَةٍ أَوْ إِقْرَارٍ أَوْ بَيِّنَةٍ أَوِ اشْتِهَارٍ إِجْرَاءُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ مِنَ الزِّنَى وَالْقَذْفِ مِنَ الْجَلْدِ وَالرَّجْمِ، وَقَطْعِ الأَيْدِي مِنَ السَّرِقَةِ مَعَ إِبْطَالِ شَهَادَتِهِمْ، وَتَجْرِيحِ عَدَالَتِهِمْ، وَتَحْلِيلِ مُنَاكَحَتِهِمْ وَمُوَارَثَتِهِمْ، وَإِجْرَاءِ حُقُوقِ الْمَوْتَى عَلَيْهِمْ، وَأَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَوَضْعِهَا فِي فُقَرَائِهِمْ، وَالْحَجِّ مَعَهُمْ، وَإِشْهَادِهِمْ عَلَى النِّكَاحِ، وَالتَّسْوِيَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي الْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَةِ، فَإِنْ صَدَرَ الْبَغْيُ وَالْفَسَادُ مِنْهُمْ دُعُوا إِلَى تَرْكِ ذَلِكَ وَإِعْطَاءِ الْحَقِّ

(١) الأَوْلَى: وَهُوَ قِسْمَانِ.

وَالإِنْصَافِ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ أُقِيمَتْ عَلَيْهِمُ الْحُدُودُ مَعَ غُرْمِ الْمُتْلَفَاتِ وَرَدِّ التِّبَاعَاتِ، وَفِي الأَنْفُسِ الْقَوَدُ وَالدِّيَاتُ بِخِلاَفِ الْمُحَارِبِينَ وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ التَّائِبِينَ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ أَبَوْا مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى أَمْرِ اللهِ وَالْكَفِّ عَنِ الْفَسَادِ بَعْدَ الإِنذارِ والإِعْذَارِ قُوتِلُوا حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللهِ، وَلاَ يُغْنَمُ لَهُمْ مَالٌ وَلاَ يُسْبَى لَهُمْ أَهْلٌ وَلاَ عِيَالٌ، وَإِنِ انْهَزَمُوا لَمْ يُتْبَعْ مُدْبِرُهُمْ وَلَمْ يُجْهَزْ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلاَ يَحِلُّ الْفِرَارُ مِنْهُمْ فِي حَالِ حَرْبِهِمْ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ وَمَآلٍ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

## [القسمُ الثَّانِي: فِي حُكمِ أَهْلِ خِلاَفِ الْمُسْلِمِينَ]

وَأَمَّا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ خِلاَفِ الْمُسْلِمِينَ: فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى تَرْكِ مَا بِهِ ضَلُّوا مِنَ اعْتِقَادِ الْبِدَعِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا لَهُمْ، وَالدُّخُولِ فِي دِينِنَا وَوَلاَيَةِ أَئِمَّتِنَا وَمَنْ تَوَلَّوْهُ، وَالْبَرَاءَةِ مِمَّنْ تَبَرَّأُوا مِنْهُ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَهُمْ إِخْوَانُنَا، لَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا، وَإِنِ امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَسَفَّهُوا مَقَالَتَنَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى دَفْعِ وَاجِبِ الْحُقُوقِ إِلَيْنَا، وَالاسْتِسْلاَمِ لأَحْكَامِنَا، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ كَمَا نُقِيمُهَا عَلَى أَهْلِ مَذْهَبِنَا، فَإِنْ أَذْعَنُوا لِذَلِكَ تَرَكْنَاهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ، مَعَ تَحْلِيلِ جَمِيعِ مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِنَا مِنْهُمْ، مِنَ الْمُنَاكَحَةِ وَالذَّبَائِحِ وَالْمُوَارَثَةِ وَالْمُدَافَنَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَإِجَازَةِ شَهَادَةِ الْعُدُولِ مِنْهُمْ فِي الأَحْكَامِ خُصُوصًا، دُونَ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَالْحُدُودِ، وَمَا فِيهِ تَكْفِيرٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ قِيلَ فِي كِتَابِ عَنْ أَبِي الْمُؤَثِّرِ[1]: إِذَا قَهَرُونَا جَازَتْ شَهَادَتُهُمْ، وَإِنْ قَهَرْنَاهُمْ لَمْ تَجُزْ شَهَادَتُهُمْ، وَيَجِبُ لَهُمْ مِنَ الْحُقُوقِ مَا يَجِبُ لَنَا، وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا، إِلاَّ الْوَلاَيَةَ وَالاسْتِغْفَارَ، فَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا حَقٌّ مَا

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِضَلاَلَتِهِمْ، كَمَا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَحْبُوبُ بْنُ الرَّحِيلِ رحمه الله[١]: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا إِلاَّ مَنْزِلَتَانِ: الْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ وَالْخُلْعُ لَهُمْ عَلَى خِلاَفِهِمْ وَمَا ارْتَكَبُوا مِنَ الْمَعَاصِي، وَاسْتِحْلاَلُ دِمَائِهِمْ عِنْدَ الْمُبَايَنَةِ بَعْدَ دُعَائِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي أَجْرَى اللهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمُنَاكَحَةِ وَالْمُوَارَثَةِ، وَأَكْلِ الذَّبِيحَةِ وَالْقِصَاصِ، وَقَبُولِ الشَّهَادَةِ إِذَا لَمْ يُتَّهَمُوا، وَالصَّلاَةِ عَلَيْهِمْ، فَهَذِهِ الأُمُورُ جَائِزَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِدِينٍ[٢].

وَكَذَلِكَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ[٣] عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ رَحِمَهُمَا اللهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْمُثَنَّى بْنِ مَعْرُوفٍ[٤] أَخِي شُعَيْبِ بْنِ مَعْرُوفٍ الشَّعْبِيِّ[٥]: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ

(١) تَقَدَّمَ.

(٢) [انظر: بيان الشرع، ٣/٢٠].

(٣) أَبُو أَيُّوبَ: هُوَ وَائِلُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، مِنْ خِرِّيجِي مَدْرَسَةِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ، وَعَالِمُ حَضْرَمَوْتَ فِي وَقْتٍ كَانَتْ تَزْخَرُ فِيهِ بِالْعُلَمَاءِ النِّحَارِيرِ، وَقَالَ وَائِلٌ نَفْسُهُ مُتَحَدِّثًا عَنْهُمْ: "أَدْرَكْتُ بِحَضْرَمَوْتَ رِجَالاً إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لَوْ وُلِّيَ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا لاحْتَمَلَ ذَلِكَ فِي عَقْلِهِ وَحِلْمِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ". كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ الصَّغِيرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ - لِجَلاَلَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ كَعْبِهِ فِي الْعِلْمِ - إِذَا سُئِلَ رُبَّمَا أَجَابَ: "عَلَيْكُمْ بِوَائِلٍ؛ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ عَهْدًا بِالرَّبِيعِ". اهـ مُصَحَّحه.

(٤) هُوَ الْمُثَنَّى بْنُ الْمُعَرَّفِ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي، وَكَانَ نَقِيًّا فَاضِلاً وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَصَاحَبَ الرَّبِيعَ، وَكَانَ ذَا مَنْزِلَةٍ سَامِيَةٍ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ، لِذَلِكَ ارْتَضَاهُ أَنْ يَصْحَبَ الرَّبِيعَ إِلَى مَوْسِمِ الْحَجِّ، وَإِنْ رَاجَعَهُ الْمُثَنَّى فِي ذَلِكَ قَائِلاً: "مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ، اخْرُجْ مَعَ الرَّبِيعِ، وَالرَّبِيعُ غَايَةٌ فِي فَضْلِهِ وَسِنِّهِ وَعِلْمِهِ، فَمَا أُشِيرُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْعَثُوا غُلاَمًا حَدَثًا مِثْلِي - وَفِي الرَّبِيعِ كِفَايَةٌ". فَازْدَادَ مَحَبَّةً بِقَوْلِهِ فِي نَفْسِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَازْدَادَ عِنْدَهُمْ رِضًا، فَخَرَجَ الرَّبِيعُ وَحْدَهُ. اهـ مُصَحَّحه

(٥) شُعَيْبُ بْنُ الْمُعَرَّفِ: هُوَ أَخُو الْمُثَنَّى السَّابِقِ الذِّكْرِ، مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَخَالَفُوا الرَّبِيعَ فِي مسائلَ معينَةٍ كأبِي المُؤرِّج وعبدِ اللهِ بنِ عبدِ الْعَزِيزِ وَحَاتِمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَسَهْلِ بْنِ صَالِحٍ، رَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا مَعَ الرَّبِيعِ، فَأَنْكَرَهَا عَلَيْهِمْ وَطَرَدَهُمْ مِنَ الْمَجَالِسِ، وَأَتَوْا حَاجِبًا وَالرَّبِيعَ فَتَابُوا، وَأَعَادَهُمْ إِلَى الْمَجَالِسِ، ثُمَّ أَظْهَرُوهَا فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَتَمَادَوْا عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ مُخَالَفَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ وَعِيسَى بْنِ عُمَيْرٍ. قَالَ الإِمَامُ أَفْلَحُ فِي حَقِّ هَؤُلاَءِ نَقْلاً عَنِ الشَّمَاخِيِّ قَالَ: "وَفِي جَوَابِ الإِمَامِ أَفْلَحَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَبِي الْمُؤَرِّجِ وَابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ: وَقَعَتْ مِنْهُمْ مَسَائِلُ مَعْرُوفَةٌ فَلَمْ يُؤْخَذْ بِقَوْلِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، وَأَمَّا غَيْرُهَا فَمَا فِيهِ اخْتِلاَفٌ مِنْ رَأْيِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَاخْتِلاَفِ فُقَهَائِنَا فَلاَ يَدْفَعُ إِسْنَادَهُمْ، وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ قَالَ: لَمْ

بْنِ سِيرِينَ وَالْحَسَنِ فِي التَّزْوِيجِ وَالطَّلاَقِ أَكُنْتَ تَجْمَعُ وَتُفَرِّقُ بِشَهَادَتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: نَعَمْ هُوَ ذَلِكَ.

وَيَجِبُ لأَهْلِ الْخِلاَفِ أَيْضًا حُقُوقُهُمْ مِنَ الْفَيْءِ وَالْغَنَائِمِ وَالصَّدَقَاتِ إِذَا كَانَ إِمَامُ الْعَدْلِ، تُؤْخَذُ مِنْهُمْ وَتُوضَعُ فِي فُقَرَائِهِمْ أَيْضًا، وَلَهُمْ أَيْضًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ دَفْعُ الظُّلْمِ عَنْهُمْ، كَمَا يَدْفَعُونَهُ عَنْ بَعْضِهِمْ، وَمَنِ امْتَنَعَ مِنْهُمْ مِنْ إِجْرَاءِ حُقُوقٍ عَلَيْهِ أَدَّبَهُ بِمَا يَقْمَعُهُ، وَإِنْ جَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْعِ وَالْمُكَابَرَةِ حَلَّ قِتَالُهُ وَاسْتُبِيحَ دَمُهُ، وَيُمْنَعُونَ مِنْ إِظْهَارِ جَمِيعِ الْمَنَاكِرِ وَإِحْدَاثِ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنِ امْتَنَعُوا عَنْ طَاعَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِجْرَائِهِ وَاجِبَ الْحُقُوقِ عَلَيْهِمْ قَاتَلَهُمْ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُذْعِنُوا بَعْدَ الدَّعْوَةِ وَالإِعْذَارِ، وَإِنِ انْهَزَمُوا فَلاَ يُتْبَعُ مُدْبِرُهُمْ، وَلاَ يُجْهَزُ عَلَى جَرِيحِهِمْ، إِلاَّ إِنْ كَانَتْ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا، وَلاَ يَحِلُّ مِنْهُمْ سَبْيُ عِيَالٍ وَلاَ غَنِيمَةُ مَالٍ، وَلاَ يَحِلُّ مِنْهُمْ غَيْرُ قِتَالِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَتَحِلُّ الدِّمَاءُ بِالظُّلْمِ وَالابْتِدَاءِ بِهِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[1]، وَتَحِلُّ بِإِظْهَارِ النِّفَاقِ وَالإِرْجَافِ فِي النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾[2] وَتَحِلُّ بِالطَّعْنِ فِي الدِّينِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[3]، وَتَحِلُّ بِقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾[4]، وَتَحِلُّ بِالسَّعْيِ فِي الأَرْضِ فَسَادًا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟

---

يَكُنْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - مَحْمُودًا، وَهُوَ إِلَى الْبَرَاءَةِ أَقْرَبُ" [السير، ١/ ١١٩]. وَسَيَأْتِي مَزِيدُ كَلاَمٍ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. اهـ مُصَحِّحه

(١) الْحَجّ: ٣٩.

(٢) الأَحْزَاب: ٦٠، ٦١.

(٣) التَّوْبَة: ١٢.

(٤) الإِسْرَاء: ٣٣.

﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١]. وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ فِيمَا وَجَدْتُ عَلَى تَحْلِيلِ الدِّمَاءِ بِتَبْدِيلِ الأَحْكَامِ، وَرُوِيَ أَنَّ الإِمَامَ عَبْدَ الْوَهَّابِ ﷺ[٢] قَالَ: سَبْعُونَ وَجْهًا تَحِلُّ بِهَا الدِّمَاءُ، فَأَخْبَرْتُ مِنْهَا لأَبِي مِرْدَاسٍ[٣] بِوَجْهَيْنِ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ مِنْ أَيْنَ هَذَا؟[٤] وَفِي كِتَابِ سِيَرِ الْمَشَائِخِ أَنَّ الإِمَامَ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ عِنْدِي أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ وَجْهًا تَحِلُّ بِهَا دِمَاءُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عِنْدَ أَبِي مِرْدَاسٍ ﷺ إِلاَّ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وَقَدْ شَدَّدَ عَلَيَّ فِيهَا"[٥]، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) الْمَائِدَة: ٣٣.

(٢) تَقَدَّمَ.

(٣) أَبُو مِرْدَاسٍ مُهَاصِرٌ السَدرَانِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي، بَلَغَ فِي الْعُلُومِ شَأْوًا بَعِيدًا، وَفِي الْعَمَلِ بِمَا عَلِمَ مَنْزِلَةً لاَ يَبْلُغُهَا إِلاَّ أَفْذَاذُ الْعُصُورِ، آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، لاَ يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، يُلاَزِمُ ذَوِي السُّلْطَانِ، وَيُلَطِّفُ مِنْ عُنْفِهِمْ فِي اسْتِخْرَاجِ الْحَقِّ، وَيَقِفُ لَهُمْ دُونَ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُمْ بَاطِلٌ، لاَ يَبْتَعِدُ عَنْ مَجَالِسِ الْحُكْمِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ ظُلْمٌ، وَكَانَ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ يَعْرِفُونَ مِنْهُ هَذَا، فَكَانُوا لاَ يُصْدِرُونَ إِلاَّ عَنْ رِضَاهُ، صَاحَبَ الإِمَامَ عَبْدَ الْوَهَّابِ سَبْعَ سِنِينَ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بِلِيبِيَا، وَكَانَ يُحَاسِبُهُ حِسَابَ الْمُؤْمِنِ الْحَرِيصِ عَلَى دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَفِيمَا أَوْرَدَهُ الْمُصَنِّفُ ﷺ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ، مَدَّ اللهُ فِي عُمْرِهِ، فَلاَزَمَ عُمَّالَهُ بَعْدَهُ كَأَيُّوبَ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَالْعَبَّاسِ، وَكَانَ يُرَاقِبُ أَحْكَامَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ بِعَيْنِ عِقَابٍ حَتَّى فِي زَمَنِ ضَعْفِهِ وَشَيْخُوخَتِهِ. وَمَنْ أَرَادَ دِرَاسَةَ حَيَاةِ هَذَا الْعَالِمِ الْبَطَلِ بِاسْتِفَاضَةٍ فَعَلَيْهِ بِكِتَابِ (الإِبَاضِيَّةُ فِي مَوْكِبِ التَّارِيخِ) لِلأُسْتَاذِ عَلِيٍّ يَحْيَى مُعَمَّرٍ، فَفِيهِ تَحْلِيلٌ بَدِيعٌ وَكَلاَمٌ مُمْتِعٌ. اهـ مُصَحِّحه

(٤) [انظر الوسياني: السير، ص ١٦].

(٥) [البغطوري: سير أهل نفوسة، ص ٣٣].

# الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ
## فِي أَحْكَامِ مِلَلِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالأَصْنَامِ

**وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَحْتَوِي عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ.**

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: فِي أَحْكَامِ الْمِلَلِ الثَّلاَثِ، وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئُونَ، **وَالْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي أَحْكَامِ الْمَجُوسِ، **وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي أَحْكَامِ عَبَدَةِ الأَصْنَامِ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ

### [في أحكام الملل الثلاث: اليهود والنصارى والصابئين]

اعْلَمْ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ هُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَأَحْكَامُهُمْ وَاحِدَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ أَوَّلاً إِلَى الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ[1]، وَاخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ دَعْوَتِهِمْ، فَقِيلَ: يَدْعُو الإِمَامُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى الأُمَرَاءَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَإِنَّهُ يَدْعُوهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. وَقِيلَ: يَدْعُو الْمَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ وَالرُّؤَسَاءَ كَأَهْلِ الْقُرَى، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ

(١) يَعْنِي: لاَ يَجُوزُ قِتَالُهُمْ إِلاَّ بَعْدَ الدُّعَاءِ لِلإِسْلاَمِ، فَلَوْ قَاتَلُوهُمْ وَسَبَوْهُمْ مِنْ غَيْرِ دُعَاءٍ فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَهُمْ إِلَى مَأْمَنِهِمْ. قَالَ فِي السُّؤَالاَتِ: فَإِنْ قِيلَ مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكَ لاَ يُقَاتَلُ حَتَّى يُدْعَى إِلَى الْجُمْلَةِ فَقُلْ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ بَعَثَ سَرِيَّةً فَقَالَ: "يَا عَلِيُّ، لاَ تُقَاتِلِ الْقَوْمَ حَتَّى تَدْعُوهُمْ وَتُنْذِرَهُمْ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ". وَقَالَ: وَجِيءَ بِأُسَارَى مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا دَعَانَا أَحَدٌ وَلاَ بَلَّغَنَا، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقَالُوا: آللهِ. فَقَالَ: "خَلُّوا سَبِيلَهُمْ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ دَعْوَتِي، فَإِنَّ دَعْوَتِي تَامَّةٌ لاَ تُقْطَعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ (الأنعام: ١٩) اهـ [السوفي: السؤالات، ص ٩١].

لُغَتَهُمْ فَإِنَّه يُتَرْجَمُ لَهُ بِأَمِينَيْنِ، وَقِيلَ: بِوَاحِدٍ، فَإِنْ قَبِلُوا دَعْوَتَهُ وَدَخَلُوا الإِسْلاَمَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ أَبَوْا مِنَ الإِسْلاَمِ دُعُوا إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، فَإِنْ أَعْطَوْهَا قُبِلَتْ مِنْهُمْ، وَتُرِكُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَتَحِلُّ مِنْهُمْ تِلْكَ الْجِزْيَةُ، وَأَكْلُ ذَبَائِحِهِمْ، وَنِكَاحُ الْحَرَائِرِ الْمُحْصَنَاتِ مِنْهُمْ دُونَ الإِمَاءِ وَالْمُسَافِحَاتِ، وَقَدِ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى هَذَا، إِلاَّ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عنهُ، حِينَ تَزَوَّجَ حُذَيْفَةُ كِتَابِيَّةً فَنَهَاهُ عُمَرُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَتَشْهَدُ أَنَّهَا حَرَامٌ؟ قَالَ: إِنِّي إِذًا لَظَنِينُ الشَّهَادَةِ[1]، وَذَلِكَ مِنْهُ نَهْيُ تَأْدِيبٍ، أَرَادَ أَنْ يَتَنَزَّهَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ الْكِتَابِيَّاتِ حِينَ كَثُرَتِ الْمُسْلِمَاتُ، فَإِنِ امْتَنَعُوا مِنَ الْجِزْيَةِ مَعَ الامْتِنَاعِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ نَاصَبَهُمُ الإِمَامُ الْحَرْبَ، فَاسْتَحَلَّ بِذَلِكَ سَبْيَهُمْ، وَغَنِيمَةَ أَمْوَالِهِمْ، وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَحَرَّمَ أَكْلَ ذَبَائِحَهُمْ، وَنِكَاحَ الْحَرَائِرِ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَإِنْ خَضَعُوا لِلإِمَامِ قَبْلَ الْقِتَالِ فَكُلُّ مَا صَالَحَهُمْ عَلَيْهِ فَلْيُؤَدُّوهُ إِلَيهِ، وَلاَ يُجَاوِزُ إِلَيْهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِذَا أَذْعَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لِلْجِزْيَةِ فَلاَ يَتَزَوَّجُ الْمُسْلِمُ مِنْهُمْ حَتَّى يَشْتَرِطَ عَلَيْهَا خَمْسَةَ شُرُوطٍ: أَنْ لاَ تَشْرَبَ الْخَمْرَ، وَلاَ تَأْكُلَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ، وَلاَ تُعَلِّقَ الصَّلِيبَ، وَأَنْ تَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَتَحْلِقَ الْعَانَةَ.

---

(١) [انظر: القرطبي :الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٦٨].

## الْقِسْمُ الثَّانِي

## فِي [أحكام] الْمَجُوسِ

وَأَحْكَامُهُمْ أَيْضًا كَأَحْكَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، إِلاَّ فِي الذَّبَائِحِ وَنِكَاحِ الْحَرَائِرِ مِنْهُمْ، فَهُمَا عَلَى التَّحْرِيمِ وَلَوْ مَعَ إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَالأَصْلُ فِي هَذَا حَدِيثُ النَّبِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: "سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ"[1]، فَإِنْ أَبَوْا مِنَ الإِسْلاَمِ وَالْجِزْيَةِ قُوتِلُوا، وَسُبُوا، وَغُنِمُوا، إِلاَّ مَا أَدُّوا عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ فِي حَالِ مُصَالَحَتِهِمْ، فَلاَ يُغْنَمُ وَلاَ يُسْبَى، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّالِثُ

## فِي أَحْكَامِ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ مِنْ أَهْلِ اللاَّتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةِ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى

فَأَمَّا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الأَوْثَانِ فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَبَوْا قُوتِلُوا وَسُبُوا وَغُنِمُوا، وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ صُلْحٌ وَلاَ جِزْيَةٌ بَعْدَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾[2] وَأَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلاَ يُسْبَوْنَ لِحُرْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقِيلَ: جَمِيعُ الْعَرَبِ[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمُشْرِكِينَ: لاَ تُتَرَاءَى نَارُهُمْ إِلاَّ عَنْ حَرْبٍ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الطبراني: المعجم الكبير، ر١٠٥٩].
قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَخَذْتُ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمَجُوسِ حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ، وَقَالَ: "سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ". وَكَذَا أَخَذَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ، وَهُمْ مَجُوسٌ. اهـ.

(٢) التَّوْبَة: ٥.

(٣) قَالَ الإِمَامُ السَّالِمِيُّ: حُجَّةُ مَنْ قَالَ: الاسْتِرْقَاقُ يَنَالُ كُلَّ مُشْرِكٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَانَ كَفَّارَةً لِسِتِّينَ شَهْرًا وَعَتْقَ عَشْرِ رَقَبَاتٍ

**مَسْأَلَةٌ [في مقدار الجزية وأحكامها]:** وَاخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ الْجِزْيَةِ، فَقِيلَ: ذَلِكَ إِلَى مَا يَرَى الإِمَامُ، وَقِيلَ: عَشَرَةُ دَرَاهِمَ عَلَى الْيَهُودِ، وَاثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا عَلَى النَّصَارَى، وَقِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ. وَقِيلَ: عَلَى الدِّهْقَانِ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ، وَالأَوْسَطِ دِرْهَمَانِ، وَالدُّونِ دِرْهَمٌ، هَذَا فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَبِهَذَا كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ بِالْكُوفَةِ، فَوَضَعَ عَلَى الْغَنِيِّ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، وَذَلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يُخَالِفْ أَحَدٌ، وَكَانَ الصَّرْفُ اثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا بِدِينَارٍ(٢).

**وَقِيلَ:** عَلَى النَّصَارَى الْجِزْيَةُ وَضِيَافَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، وَعَلَى الْيَهُودِ الْجِزْيَةُ وَالْمَبِيتُ(٣)، وَلَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْعَبِيدِ وَالأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ وَالْمَجَانِينِ جِزْيَةٌ. وَاخْتُلِفَ فِي الرُّهْبَانِ(٤)، وَأَمَّا الْمُفْلِسُ فَقِيلَ: فَيُدْعَى إِلَى الْجِزْيَةِ وَيُعْطِيهَا؛ لأَنَّ

---

مُؤْمِنَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام" [رواه الربيع، باب صوم يوم عاشوراء...، ر٣٠٨]، فَإِنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى اسْتِرْقَاقِ الْعَرَبِ إِذَا أَشْرَكُوا حَتَّى وَلَد إِسْمَاعِيلَ [السالمي: شرح الجامع الصحيح، ما جاء في فضل صوم يوم عاشوراء، ٣/ ١١]. اهـ مُصَحِّحه.

(١) [رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، ر٢٦٤٧].

(٢) هَذَا فِي غَيْرِ الزَّكَاةِ، وَأَمَّا فِيهَا فَصَرْفُ الدِّينَارِ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ فَقَطْ كَانَتِ الْجِزْيَةُ أَيَّامَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَيَسَارِهِمْ، لاَ تَزِيدُ عَلَى ٤٨ دِرْهَمًا فِي السَّنَةِ، وَلاَ تَنْقُصُ عَنْ ١٢، تُؤْخَذُ عَلَى الرِّجَالِ غَيْرِ الْمَسَاكِينِ دُونَ النِّسَاءِ، وَلاَ عَلَى مَنْ لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَى الْعَمَلِ وَالأَطْفَالِ.

(٣) الْمَشْهُورُ أَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ إِذَا جَاءَ ضِيَافَةٍ مَنْ يَمُرُّ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَوَاءٌ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَتَى شُرِطَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ، فَقَدْ رَوَى الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَشْرِطُ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ ضِيَافَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَأَنْ يُصْلِحُوا الْقَنَاطِرَ، وَإِنْ قُتِلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضِهِمْ فَعَلَيْهِمْ دِيَتُهُ". [رواه البيهقي، باب الضيافة في الصلح، ر١٨٤٦٨]، [وفي مصنف عبد الرزاق، باب كم يؤخذ منهم الجزية، ر١٩٢٦٦]: أَنَّ أَهْلَ الْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَتَوْا عُمَرَ فَقَالُوا: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا مَرُّوا بِنَا كَلَّفُونَا ذَبْحَ الْغَنَمِ وَالدَّجَاجِ فِي ضِيَافَتِهِمْ"، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَلاَ تَزِيدُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ"، كُلُّ ذَلِكَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ مَا دُمْنَا قَائِمِينَ بِحِمَايَتِهِمْ، أَمَّا إِذَا عَجَزْنَا عَنْ حِمَايَتِهِمْ فَلاَ نَسْتَحِقُّ مِنْهُمْ جِزْيَةً وَلاَ ضِيَافَةً. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، - وَقِيلَ: أَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ الْجَرَّاحِ - أَمِيرَ الْجَيْشِ قَدْ رَدَّهَا إِلَى نَصَارَى حِمْص حِينَ إِجْلاَءِ الرُّومِ عَنَّا، وَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: "إِنَّمَا أَخَذْنَاهَا لِحِمَايَتِكُمْ وَقَدْ عَجَزْنَا عَنْهَا". اهـ مُصَحِّحه

(٤) الَّذِي جَزَمَ بِهِ فِي الدَّعَائِمِ أَنَّهُ لاَ جِزْيَةَ عَلَيْهِمْ.

الْغِنَى فِي لِسَانِهِ، يُوَحِّدُ وَيُخَلَّى سَبِيلُهُ، وَإِلاَّ حُبِسَ فِي الشَّمْسِ بَعْدَ أَنْ يُطْلَى جَسَدُهُ بِالْعَسَلِ، وَقِيلَ: يُطْلَى وَجْهُهُ بِاللَّبِنِ، فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا، وَقِيلَ: لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ[1].

وَإِذَا أَخَذَ الْجِزْيَةَ الإِمَامُ فَإِنَّهُ يُعْطِي مِنْهَا لِفُقَرَائِهِمْ، وَلاَ يَتْرُكُ الظُّلْمَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى صَرْفِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ فَلاَ يَأْخُذُ مِنْهُمُ الْجِزْيَةَ، وَكَذَلِكَ فِي حَالِ الْكِتْمَانِ لاَ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ، وَلاَ يُعَامَلُ فِيهَا مَنْ أَخَذَهَا إِلاَّ مَنْ قَادَتْهُ دِيَانَتُهُ إِلَى ذَلِكَ، وَلاَ يَتْرُكُهُمُ الإِمَامُ أَنْ يُظْهِرُوا شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ مِثْلِ الْخَمْرِ[2]، وَإِمْسَاكِ

(١) وَهَذَا الْقَوْلُ يَتَمَاشَى وَسَمَاحَةَ الإِسْلاَمِ بِخِلاَفِ الْقَوْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ، قَالَ: "أُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ فِي دِينِنَا سَمَاحَةً". [رواه الطحاوي: شرح مشكل الآثار، ر١٤٨٧]. هَذَا وَإِنَّ حِكْمَةَ تَمْيِيزِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْجِزْيَةِ دُونَ سَائِرِ الْمُشْرِكِينَ وَإِبْقَائِهِمْ عَلَى دِيَانَتِهِمْ يُمَارِسُونَ طُقُوسَهَا بِحُرِّيَّةٍ إِنَّمَا كَانَتْ: ١- لأَجْل أَنَّهُمْ يُوَافِقُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي أُصُولِ التَّوْحِيدِ الثَّلاَثَةِ. ٢- لِيُدْرِكُوا بِمَا يُضْفِي عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ مِنْ حُسْنِ رِعَايَةٍ وَمُعَامَلَةٍ، وَفِي ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ أَنْ يَعْتَنِقُوهُ مُخْتَارِينَ. فَإِذَا تَأَمَّلْنَا قَوْلَ مَنْ يَحْكُمُ عَلَى الذِّمِّيِّ الْمُفْلِسِ أَنْ يُطْلَى جَسَدُهُ بِالْعَسَلِ، أَوْ وَجْهُهُ بِاللَّبَنِ، وَيُحْبَسَ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْجِزْيَةَ، وَجَدْنَا هَذِهِ الْمُعَامَلَةَ مُزْرِيَةً وَمُنَفِّرَةً تُنَافِي رُوحَ الإِسْلاَمِ فِي تَشْرِيعِهِ، وَالإِسْلاَمُ تَبْشِيرٌ لاَ تَنْفِيرٌ، وَتَيْسِيرٌ لاَ تَعْسِيرٌ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَتَحَلَّلُ مِنْ جِزْيَتِهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ؟ أَمْ كَيْفَ يُطَالَبُ بِالأَدَاءِ وَهُوَ مُفْلِسٌ؟ اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ يُرَادَ بِهَذِهِ الْمُضَايَقَةِ إِكْرَاهُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾(البقرة: ٢٥٦)، وَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: "الْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَى مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا أَوْ ظَلَمَهُ أَوْ حَمَّلَهُ مَا لاَ يُطِيقُ، وَأَنَا حَجِيجُ الذِّمِّيِّ فَكَيْفَ الْمُؤْمِنُ!" [رَوَاهُ الرَّبِيعُ، باب الحجة على من قال أن أهل الكبائر ليسوا بكافرين، ر٧٥٤]، فَهَلْ يَجْنِي الإِسْلاَمُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الإِهَانَةِ الَّتِي تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ انْتِقَامًا ثَمَرَةً؟ ثُمَّ أَيُّ خَيْرٍ لِلإِسْلاَمِ فِيمَنْ يَعْتَنِقُهُ كَرْهًا، اللَّهُمَّ إِلاَّ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ يَكُونَ عَيْنًا لأَعْدَائِهِ يَعْمَلُ لِمَصَرَّتِهِ تَحْتَ أَسْتَارِ الْخَفَاءِ، وَالإِسْلاَمُ فِي غِنْيَةٍ عَنْ هَذَا. أَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الدِّعَايَةِ لِلإِسْلاَمِ أَنْ نُعْفِيَ هَذَا الْمُفْلِسَ - لاَ سِيَّمَا وَهُوَ قَوْلٌ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ - مِنْ أَدَائِهَا كَرْمًا وَتَأْلِيفًا، وَلأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَطِيعٍ، وَلاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا؟ أَلاَ إِنَّ الإِسْلاَمَ دِينُ رَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ، وَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ إِنَّمَا غَزَا الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَالضَّمَائِرَ الْمُتَحَجِّرَةَ بِمَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ وَرِقَّتِهِ وَلُطْفِهِ، وَجَمَعَهُمْ عَلَى مَبْدَأِ التَّوْحِيدِ بِكِتَابِهِ لاَ بِكَتَائِبِهِ، وَبِنُبْلِهِ لاَ بِنِبَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤)، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران: ١٥٩)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ اهـ مُصَحِّحه.

(٢) قَالَ الْمُخَشِّي: يَعْنِي لاَ يَجُوزُ إِظْهَارُهُ فِي الْخَارِجِ، وَأَمَّا فِي بُيُوتِهِمْ فَإِنَّهُ لاَ يُحْجَرُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَإِنْ أَفْسَدَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَعَلَيْهِ قِيمَتُهُ، يُنْظَرُ الْعَدْلُ مِنْهُم دُونَ الْمُسْلِمِينَ؛ لأَنَّهُ لاَ قِيمَةَ لَهُ عِنْدَهُمْ،

السِّلاَحِ، وَبُنْيَانِ الْكَنَائِسِ، وَإِجْمَاعِ الصَّلاَةِ، وَضَرْبِ النَّاقُوسِ، وَبَيْعِ الرِّبَا، وَقَدْ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أَنْ تُهْدَمَ كُلُّ كَنِيسَةٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ الإِسْلاَمِ، وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا إِجْمَاعٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ عُرْوَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَهْدِمُهَا بِصَنْعَاءَ، وَشَدَّدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَمَرَ أَنْ لاَ تُتْرَكَ فِي الإِسْلاَمِ بيعَةٌ وَلاَ كَنِيسَةٌ بِحَالٍ قَدِيمَةٍ وَلاَ حَدِيثَةٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ.

## [مسألة: في الزيِّ الذي يمتازُ به أهلُ الكتابِ عنْ غيرِهم، وبعضِ أحكامِ معاملتِهم]

وَيُعَلِّمُ الإِمَامُ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِالزُّنَّارِ فِي أَطْرَافِ أَرْدِيَتِهِمْ، وَالنَّصَارَى يُمْسِكُونَ فِي أَيْدِيهِمُ الْعِصِيَّ الصِّغَارَ، وَقِيلَ: يُمَيِّزُ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِالزَّنَانِيرِ فِي أَوْسَاطِهِمْ، وَيَكُونُ فِي رِقَابِهِمْ خَوَاتِمُ مِنْ رَصَاصٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ جَرَسٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا الْعَمَائِمَ وَلاَ الطَّيْلَسَانَ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَشُدُّ الزُّنَّارَ تَحْتَ الإِزَارِ، وَقِيلَ: فَوْقَهُ، وَيَكُونُ فِي عُنُقِهَا خَاتَمٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الْحَمَّامَ، وَيَكُونُ أَحَدُ خُفَّيْهَا أَسْوَدَ وَالآخَرُ أَبْيَضَ، وَلاَ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ، وَيَرْكَبُونَ الْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ بِالأُكُفِّ[1] عُرُضًا، وَلاَ يَرْكَبُونَ السُّرُوجَ، وَلاَ يُصْدِرُونَ فِي الْمَجَالِسِ، وَلاَ يُبْدَؤُونَ بِالسَّلاَمِ، وَيُلْجَؤُونَ إِلَى أَضْيَقِ الطَّرِيقِ، وَلاَ يَعْلُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبُنْيَانِ، وَلاَ يُسْتَعْمَلُونَ عَلَى الأُمُورِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ لاَ تُوَلُّوا عَلَى أَعْمَالِنَا إِلاَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ: إِنَّا وَجَدْنَاهُمْ خَوَنَةً، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْقُرْآنِ خَيْرٌ فَأَجْدَرُ أَلاَّ يَكُونَ فِي غَيْرِهِمْ خَيْرٌ.

---

وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا كَانَ حَرَامًا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ حَلاَلٌ عِنْدَهُمْ كَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَامِرٌ ﷺ فِي كِتَابِ الإِيضَاحِ فِي بَابِ أَحْكَامِ الرَّهْنِ. [الإيضاح، ٤/ ٢٢٠] اهـ مُصَحِّحه

(١) [قوله بالأكفّ: جمع إكافٍ، تقول: إكاف الحمار، أي برذعته، والأكّاف: صانعه. يعني أنّهم يركبون البغال والحمير بالبراذع دون السّروج (القاموس المحيط: باب الفاء، فصل الهمزة: إكاف)].

وَمَتَى نَقَضَ الذِّمِّيُّ الْعَهْدَ بِمُخَالَفَةِ لأَيِّ مِنَ الشُّرُوطِ الْمَأْخُوذَةِ عَلَيْهِ لَمْ يُرَدَّ إِلَى مَأْمَنِهِ، وَالإِمَامُ فِيهِ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالاسْتِرْقَاقِ فِي قَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ.

وَلاَ يُصْحَبُ الذِّمِّيُّ إِلاَّ بِالْجُعْلِ وَإِنْ قَلَّ، وَلاَ يُؤَاكَلُ، ولاَ يُشارِبُ، وَلاَ يُجَالَسُ، وَلاَ يُحَدَّثُ لِئَلاَّ تَحِلَّ اللَّعْنَةُ بِهِ فَتَشْمَلَ جَلِيسَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَلاَ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَلاَ يُصَافَحُ، فَإِنْ سَلَّمَ الذِّمِّيُّ عَلَى أَحَدٍ فَلْيَرُدَّ عَلَيْهِ "وَعَلَيْكَ مَا قُلْتَ"، وَإِنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَلاَ يُتْرَكُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلاَمِ.

## [مسألة: في حُكمُ بَلَلِ أهلِ الكتابِ]

وَفِي الْبَلَلِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اخْتِلاَفٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَالأَحْوَطُ أَنْ يُحْذَرَ مِنْهُمْ جَمِيعُ الْبَلَلِ، وَأَمَّا الْمَجُوسُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ فَإِنَّ الْبَلَلَ مِنْهُمْ نَجَسٌ بِاتِّفَاقِ الْجُمْهُورِ الأَعْظَمِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَسَائِلُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ وأَحْكَمُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ.

# الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ
## فِي الْقَوَاعِدِ وَالأَرْكَانِ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَرَعَ لِلْعِبَادِ دِينَهُ، وَجَعَلَ لَهُ قَوَاعِدَ يُبْنَى عَلَيْهَا، وَلاَ تَصِحُّ الْعِبَادَةُ لِلْمُكَلَّفِ إِلاَّ بِأَحْكَامِهَا، وَهُنَّ الأَرْبَعَةُ الَّتِي هِيَ أَصْلُ التَّقْوَى، وَمِنْهَا تَفَرَّعَتْ أَرْكَانُ الدِّينِ الأَقْوَى.

### [قواعد الدين الأربعة]

فَالْقَوَاعِدُ الأَرْبَعَةُ **إِحْدَاهَا**: الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إِلَى بَيَانِ حَدِّ الْمَأْمُورِ بِامْتِثَالِهِ، **وَالثَّانِيَةُ**: الْعَمَلُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُرْضِي الآمِرَ بِهِ فِي امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، **وَالثَّالِثَةُ**: النِّيَّةُ التِي هِيَ أُسُّ الْعَمَلِ وَلُبَابُهُ، **وَالرَّابِعَةُ**: الْوَرَعُ عَنِ الْمَحَارِمِ الَّتِي تُحْبِطُ الْعَمَلَ عِنْدَ ارْتِكَابِهَا. فَهَذِهِ قَوَاعِدُ الدِّينِ الَّتِي لاَ يُبْنَى إِلاَّ عَلَيْهَا، وَمِنْهَا تَفَرَّعَتِ الأَرْكَانُ الأَرْبَعَةُ وَالَّتِي هِيَ: **الاسْتِسْلاَمُ لأَمْرِ اللهِ** خُضُوعًا وَانْقِيَادًا، **وَالرِّضى بِقَضَائِهِ** مَحْبُوبًا أَوْ مَكْرُوهًا، دِينِيًّا كَانَ أَوْ نَفْسِيًّا، **وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ** فِي جَمِيعِ الْمَوَاهِبِ طُمَأْنِينَةً وَاشْتِيَاقًا، **وَالتَّفْوِيضُ إِلَيْهِ** فِي جَمِيعِ الأُمُورِ رِضًى بِأَحْكَامِهِ وَاكْتِفَاءً بِقَضَائِهِ.

فَالْقَوَاعِدُ الأُولَى هِيَ أَصْلٌ لِطِبِّ الدِّينِ الْمَشْرُوعِ لِلْعِبَادِ فِي الإِيمَانِ، كَمَا أَنَّ أَصْلَ الطِّبِّ الموضُوعِ لِلأَبْدَانِ أَرْبَعُ طَبَائِعَ، اللَّوَاتِي هُنَّ: الْحَرَارَةُ وَالْبُرُودَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيُبُوسَةُ، فَتَفَرَّعَتْ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ الأَرْبَعَةِ الأَرْكَانُ الْمُتَقَدِّمَةُ، كَمَا

تَفَرَّعَتْ مِنْ طَبَائِعِ الْبَدَنِ أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ: الْحَارُّ الْيَابِسُ، وَالْبَارِدُ الْيَابِسُ، وَالْحَارُّ الرَّطْبُ، وَالْبَارِدُ الرَّطْبُ، فَصَارَتْ قَوَاعِدُ الشَّرْعِ وَأَرْكَانُهُ ثَمَانِيَةً، بِهَا يَكْمُلُ طِبُّ الدِّينِ الَّذِي يُجَازَى بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا كَانَتْ طَبَائِعُ الْبَدَنِ وَفُرُوعُهُ ثَمَانِيَةً، بِهَا يَكْمُلُ طِبُّ الأَبْدَانِ، وَلاَ يَصِحُّ إِلاَّ بِالتَّفْصِيلِ بَيْنَ اللَّطِيفِ وَالْكَثِيفِ، فَيَجْمَعُ مِنْ أَرْبَعَةِ لَطَائِفِهَا بِالاعْتِدَالِ مِنَ الْوَزْنِ الطَّبِيعِيِّ[1]، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ طِبِّ الأَبْدَانِ وَطِبِّ الأَدْيَانِ، كَمَا بَيْنَ الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ.

وَلاَ بُدَّ مِنَ الإِشَارَةِ إِلَى تَفْصِيلِ قَوَاعِدِهِ وَأَرْكَانِهِ كَشْفًا وَتَصْرِيحًا بِأَلْفَاظٍ مُوجَزَةٍ وَمَعَانٍ مُخْتَصَرَةٍ، لِيُعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، وَلِكُلِّ مَوْرِدٍ طَرِيقَةً، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

فَقَوَاعِدُ الدِّينِ كَمَا قَدَّمْنَا أَرْبَعٌ: الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ، وَالنِّيَّةُ، وَالْوَرَعُ، فَهَذِهِ الْخِصَالُ الأَرْبَعَةُ فِي الدِّينِ لاَ يَسْتَغْنِي بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ كَمَا قَدَّمْنَا فِي طَبَائِعِ الْبَدَنِ.

**مَسْأَلَةٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ:** وَطَلَبُ الْعِلْمِ فَرْضٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ لِنَصِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، **أَمَّا الْكِتَابُ:** فَقَوْلُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿**فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ**﴾ الآيَة[2]، **وَأَمَّا السُّنَّةُ:** فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**"[3]، وَالأَوَامِرُ إِذَا وَرَدَتْ مُعَرَّاةً مِنَ القرائنِ فالأصلُ فِيهَا الْوُجُوبُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ الأَعْظَمِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، **وَأَمَّا الإِجْمَاعُ:** فَلاَ أَحَدَ يُخَالِفُ مَا ذَكَرْنَا، وَلأَنَّ الْعَقْلَ يَشْهَدُ بِبُطْلاَنِ فِعْلٍ إِذَا امْتُثِلَ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِكَيْفِيَّتِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) فِي الْعِبَارَةِ غُمُوضٌ، يُوجَدُ هَكَذَا فِي سَائِرِ النُّسَخِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا.
(٢) النَّحل: ٤٣.
(٣) [رواه ابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء، ر٢٢٤ بلفظ: "على كل مسلم"].

"عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ فِي جَهْلٍ"[(١)]، وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّ جَاهِلاً فَاقَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ لَكَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ"[(٢)]، وَيُقَالُ: هَلَكَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلاَّ الْعَالِمِينَ، وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ هَلَكُوا إِلاَّ الْعَامِلِينَ، وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلَكُوا إِلاَّ الْمُخْلِصِينَ، وَالْمُخْلِصُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ. فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا وَجَبَ عَلَى الْمُكَلَّفِ تَعَلُّمُ دِينِهِ وَفَرَائِضِهِ أَوَّلاً لِيَمْتَثِلَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ نُطْقًا وَاعْتِقَادًا، وَفِعْلاً وَامْتِثَالاً، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) وَفِي مَعْنَاهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الْعِلْمُ بِاللهِ ﷻ". فَقِيلَ: أَيَّ الْعِلْمِ تُرِيدُ؟ قَالَ ﷺ: "الْعِلْمَ بِاللهِ ﷻ"، فَقِيلَ: نَسْأَلُ عَنِ الْعَمَلِ فَتُجِيبُ عَنِ الْعِلْمِ! فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَإِنَّ كَثِيرَ الْعَمَلِ لاَ يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ". [ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ١/ ٤٥]

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَى سَنَدِهِ، لَعَلَّهُ أَثَرٌ وَلَيْسَ بِحَدِيثٍ نَبَوِيٍّ، فَلاَ تَبْدُو عَلَيْهِ مسْحَةٌ مِنْ جَمَالِ النُّبُوَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

# فصل

## فِي مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ الْمُفْتَرَضِ تَعَلُّمُهُ

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ الْمُفْتَرَضَ تَعَلُّمُهُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ لاَ يَسَعُ النَّاسَ جَهْلُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَوَجْهٌ يَسَعُ جَهْلُهُ إِلَى الْوُرُودِ، وَوَجْهٌ يَسَعُ جَهْلُهُ أَبَدًا.

**فَالْوَجْهُ الأَوَّلُ: فِي مَعْرِفَةِ مَا لاَ يَسَعُ النَّاسَ جَهْلُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ**، وَذَلِكَ مَا قَدَّمْنَا مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَنَفْيِ الأَشْبَاهِ وَالأَمْثَالِ عَنْهُ.

**[الوجه الثاني]: وَأَمَّا مَعْرِفَةُ مَا يَسَعُ جَهْلُهُ إِلَى الْوُرُودِ**: فَهِيَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

**أَحَدُهُمَا**: مَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ وَتُرِكَ عِلْمُهُ إِذَا وَرَدَ، وَذَلِكَ كَمَعْرِفَةِ اللهِ أَنَّهُ بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، سَمِيعٌ فِي أَمْثَالِهِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ سُئِلَ عَنْهَا، أَوْ خَطَرَتْ عَلَى بَالِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُورِدَهَا عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَلاَ يَسَعُهُ إِلاَّ أَنْ يَصِفَ اللهَ بِصِفَتِهِ، وَيَنْفِيَ عَنْهُ صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَهَكَذَا إِذَا فَهِمَ ذَلِكَ بِلُغَتِهِ، أَوْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ أَنَّ هَذَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى أَوْ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ وَيَصِفَ اللهَ بِصِفَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ نَقَضَ جُمْلَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي أَقَرَّ بِهَا أَوَّلاً.

**وَالْوَجْهُ الآخَرُ [الثاني]**: يَسَعُ جَهْلُهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَذَلِكَ كَمَعْرِفَةِ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، أَوْ مَلَكٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ حَرْفٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالَى، فَإِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا فَشَكَّ فِيهِ أَوْ أَنْكَرَهُ، فَقَدْ نَقَضَ الْجُمْلَةَ الَّتِي أَقَرَّ بِهَا أَوَّلاً، وَأَشْرَكَ بِاللهِ تَعَالَى، وَعَلَى السَّامِعِ أَنْ يَبْرَأَ مِنْهُ إِذَا قَصَدَ ذَلِكَ فَأَنْكَرَهُ.

**وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ**[1] مِنْ عُلُومِ الدِّينِ يَسَعُ جَهْلُهُ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُهُ، وَذَلِكَ كَالْفَرَائِضِ الْمَوْسُومَاتِ الأَوْقَاتِ، مِنَ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَسَائِرِهَا مِنْ جَمِيعِ الْفَرَائِضِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، يَسَعُ جَهْلُ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا مَا لَمْ يُبْتَلَ الْعَبْدُ بِالْعَمَلِ، فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُهُ الْعِلْمُ بِهَا وَامْتِثَالُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: يَسَعُ جَهْلُهُ أَبَدًا**، مِثْلُ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ، وَتَصْرِيفِ الْقِصَاصِ فِي وُجُوهِهِ، وَتَحْرِيمِ الرِّبَا فِي مَعَانِيهِ، وَتَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ وَالرَّضَاعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي، مَا خَلاَ الشِّرْكَ فَإِنَّهُ لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَجَمِيعِ الْحَرَامِ فَإِنَّه يَسَعُ جَهْلُهُ مَا لَمْ يُقَارِفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

## [مَا لا يسعُ جهلُهُ فِي هَذَا الوجهِ]

وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَسَعُهُمْ فِي هَذَا الْوَجْهِ فَهُوَ أَحَدُ ثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ: [**الأَوَّلُ**]: أَنْ لاَ يَتَقَوَّلُوا عَلَى اللهِ فيه الْكَذِبَ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْهَا، أَوْ يُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ يُخْطِئُوا فِي حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِهِ بِالْقَوْلِ، **وَالثَّانِي**: أَنْ لاَ يُقَارِفُوا مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ، **وَالثَّالِثُ**: أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِتَحْرِيمِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَوْ تَحْلِيلِهِ فَيَرُدُّوهَا، فَمَهْمَا فَعَلُوا شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْنَا فَهُمْ غَيْرُ مَعْذُورِينَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [في الأصل: قال المؤلف: "والوجه الثاني". قال المحشي: "قوله والوجه الثّاني ... الخ: لم يظهر لنا وجه لتسمية هذا وجهًا ثانيًا، فكان الأولى أن يكون وجهًا ثالثًا من الوجه الثّاني، وذلك بأن يقسّم الوجه الثّاني -وهو الذي يسع جهله إلى الورود- إلى ثلاثة أوجه، فالوجه الأوّل: هو المتعلّق بصفات الله تعالى كما بيّنه، والوجه الثّاني: هو الذي يكون بقيام الحُجّة فقط، كمعرفة نبيء من الأنبياء كما بيّنه، والوجه الثّالث: هو الذي يكون إلى الأوقات، كسائر الفرائض كما بيّنه"].

وَالأَثَرُ الْوَارِدُ فِي هَذَا الْوَجْهِ مَا رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ[١] ﷺ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سُفْيَانَ مَحْبُوبِ بْنِ الرَّحِيلِ ﷺ[٢]، وذلكَ أَنَّهُ رُوِيَ عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ: مَا يَسَعُ النَّاسَ جَهْلُهُ؟ فَقَالَ: مَا دَانُوا بِتَحْرِيمِهِ مَا لَمْ يَرْتَكِبُوهُ، وَمَا لَمْ يَتَبَرَّأُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ إِذَا بَرِئُوا مِنْ رَاكِبِهِ وَما لَمْ يَقِفُوا عَنْهُمْ[٣].

وَكَذَلِكَ إِذَا رَضِيَ بِفِعْلِ الْخَطَأِ إِذَا حَضَرَهُ، أَوْ غَابَ عَنْهُ فَبَلَغَهُ فَرَضِيَ بِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَسَعُهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الإِمْسَاكُ عَنْ جَمِيعِ مَا لاَ يَعْرِفُهُ حَتَّى يَعْلَمَ الْحَقَّ مِنْ ذَلِكَ فَيَتَّبِعَهُ، وَالْخَطَأَ فَيَتْجَنِبَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَفِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا أَنَّ الْمُقَارِفَ لِكَبَائِرِ النِّفَاقِ يَسَعُ جَهْلُ كُفْرِهِ مَا لَمْ تَقُمِ الْحُجَّةُ عَلَى الشَّاكِّ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ الْفِعْلِ الَّذِي قَارَفَهُ الْمُقَارِفُ، مَا خَلاَ ثَلاَثَةَ أَوْجُهٍ: إِذَا سُئِلَ عَنْهُمْ هَكَذَا فَلاَ يَسَعُهُ إِلاَّ أَنْ يُكَفِّرَهُمْ، وَهُمُ: الْمُحِلُّ، وَالْمُصِرُّ، وَالرَّاجِعُ عَنْ عِلْمِهِ.

**وَالْمُحِلُّ** عَلَى وَجْهَيْنِ، **أَحَدُهُمَا:** الْمُحِلُّ لِمَا حَرَّمَ اللهُ فِي كِتَابِهِ نَصًّا فَهُوَ مُشْرِكٌ مُكَذِّبٌ لِلهِ تَعَالَى، لاَ يَسَعُ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ مِنْهُ إِلاَّ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ، **وَالْوَجْهُ الثَّانِي:** مُحِلٌّ لِمَا حَرَّمَ اللهُ بِتَأْوِيلِ الْخَطَأِ، كَتَحْلِيلِ أَهْلِ الْخِلاَفِ الْبَرَاءَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَمَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِعِلْمِ مَا ذَكَرْنَا فَعَلَيْهِ الْبَرَاءَةُ مِمَّنِ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ بِمُصَادَمَةِ النَّصِّ أَوْ بِتَأْوِيلِ الْخَطَأِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ فَلاَ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، كَمَا لاَ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ تَكْفِيرُ مَنْ قَارَفَ فِعْلاً لاَ يَدْرِي مَا هُوَ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ كَبِيرَةٌ فَعَلَيْهِ تَكْفِيرُهُ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ.

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.
(٢) تَقَدَّمَ هُوَ أَيْضًا.
(٣) [انظر ابن جعفر: الجامع، ١٨٩/١].

وقَالَ أَصْحَابُنَا: إِنَّ الْمُحَرِّمَ يَسَعُ جَهْلُ كُفْرِهِ، وَالْمُسْتَحِلَّ لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ، إِلاَّ مَا رُوِيَ عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ رضي الله عنه[1] أَنَّهُ قَالَ: يَسَعُ جَهْلُ مَعْرِفَةِ كُفْرِ الْمُسْتَحِلِّ لِمَا حَرَّمَ اللهُ مَا لَمْ يَتَوَلَّهُ الْمُعَايِنُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَرُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لأَبِي سُفْيَانَ مَحْبُوبٍ رضي الله عنه: مَا مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْمُسْتَحِلِّ؟ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يَزْعُمُ أَنَّ الزِّنَى حَلاَلٌ؟ وَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ؟ قَالَ: لَيْسَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَلَكِنْ يَقُولُ: هُوَ مُسْلِمٌ وَإِنْ زَنَى، قُلْتُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: الْمُحَرِّمُ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ الزِّنَى عِنْدَهُ حَرَامًا وَرَاكِبُهُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا[2] فَوَاسِعٌ لَهُ أَنْ لاَ يُسَمِّيَهُ[3] بِالْكُفْرِ إِذَا كَانَ لاَ يَدْرِي مَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ ذَلِكَ فَيَعْمَلَ فِيهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ فِعْلُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْمُصِرُّ**: فَهُوَ الْمُقِيمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَلاَ يَسَعُ جَهْلُ كُفْرِهِ أَيْضًا عِنْدَ مَنْ رَآهُ قَدْ أَصَرَّ عَلَى فِعْلٍ قَدْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، فَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَنْزِعْ؛ لأَنَّهُ قَدْ صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْمُعَانِدِ، فَلِذَلِكَ ضَيَّقُوا عَلَى مَنْ عَلِمَ مِنْهُ هَذَا؛ لأَنَّ كُلَّ مُصِرٍّ كَافِرٌ وَلَوْ أَصَرَّ عَلَى ذَنْبٍ صَغِيرٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "هَلَكَ الْمُصِرُّونَ"[4]، فَلَمْ يَخُصَّ مُصِرًّا مِنْ مُصِرٍّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الرَّاجِعُ عَنْ عِلْمِهِ**: فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ حَتَّى لاَ يَقْرَؤُهُ مِنَ الشِّعْرِ، وَهَذَا وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ الْوَعِيدُ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "**مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ حُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمَ**"[5]، وَقَوْلِهِ ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ -أَوْ قَالَ نَظَرْتُ-

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ اسْتِقْلاَلاً، وَضِمْنَ أُسْرَةِ أَبِي سُفْيَانَ مَحْبُوبُ بْنُ الرَّحِيلِ الْقُرَشِيُّ.
(٢) فِي عِلْمِهِ، بِدَلِيلِ مَا بَعْدَهُ.
(٣) لَعَلَّ يَسِمُهُ، أَيْ: يَصِفُهُ.
(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِلَفْظِ: "الْمُتَنَطِّعُونَ" [باب هلك المتنطعون، ر٦٩٥٥]، [ورواه أحمد، بلفظ: "ويل للمصرين"، ر٦٥٤١]، وَعِبَارَةُ الأَسَاسِ تَنَطَّعَ فِي كَلاَمِهِ: تَفَصَّحَ فِيهِ وَتَعَمَّقَ، وَرَمَى بِلِسَانِهِ إِلَى نطع الْفَمِ وَنطع أَلف مَوْقِعُ اللِّسَانِ فِي الْحَنَكِ.
(٥) [رواه الربيع، باب في ذكر القرآن، ر٦]

ذُنُوبَ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ نَاسِي الْقُرْآنِ"[١]، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْسَاهُ إِلاَّ بِهُجْرَانِهِ إِيَّاهُ وَتَهَاوُنِهِ بِهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ وَلَمْ يُرِدْ نِسْيَانَ نَفْسِ الْقُرْآنِ؛ لأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ النَّاسِيَ لِلْقُرْآنِ هُوَ التَّارِكُ لِلْعَمَلِ بِهِ وَإِنْ كَانَ يَقْرَؤُهُ ظَاهِرًا، وَقِيلَ: إِذَا نَسِيَهُ بِالْمَرَضِ لاَ يَكُونُ لَهُ نَاسِيًا وَلَوْ كَانَ لاَ يَحْفَظُهُ مَنْظُومًا، وَقِيلَ فِي كُلِّ مَا لَمْ يُفْرَضْ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ أَنْ لاَ يُؤَاخَذَ بِنِسْيَانِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) [رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في كنس المسجد، ر٤٦١]، وَفِي رِوَايَةٍ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا: حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا، فَرَأَيْتُ مِنْ مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا إِمَاطَةَ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَرَأَيْتُ مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهَا النُّخَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ تُدْفَنْ". [رواه مسلم، باب النهي عن البصاق في المسجد...، ر١٢٦١].

# فصل
# فِي الْعَمَلِ

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ تَوْأَمَانِ، لاَ يَنْفَعُ عِلْمٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَلاَ يُقْبَلُ عَمَلٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ، كَمَا قِيلَ عَنْ عِيسَى ﷺ قَالَ: "مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ فَذَلِكَ الَّذِي يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ، وَمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَذَلِكَ الَّذِي يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ وَلَمْ يَعْمَلْ فَذَلِكَ الَّذِي يَمُوتُ مَوْتَةً جَاهِلِيَّةً"(١).

**وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ:** عِلْمٌ بِاللِّسَانِ وَعِلْمٌ بِالْجَنَانِ، فَأَمَّا الْعِلْمُ بِاللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ، وَأَمَّا الْعِلْمُ بِالْجَنَانِ فَذَلِكَ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ(٢)، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ جَعَلَهُ اللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(٣).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ نَوْعَانِ، **أَحَدُهُمَا:** العلم بِامْتِثَالِ الْفَرَائِضِ، وَالتَّقَرُّبِ بِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللهِ تَعَالَى، **وَالثَّانِي:**

(١) [ذكره السمرقندي: تنبيه الغافلين، ٢/ ٤٧٠].

(٢) [قال صلى الله عليه وسلم: "العلم علمان علم باللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم بالقلب فذلك العلم النافع" (مسند الربيع، الأخبار المقاطيع عن جابر بن زيد، ٩٤٧)].

(٣) الشورى: ٥٢.

مَا ازْدَادَ الْعَبْدُ بِهِ حُبًّا لِلهِ وَطَاعَتِهِ، وَخَلَصَ لَهُ إِيمَانُهُ، وَاشْتَدَّ بِهِ يَقِينُهُ، وَمَا سِوَى هَذَا فَلْيُنْزِلْهُ الْعَبْدُ مِنْ جَهْلِهِ فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَلاَ يَصِحُّ عِلْمُ الْفَرَائِضِ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ أَدَائِهَا، وَالْعَمَلِ بِامْتِثَالِهَا، وَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ فِي كُلِّ عَمَلِ فَرِيضَةٍ ثَلاَثَةُ أَشْيَاءَ: وَهُوَ أَنْ يَمْتَثِلَهُ الْعَبْدُ عَلَى مَا أُمِرَ بِهِ، رَاجِيًا فِيهِ ثَوَابًا، خَائِفًا مِنْ تَرْكِهِ عِقَابًا.

وَيَجِبُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ الْفَرِيضَةِ ثَلاَثَةُ أَوْجُهٍ أَيْضًا، **أَحَدُهَا:** الْعِلْمُ بِامْتِثَالِ الْفِعْلِ وَكَيْفِيَّتِهِ، **وَالثَّانِي:** الْعِلْمُ بِأَنَّ اللهَ أَمَرَهُ بِهَا وَأَلْزَمَهُ فِعْلَهَا، **وَالثَّالِثُ:** أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ أَوْجَبَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابًا وَعَلَى تَرْكِهِ عِقَابًا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

# فصل

## فِي النِّيَّةِ[1] وَتَوَابِعِهَا مِنَ الصِّدْقِ وَالإِخْلاَصِ

اعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ لُبَابُ الْفِعْلِ وَصَفْوَتُهُ، وَعِمَادُ الدِّينِ وَأُسُّهُ، وَلِذَلِكَ نَفَى الرَّسُولُ ﷺ الأَعْمَالَ إِلاَّ بِهَا؛ لأَنَّهَا فِي الْعَمَلِ بِمَنْزِلَةِ الْبَذْرِ فِي الزِّرَاعَةِ، فَمَنْ زَرَعَ بِالْبَذْرِ فَحَقِيقٌ أَنْ يَحْصُدَ غِبْطَةً، وَمَنْ تَعَنَّى بِلاَ بَذْرٍ فَثَمَرَتُهُ النَّدَامَةُ، وَمَنْ أَهْمَلَ عَمَلَهُ بِسَهْوٍ أَوْ غَفْلَةٍ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ نِيَّةٍ عَنَاءٌ، وَالنِّيَّةُ بِغَيْرِ إِخْلاَصٍ رِيَاءٌ، وَهُوَ وَالنِّفَاقُ سَوَاءٌ، وَالإِخْلاَصُ مِنْ غَيْرِ صَدْقٍ وَتَحْقِيقٍ هَبَاءٌ، وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تَصِحُّ نِيَّةُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ النِّيَّةِ؟ أَوْ كَيْفَ يَصِحُّ لَهُ عَمَلٌ صَحِيحٌ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَةَ الإِخْلاَصِ؟ أَوْ كَيْفَ يُطَالِبُ الْمُخْلِصُ نَفْسَهُ بِالصِّدْقِ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ مَعْنَاهُ؟ فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَرَادَ طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَتَعَلَّمَ النِّيَّةَ لِتَخْلُصَ لَهُ الْمَعْرِفَةُ، ثُمَّ يُصَحِّحُهَا بِالْعَمَلِ بَعْدَ فَهْمِ حَقِيقَةِ الصِّدْقِ وَالإِخْلاَصِ اللَّذَيْنِ هُمَا وَسِيلَتَا الْعَبْدِ إِلَى النَّجَاةِ وَالْخَلاَصِ يَوْمَ الأَخْذِ بِالنَّوَاصِي.

---

(١) **النِّيَّةُ:** تَارَةً يُقْصَدُ بِهَا تَعْيِينُ الْعِبَادَةِ كَالْوُضُوءِ، فَإِنَّهُ يَكْفِي مِنْهُ اعْتِقَادُ رَفْعِ الْحَدَثِ لِجَمِيعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي الْوُضُوءُ شَرْطٌ فِي صِحَّتِهَا، وَلَيْسَ يَخْتَصُّ كُلَّ عِبَادَةٍ بِوُضُوءٍ مُجَدَّدٍ، وَتَارَةً يُقْصَدُ بِهَا تَعْيِينُ شَخْصِهَا كَالصَّلاَةِ فَلاَ بُدَّ مِنْ تَعْيِينِ النِّيَّةِ فِيهَا، إِنْ عَصْرًا فَعَصْرٌ، وَإِنْ ظُهْرًا فَظُهْرٌ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا يَنْقَلِبُ فَرْضًا إِذَا ابْتَدَأَهُ تَطَوُّعًا كَالْحَجِّ إِذَا ابْتَدَأَهُ - مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ - تَطَوُّعًا انْقَلَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ فَرْضًا، وَمِنْهَا مَا لاَ يَنْقَلِبُ كَالصَّلاَةِ إِذَا عَقَدَهَا نَافِلَةً لاَ تَسْتَحِيلُ فَرْضًا. اهـ مُحَشِّي.

**اعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ** إِنَّمَا تُؤَثِّرُ فِي الطَّاعَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ دُونَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، أَمَّا أَعْمَالُ الطَّاعَاتِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَنْوِيَ فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْهَا أَنْ يَمْتَثِلَهُ عِبَادَةً لِلهِ تَعَالَى وَتَقَرُّبًا بِهِ إِلَيْهِ.

فَحَقِيقَةُ النِّيَّةِ فِي الطَّاعَةِ: انْبِعَاثُ الْقَلْبِ وَالتَّحَرِّي إِلَى مَرْضَاةِ الرَّبِّ، فَنِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ كَمَا جَاءَ الْحَدِيثُ[1] وَمَعْنَاهُ -وَاللهُ أَعْلَمُ-: اعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ فِي نَفْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الأَعْمَالِ إِذَا كَانَتْ لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِهَا، أَوْ نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ اعْتِقَادُهُ طَاعَةَ اللهِ وَلَوْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَإِنْ مَاتَ دُونَهَا انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَلَمْ تَنْقَطِعْ نِيَّتُهُ[2]، فَإِنْ نَوَى بِالطَّاعَةِ رِيَاءً وَسُمْعَةً انْقَلَبَتْ مَعْصِيَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْمُبَاحَاتُ فَتَنْقَلِبُ طَاعَةً بِالنِّيَّةِ، فَلاَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَعَاطَى أَفْعَالَهُ تَعَاطِيَ الْبَهَائِمِ الْمُهْمَلَةِ فَتَصْدُرُ أَفْعَالُهُ عَنْهُ بِسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، فَأَغْلَبُ حُظُوظِ النَّفْسِ مِنَ الْمُبَاحِ، كَالأَكْلِ وَالنَّوْمِ وَالنِّكَاحِ، فَيَنْوِي فِي الأَكْلِ التَّقَوِّي لِلْجِسْمِ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَيَنْوِي فِي النَّوْمِ اسْتِرَاحَةَ الْجِسْمِ لِيَنْشَطَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَيَنْوِي بِالنِّكَاحِ تَحْصِينَ الْفَرْجِ، وَإِحْرَازَ الدِّينِ، وَطَلَبَ الْوَلَدِ لِعِبَادَةِ اللهِ، وتَكْثِيرًا لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُرِيدِ لِلآخِرَةِ أَنْ يَقِيسَ جَمِيعَ أَفْعَالِ الْمُبَاحِ عَلَى هَذِهِ الثَّلاَثَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَيُحْسِنَ النِّيَّةَ فِي جَمِيعِهَا حَتَّى تَصِيرَ طَاعَةً لِلهِ تَعَالَى وَعِبَادَةً.

وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَلاَ تُؤَثِّرُ فِيهَا النِّيَّةُ، وَلاَ تَنْقَلِبُ بِهَا لِلهِ تَعَالَى قُرْبَةً وَطَاعَةً، مِثْلَ أَنْ يَغْتَابُ إِنْسَانًا تَطْيِيبًا لِقَلْبِ الْمُسْلِمِ، أَوْ يُطْعِمُ فَقِيرًا مِنْ مَالِ غَيْرِهِ طَلَبًا لِلأَجْرِ، فَهَذَا كُلُّهُ جَهَالَةٌ وَاغْتِرَارٌ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: **"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"**[3]، فَالنِّيَّةُ لاَ تُؤَثِّرُ فِي إِخْرَاجِ الْفِعْلِ عَنْ كَوْنِهِ ظُلْمًا وَمَعْصِيَةً، بَلْ قَصْدُهُ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ عَلَى

(١) [رَوَاهُ الرَّبِيع، باب في النية، ر١].
(٢) وَهُوَ أَظْهَرُ مِنَ الأَوَّلِ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً.
(٣) [تقدم تخريجه].

خِلاَفِ مُقْتَضَى الشَّرْعِ شَرٌّ آخَرُ، فَإِنْ عَرَفَهُ فَهُوَ مُعَانِدٌ لِلشَّرْعِ، وَإِنْ جَهِلَهُ كَانَ عَاصِيًا بِالْجَهْلِ وَارْتِكَابِ الْفِعْلِ، إِذْ "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"(١)، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

**وَأَمَّا الإِخْلاَصُ**: فَمَعْنَاهُ إِخْلاَصُ الْعَمَلِ وَتَصْفِيَتُهُ مِنْ شَوَائِبِ الْكُدُورَاتِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَحُبِّ الثَّنَاءِ وَالْمَحْمَدَةِ حَتَّى يَصِيرَ خَالِصًا مُخْلِصًا لِوَجْهِ اللهِ، عَارِيًا مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْخَلْقِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾(٢) وَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾(٣).

**وَأَمَّا الصِّدْقُ**: فَيُسْتَعْمَلُ لَفْظُهُ فِي سِتَّةِ مَعَانٍ: صِدْقٌ فِي الْقَوْلِ، وَصِدْقٌ فِي النِّيَّةِ وَالإِرَادَةِ، وَصِدْقٌ فِي الْعَزْمِ، وَصِدْقٌ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَزْمِ، وَصِدْقٌ فِي الْعَمَلِ، وَصِدْقٌ فِي تَحْقِيقِ مَقَامَاتِ الدِّينِ، فَمَنِ اتَّصَفَ بِالصِّدْقِ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْمَعَانِي فَهُوَ الصِّدِّيقُ؛ لأَنَّهُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي الصِّدْقِ، كَمَا قِيلَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَمَالِ فَقَالَ: "قَوْلُ الْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِالصِّدْقِ"(٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾(٥)، وَمِنِ اتَّصَفَ بمعنًى مِنَ الصِّدْقِ مِنْ هذهِ

(١) تَقَدَّمَ.

(٢) الزُّمر: ٣.

(٣) النِّسَاء: ١٤٦.

(٤) كَانَ الْعَبَّاسُ ﷺ يَلْبَسُ الثِّيَابَ النَّقِيَّةَ الْبَيْضَاءَ، فَجَاءَ يَوْمًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ أَبْيَضُ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ تَبَسَّمَ، فَقَالَ العباسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: "صَوَابُ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ"، وَقَالَ: فَمَا الْكَمَالُ؟ قَالَ: "حُسْنُ الْفِعْلِ بِالصِّدْقِ" [رواه الحكيم الترمذي: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، في أن كمال المرء سبع، ٤/ ٣٦].

(٥) الْحَدِيد: ١٩.

المَعانِي المُتقدِّمَةِ فهوَ صادقٌ بالإضافةِ إلَى مَا فيهِ صِدْقُهُ، وليسَ كِتابُنا هذَا مَوضُوعًا لِهذهِ المَعانِي، وَباللهِ التوفيقُ.

# فصل

## فِي الْـوَرَعِ

اعْلَمْ أَنَّ مَلاَكَ الدِّينِ الْوَرَعُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْمُصَلِّينَ فَقَالَ: لاَ يَغُرُّنِي كَثْرَةُ رَفْعِ أَحَدِكُمْ رَأْسَهُ وَخَفْضِهِ، الدِّين الْوَرَعُ فِي دِينِ اللهِ، وَالْكَفُّ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَالْعَمَلُ بِحَلاَلِ اللهِ، وَالْكَفُّ عَنْ مَحَارِمِهِ، وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَرَعِ فَقَالَ: "**الْوُقُوفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ**"[1]، وَيُقَالُ: لاَ مَعْقِلَ أَحْرَزُ مِنَ الْوَرَعِ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: غَايَةُ الْوَرَعِ الْوُقُوفُ عَنْ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ لَحْظَةٍ، وَيُقَالُ: فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ، وَيُقَالُ: دِينٌ بِلاَ وَرَعٍ كَسَفِينَةٍ بِلاَ شِرَاعٍ.

وعَنِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ[2] قَالَ: "مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ بِجَمِيعِ مَعَانِيهِ، وَالسُّنَنَ بِجَمِيعِهَا، وَعَرَفَ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ، وَلَيْسَ لَهُ وَرَعٌ فَمَثَلُهُ كَالْقَوْسِ الَّذِي لاَ وَتَرَ لَهُ،

(١) [رواه الطبراني: المعجم الكبير بمعناه، ر١٩٧].

(٢) مَنْ هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ؟ الْمَشْهُورُونَ بِكُنْيَةِ (أَبِي مُحَمَّدٍ) الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْهِمُ الرِّئَاسَةُ الْعِلْمِيَّةُ قَبْلَ زَمَنِ الْمُؤَلِّفِ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَنْقُلَ عَنْهُمْ كَثِيرُونَ، أَبْرَزُهُمْ فِي الْمَغْرِبِ ثَلاَثَةٌ: ١- أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْخَيْرِ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَمِمَّنْ ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ، فَقِيلَ: (مَنْ ضَيَّعَ كِتَابًا فَكَمَنْ ضَيَّعَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَالِمًا مِثْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْخَيْرِ)، تَوَلَّى الْحُكْمَ عَلَى جَبَلِ نفُوسَةَ وَمَا يَتْبَعُهُ بِاتِّفَاقِ أُولِي الأَمْرِ مِنْ عُلَمَاءِ الْجَبَلِ. ٢- أَبُو مُحَمَّدٍ يصْلَتْن الْكَبَاوِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ، دَرَسَ عَلَى أَبِي هَارُونَ الْجلالِمِيِّ، وَأُسْنِدَتْ إِلَيْهِ الْفَتْوَى فِي جَبَلِ نفُوسَةَ زَمَنَ أَبِي زَكَرِيَّاءَ التِّنْمِيرَتِيِّ، وَكَانَ مَلْجَأً يُلْجَأُ إِلَيْهِ فِي حَلِّ الْمُشْكِلاَتِ. ٣- أَبُو مُحَمَّدٍ خَصِيبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمصمِيصِيُّ - وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا -

وَمَنْ تَوَرَّعَ بِلاَ بَحْثٍ وَلاَ مَعْرِفَةٍ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَدُورُ بِالرَّحَى، كُلَّمَا اشْتَدَّ فِي وَرَعِهِ اشْتَدَّ الْحِمَارُ فِي دَوْرِهِ"[١]. وَمِمَّا يُؤْثَرُ مِنْ كَلاَمِ عِيسَى عليه السلام: "لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا، وَصُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالأَقْوَاسِ مَا نَفَعَكُمْ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْوَرَعِ"[٢].

فَإِذَا كَانَ الْوَرَعُ ملاَكَ الأَمْرِ كُلِّهِ وَجَبَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَفَقَّدَ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهَا، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَإِعْطَاءٍ وَمَنْعٍ، وَيُحَاسِبَ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، فَمَا رَآهُ قُرْبَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى فَعَلَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ اجْتَنَبَهُ.

## [درجات الورع أربعة]

وَيُقَالُ: الْوَرَعُ عَلَى أَرْبَعِ دَرَجَاتٍ، **أَحَدُهَا:** وَرَعُ الْعُدُولِ، وَهَذَا[٣] الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ بِارْتِكَابِهِ النَّارَ، وَذَلِكَ كُلُّ مَا يَقْتَضِيهِ تَحْرِيمُ الْفَتْوَى مِنْ جَمِيعِ الْمَحَارِمِ، **وَالثَّانِي:** وَرَعُ الصَّالِحِينَ، وَهُوَ الْوَرَعُ عَنْ كُلِّ شُبْهَةٍ يُسْتَحَبُّ اجْتِنَابُهَا، كَقَوْلِهِ ﷺ: "**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ**"[٤]، **وَالثَّالِثُ:** وَرَعُ الْمُتَّقِينَ، كَقَوْلِهِ

---

لِتَصْرِيحِ الْمُحَشِّي بِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْ حَاشِيَتِهِ عَلَى الْقَوَاعِدِ، وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الإِيضَاحِ، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ، تَخَرَّجَ عَلَى الْعَلاَّمَةِ الْكَبِيرِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي هَارُونَ اللاَلَوِيِّ الَّذِي قِيلَ فِي حَقِّهِ: (قَلَّ أَنْ يَكُونَ ذُو عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ لَمْ يَقْتَبِسْ مِنْ سَنَاهُ، وَلَمْ يَغْتَرِفْ مِنْ يَنْبُوعِهِ)، أُسْنِدَتْ إِلَيْهِ الْفَتْوَى فِي جَبَلِ نفُوسَةَ زَمَنَ الأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّاءَ التِّنْمِيرَتِيِّ بَعْدَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْكباوِيِّ، يَرْوِي عَنْهُ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ فِي كِتَابِ الْقَوَاعِدِ وَالْقَنَاطِرِ، وَكَذَلِكَ الشَّيْخُ عَامِرٌ فِي الإِيضَاحِ.

أَمَّا الْمَشْهُورُونَ بِهَذِهِ الْكُنْيَةِ فِي الشَّرْقِ فَأَكْثَرُهُمْ نَقْلاً عَنْهُ. (أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ الْبَهْلَوِيُّ الْعُمَانِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ). اهـ مُصَحِّحه.

(١) [انظر البغطوري: سير أهل نفوسة، ص ٤٣].

(٢) [ذكره السمرقندي: تنبيه الغافلين، ٢/ ٥١٨ حديثا، وابن الأثير :النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٥٤ قولا لعمر بن الخطاب].

(٣) ظَاهِرُ الْعِبَارَةِ مُشْكِلٌ يُفِيدُ عَكْسَ الْحَقِيقَةِ، وَلَعَلَّ سَقْطًا وَقَعَ مِنَ الْعِبَارَةِ، وَصِحَّةُ الْعِبَارَةِ تَكُونُ وَلاَ بُدَّ هَكَذَا: وَرَعُ الْعُدُولِ هُوَ تَرْكُ الْمُحَرَّمِ الَّذِي يسْتَحقُّ.. إِلَخ.

(٤) [رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ٢٢، ر٢٦٣٧].

ﷺ: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْمُتَّقُونَ مُتَّقِينَ لِتَرْكِهِمْ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ مَا فِيهِ الْبَأْسُ"[١]، وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ ﷺ: "كُنَّا نَدَعُ تِسْعَةَ أَعْشَارٍ مِنَ الْحَلاَلِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ"، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ حَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلاَلٌ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، **وَالرَّابِعُ**: وَرَعُ الصِّدِّيقِينَ، وَهُوَ أَنْ يَتْرُكَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ أَصْلاً وَلاَ يَخَافُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى مَا فِيهِ الْبَأْسُ، وَلَكِنَّهُ يُتَنَاوَلُ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يُجْتَلَبُ إِلَيْهِ بِقُوَّةٍ غُذِّيَتْ بِمَحْظُورِ الشَّرْعِ، أَوْ يَأْتِي بِهِ إِلَيْهِ بَعْضُ مُنْتَهِكِي حُرُمَاتِ اللهِ مِنَ الظَّلَمَةِ وَالْفُسَّاقِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا -رَحِمَهُمُ اللهُ- وَقَدْ جَاءَهُ وَلَدُهُ بِلَحْمِ صَيْدٍ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ، فَقَالَ: "كُلْ مَا جَاءَ بِهِ يونس فَهُوَ يُونسُ"، وَكَانَ وَلَدُهُ يُخَالِطُ زَنَانَةَ[٢] فِي الْمُعَامَلَةِ[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## [وجوب اقتران الورع بالعلم]

وَالْوَرَعُ لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِالْعِلْمِ؛ لأَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا أَغْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا يَنْبَغِي، وَفَتَحَ عَلَيْهَا مَا لاَ يَنْبَغِي، فَمِثَالُ ذَلِكَ رَئِيسُ السَّفِينَةِ، إِذَا كَانَ عَالِمًا بِالْبَحْرِ أَرْسَاهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى وَجْهِهَا، وَالْجَاهِلُ بِالْبَحْرِ يُغْرِقُ السَّفِينَةَ وَمَنْ فِيهَا، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَفَقَّدَ جُنُودَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي جَسَدِهِ، وَيُغْلِقَهَا بِأَبْوَابِهَا، فَبَابُ الْعَيْنِ الْجُفُونُ، وَبَابُ اللِّسَانِ الشَّفَتَانِ، وَبَابُ الْيَدَيْنِ الْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَبَابُ الْفَرْجِ التَّوْبَةُ، وَبَابُ الرِّجْلَيْنِ الْوُقُوفُ عَنِ الشُّبُهَاتِ، فَإِذَا حَضَرَهُ أَمْرٌ حَسَنٌ فِيهِ فَتْحُ بَابٍ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ فَلْيَفْتَحْهُ، وَإِلاَّ فَلْيُغْلِقْهُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) [رواه الترمذي بلفظ: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس"، أبواب صفة القيامة، باب ١٤، ر٢٤١٥].

(٢) وَفِي نُسْخَةٍ: زنّات.

(٣) [انظر البغطوري: سير أهل نفوسة، ص ١٣، ١٤].

# فصل

## فِي أَرْكَانِ الدِّينِ الأَرْبَعَةِ

الَّتِي هِيَ الاسْتِسْلاَمُ لأَمْرِ اللهِ، وَالرِّضَى بِقَضَاءِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللهِ.

مَسْأَلَةٌ فِي الاسْتِسْلاَمِ: وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى الْعِبَادِ، وَتَرْكُهُ مَعْصِيَةٌ، وَيَكُونُ فِي الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ، وَمَعْنَاهُ الْخُضُوعُ لِلهِ تَعَالَى، وَحَقِيقَتُهُ هُوَ أَنْ يُلْجِئَ الْعَبْدُ أُمُورَهُ الَّتِي يَرْجُوهَا وَيَخَافَهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَيَسْتَسْلِمَ لَهُ قَبْلَ وُقُوعِ الْحُكْمِ، فَإِذَا وَقَعَ رَضِيَ بِهِ كَأَنَّه يُرِيدُهُ، فَيَتَّبِعُ أَوَامِرَهُ بِالامْتِثَالِ وَزَوَاجِرَهُ بِالْكَفِّ وَالانْتِهَاءِ، وَلَيْسَ مَعَ اللهِ ﷻ خِيَارٌ فِي جَمِيعِ مَقَادِيرِهِ مِنَ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي فِي جَمِيعِ الأَحْكَامِ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ كَانَ مُسْتَسْلِمًا مُسْلِمًا لِلهِ تَعَالَى.

مَسْأَلَةٌ فِي الرِّضَى: وَهُوَ أَيْضًا قَرِيبٌ مِنَ الاسْتِسْلاَمِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى فَيَمْتَثِلَهَا، وَبِنَوَاهِيهِ فَيَجْتَنِبَهَا، وَبِمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ فَيَرْضَى بِهَا وَلاَ يَسْخَطَهَا، بَلْ يَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ مُحْتَسِبًا فِيهِ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ؛ لأَنَّ ذَلِكَ عَدْلٌ مِنَ اللهِ وَصَوَابٌ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَسَخطَهُ، أَوْ جَوَّرَ اللهَ تَعَالَى فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ وَبَطَلَ أَجْرُهُ.

وَأَمَّا الْمُتَصَوَّفَةُ فَالرَّاضِي عِنْدَهُمْ: هُوَ الْمُحِبُّ لِمَا يَغْشَاهُ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَحَادِثٍ مَحْبُوبًا كَانَ أَوْ مَكْرُوهًا، وَلَيْسَ الرَّاضِي عِنْدَهُمْ رَاضِيًا حَتَّى يُحِبَّ جَمِيعَ ذَلِكَ وَيُؤْثِرَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَيَكُونَ فِي جَرَيَانِ الْمَقَادِيرِ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ[1]، وَلَيْسَ الَّذِي قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ بِبَعِيدٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لابْنِ عَبَّاسٍ: "**يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، اعْمَلْ عَلَى الرِّضَى وَالْيَقِينِ وَإِلاَّ فَفِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ**"[2]، يُرِيدُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ سُرُورًا فِي عَمَلِ الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ فَلْيَحْمِلْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا، وَإِنْ كَانَتْ مَنْزِلَةُ الصَّابِرِ دُونَ مَنْزِلَةِ الرَّاضِي. وَاللهُ أَعْلَمُ.

مَسْأَلَةٌ فِي التَّوَكُّلِ: وَهُوَ فَرْضٌ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[3]، وَمَعْنَى التَّوَكُّلِ: سُكُونُ الْقَلْبِ فِي ضَمَانِ الرَّبِّ، وَالطُّمَأْنِينَةُ بِمَا عِنْدَ اللهِ دُونَ غَيْرِهِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاهِبِ وَالإِحْسَانِ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اعْلَمْ أَنَّ الْجَاهِلَ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَى التَّوَكُّلِ تَرْكُ الْكَسْبِ بِالْبَدَنِ وَالتَّدْبِيرُ بِالْقَلْبِ، وَالسُّقُوطُ عَلَى الأَرْضِ كَالْخِرْقَةِ الْمُلْقَاةِ، وَكَاللَّحْمِ عَلَى الْوَضَمِ[4]، وَهَذَا ظَنُّ الْجَاهِلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ فِي الشَّرْعِ؛ لأَنَّهُ قَدْ أَثْنَى عَلَى الْمُتَوَكِّلِينَ، فَكَيْفَ يُنَالُ مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ بِمَحْظُورَاتِهِ، بَلْ نَكْشِفُ الْغِطَاءَ عَنْهُ وَنَقُولُ: إِنَّمَا يَظْهَرُ تَأْثِيرُ التَّوَكُّلِ فِي حَرَكَةِ الْعَبْدِ وَسَعْيِهِ بِعِلْمِهِ إِلَى مَقَاصِدِهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِجَلْبِ نَافِعٍ مَفْقُودٍ بِالْكَسْبِ، أَوْ لِحِفْظِ مَوْجُودٍ عِنْدَهُ بِالادِّخَارِ، أَوْ لِدَفْعِ ضَارٍّ لَمْ

(١) [انظر: إحياء علوم الدين، ٣١٧/٤ وما بعدها]

(٢) [رواه أحمد، ر٢٨٠٤].

(٣) الْمَائِدَة: ٢٣.

(٤) ["الوَضَمُ: كلّ شيء يُجعلُ عليه اللّحم من خشب أو باريّة (أي حصير) يوقى به من الأرض..." (الجوهري: الصحاح، باب الميم، فصل الواو: وضم)].

يَنْزِلْ بِهِ كَاللِّصِّ وَالسِّبَاعِ، أَوْ لإِزَالَةِ ضَارٍّ قَدْ نَزَلَ بِهِ كَالتَّدَاوِي مِنَ الْمَرَضِ، فَمَقْصُودُ حَرَكَاتِ الْعَبْدِ لاَ تَعْدُو هَذِهِ الْوُجُوهَ.

**أَمَّا جَلْبُ نَافِعٍ** فَيَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ[1] أَوْجُهٍ، **أَحَدُهَا [الوجه الأول]:** مَقْطُوعٌ بِهِ، مِثْلُ الأَسْبَابِ الَّتِي ارْتَبَطَتِ الْمُسَبَّبَاتِ بِهَا بِتَقْدِيرِ اللهِ ارْتِبَاطًا مُطَّرِدًا لاَ يَخْتَلِفُ[2]، مِثْلُ الطَّعَامِ الْمَوْضُوعِ بَيْنَ يَدَيِ الْجَائِعِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، فَلاَ يَمُدُّ إِلَيْهِ الْيَدَ فَيَقُولُ: إِنِّي مُتَوَكِّلٌ، وَشَرْطُ التَّوَكُّلِ تَرْكُ السَّعْيِ، وَمَدُّ الْيَدِ سَعْيٌ وَحَرَكَةٌ، وَكَذَلِكَ مَضْغُهُ بِالإِنْسَانِ، فَهَذَا جُنُونٌ وَلَيْسَ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي شَيْءٍ، فَإِنَّهُ إِنِ انْتَظَرَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ فِيهِ شَبَعًا دُونَ أَكْلِ الْخُبْزِ، وَدُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَيْهِ، أَوْ يُسَخِّرَ مَلَكًا يَمْضَغُهُ لَهُ، فَقَدْ جَهِلَ سُنَّةَ اللهِ تَعَالَى فِي الْبِلاَدِ وَالْعِبَادِ، وَكَانَ كَمَنْ طَمِعَ فِي الزَّرْعِ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ وَلاَ حَرْثٍ، وَطَمِعَ فِي الْوَلَدِ بِغَيْرِ جِمَاعِ زَوْجَتِهِ، كَمَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَأَمْثَالِ هَذَا مِمَّا يَكْثُرُ، فَلَيْسَ التَّوَكُّلُ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِالْعَمَلِ، بَلْ بِالْحَالِ وَالْعِلْمِ، أَمَّا الْعِلْمُ: فَهُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ الطَّعَامِ وَالْيَدِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ، وَأَمَّا الْحَالُ: فَيَكُونُ سُكُونُهُ وَاعْتِمَادُهُ عَلَى فَضْلِ اللهِ تَعَالَى لاَ عَلَى الْيَدِ وَالطَّعَامِ، إِذْ تَجِفُّ الْيَدُ وَيَسْلُبُهُ الطَّعَامَ فِي الْحَالِ، وَإِذَا كَانَ حَالُهُ هَكَذَا وَعِلْمُهُ فَلْيَمُدَّ إِلَيْهِ الْيَدَ، فَإِنَّهُ مُتَوَكِّلٌ.

**الْوَجْهُ الثَّانِي:** الأَسْبَابُ الَّتِي لَيْسَتْ مُتَعَيِّنَةً، لَكِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْمُسَبَّبَ لاَ يَحْصُلُ دُونَهَا، كَالَّذِي يُسَافِرُ فِي الْبَادِيَةِ بِغَيْرِ زَادٍ، فَهَذَا مُتَوَكِّلٌ بِشَرْطَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ قَدْ رَاضَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الطَّعَامِ أُسْبُوعًا أَوْ مَا قَارَبَهُ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ يَتَقَوَّتُ بِالْحَشِيشِ وَالأَشْيَاءِ الْخَسِيسَةِ، فَبَيْنَ الْوَجْهَيْنِ فَرْقٌ؛ لأَنَّهُ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَجِدَ طَعَامًا أَوْ مَا يُعْطَى لَهُ، أَوْ يَنْتَهِي إِلَى مَحَلَّةٍ أَوْ قَرْيَةٍ.

---

(١) [في الأصل: قال المؤلف: "على ثلاثة أوجه"، ولكنه ذكر بعد ذلك أربعة أوجه].

(٢) الظَّاهِرُ: لاَ يَتَخَلَّفُ.

وَالْوَجْهُ الأَوَّلُ لاَ يُحْتَمَلُ أَنْ يُتركَ الطَّعَامُ مَمْضُوغًا فِي فِيهِ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَلَكِنَّ الثَّانِيَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الأَوَّلِ، وَلِهَذَا نَقُولُ: لَوِ انْحَازَ إِلَى جَبَلٍ لاَ مَاءَ فِيهِ وَلاَ حَشِيشَ، وَلاَ يَطْرُقُهُ إِنْسَانٌ، وَجَلَسَ فِيهِ مُتَوَكِّلاً لَكَانَ آثِمًا سَاعِيًا فِي إِهْلاَكِ نَفْسِهِ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ زَاهِدًا فَارَقَ الأَمْصَارَ وَأَقَامَ فِي جَبَلٍ سَبْعًا، وَقَالَ: لاَ أَسْأَلُ أَحَدًا، فَكَادَ يَمُوتُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ ائْتِنِي بِرِزْقِي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: "وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأَرْزُقَنَّكَ حَتَّى تَدْخُلَ الأَمْصَارَ"، فَدَخَلَ فَجَاءَهُ هَذَا بِطَعَامٍ وَهَذَا بِشَرَابٍ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: "أَرَدْتَ أَنْ تُذْهِبَ حِكْمَتِي بِزُهْدِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي أَرْزُقُ عَبْدِي بِأَيْدِي عِبَادِي أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَرْزُقَهُ بِيَدِ قُدْرَتِي"، فَإِنَّ التَّبَاعُدَ عَنِ الأَسْبَابِ كُلِّهَا مِنْ مُرَاغَمَةِ الْحِكْمَةِ وَجَهْلٍ بِسُنَّةِ اللهِ تَعَالَى، فَالأَوَّلُ مُتَوَكِّلٌ بِالْحَالِ وَالْعِلْمِ، وَالثَّانِي مُتَوَكِّلٌ بِالْحَالِ وَالْعِلْمِ وَالشُّرُوطِ، إِذْ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْخَذَ الزَّادُ مِنْ صَاحِبِهِ فَيَمُوتَ جُوعًا.

**الْوَجْهُ الثَّالِثُ:** الْقَاعِدُ فِي مَسْجِدِ قَرْيَةٍ تَارِكًا لِلْكَسْبِ، فَهَذَا مُتَوَكِّلٌ، وَلَكِنَّهُ أَضْعَفُ مِنَ الأَوَّلِ؛ لأَنَّهُ بِالْقُعُودِ فِي الْمِصْرِ مُتَعَرِّضٌ لأَسْبَابِ الرِّزْقِ، وَلَكِنَّ هَذَا لاَ يُبْطِلُ تَوَكُّلَهُ إِذَا كَانَ نَظَرُهُ إِلَى الله مُسَخِّرِ سُكَّانِ الْبَلَدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْوَجْهُ الرَّابِعُ:** أَنْ يَكْتَسِبَ عَلَى الْوَجْهِ الْمُبَاحِ فِي الشَّرْعِ، يَرَى كَسْبَهُ وَبِضَاعَتَهُ - بِالإِضَافَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى - كَمَا يَرَى الْقَلَمَ فِي يَدِ الْمَلِكِ فَلاَ يَكُونُ نَظَرُهُ إِلَى الْقَلَمِ بَلْ إِلَى قَلْبِ الْمَلِكِ بِمَاذَا يَتَحَرَّكُ وَإِلَى مَاذَا يَمِيلُ، فَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَهُوَ بِبَدَنِهِ مُكْتَسِبٌ، وَبِقَلْبِهِ عَنْهُ مُنْقَطِعٌ، فَحَالُ هَذَا أَشْرَفُ مِنْ حَالِ الْقَاعِدِ فِي بَيْتِهِ إِذَا رُوعِيَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ الْحَالُ وَالْمَعْرِفَةُ كَمَا سَبَقَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ الصِّدِّيقَ ﷺ لَمَّا بُويِعَ بِالْخِلاَفَةِ أَخَذَ الأَثْوَابَ تَحْتَ حِضْنِهِ فَدَخَلَ السُّوقَ يُنَادِي، فَعُوتِبَ، فَقَالَ: "لاَ تَشْغَلُونِي عَنْ عِيَالِي، فَإِنِّي إِنْ ضَيَّعْتُهُمْ كُنْتُ لِمَا سِوَاهُمْ أَضْيَعَ"، فَفُرِضَ لَهُ قُوتُ عِيَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَتَجَرَّدَ حِينَئِذٍ لِلْقِيَامِ بِأُمُورِ

الْمُسْلِمِينَ، فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَكُنِ الصِّدِّيقُ مُتَوَكِّلاً، فَمَنْ أَوْلَى بِالتَّوَكُّلِ مِنْهُ؟ فَدَلَّ أَنَّهُ كَانَ مُتَوَكِّلاً لاَ بِاعْتِبَارِ تَرْكِ الْكَسْبِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَيَجُوزُ لِلْعَبْدِ الاتِّكَالُ عَلَى اللهِ فِي مَنَافِعِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَحِقَّهَا وَلاَ أَنْ يَجْرِيَ ذَلِكَ عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ، وَأَمَّا مَنَافِعُ الآخِرَةِ وَثَوَابُهَا فَلاَ يَتَّكِلُ عَلَى اللهِ دُونَ أَفْعَالِهِ، وَلاَ عَلَى أَفْعَالِهِ دُونَ اللهِ، وَإِنِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ أَنْ يُثِيبَهُ هُوَ أَوْ غَيْرَهُ فِي الآخِرَةِ بِغَيْرِ أَفْعَالٍ فَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ يَهْلِكُ، وَإِنِ اسْتَوْثَقَ الْعَبْدُ بِمَا فِي يَدِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ لاَ يَزُولُ فَهَذَا اتِّكَالٌ عَلَى غَيْرِ اللهِ، وَأَمَّا إِنْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِزَالَتِهِ فَهُوَ مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ. وَيُقَالُ: الاسْتِيثَاقُ بِمَا فِي الْيَدِ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ، وَالثِّقَةُ بِالْمَوْجُودِ ظَنٌّ سُوءٍ بِالْمَعْبُودِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنَ التَّوَكُّلِ وَشَوَاهِدِهِ فِي بَابِ الْقَدَرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ فِي التَّفْوِيضِ:** اعْلَمْ أَنَّ تَفْوِيضَ الأُمُورِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَرْضٌ وَاجِبٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ ضَرَّكَ وَنَفْعَكَ وَحَيَاتَكَ وَمَوْتَكَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ لَكَ رَازِقٌ غَيْرُهُ، وَلاَ مُعْطٍ سِوَاهُ، وَلاَ مَانِعَ حَاشَاهُ، فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ فَقَدْ فَوَّضْتَ الأُمُورَ الَّتِي تَنْجُو بِهَا وَتَرْجُو إِلَى مَالِكِهَا، فَأُسُّ التَّفْوِيضِ وَالْبَاعِثُ عَلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ اعْتِقَادُ أَنَّهُ لاَ يَكُونُ مِنَ الْخَيْرِ وَلاَ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ مَا أَرَادَ اللهُ كَوْنَهُ، فَإِذَا كَانَ اعْتِقَادُ الْعَبْدِ هَكَذَا فَقَدِ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ مِنَ الْخُضُوعِ إِلاَّ لِمَوْلاَهُ ﷻ، وَقَدْ قَالَ ﷺ حِكَايَةً عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، وَقَدْ بَالَغَ النَّبِيُّ ﷺ فِي التَّصْرِيحِ بِهِ وَالنَّصِّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: "لِيَقِلَّ

(١) غَافِر: ٤٤.

هَمُّكَ، مَا قُدِّرَ أَتَاكَ، وَمَا لَمْ يُقَدَّرْ لَمْ يَأْتِكَ"[١]، "وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلْقَ لَوْ جَهِدُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ ﷻ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَوْ جَهِدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ"[٢]، وَقَوْلِهِ ﷺ: "لِيَقِلَّ هَمُّكَ" أَمْرٌ بِالتَّفْوِيضِ؛ لأَنَّهُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ جَمِيعًا وإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْقَلْبِ، وَإِنْ نَزَلَ عَلَى الْعَبْدِ بَلاَءٌ أَوْ نِعْمَةٌ فَشَكَّ أَنَّهُ مِنَ اللهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قِبَلِ اللهِ فَقَدْ هَلَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) [رواه البيهقي: شعب الإيمان، باب التوكل بالله عز و جل و التسليم لأمره تعالى في كل شيء، ر١١٨٨، بلفظ: "لاَ تُكْثِرْ هَمَّكَ، فَإِنَّهُ مَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ"].

(٢) [رواه أحمد، رقم ٢٨٠٤، وهذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس وليس لابن مسعود]

# كتاب الطهارات

# الرُّكْنُ الثَّانِي مِنَ الْكِتَابِ
## فِي شُرُوطِ الصَّلاَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ السُّنَنِ وَالآدَابِ

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ الطَّهَارَةِ الْمَشْرُوعةِ مِنَ الأَحْدَاثِ أَرْبَعَ مُقَدِّمَاتٍ.

# الْمُقَدِّمَــةُ الأُولَــى
## فِي آدَابِ قَضَاءِ حَاجَةِ الإِنْسَانِ

وَتَحْتَوِي عَلَى عِشْرِينَ مَسْأَلَةً مِنَ الْمَنَاهِي وَالأَدَبِيَّاتِ:

**إِحْدَاهَا:** إِبْعَادُ الْمَذْهَبِ لِلْغَائِطِ فِي الصَّحْرَاءِ وَحَيْثُ يَتَعَذَّرُ الاسْتِتَارُ بِجُدُورِ الْمُبَاحَاتِ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا ذَهَبَ لِحَاجَةِ الإِنْسَانِ أَبْعَدَ الْمَذْهَبَ[١].

**الثَّانِيَةُ:** الاسْتِتَارُ عَنِ النَّاسِ بِحَيْثُ لاَ يُرَى لَهُ شَخْصٌ وَلاَ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ، لِنَهْيِهِ ﷺ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ[٢].

**الثَّالِثَةُ:** اخْتِيَارُ الْمَوْضِعِ السَّهْلِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ فَلْيُدْمِثْ لِبَوْلِهِ"[٣] وَالدَّمْثُ اللِّينُ.

**الرَّابِعَةُ:** أَنْ لاَ يَبُولَ قَائِمًا، لِنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ[٤].

**الْخَامِسَةُ:** أَلاَّ يَكْشِفَ عَوْرَتَهُ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَى مَوْضِعِ تَبَرُّزِهِ، لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ لاَ يَكْشِفُ إِزَارَهُ حَتَّى يَقْرُبَ مِنَ الأَرْضِ[١].

---

(١) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر١، والترمذي، كتاب الطهارة، ر٢٠].
(٢) [رَوَاهُ ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، ر٣٣٦].
(٣) [رَوَاه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٣، بلفظ: "إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله..."].
(٤) اللهُمَّ إِلاَّ لِعُذْرٍ. [رواه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، ر٣٠٥].

**السَّادِسَةُ:** أَنْ يَسْتَتِرَ بِمَا أَمْكَنَهُ، مِنْ جِدَارٍ أَوْ صَخْرٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ رَاحِلَةٍ أَوْ ثَوْبِهِ إِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يُدِيرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَجْعَلَ مِنْهُ لِلرِّيحِ مُنْفَرَجًا(٢).

**السَّابِعَةُ:** أَنْ لاَ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِفَرْجِهِ وَلاَ يَسْتَدِيرَهَا فِي الصَّحْرَاءِ، دُونَ الْكُهُوفِ وَالأَبْنِيَةِ، لِلنَّهْيِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ لِحُرْمَةِ الْقِبْلَةِ(٣).

**الثَّامِنَةُ:** أَلاَّ يَسْتَقْبِلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لاحْتِرَامِ نُورِ الْعَرْشِ؛ لأَنَّهُمَا خُلِقَتَا مِنْهُ.

**التَّاسِعَةُ:** أَلاَّ يَسْتَقْبِلَ الرِّيحَ، لِئَلاَّ تَرُدَّ عَلَيْهِ النَّتِنَ(٤)؛ وَلأَنَّهُ قِيلَ: يُورِثُ مَرَضَ الْجُذَامِ، وَأَنْ لاَ يَسْتَقْبِلَ الطَّرِيقَ، لِئَلاَّ تَبْدُوَ عَوْرَتُهُ لِلْمَارَّةِ.

**وَالْعَاشِرَةُ:** أَلاَّ يَقْعُدَ فِي مُتَحَدَّثِ النَّاسِ وَلاَ فِي الطُّرُقَاتِ، وَلاَ فِي ظِلاَلِ الأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ، وَلاَ فِي ظِلاَلِ الْجُدُورَاتِ(٥)، وَلاَ فِي شُطُوطِ الأَنْهَارِ، وَلاَ فِي الْمِيَاهِ، وَلاَ فِي ظُهُورِ الْمَسَاجِدِ وَحَرِيمِهَا، لِلنَّهْيِ الْوَارِدِ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: "مَنْ قَضَى حَاجَتَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ أَوْ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ، أَوْ طَرِيقٍ عَامِرَةٍ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"(٦).

---

(١) رِوَايَةُ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ "أَنَّهُ كَانَ مِنْ آدَابِهِ أَنْ لاَ يَكْشِفَ إِزَارَهُ إِذَا أَرَادَ حَاجَةَ الإِنْسَانِ حَتَّى يَقْرُبَ مِنَ الأَرْضِ" [كتاب الطهارة، ر٨٤]، ثُمَّ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ [كتاب الطهارة، ر١٣]، وَالتِّرْمِذِيُّ [كتاب الطهارة، ر١٤] عَنْ أَنَسٍ بِلَفْظِ: "إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الأَرْضِ".

(٢) [رواه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، ر٣٣٤].

(٣) [رواه الربيع، كتاب الطهارة، باب في الاستجمار، ر٧٧، بلفظ: "لا تستقبلوا القبلة ببول ولا غائط"، والبخاري، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام، ر٣٨٦]

(٤) [روي عن النبي ص أنه قال: "إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه..." رواه أبو يعلى في مسنده، (الهندي: كنز العمال، ر٢٦٣٧٤)].

(٥) [الجُدُوراتُ: جمعُ الجُدُورِ، وهو جمعُ جَدْرٍ وجِدَارٍ].

(٦) [رُوي بألفاظ أخرى كثيرة منها: ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد و قارعة الطريق و الظل للخرأة" ، رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٢٤].

**الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ لاَ يَقْعُدَ فِي حَرْثٍ لِحُرْمَةِ الطَّعَامِ، وَلاَ فِي مَقْبَرَةٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "حُرْمَةُ مَوْتَانَا كَحُرْمَةِ أَحْيَائِنَا"(١).

**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ لاَ يَبُولَ فِي جُحْرٍ، وَلاَ فِي مَهْوَاةٍ، وَلاَ فِي مَوْضِعِ حَافِرِ دَابَّةٍ، لِنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ قَضَائِهَا فِي الأَجْحِرَةِ؛ لأَنَّهَا مَسَاكِنُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ(٢)، وَقِيلَ: لِلإِشْفَاقِ أَنْ تَكُونَ فِيهِ دَابَّةٌ مُؤْذِيَةٌ.

**الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** أَلاَّ يَقْعُدَ فِي بُيُوتِ النَّاسِ، وَلاَ فِي مَوْضِعِ الْوُضُوءِ.

**الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ يَقُولَ عِنْدَ الْقُعُودِ لِحَاجَتِهِ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"(٣)، وَيَجْتَنِبَ ذِكْرَ اللهِ عَلَى الْخَلاَءِ لِنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ(٤).

**الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ يَحْتَفِرَ لِلْبَوْلِ حُفْرَةً يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِطِ؛ لأَنَّ اخْتِلاَطَهُمَا قِيلَ: إِنَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَحْجُبُ الدُّعَاءَ عَنِ الْقَبُولِ، وَتُورِثُ الْوَسْوَاسَ.

**السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى الشِّقِّ الأَيْسَرِ؛ لأَنَّهُ أَيْسَرُ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ.

**السَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ لاَ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ؛ لِنَهْيِهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ(١).

---

(١) [لم أجده بهذا اللفظ، روي بألفاظ أخرى، منها: قول الشعبي: " يقطع في أمواتنا كما يقطع في أحيائنا" رواه البيهقي، باب النباش يقطع إذا أخرج الكفن من جميع القبر، ر١٧٧٠١].

(٢) [رواه الربيع، كتاب الطهارة، ر٨٣، وأبو داود، كتاب الطهارة، ر٢٧].

(٣) [رواه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، ر٢٩٥] لِحَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلاَءَ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ" [رَوَاه البخاري، باب يقول عند الخلاء، ر١٤٢]. الْخُبْثُ بِضَمِّ الْبَاءِ: جَمْعُ خَبِيثٍ، وَالْخَبَائِثُ: جَمْعُ خَبِيثَةٍ، وَالْمُرَادُ: ذُكْرَانُ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثُهُمْ.

(٤) وَلاَ بَأْسَ إِذَا عَطَسَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ فِي نَفْسِهِ، وَلاَ يُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَهُ.

**الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:** أَنْ لاَ يَنْشَغِلَ بِالْحَدِيثِ، وَلاَ بِإِنْشَادِ الشِّعْرِ، وَلاَ بِالْقِرَاءَةِ، وَلاَ يَرُدَّ السَّلاَمَ، وَلاَ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ أَيْضًا؛ لِلنَّهْيِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ رَدِّ السَّلاَمِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، وَلاَ يَلْزَمُهُ الرَّدُّ بَعْدَ فَرَاغِهِ أَيْضًا[٢].

**التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:** أَلاَّ يَتَمَخَّطَ وَلاَ يَبْصُقَ فِي الْحَدَثِ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْلُتَ الذَّكَرَ مِنْ لَدُنِ الْعِجَانِ إِلَى أَصْلِ الْقَضِيبِ لِيَسْتَبْرِئَ بِذَلِكَ.

**الْعِشْرُونَ:** أَنْ يُزِيلَ النَّجَسَ بِالأَحْجَارِ أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا، مِنْ كُلِّ جَامِدٍ طَاهِرٍ مُنَقٍّ، لَيْسَ بِمَطْعُومٍ وَلاَ بِذِي حُرْمَةٍ، كَالْمَدَرِ وَالتُّرَابِ وَالأَعْوَادِ، وَيَتَّقِيَ الاسْتِنْجَاءَ بِالنَّجَسِ وَالْعَظْمِ وَالرَّوْثِ، لِنَهْيِهِ ﷺ عَنِ الْعَظْمِ وَالرَّوْثِ[٣] وَقَالَ: "مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَلْعُونٌ"[٤]، وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصِرَ فِي الاسْتِجْمَارِ عَلَى وِتْرِ الأَعْدَادِ عَلَى ثَلاَثَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ، وَإِنْ أَنْقَى بِحَجَرٍ وَاحِدٍ لَهُ ثَلاَثَةُ حُرُوفٍ فَلاَ بَأْسَ، وَلاَ يَسْتَنْجِي بِالزُّجَاجِ الأَمْلَسِ وَلاَ بِالْفَحْمِ؛ لأَنَّهُ لاَ يُنَشِّفُ، وَلاَ يُعَامِلُ الْبَوْلَ بِيَدِهِ؛ لأَنَّهُ يُورِثُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَيَسْتَنْجِي مِنْ كُلِّ مَا خَرَجَ مِنَ السَّبِيلَيْنِ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالْمَنِيِّ وَالْمَذِيِّ وَالْوَدِيِّ وَالدَّابَّةِ وَالدَّمِ، إِلاَّ الرِّيحَ خُصُوصًا. وَالْعَمَلُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَقْصُورٌ عَلَى الشِّمَالِ دُونَ الْيَمِينِ، وَلْيَبْدَأْ بِمَخْرَجِ الْبَوْلِ، وَلاَ يَلْزَمُهُ طَلَبُ الثَّلاَثَةِ إِذَا أَنْقَى بِدُونِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يمس الرجل ذكره بيمينه" رواه الترمذي، كتاب الطهارة، ر١٥].

(٢) [كما في الحديث]: مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ وَهُوَ يَبُولُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. [رَوَاه الربيع، كتاب الطهارة، ر٨٤، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، ر٨٤٩].

(٣) سَبَقَ قَرِيبًا مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ.

(٤) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٣٣ بلفظ: "يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- مِنْهُ بَرِيءٌ"].

# الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ

## فِي أَعْيَانِ النَّجَاسَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا وَالْمُخْتَلَفِ فِيهَا

### [الأعيانُ المتَّفَقُ على تحريمِها ونجاستِها عشرةٌ]

اعْلَمْ أَنَّ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهَا مِنْ أَعْيَانِ النَّجَاسَاتِ عَشَرَةُ أَشْيَاءَ، وَهِيَ: الْمَيْتَةُ، وَالدَّمُ، وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَالْغَائِطُ، وَالْبَوْلُ، والمنيُّ، وَالمَذِيُّ، وَالْوَدِيُّ، وَالطُّهْرُ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْخَمْرُ، فَهَذِهِ الأَشْيَاءُ مُتَّفَقٌ عَلَى تَحْرِيمِهَا وَنَجَاسَتِهَا عِنْدَ جَمِيعِ الأَئِمَّةِ فِيمَا عَلِمْتُ[1]، وَلاَ بُدَّ مِنْ تَفْصِيلِهَا بِأَلْفَاظٍ مُخْتَصَرَةٍ:

**أَمَّا الْمَيْتَةُ**: فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَى الإِطْلاَقِ[2] بِنَصِّ الْكِتَابِ وَالإِجْمَاعِ مِنَ الأُمَّةِ إِلاَّ مَا خَصَّتْهُ السُّنَّةُ مِنْهَا.

**وَحَدُّ الْمَيْتَةِ**: كُلُّ مَا خَرَجَ مِنْهُ الرُّوحُ عَلَى غَيْرِ سَبِيلِ الذَّكَاةِ، وَهِيَ **نَوْعَانِ: بَرِّيَّةٌ وَبَحْرِيَّةٌ، فَنَوْعَانِ، أَحَدُهُمَا [النوع الأول]**: مَا لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ مُجْتَمِعٌ فِيهِ اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالْعَظْمُ كَالأَنْعَامِ وَالْحَشَرَاتِ، فَلاَ خِلاَفَ فِي نَجَاسَتِهَا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: **"إِذَا مَاتَتِ الْفَأْرَةُ فِي السَّمْنِ الذَّائِبِ فَأَرِيقُوهُ، وَإِنْ كَانَ جَامِدًا فَأَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا"**[3]، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْفَأْرَةِ مِنْ جَمِيعِ مَا أَشْبَهَهَا قِيَاسًا عَلَيْهَا كَالْعَصَافِيرِ

---

(١) لَيْسَتْ كُلُّهَا مُجْمَعًا عَلَيْهَا عَلَى مَا أَعْلَمُ.

(٢) إِلاَّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، فَتُبَاحُ بِنَصِّ الْكِتَابِ.

(٣) رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ ﷺ: سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ وَقَعَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ: "أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا، وَكُلُوا سَمْنَكُمْ" [باب ما يقع من النجاسات في السمن، ر٢٣٣]، يَعْنِي: لَمْ يَصِحَّ فِيهِ التَّفْصِيلُ بَيْنَ الْجَامِدِ وَالْمَائِعِ، وَرِوَايَةُ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: "إِذَا وَقَعَتِ الْفَأْرَةُ

وَالْحَيَّاتِ وَجَمِيعِ الْحَشَرَاتِ، وَاخْتُلِفَ فِي الضَّمْجِ وَالْقِرَاضِ وَالْقَمْلِ وَالْبَعُوضِ وَالْبَقِّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

**النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ مَيْتَةِ الْبَرِّ**: مَا لَيْسَ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ كَالذُّبَابِ وَالذَّرِّ وَالْخَنَافِسِ وَالْعَقَارِبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَنْجُسَ بِالْمَوْتِ وَلاَ مَا مَاتَ فِيهِ مِنْ مَاءٍ أَوْ مَائِعٍ قِيَاسًا عَلَى الذُّبَابِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا وَقَعَ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَامْقُلُوهُ ثُمَّ أَخْرِجُوهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الآخَرِ شِفَاءً، وَإِنَّهُ لَيُقَدِّمُ الدَّاءَ وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ"(١)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَعْضَهَا يَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ أَفْسَدَ طَعَامًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْمَيْتَةُ الْبَحْرِيَّةُ**: فَمُتَّفَقٌ عَلَى طَهَارَتِهَا وَتَحْلِيلِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ**﴾(٢)، وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ وَالْحِلُّ مَيْتَتُهُ**"(٣)، وَلِقَوْلِهِ: "**أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: فَالْمَيْتَتَانِ السَّمَكُ وَالْجَرَادُ، وَالدَّمَانِ الْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**"(٤).

**وَمَيْتَةُ الْبَحْرِ** نَوْعَانِ أَيْضًا، **[الأول]**: مَا مَاتَ بِسَبَبِ رَمْيٍ أَوْ قَتْلٍ فِي حِينِ الاصْطِيَادِ، فَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَى تَحْلِيلِهِ، **وَالثَّانِي**: مَا مَاتَ بِغَيْرِ سَبَبٍ، فَقِيلَ: هُوَ حَلاَلٌ، وَقِيلَ: هُوَ مَكْرُوهٌ إِذَا أَنْتَنَ.

وَاخْتُلِفَ فِي خِنْزِيرِ الْمَاءِ وَإِنْسَانِ الْمَاءِ، فَقِيلَ فِيهِمَا بِالتَّحْلِيلِ، وَقِيلَ بِالْكَرَاهِيَةِ، وَقِيلَ: التَّحْلِيلُ مَقْصُورٌ عَلَى السَّمَكِ دُونَ سِوَاهُ مِنَ الْحَيَّاتِ، وَيَتَمَيَّزُ

---

فِي السَّمْنِ؛ فَإِنْ كَانَ جَامِدًا فَأَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا، وَإِنْ كَانَ مَائِعًا فَلاَ تَقْرَبُوهُ" [أبو داود، باب في الفأرة تقع في السمن، ر٣٨٤٤]. وَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ بِالْوَهْمِ.

(١) [رَوَاه الربيع، باب أدب الطعام والشراب، ر٣٧١، وأبو داود، كتاب الأطعمة، ر٣٣٤٦].

(٢) الْمَائِدَة: ٩٦.

(٣) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْبَحْرِ، يَعْنِي سُئِلَ عَنِ الْوُضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ فَقَالَ: "هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ وَالْحِلُّ مَيْتَتُهُ" [رواه الربيع، باب في أحكام المياه، ر١٦١]. وَالطَّهُورُ: هُوَ الطَّاهِرُ الْمُطَهِّرُ.

(٤) [رواه الربيع، باب الذبائح، ر٦١٨].

مِنْ غَيْرِهِ بِالْقُشُورِ؛ لأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّعْرِ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ، وَمَا لَيْسَ عَلَيْهِ قُشُورٌ مِنْ حِيتَانٍ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيَّاتِ وَالأَمَاحِي وَمَا كَانَ أَمْلَسَ مِنْ حَشَرَاتِ الْبَرِّ، وَقِيلَ: ذَكَاةُ الْحِيتَانِ التَّسْمِيَةُ عَلَيْهِ فِي حِينِ اصْطِيَادِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ: وَأَمَّا أَجْزَاءُ مَيْتَةِ الْبَرِّ** فَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ كَاللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالْبَلَلِ مِنْهَا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى تَحْلِيلِهِ كَالصُّوفِ وَالشَّعْرِ وَأَطْرَافِ الرِّيشِ وَالْوَبَرِ وَأَشْبَاهِهَا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ كَالْجِلْدِ بَعْدَ دِبَاغِهِ وَطَرَفِ الْقَرْنِ وَأَطْرَافِ الأَظْلاَفِ وَالْعِظَامِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا، وَأَمَّا مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَلاَ خِلاَفَ أَنَّهُ مَيْتَةٌ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الدَّمُ الْمَسْفُوحُ**: فَمُتَّفَقٌ أَيْضًا عَلَى نَجَاسَتِهِ وَتَحْرِيمِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا**﴾[2]، إِلاَّ مَا خَصَّتْهُ السُّنَّةُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَالْمَيْتَتَانِ الْجَرَادُ وَالسَّمَكُ، وَالدَّمَانِ الْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**"[3]، وَاخْتُلِفَ فِي ذَكَاةِ الْجَرَادِ، فَقِيلَ: ذَكَاتُهُ التَّسْمِيَةُ عَلَيْهِ حِينَ يُطْبَخُ أَوْ يُشْوَى، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ قَطْفِ رُؤُوسِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتُلِفَ فِي قَلِيلِ مِنَ الدَّمِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَسْفُوحًا، وَفِي الرَّشَاشِ الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَ لَمْ يفض، فَقِيلَ: لاَ يُنَجِّسُ وَلاَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَقِيلَ: الشَّيْءُ النَّجِسُ بِعَيْنِهِ لاَ يَتَبَعَّضُ، وَلِقَوْلِهِ: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ**﴾[4] عُمُومًا فِي كُلِّ دَمٍ، وَرُخِّصَ فِي الْحُمْرَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْيَدِ وَالثَّوْبِ بَعْدَ غَسْلِ الْمَذْبَحِ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي دَمِ الْقَلْبِ وَدَمِ الْعُرُوقِ، وَرُخِّصَ أَيْضًا فِي دَمِ الذُّبَابِ وَمَا كَانَ فِي

(١) لِقَوْلِهِ ﷺ: "مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَهُوَ مَيْتَةٌ". [رواه أبو داود، كتاب الصيد، ر٢٤٧٥].
(٢) الأنعام: ١٤٥.
(٣) [سبق تخريجه].
(٤) الْمَائِدَة: ٣.

مَعْنَاهُ مِنَ الْبَرَاغِيثِ وَأَشْبَاهِهَا، وَاخْتُلِفَ فِي دَمِ الشُّهَدَاءِ وَالْبُغَاةِ أَيْضًا، وَالأَصَحُّ عِنْدِي نَجَاسَتُهُ لِعُمُومِ الدَّمِ.

وَشَدَّدَ أَصْحَابُنَا فِي الْقَمْلِ إِذَا كَانَ أَصْلُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ، عَلَى أَنَّ بَعْضَهُمْ شَدَّدَ فِي قَمْلِ الْحَيَوَانِ وَالأَنْعَامِ أَيْضًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْخِنْزِيرُ:** فَمُجْمَعٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ وَنَجَاسَتِهِ بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَالْعَظْمِ وَالْعَصَبِ وَاللَّبَنِ وَالْجِلْدِ؛ لأَنَّهُ لاَ تَصِحُّ فِيهِ الذَّكَاةُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[1] فَرَدَّ الْهَاءَ إِلَيْهِ، فَصَحَّ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "بُعِثْتُ بِقَتْلِ الْخِنْزِيرِ"[2]، وَاخْتُلِفَ فِي شَعْرِهِ، فَأَجَازَهُ بَعْضٌ، وَمَنَعَ مِنْهُ آخَرُونَ، وَالْقِرْدُ وَالْفِيلُ فِي مَعْنَى الْخِنْزِيرِ، وَلاَ تَصِحُّ فِيهِمَا الذَّكَاةُ، وَاخْتُلِفَ فِي عَظْمِ نَابِ الْفِيلِ وَالْمَكَاحِلِ الْمُتَّخَذَةِ مِنْهُ.

**وَأَمَّا رَجِيعُ ابْنِ آدَمَ وَغَائِطُهُ:** فَمُتَّفَقٌ عَلَى نَجَاسَتِهِ، وَكَذَلِكَ بَوْلُهُ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الأَجْزَاءِ الْمُنْفَصِلَةِ مِنْهُ وَالْمُتَّصِلَةِ بِهِ؛ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ وَالْعَصَبِ وَغَيْرِهَا، وَاخْتُلِفَ فِي مُخِّهِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْبُزَاقِ وَالْعَرَقِ وَالْمُخَاطِ وَالْبَلْغَمِ وَجَمِيعِ الْبَلَلِ مِنْهُ أَنَّهُ طَاهِرٌ.

وَكَذَلِكَ مَا يَسْتَحِيلُ مِنَ الأَجْسَامِ إِلَى صَلاَحٍ، كَلَبَنِ الآدَمِيَّاتِ وَالْمُحَلَّلِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، فَلاَ خِلاَفَ فِي طَهَارَتِهِ، كَمَا لاَ خِلاَفَ فِي نَجَاسَةِ لَبَنِ الْخِنْزِيرَةِ، وَأَمَّا لَبَنُ الْحَيَوَانِ الْمُحَرَّمِ الأَكْلِ فَقِيلَ: مَكْرُوهٌ، وَقِيلَ: تَابِعٌ لِلَّحْمِ.

---

(١) الأنعام: ١٤٥.

(٢) [لم أجد من خرجه، وقد ذكره طائفة من الفقهاء، كالسرخسي في المبسوط [٤/ ١٦٤] بلفظ: "بعثت لكسر الصليب وقتل الخنزير"، والقطب في شرح النيل [١١/ ١٣٢] بلفظ: "بعثت بقتل الخنزير وإراقة الخمر"].

وَأَمَّا بَيْضُ الطَّيْرِ الْمُبَاحِ فَلاَ بَأْسَ بِهِ، دُونَ بَيْضِ الْحَشَرَاتِ مِنَ الْحَيَّاتِ وَالأَمَاحِي وَأَشْكَالِهَا؛ لأَنَّهَا مِنَ الْخَبَائِثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَكَذَلِكَ مَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْجُرُوحِ وَالْقُرُوحِ مِنَ الْمِدَّةِ وَالْقَيْحِ، اتَّفَقُوا أَنَّهُ طَاهِرٌ، وَاخْتُلِفَ فِي الصَّدِيدِ وَمَا أَشْبَهَهُ.

**وَأَمَّا الْمَنِيُّ وَالْمَذِيُّ وَالْوَدِيُّ**: فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا نَجِسَةٌ إِذَا فُصِلَتْ عَنِ الْبَدَنِ[1]، وَاخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نَجَاسَتِهَا، فَقِيلَ: اسْتِمْرَارُ خُرُوجِهَا مِنْ مَجْرَى النَّجَسِ، وَأَنَّهُ لَوِ احْتَلَمَ الإِنْسَانُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَصَاعِدًا، ثُمَّ مَسَّتِ النُّطْفَةُ ثَوْبًا أَنَّهُ لاَ يَنْجُسُ، وَيَلْزَمُهُ الْغُسْلُ؛ لأَنَّهُ تَعَبُّدٌ، وَقَاسُوهَا عَلَى سَائِرِ الْفَضَلاَتِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ

---

(١) التَّحْقِيقُ أَنَّ نَجَاسَةَ الْمَنِيِّ مُخْتَلَفٌ فِيهَا لاَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا، فَالْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالْهَادَوِيَّةُ وَرِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ يَقُولُونَ كَأَصْحَابِنَا بِنَجَاسَتِهِ، قَالُوا: لأَنَّ الْغُسْلَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ عَنْ نَجَسٍ، وَقِيَاسًا عَلَى فَضَلاَتِ الْبَدَنِ الْمُسْتَقْذَرَةِ، لَكِنَّ الشَّافِعِيَّةَ يَقُولُونَ بِطَهَارَةِ الْمَنِيِّ، مُسْتَدِلِّينَ بِمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: "كُنْتُ أَفْرُكُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَابِسًا"، [رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي، باب ما ورد في طهارة المني وحكمه رطبا ويابسا، ٤٥٩]، وَلِقَوْلِهَا – وَاللَّفْظُ لابْنِ حِبَّانَ – "لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَفْرُكُ الْمَنِيَّ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي" [راواه ابن حبان، باب النجاسة وتطهيرها، ر١٣٨٠]، وَبِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْمَنِيِّ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَ: "إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُخَاطِ وَالْبُصَاقِ"، وَقَالَ: "إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَمْسَحَهُ بِخِرْقَةٍ أَوْ إِذْخِرَةٍ" [رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي، باب ما ورد في طهارة المني وحكمه رطبا ويابسا، ر٤٥٧]، قَالُوا: وَأَحَادِيثُ غَسْلِهِ مَحْمُولَةٌ عَلَى النَّدْبِ، وَلَيْسَ الْغُسْلُ دَلِيلَ النَّجَاسَةِ، فَقَدْ يَكُونُ لأَجْلِ النَّظَافَةِ وَإِزَالَةِ الدَّرَنِ، وَتَشْبِيهُهُ بِالْمُخَاطِ وَالْبُصَاقِ دَلِيلُ الطَّهَارَةِ أَيْضًا، وَالأَمْرُ بِمَسْحِهِ بِخِرْقَةٍ وَإِذْخِرَةٍ لأَجْلِ إِزَالَةِ الدَّرَنِ الْمُسْتَكْرَهِ بَقَاؤُهُ فِي ثَوْبِ الْمُصَلِّي، وَلَوْ كَانَ نَجِسًا لَمَا أَجْزَأَ مَسْحُهُ، وَأَمَّا التَّشْبِيهُ لِلْمَنِيِّ بِالْفَضَلاَتِ الْمُسْتَقْذَرَةِ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ كَمَا قَالَهُ مَنْ قَالَ بِنَجَاسَتِهِ فَلاَ يُقَاسُ مَعَ النَّصِّ، عَلَى أَنَّ هُنَاكَ نَصًّا يَدُلُّ عَلَى نَجَاسَةِ الْمَنِيِّ هُوَ قَوْلُهُ ﷺ لِعَمَّارٍ: "إِنَّمَا تَغْسِلُ ثَوْبَكَ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالْمَنِيِّ وَالدَّمِ وَالْقَيْءِ". [رواه البيهقي، باب إزالة النجاسات بالماء دون سائر المائعات، ر٤١. وقال: "وأما حديث عمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له: يا عمار ما نخامتك ولا دموع عينيك إلا بمنزلة الماء الذي في ركوتك إنما تغسل ثوبك من البول والغائط والمني والدم والقيء. فهذا باطل لا أصل له، وإنما رواه ثابت بن حماد عن علي بن زيد عن بن المسيب عن عمار وعلي بن زيد غير محتج به، وثابت بن حماد متهم بالوضع"]. اهـ مُصَحّحه.

الْبَدَنِ كَالْعَرَقِ وَاللَّبَنِ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا نَجِسَةٌ بِعَيْنِهَا؛ لأَنَّ أَصْلَهَا دَمٌ، وَلأَنَّهَا تَجْرِي فِي مَجْرَى النَّجَسِ قِيَاسًا عَلَى الْبَوْلِ وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ.

**وَأَمَّا الطُّهْرُ مِنَ النِّسَاءِ:** فَهُوَ أَيْضًا نَجِسٌ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى عِلَّةِ نَجَاسَتِهِ، وَأَظُنُّهَا مِنْ قِبَلِ خُرُوجِهِ عَلَى مَخْرَجِ النَّجَسِ؛ لأَنَّهُ قَيْحٌ مُتَوَلِّدٌ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ جَارٍ عَلَى مَجْرَى الْبَوْلِ وَالْحَيْضِ.

**وَأَمَّا الْخَمْرُ:** فَمُتَّفَقٌ أَيْضًا عَلَى نَجَاسَتِهِ[1]، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُسْكِرٍ أَيْضًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "بُعِثْتُ بِإِرَاقَةِ الْخَمْرِ"[2]، فَدُلَّ عَلَى أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ بِعَيْنِهَا لاَ يَجُوزُ الاسْتِنْفَاعُ بِهَا وَلاَ بِجَمِيعِ فَضَلاَتِهَا مِنَ الْخَلِّ وَالدُّرْدِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْخَمْرَ لَيْسَتْ بِنَجِسَةٍ[3]، وَأَظُنُّ قَوْلَهُمْ إِنَّمَا أُخِذَ مِنْ جِهَةِ الشِّدَّةِ الْمُطْرِبَةِ إِذَا حَلَّتْ فِيهَا صَارَتْ مُحَرَّمَةً، وَإِذَا ارْتَفَعَتِ ارْتَفَعَ حُكْمُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الْخَمْرُ مُحَرَّمَةٌ إِجْمَاعًا وَنَجِسَةٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (المائدة: ٩٠)، بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ طَائِفَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ يَرَوْنَ طَهَارَتَهَا، وَأَنَّ نَجَاسَتَهَا مَعْنَوِيَّةٌ لاَ حِسِّيَّةٌ؛ لأَنَّ الأَصْلَ فِي الأَعْيَانِ الطَّهَارَةُ، إِلاَّ مَا قَامَ دَلِيلٌ خَاصٌّ عَلَى نَجَاسَتِهِ، وَأَنَّ التَّحْرِيمَ لاَ يُلاَزِمُ النَّجَاسَةَ، فَإِنَّ الْحَشِيشَةَ مُحَرَّمَةٌ وَهِيَ طَاهِرَةٌ، وَأَمَّا النَّجَاسَةُ فَيُلاَزِمُهَا التَّحْرِيمُ، فَكُلُّ نَجِسٍ مُحَرَّمٌ وَلاَ عَكْس؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الْحُكْمَ فِي النَّجَاسَةِ هُوَ الْمَنْعُ مِنْ مُلاَمَسَتِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَالْحُكْمُ بِنَجَاسَةِ الْعَيْنِ حُكْمٌ بِتَحْرِيمِهَا، بِخِلاَفِ الْحُكْمِ بِالتَّحْرِيمِ، فَإِنَّهُ يُحَرَّمُ لُبْسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، وَهُمَا طَاهِرَانِ ضَرُورَةً وَإِجْمَاعًا. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٣) التَّعْبِيرُ بِزَعْمٍ يُشْعِرُ بِتَضْعِيفِهِ وَلَيْسَ بِضَعِيفٍ كَمَا سَبَقَ قَرِيبًا بَيَانُهُ.

## [الأعيانُ المختلَفُ في نجاستِها عشرةٌ]

**وَأَمَّا الْعَشْرُ الْمُخْتَلَفُ فِيهَا** فَهِيَ: الْقَيْءُ، وَأَبْوَالُ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ مِنَ الْبَهَائِمِ، وَالْفَرْثُ، وَذُو نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَذُو مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَالْهِرُّ، وَالْكَلْبُ الْمُعَلَّمُ، وَالْمُشْرِكُ، وَعَرَقُ السَّكْرَانِ، وَالْجلاَّلُ مِنَ الْبَهَائِمِ، وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ.

**أَمَّا الْقَيْءُ**: فَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ طَاهِرٌ قِيَاسًا عَلَى الْبَلْغَمِ، وَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا عَلَى نَجَاسَتِهِ؛ لأَنَّهُ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "مَنْ قَاءَ أَوْ قَلَسَ فَلْيَتَوَضَّأْ"(١)، وَالْمُؤَثِّرُ فِي نَقْضِ الطَّهَارَةِ هُوَ النَّجَسُ وَالأَفْعَالُ الْمَحْظُورَةُ فِي الشَّرْعِ، وَكَذَلِكَ الْقَلْسُ – إِذَا وَصَلَ إِلَى الْفَمِ أَوِ الْمَوْضِعِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ فِيهِ – أَنَّهُ يُنَجِّسُ، وَيَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَيَعْصِي مَنْ بَلَعَهُ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْفَمِ فَلاَ بَأْسَ بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا بَوْلُ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ**: فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضًا، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ طَاهِرٌ لِحَدِيثِ الْعُرَنِيِّينَ(٢) الَّذِينَ مَرِضُوا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا(٣)، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا حَضَرَتْكَ الصَّلاَةُ

---

(١) [رواه الربيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١٠٩]، وابن رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَضَعَّفَهُ، وَلَفْظُهُ عِنْدَهُ: "مَنْ أَصَابَهُ قَيْءٌ أَوْ رُعَافٌ أَوْ قَلَسٌ أَوْ مَذْيٌ فَلْيَنْصَرِفْ فَلْيَتَوَضَّأْ ثُمَّ لِيَبْنِ عَلَى صَلاَتِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لاَ يَتَكَلَّمُ" [باب ما جاء في البناء على الصلاة، ر١٢٢١].

(٢) هُمْ قَوْمٌ مِنْ عُكلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَكَلَّمُوا بِالإِسْلاَمِ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا بِالْمَدِينَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَوْدٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الْجَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الْجَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ، وَكَانُوا ثَمَانِيَةً. قَالَ أَنَسٌ: "إِنَّمَا سَمَلَ رَسُولُ اللهِ أَعْيُنَهُمْ؛ لأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرُّعَاةِ، فَيَكُونُ مَا فَعَلَ بِهِمْ قِصَاصًا". [رواه البخاري، باب قصة عكل وعرينة، ر٣٩٥٦].

(٣) إِنَّ إِبَاحَةَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْعُرَنِيِّينَ شُرْبَ أَبْوَالِ الإِبِلِ لاَ يُنَافِي مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا مِنْ نَجَاسَةِ الأَبْوَالِ كُلِّهَا؛ لأَنَّ الْعُرَنِيِّينَ أَهْلُ ضَرَرٍ، وَأَهْلُ الضَّرَرِ تَحِلُّ لَهُمْ أَشْيَاءُ لاَ تَحِلُّ لِغَيْرِهِمْ رُخْصَةً مِنَ اللهِ، وَالرُّخْصَةُ لاَ يُقَاسُ عَلَيْهَا، وَيُقَالُ إِنَّهُمْ أُصِيبُوا بِالْبَوْلِ السُّكَّرِيِّ وَأَنَّ بَوْلَ الإِبِلِ مِنَ الأَدْوِيَةِ الَّتِي تَقْطَعُهُ، وَهُوَ مِنَ الطِّبِّ النَّبَوِيِّ الَّذِي أَثْبَتَتِ التَّجَارِبُ صِحَّتَهُ. اهـ مُصَحِّحه.

وَأَنْتَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ فَصَلِّ، وَإِذَا حَضَرَتْكَ فِي مَعَاطِنِ الإِبِلِ فَلاَ تُصَلِّ"[١]، وَقِيَاسًا عَلَى اللَّبَنِ وَالْعَرَقِ وَسَائِرِ الْفَضَلاَتِ، وَقَالَ آخَرُونَ: الأَبْوَالُ تَابِعَةٌ لِلُّحُومِ: فَالْمُحَرَّمُ أَكْلُهُ نَجِسٌ بَوْلُهُ، وَالْمُحَلَّلُ عَلَى عَكْسِهِ، وَقَالَ أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا: إِنَّ الأَبْوَالَ كُلَّهَا نَجِسَةٌ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ بَنِي آدَمَ أَوْ مِنَ الْبَهَائِمِ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّى الْبَوْلَ خَبَثًا، وَقَالَ: "لاَ يُصَلِّ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُدَافِعُ الأَخْبَثَيْنِ"[٢]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٣] فَكُلُّ بَوْلٍ خَبِيثٌ، وَكُلُّ خَبِيثٍ حَرَامٌ؟ فَبَوْلُ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ كَبَوْلِ مَا لاَ يُؤْكَلُ لَحْمُهُ، كَمَا أَنَّ دَمَهُمَا مُتَّفَقٌ عَلَى نَجَاسَتِهِ وَتَحْرِيمِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلَمْ يَقْطَعْ أَصْحَابُنَا عُذْرَ مَنْ شَرِبَ أَبْوَالَ الْمَأْكُولاَتِ، وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ أَبْوَالَ الْمَكْرُوهَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ حَرَامٌ نَجِسٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْفَرْثُ وَالأَرْوَاثُ:** فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا أَيْضًا، لَكِنَّ أَصْحَابَنَا وَجُمْهُورَ الأُمَّةِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهَا طَاهِرَةٌ مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ، لأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ النَّفَرَ الْجِنِّيِّينَ بِالتَّزَوُّدِ مِنْهُ لِعَلَفِ الدوَّابِّ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَنِي آدَمَ يُنَجِّسُونَهُ عَلَيْنَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَى ﷺ أَنْ يُسْتَنْجَى بِالْعَظْمِ وَالرَّوْثِ[٤]، فَلَوْ كَانَتِ الأَرْوَاثُ نَجِسَةً لَمْ يَنْهَ ﷺ عَنْ تَنْجِيسِهَا، وَفِي بَعْضِ كُتُبِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنَّ الْفَرْثَ نَجِسٌ إِلاَّ مَا تَخَلَّصَ مِنَ الْكَرِشِ إِلَى الأَمْعَاءِ فَلاَ بَأْسَ بِهِ[٥]، وَبَعْضُ أَصْحَابِنَا يَكْرَهُونَ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: "صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلاَ تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الإِبِلِ" [الصلاة في مرابض الغنم وأعطان الإبل، ر٣٤٨].

(٢) [رواه الربيع، باب جامع الصلاة، ر٢٩٨] وَرِوَايَةُ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ: "لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ". [باب كَرَاهَةِ الصَّلاَةِ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ الَّذِي يُرِيدُ أَكْلَهُ فِي الْحَالِ وَكَرَاهَةِ الصَّلاَةِ مَعَ مُدَافَعَةِ الأَخْبَثَيْنِ، ر١٢٧٤].

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) [سبق تخريجه].

(٥) مِنْ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ مَنْ يَقُولُ بِنَجَاسَتِهِ أَيْضًا، كَسُلَيْمَانَ بْنِ الإِمَامِ يَعْقُوبَ بْنِ أَفْلَحَ الْمُلَقَّبِ بِسُلَيْمَانَ الْفَرْثِيِّ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يُحَرِّمُ الْفَرْثَ، فَبَاهَلَهُ الشَّيْخُ أَبُو صَالِحٍ جنونُ بْنُ يمريانَ فَتَاهَ أَثْنَاءَ رُجُوعِهِ مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، كَمَا حَكَمَ بِتَحْرِيمِ الْجَنِينِ الْمَذْبُوحَةِ أُمُّهُ،

رَوْثَ الْبَقَرَةِ الأُنْثَى فِي زَمَانِ الرَّبِيعِ؛ لأَنَّهُ يَجْرِي عَلَى مَجْرَى النَّجَسِ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ رَوْثَ الْبِغَالِ وَالْخَيْلِ إِذَا كَانَ رَقِيقًا، وَكَانَتْ تُعْلَفُ الشَّعِيرَ.

**وَأَمَّا ذُو نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ**: فَاخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضًا، فَقَالَ قَوْمٌ: مُحَرَّمُ اللَّحْمِ وَجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَالْفَضَلاَتِ الْخَارِجَةِ مِنْهُ مِنَ الرَّوْثِ وَاللَّبَنِ وَالْعَرَقِ وَالْبَلَلِ جَمِيعِهِ[1]، وَاحْتَجُّوا بِالنَّهْيِ الْوَارِدِ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[2]، وَاحْتَجُّوا عَلَى نَجَاسَةِ أَسْآرِهَا بِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْحِيَاضِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْفَلاَةِ وَمَا يَأْوِيهَا مِنَ السِّبَاعِ وَالدَّوَابِّ فَقَالَ: "إِذَا زَادَ الْمَاءُ عَلَى قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْتَمِلْ خَبَثًا"[3]، قَالُوا: فَلَوْ لَمْ تَكُنِ السِّبَاعُ نَجِسَةً لَمْ يَكُنْ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ مَا زَادَ عَلَى الْقُلَّتَيْنِ مَعْنًى، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ أَسْآرَهَا طَاهِرَةٌ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْمِيَاهِ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا فَقَالَ:

---

وَتَنْجِيسِ عَرَقِ الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ، وَدَمِ الْعُرُوقِ بَعْدَ تَنْقِيَةِ مَذْبَحِ الشَّاةِ، وَتَحْرِيمِ صَوْمِ يَوْمِ الشَّكِّ، وَتَحْرِيمِ الزُّكَامِ لِلْقَرَابَةِ، وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الإِبَاضِيَّةِ. اهـ مُصَحِّحه [انظر: جامع بن جعفر ٢٩٠/١]

(١) قَالَ الْمُحَشِّي ﷺ: لَمْ يَذْكُرِ الْمُصَنِّفُ لَهُ مُقَابِلاً، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ الشَّيْخُ عَامِرٌ مُقَابِلَيْنِ، وَهُمَا: الْكَرَاهَةُ وَالإِبَاحَةُ [الإيضاح، ٣٣١/١]. **وَسَبَبُ اخْتِلاَفِهِمْ**: مُعَارَضَةُ ظَاهِرِ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ (الأنعام: ١٤٥) الآيَة، وَالسُّنَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: "أَكْلُ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ حَرَامٌ" [رواه الربيع، باب أدب الطعام والشراب، ر٣٨٧]. فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى ظَاهِرِ الآيَةِ قَالَ بِالإِبَاحَةِ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ قَالَ بِالتَّحْرِيمِ، وَمَنْ حَاوَلَ الْجَمْعَ بَيْنَ الآيَةِ وَالْحَدِيثِ قَالَ بِالْكَرَاهَةِ، وَحَمْلُ النَّهْيِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ عَلَى الْكَرَاهَةِ؛ لأَنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَقِصَّةُ أَيُّوبَ بْنِ الْعَبَّاسِ ﷺ لَمَّا وَجَدَ سَبُعًا وَلَبُؤَةً وَأَشْبَالاً، فَقَطَعَ أَرْجُلَهَا ثُمَّ ذَبَحَهَا، فَجَاءَ إِلَى الْحَيِّ فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ يَبْتَغِي اللَّحْمَ الْمَكْرُوهَ فَعَلَيْهِ بِالْوَادِي الْفُلاَنِيِّ، يَدُلُّ عَلَى الْكَرَاهَةِ.

(٢) وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: "أَكْلُ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ وَذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ حَرَامٌ". [سبق تخريجه]

(٣) [رواه الربيع، باب أحكام المياه، ر١٥٧]

"لَهَا مَا أَخَذَتْ بِأَفْوَاهِهَا وَلَكُمْ مَا غَبَرَ"(١)، يَعْنِي مَا بَقِيَ.

وَهَكَذَا اخْتَلَفُوا فِي أَكْلِ لُحُومِ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، فَكَرِهَهَا قَوْمٌ لِنَهْيِ الرَّسُولِ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ(٢)، فَكَانَتِ الْخَيْلُ وَالْبِغَالُ فِي مَعْنَاهَا قِيَاسًا؛ لأَنَّهَا مَرْكُوبَةٌ غَيْرُ مَأْخُوذَةٍ مِنْهَا الزَّكَاةُ، وَلَيْسَتْ مِنَ الأَنْعَامِ.

**وَذُو مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**: اخْتُلِفَ فِيهَا أَيْضًا، فَحَرَّمَهَا قَوْمٌ بِالْكُلِّيَّةِ لِوُرُودِ النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ لُحُومِهَا، فَكَانَ الرَّوْثُ وَالْبَلَلُ وَسَائِرُ الْفَضَلاَتِ تَابِعَةٌ لِلُحُومِهَا، وَكَرَّهَهَا آخَرُونَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا سَائِرُ الطُّيُورِ** مِنَ الْعَصَافِيرِ وَالْحَمَامِ وَغَيْرِهَا فَلاَ بَأْسَ بِأَكْلِ لَحْمِهَا وَسُؤْرِهَا، إِلاَّ مَا كَرِهَ أَصْحَابُنَا مِنْ قَتْلِ سِتَّةِ أَجْنَاسٍ مِنْهَا، لِوُرُودِ النَّهْيِ عَنْ قَتْلِهَا، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي ذَلِكَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لاَ تَقْتُلُوا سِتًّا: الضَّفَادِعَ؛ فَإِنَّ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ مِنْهَا تَسْبِيحٌ وَتَقْدِيسٌ، وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ اسْتَأْذَنَتْ دَوَابُّ الْبَرِّ وَالطَّيْرُ أَنْ تُطْفِئَ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، فَأَذِنَ اللهُ لِلضَّفَادِعِ فَأَزْكَتْ

---

(١) رَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ السِّبَاعِ تَرِدُ الْحِيَاضَ وَتَشْرَبُ مِنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَهَا مَا وَلَغَتْ فِي بُطُونِهَا، وَلَكُمْ مَا غَبَرَ". قَالَ الرَّبِيعُ: أَيْ لَكُمْ مَا بَقِيَ. [باب أحكام المياه، ر١٥٨]

(٢) [رواه الربيع، باب أدب الطعام والشراب، ر٣٨٨، والبخاري، باب لحوم الخيل، ر٥٢٠١، بلفظ: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل"]. قَالَ النَّوَوِيُّ: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي إِبَاحَةِ لُحُومِ الْخَيْلِ، فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَالْجُمْهُورُ مِنَ الْخَلَفِ وَالسَّلَفِ أَنَّهُ مُبَاحٌ لاَ كَرَاهَةَ فِيهِ [شرح النووي على مسلم، ١٣/ ٩٥]. اهـ.
وَقَالَ الْقُطْبُ فِي وَفَاءِ الضَّمَانَةِ: كَانَتِ الصَّحَابَةُ: ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَسُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ، وَعَلْقَمَةُ، (وَزَادَ النَّوَوِيُّ: الأَسْوَدَ، وَعَطَاءً، وَشُرَيْحٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو يُوسُفَ، وَمُحَمَّدٌ، وَدَاوُدُ، وَجُمْهُورُ الْمُحَدِّثِينَ وَغَيْرُهُمْ)، يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخَيْلِ، وَحَدِيثُ النَّهْيِ عَنْهُ مَنْسُوخٌ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْبَحُهَا، وَقَدْ يُقَالُ: تَحْرِيمُهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجِدُوا مَا يَغْزُونَ عَلَيْهِ وَيُقَاتِلُونَ لاَ لِحُرْمَةِ لَحْمِهَا - وَلَوْ قَالَ: حُرِّمَ عَلَيْكُمْ لَحْمُهَا - وَلَمَّا كَثُرَتْ حَلَّ لَحْمُهَا. اهـ مُصَحَّحه.

عَلَيْهَا[١] فَذَهَبَتْ ثُلُثَاهَا وَبَقِيَ الثُّلُثُ، فَأَبْدَلَ اللهُ لَهَا بِحَرَارَةِ النَّارِ بَرْدَ مَاءٍ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّمْلَ، فَإِنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام خَرَجَ يَسْتَسْقِي فَإِذَا بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ يَدَيْهَا تَقُولُ: "اللهُمَّ إِنَّا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَلاَ غِنَى بِنَا عَنْ فَضْلِكَ، فَاسْقِنَا مَطَرًا تُنْبِتُ بِهِ لَنَا ثَمَرًا"، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّحْلَ فَإِنَّهَا تَضَعُ لَكُمْ طَيِّبًا وَتُطْعِمُكُمْ طَيِّبًا، وَلاَ تَقْتُلُوا الْهُدْهُدَ فَإِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عُبِدَ، وَلاَ تَقْتُلُوا الصُّرَدَ[٢] فَإِنَّهُ كَانَ دَلِيلَ آدَمَ عليه السلام مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلاَ تَقْتُلُوا الْخُطَّافَ فَإِنَّ دَوَرَانَهُ الَّذِي تَرَوْنَ جَزَعٌ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حِينَ أُحْرِقَ"[٣].

فَشَدَّدَ أَصْحَابُنَا فِي قَتْلِ هَذِهِ الأَجْنَاسِ، حَتَّى جَعَلُوا الدِّيَةَ عَلَى قَاتِلِهَا دِرْهَمَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَجَعَلُوا فِي الضِّفْدَعَةِ نَعْجَةً بِجِزَّتِهَا[٤]، وَاللهُ أَعْلَمُ بِهَذَا إِنْ كَانَ عَنْ أَثَرٍ أَوْ عَنْ نَظَرٍ مِنْهُمْ رَأَوْهُ.

**وَأَمَّا الدَّجَاجُ** وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ مِمَّا لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ أَكْلِ الْقَذَرِ: فَإِنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي رَوْثِهِ أَنَّهُ نَجِسٌ، وَرَخَّصُوا فِي سُؤْرِهِ مَا لَمْ يُعَايَنِ النَّجَسَ عَلَى مِنْقَارِهِ فِي حِينِ وُقُوعِهِ فِي الْمَاءِ، وَنَجَّسُوا بَيْضَهُ حَتَّى يُغْسَلَ.

**وَأَمَّا سَائِرُ الصَّيْدِ** مِنْ جَمِيعِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَكْلَهُ مِنَ الظِّبَاءِ وَالأَرَانِبِ وَاليَرَابِيعِ وَالثَّعَالِبِ وَالسَّلاَحِفِ وَغَيْرِهَا فَمُتَّفَقٌ عَلَى تَحْلِيلِهِ وَطَهَارَتِهِ، وَكَذَلِكَ الضِّبَابُ

---

(١) قَالَ الْمُحَشِّي: فأزكت: هَكَذَا فِيمَا رَأَيْنَاهُ مِنَ النُّسَخِ، وَلَعَلَّهُ فَأَزْكَأَتْ فَيَكُونُ مَأْخُوذًا مِنْ قَوْلِهِمْ: زَكَأَتِ النَّاقَةُ بِوَلَدِهَا تَزْكَأُ، رَمَتْ بِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهَا، فَيَكُونُ مَعْنَى زَكَأَتْ عَلَيْهَا: رَمَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهَا، أَيْ: عَلَى النَّارِ. اهـ.

(٢) [الصُّرَد: طائر، والجمع الصِّرْدانُ. (الصحاح للجوهري، باب الدال، فصل الصاد: صرد)].

(٣) [لم أجد من خرجه بهذا التفصيل، إلا أن النهي عن قتل الأصناف ورد في أحاديث متفرقة، منها: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَة، وَالنَّحْلَة، وَالْهُدْهُد، وَالصُّرَد" (رواه أبو داود، كتاب الأدب، ر٤٥٨٣)، وَنَهَى ﷺ عَنْ قَتْلِ الضِّفْدَعِ، لِمَا روي: "أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ضِفْدَعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءٍ، فَنَهَاهُ عَنْ قَتْلِهَا" (رواه أبو داود، باب في قتل الضفدع، ر٥٢٧١)].

(٤) [يعني بصوفها]

أَيْضًا، وَأَمَّا الْحَيَّاتُ وَالأَمَاحِي وَأَشْبَاهُهَا مِنَ الأَفَاعِي وَاللُّغَا فَقَدْ ذَكَرُوا **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْتَقْذِرُهُ**[1]، فَمَا أَشْبَهَ مِنْ هَذِهِ الأَجْنَاسِ الْحَلاَلَ فَهُوَ حَلاَلٌ، وَمَا أَشْبَهَ الْحَرَامَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَقَدْ شَدَّدُوا فِي سُؤْرِ الأَمَاحِي وَالأَفَاعِي وَالْحَيَّاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

**وَأَمَّا الْهِرُّ**: فَفِيهِ اخْتِلاَفٌ، وَالأَصَحُّ أَنَّهُ طَاهِرٌ؛ لأَنَّهُ مِنَ الطَّوَّافِينَ وَالطَّوَّافَاتِ عَلَى النَّاسِ، وَلِحَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ أَصْغَى إِلَيْهِ الإِنَاءَ فَشَرِبَ مِنْهُ[2]. وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى نَجَاسَتِهِ رَاعَى أَنَّ الأَصْلَ فِيهِ سَبْعٌ، وَالْفَأْرُ كَذَلِكَ، فَلَعَمْرِي إِنَّهُمَا لَكُمَا زَعْمٌ، لَكِنَّ الرُّخْصَةَ وَرَدَتْ فِي الْهِرِّ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَلِتَعَذُّرِ الاحْتِرَازِ مِنْهُ فِي الْبُيُوتِ، وَتُلْحَقُ بِهِ الْفَأْرَةُ فِي تَعَذُّرِ الاحْتِرَازِ مِنْهَا.

**وَأَمَّا الْكَلْبُ الْمُعَلَّمُ**: فَفِيهِ اخْتِلاَفٌ بَيْنَ أَصْحَابِنَا، قَالَ بَعْضُهُمْ بِطَهَارَتِهِ لِعِلَّةِ صِيَانَتِهِ عَنْ أَكْلِ الْخَبَائِثِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ لاَحِقٌ بِالْحُكْمِ الأَصْلِيِّ فِي الْكِلاَبِ مِنَ النَّجَاسَةِ، وَلَمْ تَتَّفِقِ الأُمَّةُ عَلَى نَجَاسَةِ الْكِلاَبِ أَيْضًا، فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى نَجَاسَتِهَا احْتَجَّ بِأَمْرِ النَّبِيِّ بِغَسْلِ الإِنَاءِ مِنْ وُلُوغِهَا فِيهِ سَبْعًا، أُولاَهُنَّ وَأُخْرَاهُنَّ

(١) [لم أجد من خرجه]. الصَّحِيحُ أَنَّ اسْتِقْذَارَ النُّفُوسِ لَيْسَ هُوَ سَبَبَ التَّحْرِيمِ، وَإِنَّمَا الْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ الشَّرْعُ، لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ: "دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَأُوتِيَ بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَقَالَتْ بَعْضُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ: أَخْبِرْنَ رَسُولَ اللهِ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، فَقِيلَ: هُوَ ضَبٌّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَرَفَعَ يَدَهُ، قَالَ خَالِدٌ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ". قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ اللهِ يَنْظُرُ. [رواه الربيع، باب أدب الطعام والشراب، ر٣٨٥].

(٢) [رواه الربيع، باب في أحكام المياه، ر١٥٩، بلفظ: "إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجِسَةٍ، إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ وَالطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ"].

بِالتُّرَابِ[١]، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى طَهَارَتِهَا احْتَجَّ بِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[٢] وَلَمْ يَأْمُرْ بِغَسْلِ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمْسَكَ مِنْهُ الْكَلْبُ، وَلأَنَّهُ مِنَ الطَّوَّافِينَ وَالطَّوَّافَاتِ قِيَاسًا عَلَى الْهِرِّ، وَحَمَلَ الأَمْرُ بِغَسْلِ الإِنَاءِ مِنْ وُلُوغِهِ عَلَى جِهَةِ التَّعَبُّدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْمَدَنِيِّ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْمُشْرِكُ: فَمُجْمَعٌ أَيْضًا عَلَى نَجَاسَتِهِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٣]، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَمَلَ لَفْظَ النَّجَسِ الْوَارِدِ فِيهِ عَلَى جِهَةِ الذَّمِّ، لاَ أَنَّ عَيْنَهُ نَجِسَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى نَجَاسَتِهِ.

وَالْمُشْرِكُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا نَوْعَانِ: كِتَابِيٌّ، وَمَنْ سِوَاهُ مِنْ مَجُوسِيٍّ وَوَثَنِيٍّ، فَالْكِتَابِيُّ فِيهِ اخْتِلاَفٌ بَيْنَ أَصْحَابِنَا، فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى طَهَارَةِ بَلَلِهِ احْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ الآيَة[٤]؛ الطَّعَامُ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ هَهُنَا الذَّبَائِحَ فَلَفْظُهُ عَامٌّ، وَاحْتَجَّ أَيْضًا بِأَكْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْعَظْمَ الْمَسْمُومَ الَّذِي أَهْدَتْهُ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ[٥]، وَأَحْسَبُ أَنِّي وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الآثَارِ أَنَّهَا قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ مَعَ لَحْمٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَأَجَازَ بَعْضُهُمُ الْغِسَالَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَبَعْضٌ كَرِهَهُ، وَرُوِيَ أَنَّ

(١) [رواه الربيع، باب جامع النجاسات، ر١٥٣ بلفظ: "إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُهْرِقْهُ وَيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاَهُنَّ وَأُخْرَاهُنَّ بِالتُّرَابِ"، ومسلم، باب حكم ولوغ الكلب، ر٦٧٧، بلفظ: "طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاَهُنَّ بِالتُّرَابِ"].

(٢) الْمَائِدَة: ٤.

(٣) التَّوْبَة: ٢٨.

(٤) الْمَائِدَة: ٥.

(٥) [رواه البخاري، كتاب الهبة، ر٢٤٢٤، بلفظ: " أنّ يهودية أتت النبيء - صلى الله عليه وسلم - بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها، قال: لا"]

النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ أَنْ تُغْسَلَ آنِيَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهَا[١] فَدَلَّ هَذَا عَلَى نَجَاسَتِهِمْ[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا عَرَقُ السَّكْرَانِ** وَمَنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ مِنْ جَمِيعِ مَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَكَذَلِكَ لَبَنُ الْمَرْأَةِ الشَّارِبَةِ لِلْخَمْرِ، وَبَيْضُ مَا يَشْرَبُ النَّجَاسَةَ أَوْ يَأْكُلُهَا، فَفِي الْكُلِّ خِلاَفٌ، وَعِنْدَ مَشَايِخِنَا -رَحِمَهُمُ اللهُ- أَنَّ الْجَلاَّلَ مِنَ النَّاسِ الَّذِي يَشْرَبُ الْخَمْرَ يُتَّقَى الْبَلَلُ مِنْهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَهُوَ مِقْدَارُ مَا يَبْقَى الطَّعَامُ فِي جَوْفِ الإِنْسَانِ، وَقِيلَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ.

**وَأَمَّا الْجَلاَّلَةُ مِنَ الْبَهَائِمِ**: فَقَدْ رُوِيَ فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْجَلاَّلَةِ وَشُرْبِ أَلْبَانِهَا وَأَنْ يُحَجَّ عَلَيْهَا[٣]، وَهِيَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الَّتِي لاَ تُعْلَفُ إِلاَّ الْعَذِرَةَ وَلاَ تَخْلِطُ مَعَهَا شَيْئًا مِنَ الْمَرْعَى، وَفِي أَثَرِ مَشَايِخِنَا أَنَّهَا لاَ تَكُونُ جَلاَّلَةً إِلاَ بِأَكْلِهَا الْمَيْتَةَ أَوِ الدَّمَ أَوْ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، فَعَرَقُ الْجَلاَّلَةِ نَجِسٌ كَمَا قَدَّمْنَا، وَكَذَلِكَ أَكْلُ مَا لاَ يُصَانُ مِنَ الْبَهَائِمِ عَنْ أَكْلِ النَّجَاسَاتِ فَعَرَقُهَا وَبَلَلُهَا نَجِسٌ.

وَقَدْ جَعَلَ أَصْحَابُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَقْلَعَ عَنْ أَكْلِ النَّجَسِ مُدَّةً يَنْتَهِي إِلَيْهَا فَيُحْكَمُ بِطَهَارَتِهِ، فَجَعَلُوا لِلْجَلاَّلَةِ مِنَ الإِبِلِ مِنْ أَرْبَعِينَ يوما إِلَى عَشَرَةِ أَيَّامٍ،

(١) سَأَلَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، أَفَنَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ؟ فَقَالَ: "...فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها..." [رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، ر٥٠٥٦].

(٢) قَالَ الْمُحَشِّي أَبُو سِتَّةَ: إِنَّ دَلِيلَ طَهَارَةِ بَلَلِ أَهْلِ الْكِتَابِ قَوِيٌّ، وَدَلِيلَ نَجَاسَتِهِ ضَعِيفٌ جِدًّا.

(٣) وَرَدَ بِرِوَايَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مَجْمُوعُهَا يُفِيدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي سَاقَهُ الْمُصَنِّفُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ شُرْبِ لَبَنِ الْجَلاَّلَةِ" [رواه أبو داود، باب النهي عن أكل الجلالة وألبانها، ر٣٧٨٨]، و"نَهَى رَسُولُ اللهِ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ وَعَنِ الْجَلاَّلَةِ وَعَنْ رُكُوبِهَا وَأَكْلِ لُحُومِهَا". [رواه أحمد، ر٧٠٣٩].

وَلِلْبَقَرَةِ مِنْ ثَلاَثِينَ إِلَى سَبْعَةٍ، وَلِلشَّاةِ مِنْ عِشْرِينَ إِلَى ثَلاَثَةٍ، وَلِلإِوَزَّةِ مِنْ خَمْسَةٍ إِلَى ثَلاَثَةٍ إِلَى يَوْمٍ، وَلِلدَّجَاجَةِ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلَى يَوْمٍ، وَقِيلَ: إِنْ ذُبِحَتْ وَنُزِعَ ذَلِكَ مِنْهَا وَغُسِلَتْ أَنَّهَا تُؤْكَلُ وَلَوْ فِي يَوْمِهَا، وَرُخِّصَ أَيْضًا فِي لَبَنِ الشَّاةِ إِذَا شَرِبَتِ النَّجَسَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

# الْمُقَدِّمَةُ الثَّالِثَةُ
# فِيمَا تُزَالُ عَنْهُ هَذِهِ النَّجَاسَاتُ وَبِمَا تُزَالُ بِهِ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالْجِهَاتِ

## [الأشياءُ التي تُزالُ عنها النَّجاسةُ ثلاثةٌ]

أَمَّا الأَشْيَاءُ الَّتِي تُزَالُ عَنْهَا النَّجَاسَةُ فَهِيَ ثَلاَثَةٌ بِلاَ خِلاَفٍ:

**أَحَدُهَا: الثِّيَابُ**، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]، وَلأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِغَسْلِ الثَّوْبِ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ، وَغَسْلِهِ مِنَ الْمَنِيِّ أَيْضًا[2].

**وَالثَّانِي: الأَبْدَانُ**، لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِغَسْلِ الْمَنِيِّ مِنْهُ أَيْضًا[3].

**وَالثَّالِثُ: الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلاَةِ أَيْضًا**، لأَمْرِهِ ﷺ أَنْ يُصَبَّ عَلَى بَوْلِ الأَعْرَابِيِّ ذَنُوبٌ مِنْ مَاءٍ حِينَ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ[4]، وَلِصَبِّهِ الْمَاءَ أَيْضًا عَلَى ثَوْبِهِ مِنْ

---

(١) الْمُدَّثِّر: ٤.

(٢) [رواه الربيع، باب جامع النجاسات، ر١٤٨، بلفظ]: "الْمَنِيُّ والمذيُّ والوديُّ وَدَمُ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ نَجِسٌ لاَ يُصَلَّى بِثَوْبٍ وَقَعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَتَّى يُغْسَلَ وَيَزُولَ أَثَرُهُ".

(٣) [كما في الحديث السابق]. (أَمَّا الْمَنِيُّ فَفِيهِ الْغُسْلُ، وَأَمَّا الْمَذِيُّ وَالْوَدِيُّ فَفِيهِمَا إِسْبَاغُ الطُّهُورِ).

(٤) [رواه الربيع، باب في المساجد وفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٢٦٣] وَهُنَا يَقِفُ الْمُتَأَمِّلُ مُعْجَبًا مِنْ حُسْنِ سِيَاسَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَيْسِيرِهِ لأَجْلاَفِ الْعَرَبِ سَبِيلَ الإِسْلاَمِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا بَالَ الأَعْرَابِيُّ بِالْمَسْجِدِ وَثَارَ عَلَيْهِ النَّاسُ لِيُوقِعُوا بِهِ، قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ: "دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا

بَوْلِ الرَّضِيعِ[١]، وَلأَمْرِهِ بِغَسْلِ رَأْسِ الذَّكَرِ مِنَ الْمَنِيِّ[٢]، وَأَنْ يُنْضَحَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مِنَ الْمَذِيِّ[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## [الأَشْيَاءُ الَّتِي تُزَالُ بِهَا النَّجَاسَةُ عشرةٌ]

وَأَمَّا الأَشْيَاءُ الَّتِي تُزَالُ بِهَا النَّجَاسَةُ: فَهِيَ بِالْجُمْلَةِ عَشَرَةٌ، بَعْضُهَا مَنْطُوقٌ بِهَا فِي السُّنَّةِ، وَبَعْضُهَا مَقِيسٌ عَلَيْهَا، أَحَدُهَا: الْغَسْلُ، والثَّانِي: الْمَسْحُ، وَالثَّالِثُ: النَّضْحُ، وَالرَّابِعُ: الْوَطْءُ، وَالْخَامِسُ: الرَّشْحُ، وَالسَّادِسُ: الزَّمَانُ، وَالسَّابِعُ: الدِّبَاغَةُ، وَالثَّامِنُ: التَّرْيِبُ، وَالتَّاسِعُ: الرِّيحُ وَالْمَطَرُ، وَالْعَاشِرُ: النَّارُ.

**أَمَّا الْغَسْلُ**[٤] فَهُوَ عَامٌ فِي جَمِيعِ النَّجَاسَاتِ، وَيَخْتَصُّ بِالْمَاءِ دُونَ سَائِرِ الْمَائِعَاتِ عَلَى اخْتِلاَفٍ فِي بَعْضِهَا، وَسَنَذْكُرُ أَحْكَامَ الْمِيَاهِ وَأَقْسَامَهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

---

عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سجلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ لاَ مُعَسِّرِينَ". (الذَّنُوبُ وَالسَّجلُ: الدَّلْوُ) [رواه البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم "يسروا ولا تعسروا"، ر٥٧٧٧].

(١) [وذلك حين أتت أمّ قيس بنت محصّن بابن لها إليه - صلى الله عليه وسلم - ... لم يأكل الطعام فأجلسه في حجره فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه به، (رواه الربيع، باب جامع النجاسات، ر١٥٢)].

(٢) [وذلك حين سأله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن الجنابة تصيبه ليلا ماذا يصنع؟ فقال عليه السلام: "توضّأ واغسل ذكرك ثمّ نَمْ" (رواه الربيع، باب في كيفية الغسل من الجنابة، ر١٤٥)].

(٣) [وهذا في حديث علي بن أبي طالب إذ أمر المقداد بن الأسود أن يسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن رجل دنا من أهله فخرج منه المذي، فقال عليه السلام: "إذا وجد أحدكم ذلك فلينضح ذكره بالماء ثمّ يتوضّأ وضوء الصلاة" (رواه الربيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١٠٣)].

(٤) [وهو الشيء الأول من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

اعْلَمْ أَنَّ الْمُطَهِّرَ لِلْحَدَثِ وَالْخَبَثِ هُوَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَائِعَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[1] وَقَالَ: ﴿مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾[2]، فَالطَّهُورُ هُوَ الْفَعُولُ لِلطَّهَارَةِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي اللُّغَةِ مِنْ فَاعِلٍ.

## [المياه أربعة أقسام]

ثُمَّ الْمِيَاهُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

**[القسم الأول][3]: الْمَاءُ الْمُطْلَقُ**، وَهُوَ الْبَاقِي عَلَى أَوْصَافِ خِلْقَتِهِ مِنْ غَيْرِ مُخَالِطٍ لَهُ، فَهُوَ الطهُورُ، كَمَاءِ الْمَطَرِ وَالْبَحْرِ وَمَاءِ الْبِئْرِ وَالنَّهْرِ، وَمَا قَامَ عَنْهَا مِنَ الْقِلْتَاتِ[4] وَالْغُدْرَانِ وَمَاءِ السِّبَاخِ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ كَانَ مِنْ أَصْلِ الْخِلْقَةِ، وَيُلْحَقُ بِهَذَا التَّقْسِيمِ الْمُتَغَيِّرُ بِطُولِ مُكْثٍ أَوْ تُرَابٍ أَوْ زِرْنِيخٍ لِجَرْيِهِ عَلَيْهِ، أَوْ بِطُحْلُبٍ، أَوْ بِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَرَارِهِ أَوْ مُتَوَلِّدٌ عَنْهُ وَلاَ يَنْفَكُّ غَالِبًا.

**الْقِسْمُ الثَّانِي: الْمَاءُ الْمُقَيَّدُ الْمُضَافُ إِلَى مَا وَقَعَ فِيهِ**، مِثْلُ الْعُصْفُرِ[5] وَالزَّعْفَرَانِ أَوِ اللَّكِّ[6] والفوت[7] وَأَشْكَالِهَا مِنَ الْمُضَافَاتِ، فَهَذَا الْمَاءُ يُجْزِئُ فِي فِي غَسْلِ النَّجَاسَاتِ، وَاخْتُلِفَ فِيهِ فِي رَفْعِ الأَحْدَاثِ.

---

(١) الفرقان: ٤٨.

(٢) الأنفال: ١١، وَالآيَةُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾.

(٣) [أحدُها: في كُلِّ النُّسخ، وإنَّما استبدلتها بـ "القِسْمِ الأوَّلِ" ليكونَ التقسيمُ علَى نسقٍ واحدٍ].

(٤) الْقلتَاتُ: هِيَ الْبِرَكُ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْعَامَّةِ.

(٥) [العُصْفُرُ: نوع من الصبغ، (الجوهري: الصحاح، باب الراء، فصل العين: عصفر)].

(٦) صِبْغٌ أَحْمَرُ يُصْبَغُ بِهِ جُلُودُ الْمَعْزِ.

(٧) [لم أقف على هذا المعنى]، ولَعَلَّ الصَّوَابَ: الْفَرْث.

**الْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْمَاءُ الْمُضَافُ إِلَى الْخَارِجِ مِنْهُ**، كَالْمَاءِ الْمُعْتَصَرِ مِنَ النَّبَاتَاتِ، وَالْمُسْتَخْرَجِ مِنَ الْفَوَاكِهِ وَالْبُقُولِ، فَهَذَا الْمَاءُ مُزِيلٌ لِلنَّجَاسَةِ غَيْرُ رَافِعٍ لِلْحَدَثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْقِسْمُ الرَّابِعُ: الْمَاءُ الْمُسْتَعْمَلُ لِلْوُضُوءِ وَالاغْتِسَالِ**، وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى طَهَارَتِهِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى فَضْلِ وَضُوئِهِ[1]، وَغَلاَ بَعْضُهُمْ حَتَّى زَعَمَ أَنَّ اسْمَ الْغَسَالَةِ أَحَقُّ بِهِ مِنَ اسْمِ الْمَاءِ فِيمَا وَجَدْتُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَالأَوَّلُ طَاهِرٌ مُطَهِّرٌ بِإِجْمَاعٍ، وَالثَّانِي طَاهِرٌ مُطَهِّرٌ إِذَا لَمْ يَتَغَيَّرْ أَحَدُ أَوْصَافِهِ، وَالثَّالِثُ غَيْرُ مُطَهِرٍ[2] بِاتِّفَاقٍ، وَالرَّابِعُ كَذَلِكَ عَلَى الْقَوْلِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، إِلاَّ قَوْلاً شَاذًّا رُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ[3]، وَهُوَ مَحْجُوجٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْخَلُّ وَالنَّبِيذُ وَاللَّبَنُ وَالزَّيْتُ، فَقَدْ قَالُوا: إِنْ هَذِهِ الأَشْيَاءَ تَنْزَعُ النَّجَسَ وَلَكِنْ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُتَعَمَّدَ تَنْجِيسُهَا[4]، إِلاَّ مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ أَجَازَ الطَّهَارَةَ بِالنَّبِيذِ مُحْتَجًّا بِحَدِيثِ لَيْلَةِ الْجِنِّ[5]، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ ابْنَ

(١) [رواه البخاري، كتاب الوضوء، ر١٨٢].

(٢) بَلْ هُوَ مُطَهِّرٌ عَلَى التَّحْقِيقِ، فَهُوَ مُطَهِّرٌ لِلأَنْجَاسِ قَطْعًا، اللهُمَّ إِلاَّ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ: غَيْرُ مُطَهِّرٍ؛ غَيْرَ رَافِعٍ لِلأَحْدَاثِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فيما سَبَقَ قَرِيبًا: (فَهَذَا الْمَاءُ مُزِيلٌ لِلنَّجَاسَةِ غَيْرُ رَافِعٍ لِلْحَدَثِ).

(٣) [انظر: السرخسي: المبسوط، ١/ ٤٦].

(٤) وَفَوْقَ ذَلِكَ لاَ تَسْتَوِي هَذِهِ الأَشْيَاءُ الأَرْبَعَةُ فِي إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ، أَمَّا الْخَلُّ وَالنَّبِيذُ فَمُحْتَملاَنِ، وَأَمَّا اللَّبَنُ وَالزَّيْتُ فَيَمْنَعَانِ انْحِلاَلَ النَّجَاسَةِ لِزُوجَتِهِمَا. اهـ مُصَحّحه.

(٥) [السرخسي: المبسوط، ١/ ٨٨].

مَسْعُودٍ: "هَلْ مَعَكَ مَاءٌ؟" فَقَالَ: مَعِي نَبِيذٌ، فَقَالَ: "تَمَرَةٌ طَيِّبَةٌ وَمَاءٌ طَهُورٌ"[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٧٧].

## فصل [في أحكامِ الماءِ المُطْلَقِ]

وَأَمَّا أَحْكَامُ الْمَاءِ الْمُطْلَقِ: فَأَحَدُهَا مَاءُ الْمَطَرِ، فَالْحُكْمُ فِيهِ الطَّهَارَةُ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "خَلَقَ اللهُ الْمَاءَ طَهُورًا لاَ يُنَجِّسُهُ شيء إِلاَّ مَا غَيَّرَ لَوْنَهُ أَوْ طَعْمَهُ أَوْ رَائِحَتَهُ"(١)، فَاخْتُلِفَ فِيهِ إِذَا لَمْ تَجْتَمِعِ الأَوْصَافُ الثَّلاثَةُ، فقِيلَ: هُوَ بَاقٍ علَى أَصْلِ طَهَارَتِهِ، وقِيلَ: هُوَ نَجِسٌ، واخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضًا إِذَا حَلَّتْهُ النَّجَاسَةُ وَلَمْ تُغَيِّرْ أَحَدَ أَوْصَافِهِ، فَقِيلَ: هُوَ طَاهِرٌ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيرًا(٢)، وَقَوْمٌ فَرَّقُوا بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَقَالُوا: الْقَلِيلُ يُنَجِّسُ وَالْكَثِيرُ لاَ يُنَجِّسُ، وَحَدُّ الْقَلِيلِ مِنْهُ بِمَا دُونَ الْقُلَّتَيْنِ، وَهُمَا قِرْبَتَانِ وَنِصْفٌ بِقِلاَلِ هَجَرَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَقِيلَ: هُمَا مِقْدَارُ خَمْسِمِائَةِ رِطْلٍ، وَحَدُّ الْكَثِيرِ مِنْهُ بِحَيْثُ يُحَرَّكُ طَرَفَهُ فَلاَ يَتَحَرَّكُ الطَّرَفُ الآخَرُ(٣)، وَقَوْمٌ لَمْ يَحُدُّوا فِي ذَلِكَ حَدًّا، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّنَازُعُ فِي هَذَا لِقَوْلِ النَّبِيِّ: "إِذَا زَادَ الْمَاءُ عَلَى قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْتَمِلْ خَبَثًا"(٤)، وَنَهْيِهِ ﷺ الْجُنُبَ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي الْمَاءِ

---

(١) [رواه الربيع، باب في أحكام المياه، ر١٥٦].

(٢) وَهُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ بَعْضِ الْمُحَقِّقِينَ، الْمُوَافِقُ لِيُسْرِ الإِسْلاَمِ وَلِمَنْطُوقِ بَعْضِ الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ، كَقَوْلِهِ ﷺ: (الْمَاءُ طَهُورٌ إِلاَّ إِنْ تَغَيَّرَ رِيحُهُ أَوْ طَعْمُهُ أَوْ لَوْنُهُ بِنَجَاسَةٍ تَحْدُثُ فِيهِ) [الحديث السابق]، يَعْنِي وَاللهُ أَعْلَمُ: هُوَ طَهُورٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلاَّ فِي حَالَةِ مَا، إِذْ يَقُولُ: لَوْ كَانَ الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ يُؤَثِّرُ فِيهِ الْقَلِيلُ مِنَ النَّجَاسَةِ مَا كَانَ لِتَطْهِيرِ الأَنْجَاسِ مِنَ الْبَدَنِ وَالثَّوْبِ غَايَةٌ؛ لأَنَّهُ كُلَّمَا صُبَّ عَلَى مَوْضِعِ النَّجَسِ الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ نَجَّسَهُ، وَكُلَّمَا صُبَّ عَلَيْهِ نَجَسُهُ يَصِيرُ مَنْجُوسًا أَبَدًا. اهـ مُصَحِّحه.

(٣) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ بَرَكَةَ فِي كِتَابِهِ مَدْحُ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ: "التَّقْدِيرُ فِي حَرَكَةِ الْمَاءِ لاَ وَجْهَ لَهُ؛ لأَنَّ الْحَرَكَةَ تَخْتَلِفُ: حَرَكَةُ الثَّقِيلِ، وَحَرَكَةُ الْخَفِيفِ"، إِلَخْ إِلَخْ.

(٤) [سبق تخريجه].

الدَّائِمِ - أَوْ قَالَ الرَّاكِدِ[١] -، فَقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: كَيْفَ يَفْعَلُ؟ قَالَ: يَتَنَاوَلُهُ تَنَاوُلاً[٢]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قِلَّتِهِ، وَنَهَى أَنْ يَبُولَ أَحَدٌ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَتَوَضَّأَ مِنْهُ[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا مَاءُ الْبَحْرِ: فَإِنَّ الْحُكْمَ فِيهِ الطَّهَارَةُ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضًا، فَقِيلَ: لاَ يُتَوَضَّأُ بِهِ إِلاَّ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ، وَقَالَ بَعْضٌ: التَّيَمُّمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَا قَدَّمْنَا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ: "هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ وَالْحِلُّ مَيْتَتُهُ"[٤].

وَهَكَذَا مَاءُ الْبِئْرِ أَيْضًا، فَالْحُكْمُ فِيهِ الطَّهَارَةُ، فَإِنْ خَالَطَتْهُ نَجَاسَةٌ أَوْ مَيْتَةٌ نُزِعَتْ مِنْهُ أَرْبَعُونَ دَلْوًا لِلسُّنَّةِ إِذَا كَانَ مَاءُ الْبِئْرِ غَزِيرًا، وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً نُزِحَ كُلُّهُ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ الزُّبَيْرِ نَزَحَا زَمْزَمَ لِزِنْجِيٍّ مَاتَ فِيهِ[٥]، وَنَزْحُ الْمَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْمَيْتَةِ أَوَّلاً، وَاتَّفَقُوا أَنَّهُ لاَ يَجِبُ غَسْلُ جَوَانِبِ الْبِئْرِ، وَأَنَّهَا إِذَا نُزِحَتْ فَقَدْ طَهُرَتْ هِيَ وَالدَّلْوُ جَمِيعًا، وَلَمْ يَقْطَعُوا أَيْضًا بِنَجَاسَةِ الْمَاءِ الَّذِي يُعْرَفُ لِلسُّنَّةِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضٌ: لاَ تَجِبُ السُّنَّةُ فِي الْبِئْرِ إِلاَّ مِنَ الْمَيْتَةِ أَوِ الدَّمِ أَوْ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الربيع، باب في كيفية الغسل من الجنابة، ر١٤٤].

(٢) [رواه مسلم، باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد، ر٦٨٤].

(٣) [تسبق تخريجه].

(٤) [تسبق تخريجه].

(٥) وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَمَرَ بِسَدِّ عُيُونِهَا وَنَزْعِ مَا فِيهِ، فَكَانَ مِقْدَارُهَا أَرْبَعِينَ دَلْوًا، وَقِيلَ: خَمْسِينَ. [رواه البيهقي، باب ما جاء في نزح زمزم، ر١١٨٣] قَالَ الْقُطْبُ فِي وَفَاءِ الضَّمَانَةِ: "الأَحَادِيثُ وَالآثَارُ وَرَدَتْ فِي الأَبْيَارِ، فَلاَ نَزَحَ مِنْ غَيْرِهَا كَالْبِرْكَةِ وَالْمَاجِلِ وَسَائِرِ الأَحْوَاضِ، وَيُحْكَمُ بِطَهَارَتِهِنَّ إِذَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الْمَاءُ لِصُحْبَةِ الأَصْلِ وَأَحَادِيث: (لَكُمْ مَا غَبَرَ)" [١/٥٦]. اهـ.

وَكَذَلِكَ مَاءُ النَّهَرِ الْجَارِي: الْحُكْمُ فِيهِ الطَّهَارَةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَإِنْ وَقَعَتْ فِيهِ الْمَيْتَةُ أَوِ النَّجَاسَةُ، إِلاَ إِنْ كَانَتِ الْمَيْتَةُ أَوِ النَّجَاسَةُ فِي مَجْرَاهُ فَغَمَرَتِ[1] الْمَاءَ كُلَّهُ، أَوْ أُهْرِقَ فِيهِ بَوْلٌ أَوْ دَمٌ فَغَمَرَ الْمَاءَ كُلَّهُ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ إِلاَّ مَا لاَقَاهُ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَنْجُسُ، وَالْمَاءُ الْجَارِي وَلَوْ كَانَ رَقِيقًا فَإِنَّهُ لاَ يَنْجُسُ بِوُقُوعِ النَّجَسِ فِيهِ، إِلاَّ إِنْ غَمَرَهُ كَمَا قَدَّمْنَا، وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَاءُ يَجْرِي إِلَى السَّاقِيَةِ وَلاَ يَخْرُجُ مِنْهَا، أَوْ يَخْرُجُ مِنْهَا وَلاَ يَجْرِي إِلَيْهَا فَوَقَعَ فِيهِ نَجَسٌ فَفِيهِ اخْتِلاَفٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [في نُسخةٍ: فَغَيَّرَتْ].

# فصل فِي أَحْكَامِ الْغَسْلِ بِالْمَاءِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمَاءَ أَقْوَى مَادَّةٍ فِي غَسْلِ النَّجَاسَةِ؛ لأَنَّهُ يُذْهِبُ الْعَيْنَ وَالأَثَرَ، فَكُلُّ نَجَاسَةٍ مِمَّا لاَ يُرَى لَهَا عَيْنٌ قَائِمَةٌ كَالْبَوْلِ وَالْمَاءِ الْمَنْجُوسِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا، فَثَلاَثُ غَسَلاَتٍ تُجْزِئُ فِي إِزَالَتِهَا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِذَا انْتَبَهَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلاَ يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثًا**"[1]، فَسَوَاءٌ كَانَتِ النَّجَاسَةُ عَلَى الْيَدِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْبَدَنِ وَالثَّوْبِ، أَوْ جَعَلَ الثَّوْبَ فِي الْحَوْضِ فَأُعِيدَ لَهُ الْمَاءُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ يُحْكَمُ بِطَهَارَتِهِ كَمَا قَدَّمْنَا.

وَإِنْ كَانَ النَّجَسُ عَلَى الْحَائِطِ الأَمْلَسِ فَإِنَّهُ يُطَهَّرُ بِذَرِّ التُّرَابِ تَحْتَهُ، وَيُغْسَلُ الْحَائِطُ فَيَقَعُ الْمَاءُ عَلَى التُّرَابِ، ثُمَّ يَكْنِسُهُ فَيَرْمِي بِهِ خَارِجًا.

وَإِنْ كَانَتِ النَّجَاسَةُ فِي بَيْتٍ أَوْ مَسْجِدٍ فَأَرَادَ الإِنْسَانُ غَسْلَهَا بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يُفَتِّتُهَا إِذَا كَانَتْ مِمَّا لَهَا عَيْنٌ قَائِمَةٌ، كَالدَّمِ وَالنُّطْفَةِ وَالْقَيْءِ، ثُمَّ يُدِيرُ بِهَا التُّرَابَ، فَيَصُبُّ الْمَاءَ فِي الْمَوْضِعِ الْمُدَارِ بِهِ التُّرَابُ فَيَتْرُكُهُ حَتَّى يَنْشَفَ، ثُمَّ يُكْنَسُ وَيُعَادُ فِي مَوْضِعِهِ تُرَابٌ آخَرُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

وَأَمَّا النَّجَسُ الْقَائِمُ الْعَيْنِ فَلاَ بُدَّ مِنْ إِزَالَةِ الْعَيْنِ مَعَ الأَثَرِ، وَتُغْسَلُ حَتَّى لاَ تَنْتَقِصَ، وَمَا دَامَتِ الْغَسَالَةُ مُتَغَيِّرَةً فَالْمَحَلُّ نَجِسٌ، وَأَمَّا بَقَاءُ الرَّائِحَةِ فَلاَ بَأْسَ بِهَا بَعْدَ زَوَالِ الْعَيْنِ، وَفِي إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ بِالرِّيقِ وَالْمُخَاطِ قَوْلاَنِ.

وَإِنْ كَانَ النَّجَسُ فِي أَوَانِي الطِّينِ فَلْيَجْتَهِدْ فِي غَسْلِهَا، ثُمَّ يَمْلأُهَا مَاءً فَيُتْرَكُ فِيهَا لَيْلاً، ثُمَّ يُرَاقُ نَهَارًا، أَوْ يُقَامُ فِي الشَّمْسِ، يَصْنَعُ بِهَا هَكَذَا ثَلاَثًا، وَقَالَ مَنْ قَالَ: يَوْمًا وَلَيْلَةً، ثُمَّ يَحْكُمُ بِطَهَارَتِهَا.

---

(١) [رواه الربيع، باب في آداب الوضوء وفرضه، ر٨٧، ومسلم، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثا، ر٤١٦].

وَإِنْ كَانَتِ الْخَابِيَةُ مَاتَتْ فِيهَا فَأْرَةٌ فَإِنَّهَا تُوقَدُ فِيهَا شُعْلَةُ نَارٍ لِكَيْ يَحْتَرِقَ الشَّعْرُ اللاَّصِقُ بِهَا، ثُمَّ تُغْسَلُ كَمَا قَدَّمْنَا.

وَإِنْ كَانَ كُوزٌ ضَيِّقُ الْعُنُقِ جُعِلَ فِيهِ الْمَاءُ مَعَ الْحَصْبَاءِ ثُمَّ يُخَضْخَضُ فِيهِ مَعَ إِبْدَالِ الْمَاءِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَحْكُمُ بِطَهَارَتِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَاءَ يُزِيلُ النَّجَاسَةَ مِنْ أَيِّ مَحَلٍّ حَلَّتْ بِهِ مِنَ الأَرْضِ وَجَمِيعِ أَجْزَائِهَا وَنَبَاتِهَا الْمَعْمُولِ مِنْهَا أَوْ غَيْرِ الْمَعْمُولِ، وَكَذَلِكَ الْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ أَجْنَاسِهَا، وَالثِّيَابُ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِهَا، إِلاَّ مَا يَتَعَذَّرُ إِخْرَاجُ النَّجَسِ مِنْهُ إِذَا عُجِنَ بِهِ الأَشْيَاء، أَوْ طُبِخَ فِيهَا، أَوِ اخْتُمِرَ مَعَهَا، أَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْوَدَكُ أَوِ الدُّهْنُ فِي الثَّوْبِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الأَوْعِيَةِ بَعْدَ مَا سَبَقَ إِلَيْهَا، أَوْ خِيطَ الثَّوْبُ، أَوْ عُقِدَ مَعَ النَّجَسِ، أَوْ صُبِغَ بِصِبَاغٍ مَنْجُوسٍ، أَوْ جُعِلَ لِلَّحْمِ مِلْحٌ مَنْجُوسٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْوُجُوهَ مِنْ إِدْهَانِ الرَّأْسِ بِدُهْنٍ مَنْجُوسٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَيَوَانِ، أَوْ عُقِدَ الشَّعْرُ عَلَى النَّجَسِ، فَإِنَّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ تَتَعَذَّرُ طَهَارَتُهُ حَتَّى يَحِلَّ جَمِيعَ مَا عُقِدَ عَلَى النَّجِسِ، أَوْ يُعَرَّكَ حَتَّى تُتَيَقَّنَ طَهَارَتُهُ، وَيُزَالُ الدُّهْنُ قَبْلَ غَسْلِ النَّجَسِ[1]، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

---

(١) فِي كَلاَمِ الشَّيْخِ عَامِرٍ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِذَا اجْتَهَدَ فِي غَسْلِهِ يُحْكَمُ لَهُ بِالطَّهَارَةِ، وَيَكُونُ كَأَثَرِ النَّجِسِ الْبَاقِي بَعْدَ الاجْتِهَادِ فِي الْغَسْلِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ الْمَكَانَ؛ لأَنَّ قَطْعَهُ فَسَادٌ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ أَنَّ مَنْ صَبَغَ يَدَهُ بِالصِّبَاغِ الْمَنْجُوسِ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُخَ جِلْدَهُ لأَجْلِ أَثَرِ الصِّبَاغِ الْمَنْجُوسِ حِينَ لَمْ يَزُلْ بِالْغَسْلِ، وَكَانَ هَذَا قِيَاسًا عَلَيْهِ اهـ. [الإيضاح، ١/ ٣٦٣]

# فصل فِي الْمَسْحِ[1]

اعْلَمْ أَنَّ الْمَسْحَ مَنْطُوقٌ بِهِ فِي السُّنَّةِ لِثَلاَثَةِ أَشْيَاءِ، **أَحَدُهَا:** فِي مَسْحِ أَذَى الْمَخْرَجَيْنِ بِالأَحْجَارِ، **الثَّانِي:** فِي الْخُفَّيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا وَطِئَ أَحَدُكُمُ الأَذَى بِنَعْلَيْهِ فَإِنَّ التُّرَابَ لَهُ طَهُورًا"[2]، **وَالثَّالِثُ:** فِي ذَيْلِ الْمَرْأَةِ الطَّوِيلِ لِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ أُطِيلُ ذَيْلِي وَأَمْشِي فِي الْمَكَانِ الْقَذِرِ، فَقَالَ: "يُطَهِّرُهُ مَا بَعْدَهُ"[3]، وَهَذَا لَمَّا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَأْمُورَةً بِإِطَالَةِ الذَّيْلِ جَعَلَ الشَّارِعُ مَا بَعْدَهُ مُطَهِّرًا لَهُ كَمَا قَدَّمْنَا فِي الْحَدِيثِ، وَهَذَا - عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِيمَا وَجَدْتُ - إِذَا كَانَ الذَّيْلُ جَافًّا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَنْثُرُهُ لِجَفَافِهِ، وَإِنْ كَانَ رَطْبًا فَلاَ بُدَّ مِنْ غَسْلِهِ كَسَائِرِ النَّجَاسَاتِ، فَوَرَدَتِ السُّنَّةُ بِالْمَسْحِ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلاَثَةِ، فَأَجَازَهُ قَوْمٌ فِي أَيِّ مَحَلٍّ حَلَّتْهُ النَّجَاسَةُ إِذَا ذَهَبَتْ عَيْنُهَا، وَقَوْمٌ قَصَرُوهُ عَلَى الْوَارِدِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ فِي السُّنَّةِ، وَالظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُمْ أَجَازُوهُ فِي كُلِّ جِسْمٍ أَمْلَسٍ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ وَأَمْثَالِهَا، وَلَمْ يُجِيزُوهُ فِي الثِّيَابِ وَمَحَلِّ الشَّعْرِ مِنَ

---

(١) [وهو الشيء الثاني من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

(٢) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٣٢٨].

(٣) [رواه الربيع، باب جامع النجاسات، ر١٥٠]. فَأُمُّ سَلَمَةَ سَأَلَتْ لِلْمَرْأَةِ لاَ لِنَفْسِهَا، وَلَعَلَّ كَلِمَةَ امْرَأَة سَقَطَتْ مِنَ النَّاسِخِ، وَأُمُّ سَلَمَةَ هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، كَانَتْ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ، وَهَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِلَى الْحَبَشَةِ، وَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ عَوْدَتِهِمَا مِنَ الْحَبَشَةِ، وَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، كَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ هَاجَرَتْ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَأَوَّلَ ظَعِينَةٍ دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ، وَآخِرَ أُمَّهَاتِ الْمُسْلِمِينَ مَوْتًا، كَانَتْ وَفَاتُهَا سَنَةَ ٥٧هـ وَقِيلَ: اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ وَعُمُرُهَا أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ﷺ، وَكَانَتْ لَهَا بِنْتٌ هِيَ زَيْنَبُ بِنْتُ سَلَمَةَ رَبِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا دَخَلَ يَغْتَسِلُ تَقُولُ لِي أُمِّي: ادْخُلِي عَلَيْهِ، فَإِذَا دَخَلْتُ نَضَحَ فِي وَجْهِي مِنَ الْمَاءِ وَيَقُولُ: ارْجِعِي. قَالَتْ أُمُّ عَطَّافٍ بِنْتُ خَالِدٍ رَاوِيَةُ الْحَدِيثِ: فَرَأَيْتُ زَيْنَبَ وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَا نَقَصَ مِنْ وَجْهِهَا شَيْءٌ، وَفِي رِوَايَةٍ: لَمْ يَزَلْ مَاءُ الشَّبَابِ فِي وَجْهِهَا حَتَّى كَبِرَتْ وَعَمَّرَتْ. اهـ مُصَحِّحه.

الأَبْدَانِ وَالْفُرُوجِ وَشُقُوقِ الأَرْجُلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَنْعَرِي مِنَ النَّجَسِ غَالِبًا إِذَا وَقَعَ فِيهِ، وَقَدْ أَجَازُوهُ فِي ضِرْعِ الشَّاةِ إِذَا بَالَتْ عَلَيْهِ فَتَمَرَّغَتْ فِي التُّرَابِ، أَوْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَوْ عَلَى مِنْقَارِ الدَّجَاجَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ إِذَا زَالَ أَثَرُهُ، فَحَكَمُوا بِطَهَارَتِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَالُوا: إِذَا نَجِسَتْ يَدُ الرَّجُلِ فَطَلَعَ بِهَا نَخْلَةً، أَوْ حَفَرَ بِهَا، أَوْ بَنَى بِهَا، أَوِ احْتَطَبَ، أَوْ عَمِلَ عَمَلاً يُؤَثِّرُ فِي إِزَالَتِهَا مِنَ الْيَدِ فَقَدْ طَهُرَتْ، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْيَدِ مِنَ الْحَدِيدِ إِذَا قُطِعَ بِهِ أَوْ حُلِقَ، أَوْ نَجِسَتِ الرَّحَى فَطُحِنَ بِهَا، أَوْ حَجَرٌ فَدُقَّ بِهِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حُكِمَ بِطَهَارَتِهِ، وَهَذَا إِذَا مُسِحَ مَوْضِعُ النَّجَسِ سَبْعَ مَرَّاتٍ بِسَبْعَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ، وَقِيلَ: يُجْزِيهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا النَّضْحُ**[1]: فَقَدْ وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِهِ فِي ثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ:

**أَحَدُهَا:** الْحَصِيرُ فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حِينَ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا عِنْدَ جَدَّتِهِ[2]، قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِالْمَاءِ[3]، وَلَمْ أَرَ أَصْحَابُنَا يَعْتَبِرُونَهُ إِلاَّ فِي الْحَصِيرِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُغَسِّلُوا عَلَيْهَا الْمَيِّتَ فَإِنَّهُم قَالُوا: تُنْضَحُ بِالْمَاءِ لِئَلاَّ يَسْبِقَ إِلَيْهَا النَّجَسُ.

**وَالثَّانِي**: فِي بَوْلِ الرَّضِيعِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: "كَانَ يُؤْتَى النَّبِيُّ ﷺ بِالصِّبْيَانِ فَيُحَنِّكُهُمْ، فَأُوتِيَ بِصَبِيٍّ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ، فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ"[4]، وَلَمْ يَعْتَبِرْهُ أَصْحَابُنَا فِي هَذَا

---

(١) [وهو الشيء الثالث من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

(٢) اسْمُهَا مَلِيكَة.

(٣) [رواه الربيع، باب الإمامة في النوافل، ر٢٠٢].

(٤) [سبق تخريجه].

الْحَدِيثِ[١]، وَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَهُ فِي أَبْوَالِ الْمَأْكُولاَتِ إِذَا بَالَتْ عَلَى غَرَائِرِ الطَّعَامِ أَنَّهُمْ قَالُوا: يُصَبُّ عَلَى الْبَوْلِ الْمَاءُ فتُكفأُ الْغِرَارَةُ[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الثَّالِثُ**: فِي الْمَذِيِّ يُصِيبُ الذَّكَرَ، فَأَمَرَ ﷺ أَنْ يُنْضَحَ الذَّكَرُ بِالْمَاءِ، وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ حِينَ سَأَلَ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ دَنَا مِنَ امْرَأَتِهِ فَخَرَجَ مِنْهُ مَذْيٌ، فَقَالَ: "إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَنْضَحْ ذَكَرَهُ بِالْمَاءِ"[٣]. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْغُسْلُ طَهَارَةٌ مَا تَيَقَّنَ نَجَاسَتَهُ، وَالنَّضْحُ مَا كَانَ مَشْكُوكًا فِيهِ، وَقَوْمٌ فَرَّقُوا بَيْنَ بَوْلِ الْغُلاَمِ وَبَوْلِ الْجَارِيَةِ، فَقَالُوا: يُنْضَحُ بَوْلُ الْغُلاَمِ، وَيُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ[٤].

**وَأَمَّا الْوَطْءُ**[٥]: فَقَدْ وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ كَمَا قَدَّمْنَا فِي النَّعْلَيْنِ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا وَطِئَ الأَذَى أَحَدُكُمْ بِخُفَّيْهِ فَطُهْرُهُمَا التُّرَابُ"[٦]، فَقَالَ أَصْحَابُنَا: إِذَا وَطِئَ الرَّجُلُ بِنَعْلَيْهِ أَوْ خُفَّيْهِ نَجَسًا فَإِنَّ طَهَارَتَهُمَا أَنْ يَمْشِيَ بِهِمَا حَتَّى يَزُولَ الأَثَرُ، وَقِيلَ: سَبْعَ خُطُوَاتٍ، وَهَذَا إِذَا ذَهَبَ أَثَرُهُ، وَهَكَذَا إِذَا لَمْ تَلْتَصِقِ النَّجَاسَةُ بِهِ، وَأَمَّا إِذَا الْتَصَقَتْ فَلاَ بُدَّ مِنَ الْمَاءِ، وَأَمَّا الرِّجْلُ إِذَا تَنَجَّسَتْ فَلاَ يُنَقِّيهَا الْمَشْيُ، وَقِيلَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا

---

١) لَمْ يَعْتَبِرُوا النَّضْحَ مُطَهِّرًا لِمَا تَيَقَّنَتْ نَجَاسَتُهُ، فَيَكُونُ النَّضْحُ فِي الْحَدِيثِ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ لِتَلْيِينِ الْحَصِيرِ أَوْ لِتَنْظِيفِهِ أَوْ لِتَطْهِيرِهِ [فتح الباري، ١/ ٤٩٠]، أَيْ: مِنْ نَجَاسَةٍ غَيْرِ مُتَيَقَّنَةٍ، وَهُوَ بَعِيدٌ، فالأَصْلُ الطَّهَارَةُ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْغُسْلُ طَهَارَةُ مَا تَيَقَّنَ نَجَاسَتَهُ، وَالنَّضْحُ مَا كَانَ مَشْكُوكًا فِيهِ، وَيَرُدُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: النَّضْحُ فِي الْمَذِيِّ، وَهُوَ مَا تَيَقَّنَ نَجَاسَتَهُ. اهـ.

(٢) [الغِرَارَة: وعاء أو جراب لحفظ الأشياء].

٣) [سبق تخريجه].

٤) لِقوله ﷺ: "بَوْلُ الْغُلاَمِ يُنْضَحُ عَلَيْهِ، وَبَوْلُ الْجَارِيَةِ يُغْسَلُ". [رواه ابن ماجه، باب ما جاء في بول الصبي الذي لم يطعم، ر٥٢٧].

(٥) [وهو الشيء الرابع من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

٦) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

شِقَاقٌ.

**وَأَمَّا النَّارُ**[١]: فَإِنَّهَا تُزِيلُ النَّجَسَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا مِنَ الأَرْضِ وَمَا كَانَ مَعْمُولاً مِنْ أَجْزَائِهَا مِنْ أَوَانِي الطِّينِ وَالْحَدِيدِ وَأَمْثَالِهَا؛ لأَنَّ النَّارَ تَأْكُلُ النَّجَسَ إِذَا أُلْقِيَ فِيهَا، وَقَالُوا: التَّنُّورُ وَالْفُرْنُ يُطَهِّرَانِ مَبْلَغَ حَرَارَتِهِمَا[٢]، وَتُطَهِّرُ الْحَدِيدَ وَغَيْرَهُ إِذَا حُمِّيَ فِيهَا، وَكَذَلِكَ أَوَانِي الطِّينِ إِذَا سَبَقَ إِلَيْهَا النَّجَسُ أَنَّهَا تُحْمَى فِي النَّارِ، وَالْمَوْضِعُ الْمَنْجُوسُ مِنَ الأَرْضِ إِذَا أُوقِدَ عَلَيْهِ النَّارُ مِقْدَارَ مَا لاَ تَحْتَمِلُهُ الْيَدُ فَإِنَّهُ يَطْهُرُ بِذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الزَّمَانُ**[٣]: فَإِنَّهُ يُنَقِّي النَّجَسَ مِنَ الأَرْضِ وَمَا تَوَلَّدَ مِنْ أَجْزَائِهَا دُونَ الْمَعْمُولِ مِنْ نَبَاتِهَا، عَلَى قَدْرِ اخْتِلاَفِهِمْ فِي تَحْدِيدِ ذَلِكَ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَخَارِجِ الْبُيُوتِ وَدَاخِلِهَا، وَكَذَلِكَ النَّبَاتُ وَالثِّمَارُ الْمُتَّصِلَةُ بِالأَرْضِ دُونَ الْبَائِنَةِ عَنْهَا يُنَقِّيهَا الزَّمَانُ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي البائنة، وَاللهُ أَعْلَمُ.وَرُوِيَ عَنْ عَمْرُوسِ بْنِ فَتْحٍ[٤] ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ بِتِينٍ بَالَ عَلَيْهَا الْجِدْيَانُ أَنْ يُنْشَرَ لِلشَّمْسِ، لِلشَّمْسِ، وَكَذَلِكَ قِيلَ فِي جَوَابَاتِ الإِمَامِ أَبِي سَهْلٍ[٥] أَنَّهُ رَخَّصَ فِي ثِمَارِ

(١) [وهو الشيء الخامس من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

(٢) لَعَلَّ الصَّوَابَ: بِمَبْلَغِ حَرَارَتِهَا.

(٣) [وهو الشيء السادس من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

(٤) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٥) أَبُو سَهْلٍ الْبِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ التدميرَتِيُّ اللاَّلوتِيُّ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ بِجَبَلِ نفُوسَةَ، تَلَقَّى الْعِلْمَ عَنْ عَنْ أَبِي يَحْيَى يُوسُفَ بْنِ زَيْدٍ الدَّرْفِيِّ حَاكِمِ جَادُو، وَعَنِ الشَّيْخِ أَبِي نَصْرٍ زار بْنِ يُوسُفَ التفسنِيِّ الَّذِي تَخَرَّجَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ فَطَاحِلُ، كَالْعَلاَّمَةِ أَبِي يُوسُفَ وَجَدلِيشَ بْنِ فِّ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ أَبُو سَهْلٍ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَدَّوْا رِسَالَةَ الْعِلْمِ عَلَى خَيْرِ مَا تُؤَدَّى رِسَالَةٌ سَامِيَةٌ، وَمِمَّنْ جَازَتْ عَلَيْهِ نِسْبَةُ الدِّينِ، وَمِمَّنْ لَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَإِشَاعَةِ الرُّوحِ الدِّينِيَّةِ بَيْنَ الطَّلَبَةِ وَالْجَمَاهِيرِ، ﷺ وَجَازَاهُ عَنِ الإِسْلاَمِ خَيْرًا. اهـ.

نَخِيلٍ أَصَابَهَا رَوْثُ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ أَنْ تُنْشَرَ وَتُؤْكَلَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

**وَأَمَّا الدِّبَاغُ**[٢]: فَإِنَّمَا هُوَ طَهَارَةُ الأَدِيمِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "دِبَاغُ الأَدِيمِ طَهَارَتُهُ"[٣]، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي جُلُودِ الْمَيْتَةِ أَيْضًا، فَمَنَعَ الانْتِفَاعَ بِهَا قَوْمٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَجَازَ آخَرُونَ الانْتِفَاعَ بِهَا بَعْدَ الدِّبَاغِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِغَ فَقَدْ طَهُرَ"[٤] وَقَوْلِهِ ﷺ: "إِنَّمَا حُرِّمَ أَكْلُهَا"[٥]، فَدِبَاغُ أَدِيمِ الْمَيْتَةِ طَهَارَتُهُ كَمَا أَنَّ طَهَارَةَ أَدِيمِ الْمُذَكَّاةِ ذَكَاتُهُ.

وَكَيْفِيَّةُ الدِّبَاغِ: نَزْعُ الْفَضَلاَتِ بِالأَشْيَاءِ الْمُعْتَادَةِ عِنْدَ النَّاسِ، كَقِشْرِ الشَّجَرِ مِنَ الطَّرْفَاءِ وَالْجَوْزِ وَالرَّتَمِ[٦] وَأَشْبَاهِهَا، وَيَكُونُ الدِّبَاغُ بِالثِّمَارِ أَيْضًا كَالتِّينِ وَالتَّمْرِ وَالزَّيْتُونِ وَغَيْرِهَا مِنْ ثِمَارِ الشَّجَرِ الْبَرِّيِّ، وَاخْتُلِفَ فِي الْمِلْحِ وَالشَّمْسِ وَالتُّرَابِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الشَّمْسُ وَالْمِلْحُ دِبَاغٌ"[٧].

وَاخْتُلِفَ أَيْضًا فِي قُرُونِ الْمَيْتَةِ وَعِظَامِهَا وَأَظْلاَفِهَا، هَلْ يُؤَثِّرُ فِيهَا الدِّبَاغُ؟ فَقِيلَ: تَطْهُرُ بِالدِّبَاغِ، وَقِيلَ: لاَ يُؤَثِّرُ فِيهَا، وَاخْتُلِفَ فِي صُوفِ الْمَيْتَةِ وَشَعْرِهَا، فَقِيلَ: لاَ يُؤَثِّرُ فِيهَا الدِّبَاغُ إِلاَّ إِنْ كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِالْجِلْدِ غَيْرَ بَائِنَةٍ، وَقِيلَ: يُؤَثِّرُ فِيهَا وَإِنْ كَانَتْ بَائِنَةً عَنِ الْجِلْدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [انظر: جوابات أبي سهل، ص ٦٢، ٦٣].

(٢) [وهو الشيء السابع من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

(٣) [رَوَاه الطبراني: المعجم الصغير، ر٥٢٣].

(٤) [رواه الربيع، باب أدب الطعام والشراب، ر٣٨٩].

(٥) [رواه الربيع، باب أدب الطعام والشراب، ر٣٨٩، ومسلم، كتاب الزكاة، ر١٣٩٧].

(٦) [الرَّتَمُ: ضرب من الشجر، مفرده رتمة].

(٧) [لم أجد من خرجه، وروي في الملح عن عائشة قالت: "استمتعوا بجلود الميتة إذا هي دبغت ترابا ترابا أو رمادا أو ملحا أو ما كان بعد أن يزيد صلاحه"، باب وقوع الدباغ بالقرظ أو ما يقوم مقامه، ر٦٧].

ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي بَيْعِ الْمَدْبُوغِ مِنْ جُلُودِ الْمَيْتَةِ وَالصَّلاَةِ بِهَا، فَقِيلَ: إِنَّهُ جَائِزٌ؛ لأَنَّهُ طَاهِرُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ جَمِيعًا، وَقِيلَ: طَهَارَتُهُ مَخْصُوصَةٌ بِالاسْتِعْمَالِ فِي الْيَابِسَاتِ وَفِي الْمَاءِ وَحْدَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَائِعَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا التُّرَابُ**(١): فَهُوَ طَهَارَةُ صُوفِ الْمَيْتَةِ وَوَبَرِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: تُتَرَّبُ بِمَا لاَ يَلْتَزِقُ بِهَا كَالتُّرْبَةِ الْبَيْضَاءِ وَالْجِبْسِ وَالرَّمْلِ وَنَحْوِهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ بِسَبْعَةِ أَعْوَادٍ فِي سَبْعَةِ أَمْكِنَةٍ، وَقِيلَ: يَكْفِي فِيهَا ثَلاَثُ مَرَّاتٍ بِثَلاَثَةِ أَعْوَادٍ فِي ثَلاَثَةِ أَمْكِنَةٍ، وَأَمَّا مَا يَلْتَزِقُ بِهَا كَالثَّرَى وَتُرَابِ السِّبَاخِ وَالرَّمَادِ وَمَدْقُوقِ النَّبَاتِ فَلاَ يُطَهِّرُهَا، وَكَذَلِكَ الْغَسْلُ بِالْمَاءِ لاَ يُطَهِّرُهَا إِلاَّ إِنِ اخْتَلَطَ مَعَ التُّرَابِ أَوِ التُّرْبَةِ الْبَيْضَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ(٢)، وَإِنْ وُجِدَ فِيهَا جِلْدُ الْمَيْتَةِ مُلْتَزِقًا بِهَا فَلاَ يُنَقِّيهَا التَّرْبِيبُ وَلاَ الْغَسْلُ حَتَّى يُنْزَعَ عَنْهَا، وَإِنْ عُمِلَ مِنْهَا الثِّيَابُ قَبْلَ التَّرْبِيبِ فَإِنَّهَا تُغْسَلُ بِالْمَاءِ مَعَ التُّرْبَةِ الْبَيْضَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الرِّيحُ وَالشَّمْسُ وَالْمَطَرُ**(٣): فَإِنَّهَا طَهَارَةٌ لِلأَرْضِ وَجَمِيعِ أَجْزَائِهَا وَنَبَاتِهَا الْمُتَّصِلِ بِهَا وَمَا يَخْرُجُ مِنْ مَعَادِنِهَا، وَاخْتُلِفَ فِي الثِّمَارِ الْبَائِنَةِ عَنْهَا، وَفِي الْمَعْمُولِ مِنْ نَبَاتِهَا، وَاخْتُلِفَ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي تَطْهُرُ فِيهَا بِالشَّمْسِ وَالرِّيحِ، فَقِيلَ: سَبْعَةُ أَيَّامٍ فِي الصَّيْفِ، وَأَضْعَافُ ذَلِكَ فِي الشِّتَاءِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

---

(١) [وهو الشيء الثامن من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

(٢) يُشْتَرَطُ التَّرْبِيبُ فِي صُوفِ الْمَيْتَةِ وَوَبَرِهَا وَشَعْرِهَا حِرْصًا عَلَى نَزْعِ مَا بِهَا مِنْ فَضَلاَتِ الْمَيْتَةِ، وَوَدَكِهَا بِأَيْسَرِ طَرِيقَةٍ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَالدِّينُ يُسْرٌ، لِذَلِكَ اشْتَرَطُوا التُّرَابَ حَتَّى مَعَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مُطَهِّرٍ، وَإِذْ تَطَوَّرَتْ أَسَالِيبُ الْحَيَاةِ فِي عَصْرِنَا وَتَيَسَّرَ فِيهِ مَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَإِنَّ غَسْلَهَا بِالصَّابُونِ يَكُونُ أَشَدَّ تَحْقِيقًا لِلْغَرَضِ، وَلَمْ يَكُنِ التَّرْبِيبُ تَعَبُّدِيًّا حَتَّى لاَ يُعْدَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْعِلَّةِ الْمَعْقُولَةِ، وَعَلَيْهِ فَوَسِيلَةُ الصَّابُونِ أَضْمَنُ فِي إِزَالَةِ الدَّسَمِ، اللهُمَّ إِلاَّ إِذَا لَمْ يَتَيَسَّرِ الصَّابُونُ فَإِنَّهُ يُعْدَلُ حِينَئِذٍ إِلَى التَّرْبِيبِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه

(٣) [وهو الشيء التاسع من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

وَإِذَا ذَهَبَ عَيْنُ النَّجَاسَةِ عَنِ الأَرْضِ بِشَمْسٍ أَوْ رِيحٍ أَوْ وَطْءٍ أَوْ مُدَّةٍ - كَمَا قَدَّمْنَا - فَقَدْ طَهُرَ الْمَحَلُّ وَلَوْ بَقِيَ الأَثَرُ، وَكذلِكَ الأَثَرُ إِذَا بَقِيَ فِي الثَّوبِ بَعْدَ الغَسْلِ حتَّى لاَ يَنْتَقِصَ بِهِ فَإِنَّهُ يَطْهُرُ، وَكَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الأَثَرُ وَبَقِيَتِ الرَّائِحَةُ فِي الأَرْضِ أَوِ الثَّوْبِ فَلاَ بَأْسَ.

وَأَمَّا مَعَاطِنُ الإِبِلِ وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْمَزَابِلِ وَالْمَجَازِرِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: لاَ يُنَقِّيهَا إِلاَّ مَطَرُ سَنَةٍ وَرِيحُهَا، وَقِيلَ: مَعَاطِنُ الإِبِلِ الرَّمْلِيَّةُ إِذَا ذَهَبَ أَثَرُهَا بِالرِّيحِ وَالشَّمْسِ فَقَدْ طَهُرَتْ. وَإِذَا كَانَ النَّجَسُ فِي مَوْضِعٍ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ وَالرِّيحُ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الدَّهْرُ طَهَارَتُهُ، وَيُنَقِّي الأَرْضَ وَجَمِيعَ أَجْزَائِهَا وَنَبَاتَهَا الْمُتَّصِلَ بِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعْمُولاً، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَاخْتُلِفَ فِي الدَّهْرِ فَقِيلَ: هُوَ سَنَةٌ، وَقِيلَ: سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: ثَلاَثَةٌ، وَقِيلَ: شَهْرَانِ اثْنَانِ، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الرَّشْحُ**[1]: فَهُوَ طَهَارَةُ الْقِلاَلِ الرَّاشِحَةِ وَمَوَاضِعِ الزِّقَاقِ الْمُبْتَلَّةِ، إِذَا بَلَغَهَا النَّجَسُ مِنْ خَارِجِهَا فَرَشَّحَتِ الْمَاءَ حَتَّى زَالَ أَثَرُ النَّجَاسَةِ فَقَدْ طَهُرَتْ وَطَهُرَ جَمِيعُ مَا بَلَغَ بَلَلُهَا.

وَالْفَاكِهَةُ إِذَا غُذِّيَتْ بِالْمَاءِ الْمَنْجُوسِ، فَقِيلَ: طَهَارَتُهَا أَنْ تُسْقَى بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَكَذَلِكَ الْقِلاَلُ الْمَطْبُوخَةُ بِالْعَذِرَةِ قِيلَ: طَهَارَتُهَا أَنْ تُحْمَى بِالْحَطَبِ الطَّاهِرِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

وَقَدْ قَالُوا أَيْضًا: الْكَنْسُ طَهَارَةُ الْمَوْضِعِ الْمَنْجُوسِ إِذَا كُنِسَ سَبْعًا، وَقِيلَ: ثَلاَثًا، وَهَذَا إِذَا زَالَتْ عَيْنُ النَّجَسِ.

---

(١) [وهو الشيء العاشر من الأشياء التي تزال بها النجاسة].

وَاخْتُلِفَ فِي دُخَانِ النَّجَسِ وَجَمِيعِ مَا يَقُومُ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنَ الْغُبَارِ وَدُخَانِ الْحَطَبِ الْمَنْجُوسِ وَرَمَادِ النَّجَسِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَقِيلَ: مَا قَامَ مِنَ النَّجَسِ فَهُوَ نَجِسٌ عَلَى حُكْمِ الأَصْلِ، وَقِيلَ: مَا قَامَ مِنَ النَّجَسِ طَاهِرٌ؛ لأَنَّ النَّجَسَ أَكَلَتْهُ النَّارُ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، وَبِهِ الحَوْلُ والتَّوْفِيقُ.

# الْمُقَدِّمَةُ الرَّابِعَةُ
# فِي الاسْتِنْجَاءِ

**وَمَعْنَى الاسْتِنْجَاءِ**: إِزَالَةُ النَّجَسِ، مِنَ النَّجْوِ، وَهُوَ الْحَدَثُ بِنَفْسِهِ، وَتَسْمِيَتُهُ بِذَلِكَ تَجَوُّزٌ وَاتِّسَاعٌ، كَمَا يُسَمَّى غَائِطًا، فَالنَّجْوُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، كَمَا أَنَّ الْغَائِطَ: الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ، فَسَمُّوا الْمَكَانَ بِاسْمِ الْحَدَثِ تَوَسُّعًا وَمَجَازًا[1].

وَيَتَفَرَّعُ مِنْ هَذِهِ **الْمُقَدِّمَةِ فَصْلاَنِ** يَشْتَمِلاَنِ عَلَى مَعَانِي الاسْتِنْجَاءِ؛ لأَنَّهُ لاَ بُدَّ فِيهِ مِنْ **وَجْهَيْنِ**، **أَحَدُهُمَا**: اسْتِطَابَتُهُ بِالأَحْجَارِ لإِزَالَةِ الْعَيْنِ الْمُجْتَمِعَةِ، **وَالثَّانِي**: الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَاءِ لإِزَالَةِ الْعَيْنِ وَالأَثَرِ جَمِيعًا.

---

[1] وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ: فَسَمَّوُا الْحَدَثَ بِاسْمِ الْمَكَانِ.

## الفصل الأول

# في الاستجمار

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَلَكِنْ **صِفَةُ الْمُسْتَجْمَرِ بِهِ ثَمَانِيَةُ أَشْيَاءَ**، وَهُوَ **أَنْ يَكُونَ طَاهِرًا** احْتِرَازًا مِنَ الْعَذِرَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الأَنْجَاسِ، **جَامِدًا** احْتِرَازًا مِنَ الْمَائِعَاتِ كَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَغَيْرِهِمَا، **مُنْفَصِلاً عَنِ الْبَدَنِ** احْتِرَازًا مِنَ الْيَدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَدَنِ، **مُنَقِّيًا** احْتِرَازًا مِنَ الزُّجَاجِ وَالْفَحْمِ وَالْحَدِيدِ الأَمْلَسِ وَنَحْوِهَا، **لَيْسَ بِذِي مَطْعُومٍ** احْتِرَازًا مِنَ الْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ وَمَا قَامَ عَنْهَا مِنَ الطَّعَامِ، وَمَا انْفَصَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَصَبِ الزَّرْعِ وَشَمَارِيخِ النَّخِيلِ وَنَحْوِهَا، **وَلاَ بِذِي حُرْمَةٍ** احْتِرَازًا مِنَ الْمِلْحِ وَالطَّعَامِ وَجُدُرَانِ الْمَسَاجِدِ وَمَحَلِّ الْكِتَابَةِ مِنَ الأَلْوَاحِ وَالأَوْرَاقِ وَنَحْوِهَا، **وَلاَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ حَقُّ الْغَيْرِ** احْتِرَازًا مِنَ الرَّوْثِ وَالْعَظْمِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ جَمِيعِ مَا لاَ يَمْلِكُهُ مِمَّا لَيْسَ النَّاسُ فِيهِ سَوَاءٌ، **وَلاَ فِيهِ سَرَفٌ** احْتِرَازًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ.

**وَسُنَنُ إِزَالَةِ هَذِهِ النَّجَاسَةِ مِنَ الْمَخْرَجَيْنِ خَمْسٌ، إِحْدَاهَا**: كَوْنُ الأَحْجَارِ وِتْرًا، ثَلاَثًا فَمَا زَادَ كَمَا قَدَّمْنَا، **وَالثَّانِيَةُ**: مُبَاشَرَةُ ذَلِكَ بِالشِّمَالِ، **وَالثَّالِثَةُ**: اتِّقَاءُ

الاسْتِنْجَاءِ بِالْعَظْمِ وَالرَّوْثِ، **وَالرَّابِعَةُ:** الْبِدَايَةُ بِالْقُبُلِ قَبْلَ الدُّبُرِ، **وَالْخَامِسَةُ:** الاسْتِبْرَاءُ مِنَ الْبَوْلِ قَبْلَ ذَلِكَ بِالنَّتْرِ وَالسَّلْتِ كَمَا قَدَّمْنَا قَبْلَ هَذَا[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) [انظر: آداب قضاء حاجة الإنسان].

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي كَيْفِيَّةِ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ

وَلاَ بُدَّ عِنْدَنَا فِيهِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالأَحْجَارِ، فَالأَحْجَارُ لِتَخْفِيفِ الْعَيْنِ عَنِ الْمَوْضِعِ، ثُمَّ الْمَاءُ لِلإِنْقَاءِ وَإِزَالَةِ الأَثَرِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِيمَا وَجَدْتُ عَنْهُمْ: إِذَا لَمْ يُفِضِ الْبَوْلَ عَنْ ثُقْبَةِ الذَّكَرِ أَوْ رَمَى الْغَائِطَ عَنِ الدُّبُرِ رَمْيًا فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ اسْتِنْجَاءٌ، قَالَ: لأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِإِزَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ النَّجَاسَةِ دُونَ مَا بَطَنَ، وَوَجَدْتُ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ أَكْثَرِ مُخَالِفِينَا، وَهَذِهِ الرُّخْصَةُ مَوْجُودَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَمَّا الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنَ الْمَاءِ؛ لأَنَّ مَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ حِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: إِنَّمَا كَانُوا يَتَبَعَّرُونَ بِعرًا، وَأَنْتُمْ تَثْلِطُونَ ثَلْطًا[1].

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ قُبَاءَ فِي إِمْرَارِهِمُ الْمَاءَ عَلَى أَثَرِ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الأَحْجَارِ وَالْمَاءِ فِي الاسْتِنْجَاءِ أَفْضَلُ وَأَوْلَى[2].

---

(١) رَطْبًا رَقِيقًا، أَيْ: كَانُوا يَتَغَوَّطُونَ يَابِسًا كَالْبَعْرِ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلِي الأَكْلِ وَالْمَآكِلِ، وَأَنْتُمْ تَثلطُونَ رَقِيقًا، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى كَثْرَةِ الْمَآكِلِ وَتَنَوُّعِهَا.

[والأثر رواه البيهقي عن علي لا عن عائشة، باب الجمع في الاستنجاء بين المسح بالأحجار والغسل بالماء، ر٥١٨].

(٢) [كما ورد الحديث: أنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ "نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا) (التوبة: ١٠٨) قَالَ كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةُ. (رواه أبو داود، باب في الاستنجاء بالماء، ر٤٤). وفي رواية: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال

وَالْمُسْتَحَبُّ فِي صِفَةِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ أَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ عَلَى الْيَدِ قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا النَّجَاسَةَ وَالأَذَى فَيَغْسِلُهَا ثَلاَثًا، ثُمَّ يَجْلِسُ عَلَى الْمُسْتَحَمِّ مُتَمَكِّنًا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِ صُلْبٍ أَوْ مَكَانٍ نَجِسٍ لِئَلاَّ يَتَطَايَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَسَالَةِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى مُبْتَدِئًا بِغَسْلِ مَحَلِّ الْبَوْلِ أَوَّلاً، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَحَلِّ الْغَائِطِ، فَيُرْسِلُ الْمَاءَ وَيُوَالِي الصَّبَّ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى غَاسِلاً بِهَا الْمَحَلَّ، وَيَسْتَرْخِي قَلِيلاً لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الإِنْقَاءِ، وَيُجِيد الْعَرْكَ حَتَّى يُنَقِّى وَتَزُولَ اللُّزُوجَةُ، وَتَطْمَئِنَّ النَّفْسُ وَتَطِيبَ، وَيَزُولَ الشَّكُّ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدِ عَدَدٍ؛ لأَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْغِلْظَةِ وَالرِّقَّةِ، فَإِنْ أَحْدَثَ بِالرِّيحِ مُلاَقِيًا لِلْبَلَلِ قَبْلَ جُفُوفِهِ أَمَرَّ الْمَاءَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَضُرُّهُ الرَّائِحَةُ الْبَاقِيَةُ بَعْدَ الاسْتِنْجَاءِ، ثُمَّ يَنْفَصِلُ عَنِ الْمُسْتَحَمِّ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، يَقُولُ: "اللهُمَّ حَصِّنْ فَرْجِي بِالإِسْلاَمِ، وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَجَسَدِي مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَزَوِّجْنِي مِنَ الْحُورِ الْعِينِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ"[1].

**فَآدَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ** خَمْسٌ، **أَحَدُهَا**: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْتَحَمِّ، **وَالثَّانِيَةُ**: أَنْ يَبْدَأَ أَيْضًا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى قَاصِدًا مَحَلَّ الْبَوْلِ أَوَّلاً، **وَالثَّالِثَةُ**: صَبُّ الْمَاءِ عَلَى الْيَدِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، **وَالرَّابِعَةُ**: الاسْتِنْجَاءُ بِالشِّمَالِ، **وَالْخَامِسَةُ**: الدُّعَاءُ عِنْدَ الْفَرَاغِ كَمَا قَدَّمْنَا.

فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الاسْتِنْجَاءِ غَسَلَ كُلَّ نَجَاسَةٍ لاَقَتْ بَدَنَهُ مِنْ بَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ دَمٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ لأَنَّهُ لاَ يَصِحُّ لَهُ الْوُضُوءُ إِلَّا بَعْدَ نَزْعِ جَمِيعِ الأَنْجَاسِ مِنْ بَدَنِهِ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَنَسِيَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ إِعَادَةُ الْوُضُوءِ بَعْدَ إِزَالَتِهَا مِنَ الْبَدَنِ؛ لأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ لَهُ

---

لأهل قُبَاءَ: إن الله قد أحْسَنَ الثَّنَاءَ عليكم في الطهور، فما ذاك؟ قالوا: نَجْمَعُ في الاستنجاء بين الأحجار والماء" (رواه ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول، ر٥١٣٢)].

(١) [رواه ابن حبان :المجروحون من المحدثين والضعاء المتروكين، ٢/ ١٦٤].

الْقِيَامُ إِلَى الصَّلاَةِ حَتَّى يَجْتَمِعَ لَهُ اسْمَانِ: طَاهِرٌ وَمُتَطَهِّرٌ، فَالطَّاهِرُ مِنَ الأَنْجَاسِ، وَالْمُتَطَهِّرُ مِنَ الأَحْدَاثِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

# بَابٌ
# فِي الطَّهَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ لِلصَّلاَةِ

اعْلَمْ أَنَّ الطَّهَارَةَ الْمَشْرُوعَةَ لأَدَاءِ الصَّلاَةِ **تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، أَحَدُهَا:** الطَّهَارَةُ مِنَ الأَنْجَاسِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، **الثَّانِيَةُ** : طَهَارَةُ الْوُضُوءِ مِنَ الأَحْدَاثِ، **الثَّالِثَةُ** : الطَّهَارَةُ بِالتَّيَمُّمِ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ، وَهِيَ بَدَلٌ مِنَ الْوُضُوءِ، **الرَّابِعَةُ** : الطَّهَارَةُ مِنَ الأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ.

وَهَذَا الْبَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ فُصُولٍ:

**أَحَدُهَا [الفصل الأول]: طَهَارَةُ الْوُضُوءِ مِنَ الأَحْدَاثِ**

وَهَذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ، **أَحَدُهُمَا** : فِي كَيْفِيَّةِ الْوُضُوءِ، **وَالثَّانِي** : فِي نَوَاقِضِهِ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ
## فِي الْوُضُوءِ وَكَيْفِيَّتِهِ

اعْلَمْ أَنَّ الْوُضُوءَ مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ، وَهُوَ فَرْضٌ وَاجِبٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، **أَمَّا الْكِتَابُ:** فَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [1]، **وَمِنَ السُّنَّةِ:** قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةً بِغَيْرِ

(١) الْمَائِدَة: ٦.

طُهُورٍ، وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ"[١]، وَقَوْلُهُ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ"[٢]، **وَأَمَّا الإِجْمَاعُ**: فَلاَ أَحَدَ يُخَالِفُ فِي فَرْضِهِ.

**وَأَقْسَامُ الْوُضُوءِ أَرْبَعَةٌ**، وَهِيَ: فَرْضٌ، وَسُنَّةٌ، وَفَضِيلَةٌ، وَمُبَاحٌ.

**فَفُرُوضُهُ خَمْسَةٌ، أَحَدُهَا**: لأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ لِلْمُحْدِثِ، **وَالثَّانِي**: لِلْجُمُعَةِ، **وَالثَّالِثُ**: لِصَلاَةِ الْجَنَازَةِ، **وَالرَّابِعُ**: لِطَوَافِ الإِفَاضَةِ، **وَالْخَامِسُ**: لِطَوَافِ الْعُمْرَةِ.

**وَسُنَنُهُ أَرْبَعٌ، أَحَدُهَا**: الْوُضُوءُ لِصَلاَةِ السُّنَنِ، **وَالثَّانِي**: لِطَوَافِ الْوَدَاعِ، **وَالثَّالِثُ**: لِمَسِّ الْمُصْحَفِ، **وَالرَّابِعُ**: لِلْجُنُبِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ.

**وَفَضَائِلُهُ أَرْبَعٌ، أَحَدُهَا**: الْوُضُوءُ لِلنَّوْمِ، **وَالثَّانِي**: لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، **وَالثَّالِثُ**: لِلدُّعَاءِ، **وَالرَّابِعُ**: لِدُخُولِ الْمَسْجِدِ.

**وَمُبَاحُهُ نَوْعَانِ، أَحَدُهُمَا**: لِرُكُوبِ الْبَحْرِ وَشَبَهِهِ مِنَ الْمَخَاوِفِ، **وَالثَّانِي**: لِيَكُونَ بِهِ عَلَى طَهَارَةٍ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ الصَّلاَةِ بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) [رَوَاه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٥٤، والنسائي، كتاب الطهارة، ر١٣٩].

(٢) [رَوَاه البخاري، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور، ر١٣٣].

# فصل فِي أَحْكَامِ الْوُضُوءِ

اعْلَمْ أَنَّ الْوُضُوءَ يَنْقَسِمُ إِلَى فَرَائِضَ وَسُنَنٍ وَفَضَائِلَ.

**فَفَرَائِضُهُ سِتٌّ، الأُولَى** : الْمَاءُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ أَحَدُ أَوْصَافِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ[1]، **وَالثَّانِيَةُ** : النِّيَّةُ عِنْدَ التَّلَبُّسِ بِهِ مَعَ اسْتِصْحَابِ حُكْمِهَا، **وَالثَّالِثَةُ** : غَسْلُ الْوَجْهِ بِالاسْتِيعَابِ، **وَالرَّابِعَةُ** : غَسْلُ الْيَدَيْنِ مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ، **وَالْخَامِسَةُ** : مَسْحُ الرَّأْسِ، **وَالسَّادِسَةُ** : غَسْلُ الرِّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**أَمَّا النِّيَّةُ**: فَهِيَ شَرْطٌ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾[2]، وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**"[3]، فَحَصَرَ الأَعْمَالَ إِلَى النِّيَّةِ، وَمَعْنَاهَا الْقَصْدُ إِلَى الْفِعْلِ بِالاعْتِقَادِ مِنَ الْقَلْبِ وَالْعَزِيمَةِ عَلَيْهِ بِالْجَوَارِحِ، وَالنِّيَّةُ مُسْتَدَامَةٌ، وَالْعَمَلُ مُنْقَطِعٌ، فَكُلُّ عَمَلٍ خَلاَ مِنَ النِّيَّةِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَلاَ تَنَازُعَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي وُقُوعِ الْحُكْمِ إِذَا اجْتَمَعَ الْقَوْلُ وَالنِّيَّةُ.

---

(١) [انظر: أحكام الماء المطلق].

(٢) الْبَيِّنَة: ٥.

(٣) تَقَدَّمَ.

وَكَيْفِيَّةُ اعْتِقَادِ النِّيَّةِ لِلْوُضُوءِ: أَنْ يَنْوِيَ بِهِ اسْتِبَاحَةَ الصَّلاَةِ، وَيَقُولَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْوُضُوءِ: "أَرْفَعُ بِوُضُوئِي هَذَا جَمِيعَ الأَحْدَاثِ، وَأَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ طَاعَةً لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ".

**مَسْأَلَةٌ:** اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْوُضُوءِ، هَلِ النِّيَّةُ شَرْطٌ فِي إِيقَاعِهِ؟ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: هِيَ شَرْطٌ فِيهِ، وَلاَ يَصِحُّ إِيقَاعُهُ إِلاَّ بِهَا، وَأَجَازَ آخَرُونَ الطَّهَارَةَ بِغَيْرِ نِيَّةٍ إِذَا أَتَى بِصِيغَةِ الطَّهَارَةِ، وَأَظُنُّ أَنَّ أَصْحَابَ هَذَا الرَّأْيِ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الأَمْرِ بِالنِّيَّةِ حَثٌّ وَتَرْغِيبٌ فِي نَيْلِ الثَّوَابِ، كَقَوْلِهِ ﷺ: "**لاَ صَلاَةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلاَّ فِي الْمَسْجِدِ**"[1]، وَأَجْمَعُوا أَنَّهُ لَوْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ كَانَ مُؤَدِّيًا لِلْفَرْضِ، وَالْمُخْتَارُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنْ لاَ يَكُونَ الإِنْسَانُ مُتَطَهِّرًا لِوُضُوءِ صَلاَةٍ أَوْ غُسْلِ جَنَابَةٍ إِلاَّ بِقَصْدٍ وَنِيَّةٍ؛ لأَنَّ الْوُضُوءَ عِبَادَةٌ غَيْرُ مَعْقُولَةِ الْمَعْنَى، وَالْعِبَادَةُ غَيْرُ الْمَعْقُولَةِ الْمَعْنَى لاَ تُؤَدَّى إِلاَّ بِالنِّيَّةِ بِإِجْمَاعٍ[2].

**مَسْأَلَةٌ:** وَفِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا[3] لَوْ غَسَلَ الإِنْسَانُ بَعْضَ جَوَارِحِهِ ثُمَّ نَوَاهَا لِلْوُضُوءِ وَبَنَى عَلَى غُسْلِهِ ذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يُجْزِيهِ؛ لأَنَّهُ قَدَّمَ عَمَلَهُ عَلَى نِيَّتِهِ، وَلاَ تَجُوزُ

---

(١) [رواه الربيع، باب في المساجد، ر١٥٦].

(٢) إِنَّ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ وَتَبَيَّنَتْ فَائِدَتُهُ، كَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الْمَعْنَى فِيهَا: نَفْعُ الْفُقَرَاءِ وَمُسَاعَدَتُهُمْ. وَإِزَالَةِ النَّجَاسَةِ فَإِنَّ الْمَعْنَى فِيهَا: النَّظَافَةُ مِنَ الأَوْسَاخِ. وَعِدَّةِ الْحَامِلِ بِوَضْعِ الْحَمْلِ مَعْنَاهُ: لِئَلاَّ تَخْتَلِطَ الأَنْسَابُ. وَعِدَّةِ الَّتِي تَحِيضُ بِالْحَيْضِ: لِيُعْلَمَ أَنَّهَا سَالِمَةٌ مِنَ الْحَمْلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مَتَى عُرِفَتِ الْفَائِدَةُ الَّتِي شُرِعَتْ لأَجْلِهَا. وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ مَعْنًى مَعْقُولٌ، كَالتَّيَمُّمِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَنْظِيفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ امْتِثَالٌ لأَمْرِ الْمَالِكِ لاَ غَيْرِ، وَكَذَلِكَ كَوْنُ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَالْمَغْرِبِ ثَلاَثَ رَكَعَاتٍ لَيْسَ فِيهِ مَعْنًى نَعْقِلُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ امْتِثَالٌ لِلأَمْرِ، وَيُسَمَّى التَّعَبُّدَ، وَهُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى نِيَّةٍ، وَلَمَّا كَانَ الْوُضُوءُ بِالْمَاءِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّظَافَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّعَبُّدِ كَانَ فِي وُجُوبِ النِّيَّةِ فِيهِ خِلاَفٌ، وَكَذَلِكَ عِدَّةُ الْعَجُوزِ بِثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ لَيْسَ لَهُ مَعْنًى نَعْقِلُهُ، فَكُلُّ مَا لاَ نَعْرِفُ لَهُ فَائِدَةً فَهُوَ تَعَبُّدٌ. انْتَهَى الْمُحَشِّي.

(٣) [انظر أحمد الكندي: المصنف، ٤/ ٤٦، ٤٧]

الطَّهَارَةُ إِلاَّ بِتَقْدِيمِ النِّيَّةِ بِأَسْرِهَا، وَإِنْ نَوَى بِوُضُوئِهِ نَافِلَةً فَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ الْفَرِيضَةَ بِوُضُوئِهِ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الفرض الثَّالِثُ فِي غَسْلِ الْوَجْهِ:** وَالْفَرْضُ فِي الْوَجْهِ اسْتِيعَابُ جَمِيعِهِ بِالْغَسْلِ، وَحَدُّ الْوَجْهِ طُولاً: مِنْ مَنَابِتِ الشَّعْرِ الْمُعْتَادِ إِلَى مُنْتَهَى الذَّقَنِ، وَعَرْضُهُ: مِنَ الأُذُنِ إِلَى الأُذُنِ، وَقِيلَ: مِنَ الْعِذَارِ إِلَى الْعِذَارِ[1]، وَقِيلَ: إِنْ كَانَ نَقِيَّ الْخَدِّ فَكَالأَوَّلِ، وَإِنْ كَانَ اكْتَسَى الشَّعْرَ فَكَالثَّانِي، وَمَنْشَأُ الْخِلاَفِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْمُوَاجَهَةِ؛ لأَنَّ الْوَجْهَ مَا وَاجَهَ بِهِ الإِنْسَانُ، فَإِذَا كَانَ مَوْضِعُ اللِّحْيَةِ نَقِيًّا مِنَ الشَّعْرِ وَجَبَ غَسْلُهُ بِاتِّفَاقٍ، وَإِذَا سَتَرَهُ الشَّعْرُ فَفِي إِيجَابِ غَسْلِهِ خِلاَفٌ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ ذُكِرَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ الْوَجْهُ قَبْلَ اللِّحْيَةِ"[2]، كَأَنَّهُ يَرَى أَنْ يُغْسَلَ مَا تَحْتَ شَعْرِهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُ مَا تَحْتَ اللِّحْيَةِ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَقَالَ: "هَذَا وُضُوءٌ لاَ تُقْبَلُ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ"[3]، وَلَيْسَ فِي طَاقَةِ الإِنْسَانِ إِيصَالُ الْمَاءِ إِلَى أُصُولِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ الْكَثِيفَةِ بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمُتَيَمِّمَ لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُوصِلَ التُّرَابَ إِلَى أُصُولِ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[4]، وَاسْتَحَبَّ الْعُلَمَاءُ تَخْلِيلَ اللِّحْيَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوجِبُوهَا، فَإِنْ كَانَتِ اللِّحْيَةُ دَاخِلَةً فِي الآيَةِ فَالتَّخْلِيلُ لاَ يُجْزِئُ عَنِ الْغَسْلِ، وَلَيْسَتْ فِيهِ سُنَّةٌ مُجْتَمَعٌ عَلَيْهَا، فَيَثْبُتُ بِهَا الْفَرْضُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) ["والعِذارُ: من اللجام: ما سال على خدّ الفرس... وجانبا اللحية" (القاموس المحيط، باب الراء، فصل العين :العذر)].

(٢) [لم أجد من خرج هذا الأثر عن عمّار، وأورد نحوه الكندي في بيان الشرع (٨/ ٩٥) عن سعيد بن جبير، قال: "ما بال الرجل يغسل لحيته قبل أن تنبت، فإذا نبتت لم يغسلها"].

(٣) [رواه الربيع، باب في آداب الوضوء وفرضه، ر٨٩].

(٤) المائدة: ٦.

وَمَوْضِعُ الْغَمَمِ[١] مِنَ الْوَجْهِ أَيْضًا يَجِبُ أَيْضًا غَسْلُهُ، وَيَجِبُ أَيْضًا إِيصَالُ الْمَاءِ إِلَى مَنَابِتِ الشُّعُورِ الْخَفِيفَةِ الَّتِي تَظْهَرُ الْبَشَرَةُ مِنْهَا بِالتَّخْلِيلِ، كَالْحَاجِبَيْنِ وَالأَهْدَابِ وَالشَّارِبِ وَالْعِذَارَيْنِ وَغَيْرِهَا، وَلاَ يَجِبُ ذَلِكَ فِيهَا إِذَا كَانَتْ كَثِيفَةً، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ: إِفَاضَةُ الْمَاءِ عَلَى جَمِيعِ وَجْهِهِ وَغَسْلُهُ بِإِمْرَارِ الْيَدِ عَلَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، وَيَغْسِلُ الْبَيَاضَ الَّذِي بَيْنَ الْعَارِضِ وَالأُذُنِ، وَيَجْمَعُ لِحْيَتَهُ وَيُخَلِّلُهَا مَعَ مَا طَالَ مِنْ شَعَرِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَحَقِيقَةُ الْغَسْلِ:** نَقْلُ الْمَاءِ إِلَى الْعُضْوِ مَعَ الدَّلْكِ، وَإِنْ غَسَلَ الْوَجْهَ وَاسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ يُخَلِّلْ لِحْيَتَهُ فَقَدْ تَرَكَ الأَفْضَلَ؛ لأَنَّ تَخْلِيلَ اللِّحْيَةِ مَأْمُورٌ بِهِ فِي الشَّرْعِ، لِمَا رُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**أَمَرَنِي حَبِيبِي جِبْرِيلُ ﷺ أَنْ أُخَلِّلَ لِحْيَتِي**"[٢]، واللهُ أَعْلَمُ.

**الْفَرْضُ الرَّابِعُ: غَسْلُ الْيَدَيْنِ مَعَ الْمِرْفَقَيْنِ،** لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾[٣]، أي: مَعَ المَرَافِقِ، نَظِيرُهُ ﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ**﴾[٤]، أَيْ: مَعَ أَمْوَالِكُمْ، وَقِيلَ: (إِلَى) هَهُنَا لانْتِهَاءِ الْغَايَةِ، نَظِيرُهُ ﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ**﴾[٥]، وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْنَاهُ أَوَّلاً؛ لأَنَّ الْمَحْدُودَاتِ عَلَى وَجْهَيْنِ، **أَحَدُهُمَا**: مِنْ جِنْسِ الْمَحْدُودِ، فَحَدُّهُ دَاخِلٌ فِيهِ، كَالَّذِي قَدَّمْنَاهُ مِنَ الْمَرَافِقِ وَالذِّرَاعِ؛ لأَنَّ الْمِرْفَقَ مِنْ جِنْسِ الذِّرَاعِ، **وَالثَّانِي**: مَحْدُودٌ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، فَحَدُّهُ لاَ يَدْخُلُ فِيهِ، كَالَّذِي قَدَّمْنَاهُ فِي الآيَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ النَّهَارِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) هُوَ سَيَلاَنُ الشَّعْرِ حَتَّى تَضِيقَ الْجَبْهَةُ أَوِ الْقَفَا.

(٢) [لم أجد من خرجه بهذا اللفظ، وروى نحوه أبو داود، كتاب الطهارة، ر ١٢٤].

(٣) الْمَائِدَة: ٦.

(٤) النِّسَاء: ٢.

(٥) الْبَقَرَة: ١٨٧.

وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّ المِرْفَقَ دَاخِلٌ فِي الذِّرَاعِ، مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صِفَةِ وُضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ **أَنَّهُ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى شَرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ، ثُمَّ غَسَلَ الرِّجْلَ الْيُمْنَى حَتَّى شَرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ الْيُسْرَى كَذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ**[1]، وَجُمْهُورُ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ[2].

**مَسْأَلَةٌ:** وَإِذَا قُطِعَتِ الْيَدُ عَنِ الذِّرَاعِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُتَوَضِّئِ غَسْلُ الْبَاقِي، وَلَوْ قُطِعَتْ مِنَ الْمِرْفَقِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لأَنَّ الْقَطْعَ أَتَى عَلَى جَمِيعِ الذِّرَاعِ، وَالْمِرْفَقُ فِي الذِّرَاعِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ بَقِيَ شَيْءٌ مِنَ الْمِرْفَقِ فِي الْعَضُدِ - وَتَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي كَلاَمِهَا - فَإِنَّ عَلَيْهِ غَسْلَهُ.

**الْفَرْضُ الْخَامِسُ: مَسْحُ الرَّأْسِ**، وَقَدِ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ فُرُوضِ الْوُضُوءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾[3]، وَاخْتَلَفُوا فِي الْقَدْرِ الْمُجْزِئِ مِنْهُ، فَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِيمَا وَجَدْتُ إِلَى أَنَّ الْوَاجِبَ مَسْحُ جَمِيعِهِ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَاعْتَلُّوا بِأَنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ "بِرُؤُوسِكُمْ" دَخَلَتْ لِلتَّوْكِيدِ لاَ لِلتَّبْعِيضِ، اسْتِشْهَادًا بِقَوْلِهِ: ﴿**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾[4]، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ مَسْحَ بَعْضِهِ هُوَ الْفَرْضُ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ الْبَاءَ الْمَذْكُورَةَ إِنَّمَا دَخَلَتْ لِلتَّبْعِيضِ، لأَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، واعْتَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ**﴾[5]، وَبِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) [رواه مسلم، كتاب الطهارة، اب اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، ر٦٠٢].

(٢) قَالَ صَاحِبُ سُبُلِ السَّلاَمِ: "وَكَلِمَةُ (إِلَى) فِي الأَصْلِ لِلانْتِهَاءِ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى (مَعَ)... وَبِهَذَا عَرَفْتُ أَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ قَامَ عَلَى دُخُولِ الْمَرَافِقِ". [الصنعاني: سبل السلام، ١/ ٤٢].

(٣) الْمَائِدَة: ٦.

(٤) الْحَجّ: ٢٩.

(٥) الْمُؤْمِنُونَ: ٢٠.

مَسَحَ بِبَعْضِ رَأْسِهِ فِي الْوُضُوءِ[١]، وَرَوَى آخَرُونَ أَنَّهُ مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ[٢]، وَالنَّاصِيَةُ بَعْضُ الرَّأْسِ، وَهُوَ مُقَدَّمُهُ، وَالْعَمَلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ جَابِرَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ تَوَضَّأَ وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ، قال: فَأَخَّرَ الْكُمَّةَ[٣] عَنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ مُقَدَّمَ رَأْسِهِ، ثُمَّ أَعَادَ الْقُلَنْسِيَةَ[٤].

وَمَنْ مَسَحَ رَأْسَهُ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَصَابِعَ فَإِنَّهُ لاَ يُجْزِئُهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ مَسَحَ مِنْ رَأْسِهِ أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثِ شَعَرَاتٍ فَإِنَّهُ لاَ يُجْزِئُهُ، وَقَدْ أَجَازَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَمْسَحَ رَأْسَهُ بِبَلَلِ لِحْيَتِهِ، وَكَرِهَ آخَرُونَ ذَلِكَ، وَذُكِرَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَكُونُ عَمَلاَنِ بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَذُكِرَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَغْسِلَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ يُفِيضُ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَى جَسَدِهِ، كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ لاَ يُجْزِئُهُ. وَمَنْ تَرَكَ مَسْحَ رَأْسِهِ حَتَّى صَلَّى فَعَلَيْهِ إِعَادَةُ الْوُضُوءِ وَالصَّلاَةِ نَاسِيًا كَانَ أَوْ مُتَعَمِّدًا.

وَالْمُسْتَحَبُّ لِلْمُتَوَضِّئِ أَنْ يَمْسَحَ رَأْسَهُ بِجَمِيعِ كَفَّيْهِ مِنْ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ إِلَى مَا تَحْوِيهِ الْجُمْجُمَةُ مِنْ خَلْفٍ أَوْ إِلَى آخِرِ مَنَابِتِ شَعْرِ الْقَفَا حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الاخْتِلاَفِ، وَإِنِ اقْتَصَرَ عَلَى مَسْحِ بَعْضِهِ أَجْزَأَهُ كَمَا قَدَّمْنَا.

**وَحَدُّ الرَّأْسِ** فِيمَا بَلَغَنَا: مِنْ فَوْقِ الأُذُنَيْنِ إِلَى أَعْلَى الْجَبِينِ، وَكَانَ عُمَرُ ﷺ لاَ يَرَى الْقَفَا مِنَ الرَّأْسِ فِي الْقِصَاصِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الربيع، باب في آداب الوضوء وفرضه، ر٩٦].

(٢) [رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الناصية والعمامة، ر٦٥٦].

(٣) الْكُمَّةُ هِيَ الْقُلَنْسِيَةُ الْمُدَوَّرَةُ الَّتِي تُغَطِّي الرَّأْسَ.

(٤) [انظر: جامع ابن جعفر، ١/ ٣٦٠]، [والقَلَنْسُوَةُ والقُلَنْسِيَة: إذا فَتحْتَ القافَ ضَمَمْت السينَ، وإذا ضمَمتَ القافَ كَسَرْتَ السينَ وقلبْتَ الواوَ ياءً ... الخ (الجوهري: الصحاح، باب السين، فصل القاف: قلس)]

**الْفَرْضُ السَّادِسُ: غَسْلُ الرِّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ**، وَقَدِ اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى وُجُوبِهِ أَيْضًا، وَاخْتَلَفُوا فِي غَسْلِ الْكَعْبَيْنِ كَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْمِرْفَقَيْنِ، وَالأَدِلَّةُ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ، وَالْكَعْبَانِ هُمَا الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ هُمَا عِنْدَ مَقْعَدِ الشِّرَاكِ.

وَلْيَجْتَهِدْ أَيْضًا فِي غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ وَتَخْلِيلِ أَصَابِعِهِمَا، وَلْيُبَالِغْ فِي غَسْلِ أَخْمَصِ رِجْلَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ؛ لأَنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَيْلٌ لِلْعَوَاقِبِ مِنَ النَّارِ، وَوَيْلٌ لِبُطُونِ الأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ"(١)، أَرَادَ بِذَلِكَ مَنْ تَرَكَ عُرْقُوبَيْهِ وَبَاطِنَ قَدَمَيْهِ فِي الْوُضُوءِ.

وَقَدِ اسْتَحَبَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنْ يَتَعَاهَدَ تَقْلِيمَ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَمَسْنُونَاتُ الْوُضُوءِ ثَمَانِيَةٌ:**

**أَحَدُهَا: التَّسْمِيَةُ**، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "لاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ"(٢)، أَرَادَ بِذَلِكَ ﷺ التَّرْغِيبَ فِي نَيْلِ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَأَحْسَبُ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: إِذَا ذَكَرَ الْمُتَوَضِّئُ اللهَ ﷻ عِنْدَ ابْتِدَاءِ وَضُوئِهِ فَقَدْ طَهُرَ جَمِيعُ جَسَدِهِ، وَإِلاَّ فَلاَ يَطْهُرُ مِنْهُ إِلاَّ مَا غَسَلَ دُونَ سَائِرِهِ، وَهَذَا قَوْلٌ يُقَالُ(٣).

**والثَّانِيَةُ: غَسْلُ الأَيْدِي**، وَاخْتُلِفَ فِي أَمْرِهِ ﷺ بِغَسْلِ الأَيْدِي، هَلْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ النَّظَافَةِ أَوْ عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ؟ قَوْلاَنِ(٤)، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: **أَنَّهُ**

---

(١) [رواه الربيع، باب آداب الوضوء وفرضه، ر٩٢].

(٢) [رواه الربيع، باب آداب الوضوء وفرضه، ر٨٨].

(٣) [رواه البيهقي، باب التسمية على الوضوء، ر٢٠١: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من توضأ وذكر اسم الله تطهر جسده كله، ومن توضأ ولم يذكر اسم الله لم يتطهر إلا موضع الوضوء"].

(٤) وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا هُوَ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ اشْتِرَاطِ الْغُسْلِ ثَلاَثًا فِي قَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا انْتَبَهَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلاَ يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثًا، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ"[سبق تخريجه]، وَبَيْنَ

تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً، فَقَالَ: "هَذَا وُضُوءٌ لاَ يَقْبَلُ اللهُ الصَّلاَةَ إِلاَّ بِهِ"، ثُمَّ ثَنَّى فَقَالَ: "مَنْ ضَاعَفَ ضَاعَفَ اللهُ لَهُ" الْحَدِيث"[١].

**الثَّالِثَةُ: الْمَضْمَضَةُ**، وَهِيَ تَطْهِيرُ بَاطِنِ الْفَمِ، وَأَمَّا غَسْلُ مَا يَظْهَرُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ فَوَاجِبٌ مَعَ الْوَجْهِ. وَصِفَةُ الْمَضْمَضَةِ أَنْ يَأْخُذَ الْمَاءَ بِفِيهِ فَيُخَضْخِضُهُ ثُمَّ يَمُجُّهُ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُدْخِلَ أُصْبُعَهُ فِي فِيهِ وَيُدَلِّكَ بِهَا أَسْنَانَهُ، وَإِنْ كَانَ يُدْمِي لِثَاتِهِ[٢] بِذَلِكَ فَيُجْزِئُهُ أَنْ يُخَضْخِضَ الْمَاءَ بِلِسَانِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصِفَةُ الْمَضْمَضَةِ إِنَّمَا نُقِلَتْ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ فَثَبَتَتْ أَنَّهَا مِنْ سُنَّتِهِ[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالرَّابِعَةُ: الاسْتِنْشَاقُ**، وَهُوَ غَسْلُ بَاطِنِ الأَنْفِ، وَأَمَّا مَا يَبْدُو فَهُوَ مِنَ الْوَجْهِ، وَصِفَتُهُ أَنْ يَجْتَذِبَ الْمَاءَ بِخَيَاشِيمِهِ وَيَجْعَلَ إِبْهَامَهُ وَسَبَّابَتَهُ عَلَى أَنْفِهِ، ثُمَّ يَنْثُرُ بِالنَّفَسِ، وَيُبَالِغُ فِي الاسْتِنْشَاقِ مَا لَمْ يَكُنْ صَائِمًا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِذَا تَوَضَّأْتَ فَبَالِغْ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا"[٤]، وَقَالَ ﷺ لِلقيطِ بْنِ صُبْرَةَ: "إِذَا تَوَضَّأْتَ فَضَعْ فِي أَنْفِكَ مَاءً ثُمَّ اسْتَنْثِرْ بِالاسْتِنْشَاقِ"[٥]، وَيَنْبَغِي أَنْ يُدْخِلَ أُصْبُعَهُ فِي أَنْفِهِ إِلَى الْعَظْمِ الَّذِي فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِهِ، وَيَجُوزُ التَّمَضْمُضُ وَالاسْتِنْشَاقُ بِغَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، كَمَا جَاءَ فِي الحديثِ[٦]، واخْتَارَ بعضُهُمْ أَنْ

---

الاكْتِفَاءِ بِالْمَرَّةِ فِي قَوْلِهِ ﷺ إِذْ تَوَضَّأَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً: "هَذَا وُضُوءٌ لاَ تُقْبَلُ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ"، قُلْنَا: وَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ الْغَسْلَ فِي الْحَدِيثِ الأَوَّلِ لِلنَّظَافَةِ وَفِي الثَّانِي لِلتَّعَبُّدِ. اهـ مُصَحّحه.

(١) [سبق تخريجه].

(٢) [لثات: جمع لثة].

(٣) [كما في الحديث: "...ثم مضمض واستنشق ثلاثا". رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر١٠٥].

(٤) [رواه الربيع، باب في آداب الوضوء وفرضه، ر٩٣].

(٥) [رواه الربيع (نفس الحديث السابق)].

(٦) [عن جابر بن زيد قال: "بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تمضمض واستنشق من غرفة واحدة" رواه الربيع، باب في آداب الوضوء وفرضه، ر٩٤].

يَتَمَضْمَضَ ثَلاثًا مِنْ غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَسْتَنْشِقَ ثَلاثًا مِنْ غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكِلاَهُمَا مَرْوِيٌّ فِي الْحَدِيثِ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ تَرَكَ الْمَضْمَضَةَ وَالاسْتِنْشَاقَ حَتَّى صَلَّى، فَإِنْ كَانَ عَامِدًا فَلاَ خِلاَفَ فِي إِعَادَةِ الْوُضُوءِ وَالصَّلاَةِ، وَإِنْ كَانَ نَاسِيًا فَفِيهِ خِلاَفٌ، وَذُكِرَ فِي أَثَرِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ تَرَكَهُمَا فِي الْوُضُوءِ فَلاَ إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فِي الْجَنَابَةِ فَعَلَيْهِ الإِعَادَةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْخَامِسَةُ : التَّخْلِيلُ لِلِّحْيَةِ وَالأَصَابِعِ**، لِقَوْلِهِ ﷺ: **"خَلِّلُوا بَيْنَ أَصَابِعِكُمْ فِي الْوُضُوءِ قَبْلَ أَنْ تُخَلَّلَ بِمَسَامِيرَ مِنْ نَارٍ"**، أَوْ قَالَ: **"قَبْلَ أَنْ تُخَلِّلَهَا النَّارُ"**[2].

وَصِفَةُ تَخْلِيلِ الأَصَابِعِ: أَنْ يَجْعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ الْيُسْرَى عَلَى ظَاهِرِ الْيُمْنَى، وَبَاطِنَ الْيُمْنَى عَلَى ظَاهِرِ الْيُسْرَى، فَيُخَلِّلَهُمَا كَذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ فِي تَخْلِيلِ الأَصَابِعِ: إِنَّهُ سُنَّةٌ، وَقِيلَ: وَاجِبٌ؛ لأَنَّهَا مِنَ الْيَدِ، وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي إِجَالَةِ الْخَاتَمِ فِي الْيَدِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَالأَصَحُّ إِجَالَتُهُ لِيَصِلَ الْمَاءُ إِلَى مَوْضِعِ التَّخَتُّمِ.

**السَّادِسَةُ : مَسْحُ الأُذُنَيْنِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا**، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ مَسْحَهُمَا فَرِيضَةٌ، وَيُجَدَّدُ لَهُمَا الْمَاءُ، وَقَالَ آخَرُونَ: مَسْحُهُمَا سُنَّةٌ، وَيُمْسَحَانِ مَعَ الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ تَجْدِيدِ الْمَاءِ، وَالْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا هُوَ الْقَوْلُ الآخَرُ.

وَكَانَ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ لاَ يَرَى مَسْحَ الأُذُنَيْنِ وَاجِبًا، وَذُكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ: الأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمَا وَمَا أَدْبَرَ، وَعَنِ الرَّبِيعِ ﷺ أَنَّهُ

(١) [رواه أبو داود، باب صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، ر١١٢].

(٢) [رَوَاهُ الرَّبِيع، باب في آداب الوضوء وفرضه، ر٩٠، والدارقطني، باب وُجُوبِ غَسْلِ الْقَدَمَيْنِ وَالْعَقِبَيْنِ، ر٣٢٦]،

قَالَ: يُسْتَحَبُّ مَسْحُ بَاطِنِ الأُذُنَيْنِ مَعَ الْوَجْهِ وَظَاهِرِهِمَا مَعَ الرَّأْسِ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ تَجْدِيدَ الْمَاءِ لِلأُذُنَيْنِ[١].

وَكَيْفِيَّةُ مَسْحِهِمَا: أَنْ يُدْخِلَ أُصْبُعَهُ فِي صِمَاخِ أُذُنَيْهِ[٢]، وَيَمْسَحَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا.

واخْتُلِفَ أَيْضًا فِي ظَاهِرِ الأُذُنَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ مَا وَقَعَتْ بِهِ الْمُوَاجَهَةُ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَا يَلِي الرَّأْسَ، وَهُوَ الأَظْهَرُ.

وَمَنْ نَسِيَ مَسْحَ الأُذُنَيْنِ حَتَّى صَلَّى، فَإِنْ كَانَ عَامِدًا أَعَادَ، وَإِنْ كَانَ نَاسِيًا فَفِيهِ اخْتِلاَفٌ[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**السَّابِعَةُ: التَّوَضُّؤُ ثَلاَثًا ثَلاَثًا لِكُلِّ جَارِحَةٍ**، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تَوَضَّأَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَقَالَ: "هَذَا وُضُوءٌ لاَ تُقْبَلُ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ". ثُمَّ ثَنَّى فَقَالَ: "مَنْ ضَاعَفَ ضَاعَفَ اللهُ لَهُ"، ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلاَثًا ثَلاَثًا فَقَالَ: "هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي"[٤]. وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْوَاحِدَةَ كَافِيَةٌ إِذَا كَانَتْ سَابِغَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ؛ لأَنَّ الأَمْرَ بِالفِعْلِ يَقْتَضِي مَرَّةً وَاحِدَةً، أَعْنِي الأَمْرَ الْوَارِدَ فِي الْوُضُوءِ. وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي تَكْرَارِ مَسْحِ الرَّأْسِ، هَلْ فِيهِ فَضِيلَةٌ أَمْ لاَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[٥].

**الثَّامِنَةُ: تَرْتِيبُ الْوُضُوءِ**، وَهُوَ أَنْ يَبْدَأَ بِغَسْلِ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُمَضْمِضُ، ثُمَّ يَسْتَنْشِقُ، ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، ثُمَّ

---

(١) [أورد ذلك القرطبي عن ابن عمر لا عن ابن مسعود (الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٩٠)].

(٢) [الصِّمَاخُ -بكسر الصاد-: خَرْق الأذن، وبالسين لغة. (الصحاح للجوهري: باب الخاء، فصل الصاد: صمخ)].

(٣) [أشار الشيخ السالمي -رحمه الله- إلى أن لا إعادة على من نسي مسح أذنيه في أكثر القول عند أصحابنا (معارج الآمال، ٢٦/٢)]

(٤) [سبق تخريجه].

(٥) [ويرى أصحابنا كراهية تكرير مسح الرأس (انظر: شامل الأصل والفرع، ٢١٣/١-٢١٥)].

الأُذُنَيْنِ، ثُمَّ يَغْسِلُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى، وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ[١] فِي غَسْلِ الأَعْضَاءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَا تَأَخَّرَ ذِكْرُهُ فِي التِّلاَوَةِ، وَاعْتَلُّوا بِأَنَّ الْوَاوَ لاَ تَقْتَضِي النَّسَقَ وَالتَّرْتِيبَ، وَإِنَّمَا تَقْتَضِي الْجَمْعَ فَقَطْ، وَقَالَ آخَرُونَ: لاَ يَجُوزُ إِلاَّ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ فِي الآيَةِ، وَأَنَّ الْوَاوَ هَهُنَا هِيَ وَاوُ النَّسَقِ لاَ وَاوُ الْجَمْعِ، وَبِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلسَّائِلِ: "تَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَكَ اللهُ"[٢]، وَبِقَوْلِهِ عَلَى الصَّفَا: "نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ"[٣]، وَبِقَوْلِهِ: "هَذَا وُضُوءٌ لاَ تُقْبَلُ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ"[٤]، ذَلِكَ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ عَلَى التَّرْتِيبِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِلَى جَوَازِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مَا لَمْ يُرِدِ الْمُتَوَضِّئُ بِذَلِكَ خِلاَفَ السُّنَّةِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ[٥] وَأَبِي نُوحٍ[٦] وَابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ[٧] وَغَيْرِهِمْ، وَعَنِ

(١) جَرَى اصْطِلاَحُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ أَنْ يُعَبِّرُوا فِيمَا لاَ يَجُوزُ فِيهِ الاخْتِلاَفُ بِـ "اخْتَلَفَ النَّاسُ"، وَفِيمَا يَجُوزُ فِيهِ "اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ".

(٢) [رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب صَلاَةِ مَنْ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ر٧٣٠].

(٣) [رَوَاه الربيع، باب في الكعبة والمسجد والصفا والمروة، ر٤١٥، ومسلم، باب حجة النبي، ر٣٠٠٩].

(٤) تَقَدَّمَ.

(٥) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٦) هُوَ أَبُو نُوحٍ صَالِحٌ الدَّهَّانُ، أَحَدُ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الأَوَّلِ، كَانَ شَدِيدَ الْوَرَعِ غَزِيرَ الْعِلْمِ مِمَّنْ أَدْرَكَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ، أَخَذَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ أَحَدَ شُيُوخِ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ، أَخَذَ عَنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ عَنْ جَابِرٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَحْتَرِمُ أَبَا عُبَيْدَةَ، وَيُفْتِي هَذَا بِمَحْضَرِهِ، وَإِنْ ظَلَّ يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَشَدُّدَهُ كَمَا كَانَ يُنْكِرُهُ عَلَيْهِ رَفِيقُهُ حَيَّانُ الأَعْرَجُ، كَانَ أَبُو نُوحٍ كَثِيرًا مَا يَقُولُ إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ تَشْدِيدًا: "أَلَمْ أَنْهَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْفِتْيَانِ أَنْ تَسْأَلُونِي إِذَا كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَاضِرًا"؟ وَهَكَذَا نَجِدُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَلَقَّى عَنْ جَابِرٍ مَنْ يَمِيلُ إِلَى التَّيْسِيرِ كَأَبِي نُوحٍ وَضُمَامٍ وَحَيَّانَ، وَمَنْ يَجْنَحُ إِلَى التَّحَرِّي وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى الأَحْوَطِ كَأَبِي عُبَيْدَةَ وَالرَّبِيعِ، وَقَدْ أَخْرَجَ لَنَا هَذَا الْفَرِيقُ الأَخِيرُ أَدْمِغَةً عَامِرَةً عُلَمَاءَ مُجْتَهِدِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ وَأَرْسَلُوا أَنْوَارَهَا إِلَى أَبْعَادٍ سَحِيقَةٍ، فَأَضَاؤُوا شَرْقًا وَغَرْبًا، رَحِمَ اللهُ تِلْكَ الأَوْصَالَ الطَّاهِرَةَ الَّتِي كَافَحَتِ الْجَهْلَ وَالْجَوْرَ، وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُمُ الْيَقِينُ، أَمَّا تَارِيخُ وَفَاتِهِ فَغَيْرُ مُنْضَبِطٍ كَكَثِيرٍ مِنْ زُمَلاَئِهِ لِقِلَّةِ اعْتِنَاءِ الأَوَائِلِ بِالتَّقْيِيدِ وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَى الْحِفْظِ، وَلِكُلِّ عَصْرٍ مِيزَتُهُ. اهـ.

(٧) ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَحَدُ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي النَّحَارِيرِ الَّذِينَ تَخَرَّجُوا عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، وَجَمَعَتْهُ وَالرَّبِيعَ حَلْقَةُ دَرْسِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَلاَمِيذَ أَبِي عُبَيْدَةَ كَانُوا فَرِيقَيْنِ: فَرِيقُ الْكِبَارِ

الرَّبِيعِ ﷺ قَالَ أَيْضًا: إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ لَمْ يَكُنْ يَعْتَبِرُ عَدَدَ الْمَرَّاتِ فِي الْوُضُوءِ، وَإِنَّمَا يَعْتَبِرُ التَّنَظُّفَ وَالإِنْقَاءَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا الرَّبِيعُ ﷺ فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى الْوُضُوءَ إِلاَّ مُرَتَّبًا كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ.

وَإِنْ فَرَغَ الْمَاءُ لِلْمُتَوَضِّئِ قَبْلَ تَمَامِ الْوُضُوءِ فَلَمْ يَجِدِ الْمَاءَ إِلاَّ بَعْدَمَا جَفَّ، فَإِنْ كَانَ اشْتَغَلَ بِغَيْرِ طَلَبِ الْمَاءِ أَعَادَ الْوُضُوءَ مُسْتَأْنِفًا، وَإِنْ لَمْ يَتَوَانَ بَنَى عَلَى مَا مَضَى مِنْ غَسْلِ أَعْضَائِهِ، وَكَذَلِكَ إِنْ فَرَّقَ وُضُوءَهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، فَإِنْ جَفَّ اسْتَأْنَفَ، وَإِلاَّ بَنَى عَلَى مَا مَضَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا فَضَائِلُ الْوُضُوءِ فَهِيَ سِتَّةٌ، أَحَدُهَا** : تَرْتِيبُ الْمَسْنُونِ عَلَى الْمَفْرُوضِ، **وَالثَّانِيَةُ** : السِّوَاكُ قَبْلَهُ بِعُودٍ رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ وَالأَخْضَرُ أَحْسَنُ، مَا لَمْ يَكُنْ صَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عُودًا اسْتَاكَ بِأُصْبُعِهِ، **وَالثَّالِثَةُ** : التَّوَضُّؤُ بِاليَمِينِ(١)؛ لأَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ يَمِينُهُ لِوُضُوئِهِ وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَشِمَالُهُ لِخَلاَئِهِ وَمَا كَانَ مِثْلَ

---

عَلَى رَأْسِهِمُ الرَّبِيعُ، وَفَرِيقُ الصِّغَارِ وَمِنْهُمُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبِحُكْمِ الْمُعَاصَرَةِ وَالْمُنَاقَشَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَقَعَ بَيْنَهُمُ الْخِلاَفُ فِي مَسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ، وَتِلْكَ هِيَ قَضِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ فِي مُخْتَلِفِ الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ، الصِّغَارُ بِحُكْمِ التَّفَاوُتِ الزَّمَنِيِّ يُحَاوِلُونَ التَّحَرُّرَ مِنْ سَيْطَرَةِ الْكِبَارِ وَلَوْ فِي مَيْدَانِ الْعِلْمِ، وَالْكِبَارُ يَبْذُلُونَ جُهْدَهُمْ بِحُكْمِ تَنَازُعِ الْبَقَاءِ لاسْتِبْقَاءِ نُفُوذِهِمْ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَرْكَزِهِمْ، وَمِنْ هُنَا كَانَ الاصْطِدَامُ لاَ يَنْفَكُّ عَادَةً بَيْنَ الطَّبَقَتَيْنِ، وَلِذَا نَرَى الْخِلاَفَ يَسْتَعِرُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بَيْنَ سَمْعِ شَيْخِهِمْ وَبَصَرِهِ، حَتَّى يُضْطَرَّ الشَّيْخُ إِلَى التَّدَخُّلِ حَكَمًا بَيْنَهُمَا، فَيُرَجِّحُ كَفَّةَ الرَّبِيعِ، وَيُنْكِرُ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَنْ مَعَهُ خِلاَفَهُمْ وَيَتَهَدَّدُهُمْ بِالْهَجْرَانِ، وَلَمْ يَسَعْهُمْ إِزَاءَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَرْضَخُوا وَإِنْ عَلَى مَضَضٍ، لِذَلِكَ نَرَى هَذَا الْخِلاَفَ يَنْبَعِثُ مِنْ جَدِيدٍ إِثْرَ وَفَاةِ الإِمَامِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَفِي الْحَقِّ إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لاَ يَصِحُّ أَنْ نَعْتَبِرَهَا خِلاَفًا، بَلْ هِيَ تَمَخُّضٌ فِكْرِيٌّ يُبَشِّرُ بِنَهْضَةٍ زَاهِرَةٍ؛ لأَنَّ الآرَاءَ وَالْمَعْلُومَاتِ لاَ تَسْتَكِنُّ، بَلْ هِيَ كَالْبُخَارِ لاَ بُدَّ أَنْ يُوجَدَ لَهُ مَنْفَذًا وَمُتَنَفَّسًا وَإِنْ أَحْدَثَ زَلْزَلَةً. وَفِي جَوَابَاتِ الإِمَامِ أَفْلَحَ: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَبِي الْمُؤَرِّجِ وَابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: وَقَعَتْ مِنْهُمْ مَسَائِلُ مَعْرُوفَةٌ، فَلَمْ يُؤْخَذْ بِقَوْلِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، وَأَمَّا غَيْرُهَا مِمَّا فِيهِ اخْتِلاَفٌ مِنْ رَأْيِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَاخْتِلاَفُ فُقَهَائِنَا، فَلاَ يَدْفَعُ إِسْنَادَهُمْ وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَخْ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) [قال المحشي - تعليقا على قوله التوضّو باليمين -: "الظاهر انّه أراد به تناول الماء لا غسل الأعضاء، فإنّه يصدر من كلتا اليدين، والغالب كونه بالشمال"].

ذَلِكَ[١]، وَالرَّابِعَةُ: الْمُبَالَغَةُ بِالاسْتِنْشَاقِ لِغَيْرِ الصَّائِمِ، وَالْخَامِسَةُ: الْبَدَاءَةُ فِي مَسْحِ الرَّأْسِ مِنْ مُقَدَّمِهِ، وَالتَّيَامُنُ فِيهِ، وَالاقْتِصَارُ فِيهِ عَلَى مَسْحَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَرَدُّ الْيَدَيْنِ فِيهِمَا، فَيَمُرُّ بِيَدَيْهِ مِنَ الْمُقَدَّمِ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مُقَدَّمِ رَأْسِهِ، وَالسَّادِسَةُ: التَّقْلِيلُ مِنْ صَبِّ الْمَاءِ مَعَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي أَثْنَاءِ الْوُضُوءِ وَالدُّعَاءِ، وَقَدِ اسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ غَسْلِ الرِّجْلِ الْيُمْنَى: "اللهُمَّ اجْعَلْ سَعْيِي سَعْيًا مَشْكُورًا، وَذَنْبِي ذَنْبًا مَغْفُورًا، وَعَمَلِي عَمَلاً مَبْرُورًا مَقْبُولاً[٢]، وَذُكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، خُتِمَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ، ثُمَّ تُوضَعُ[٣] تَحْتَ الْعَرْشِ فَلاَ تُكْسَرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٤].

وَمَكْرُوهَاتُ الْوُضُوءِ عَشَرَةٌ، وَهِيَ: الإِكْثَارُ مِنْ صَبِّ الْمَاءِ فِيهِ، وَالزِّيَادَةُ عَنْ مَغْسُولِهِ فَوْقَ الثَّلاَثَةِ[٥] وَعَلَى الْوَاحِدَةِ فِي مَمْسُوحِهِ، وَالْوُضُوءُ فِي مَوْضِعِ الْخَلاَءِ، وَالْكَلاَمُ فِيهِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَالاقْتِصَارُ عَلَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ لِغَيْرِ الْعَالِمِ، وَالْوُضُوءُ مِنَ الْمَاءِ الْمُشْمِسِ؛ لأَنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ، وَوَجَدْتُ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٦]، وَالْوُضُوءُ مِنْ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا: إِنَّهُ حَرَامٌ،

(١) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر٣١].

(٢) لَيْتَ شِعْرِي مَا الدَّاعِي إِلَى تَخْصِيصِ الرِّجْلِ الْيُمْنَى بِالدُّعَاءِ؟! أَلَيْسَ الدُّعَاءُ مُسْتَحَبًّا فِي كُلِّ الأَعْضَاءِ؟!

(٣) [فِي نُسْخَةٍ: ثُمَّ تُرْفَعُ، ولم يرد ذكرهما في الأحاديث].

(٤) [رَوَاهُ النَّسَائِي :السنن الكبرى، ما يقول إذا فرغ من وضوءه، ر٩٩٠٩].

(٥) رُبَّمَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً لاَ مَكْرُوهَةً فَقَطْ، لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الْوُضُوءِ، فَأَرَاهُ ثَلاَثًا ثَلاَثًا وَقَالَ: "هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ". [رواه النسائي: السنن الكبرى، الاعتداء في الوضوء، ر٨٩]

(٦) [رواه البيهقي، باب كراهية التطهير بالماء المشمس، ر١٥، بلفظ: "عن عائشة رضي الله عنها قالت: أسخنت ماء في الشمس فقال النبي صلى الله عليه و سلم لا تفعلي يا حميراء فإنه يورث البرص"، وفي رواية: "لاَ تَغْسِلُوا بِالْمَاءِ الَّذِي يُسَخَّنُ فِي الشَّمْسِ فَإِنَّهُ يَعْدِي مِنَ الْبَرَصِ" رواه

وَالتَّوَضُّؤُ عُرْيَانًا وَلَوْ كَانَ فِي ظُلْمَةٍ أَوْ خَلْوَةٍ، وَالتَّوَضُّؤُ مِنَ الْمَاءِ الْمُضَافِ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ أَحَدُ أَوْصَافِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمَسْحُ الْوُضُوءِ بِالْمِنْدِيلِ مَكْرُوهٌ أَيْضًا"؛ لأَنَّهُ تُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ مَا دَامَ عَلَى أَعْضَائِهِ بَلَلٌ وَلَمْ يَجِفَّ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ ثَلاَثَةَ مَذَاهِبَ:**

**فَذَهَبَ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ مُخَالِفِينَا** إِلَى إِجَازَتِهِ بِإِطْلاَقٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ.

**وَذَهَبَ آخَرُونَ** إِلَى إِجَازَتِهِ فِي السَّفَرِ دُونَ الْحَضَرِ.

**وَأَجْمَعَ أَصْحَابُنَا** رَحِمَهُمُ اللهُ فِيمَا عَلِمْتُ عَلَى مَنْعِهِ فِي الْحَالَتَيْنِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ سَلَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَبِلاَلٍ، وَعَائِشَةَ ﷺ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ[2]، وَيَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْمَائِدَةِ، وَكَانَ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ رحمه الله يَقُولُ: كَيْفَ يُمْسَحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَاللهُ تَعَالَى يُخَاطِبُنَا بِنَفْسِ الْوُضُوءِ[3]، وَكَانَتْ عَائِشَةُ ﷺ تَقُولُ: وَاللهِ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُفَّانِ قَطُّ، وَلاَ مَسَحَ عَلَيْهِمَا، وَلَوَدِدْتُ

---

العقيلي في الضعفاء، ر٦٩٦. وورد بطرق أخرى أغلبها مقدوح في إسنادها (انظر: نصب الراية للزيلعي، ١/ ١٠١، وتلخيص الحبير لابن حجر، ١/ ٢٠، ٢٢)].

(١) بَلْ يُبَاحُ لِلْمُتَوَضِّئِ أَنْ يُنَشِّفَ أَعْضَاءَهُ بِمِنْدِيلٍ أَوْ نَحْوِهِ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً، لِثُبُوتِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مُتَّخِذًا مِنْدِيلاً يَمْسَحُ بِهِ بَعْدَ الْوُضُوءِ، وَكَانَ بَعْضُ نِسَائِهِ يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ وَيُجَفِّفُ بِهِ.[رواه الربيع، باب في فضل الوضوء، ر٩٥] اهـ مُصَحِّحه.

(٢) [وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) المائدة: ٦].

(٣) [رواه الربيع، باب المسح على الخفين، ر١٢٣].

أَنَّ رِجْلِي قُطِعَتْ يَوْمَ أَمْسَحُ عَلَى الخُفَّيْنِ[1]. وَالأَمْرُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّ الْمُتَوَضِّئَ إِذَا أَحْدَثَ يَتَوَضَّأُ وَيَنْزِعُ خُفَّيْهِ وَيَغْسِلُ قَدَمَيْهِ، مُقِيمًا كَانَ أَوْ مُسَافِرًا، وَأَنَّ طَهَارَةَ الْقَدَمَيْنِ هِيَ الْغَسْلُ، خِلاَفًا لِمَنْ قَالَ: طَهَارَتُهُمَا الْمَسْحُ، وَاسْتَدَلَّ بِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (وَأَرْجُلِكُمْ) بِالْخَفْضِ عَطْفًا عَلَى الرَّأْسِ بِالْمَسْحِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

---

(١) [نفسه، ر١٢٢].

(٢) **خُلاَصَةُ الْقَوْلِ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ**: يَرَى الْمُصَنِّفُ إِجْمَاعَ أَصْحَابِنَا عَلَى مَنْعِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَأَنَّ الأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الْمَسْحِ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْمَائِدَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى النَّسْخِ قَوْلُ الإِمَامِ عَلِيٍّ: "سَبَقَ الْكِتَابُ الْخُفَّيْنِ" [وراه ابن أبي شيبة، في المسح على الخفين كيف هو، ر١٩٥٨]، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: "مَا مَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ الْمَائِدَةِ" [رواه أحمد، ر٢٩٧٧، والطبراني في الكبير، ر١٢٢٨٧]، لَكِنَّ الْقَائِلِينَ بِالْمَسْحِ يُجِيبُونَ: ١- أَنَّ آيَةَ الْوُضُوءِ نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ، وَمَسْحُهُ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، لِحَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَوَضَّأَ، فَأَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: "دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ"، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا [رواه البخاري، باب إذا أدخل رجليه وهما طاهرتان، ر٢٠٣]، فَكَيْفَ يَنْسَخُ الْمُتَقَدِّمُ الْمُتَأَخِّرَ؟ ٢- أَمَّا حَدِيثُ عَلِيٍّ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ، وَكَذَا مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ أَنَّهُ يُخَالِفُ مَا ثَبَتَ عَنْهُمَا مِنَ الْقَوْلِ بِالْمَسْحِ. ٣- وَقَدْ عَارَضَ حَدِيثُهُمَا مَا هُوَ أَصَحُّ مِنْهُمَا، وَهُوَ حَدِيثُ جَرِيرٍ الْبَجَلِيِّ لِمَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ "رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْمَائِدَةِ أَوْ بَعْدَهَا؟ قَالَ: "وَهَلْ أَسْلَمْتُ إِلاَّ بَعْدَ الْمَائِدَةِ؟" [رواه الترمذي، باب في المسح على الخفين، ر٩٤]، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ٤- نَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي سَبْعُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ أَنَّهُ كَانَ يَمْسَحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ. [الأوسط، كتاب المسح على الخفين، ر٤١٨] ٥- وَذَكَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مَنْدَه أَسْمَاءَ مَنْ رَوَاهُ فِي تَذْكِرَتِهِ فَبَلَغُوا ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا. ٦- وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: لَيْسَ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ اخْتِلاَفٌ؛ لأَنَّ كُلَّ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ إِنْكَارُهُ فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ إِثْبَاتُهُ. [الأوسط، ر٤٣٧] ٧- وَالْقَوْلُ بِالْمَسْحِ قَوْلُ: الإِمَامِ عَلِيٍّ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَبِلاَلٍ، وَحُذَيْفَةَ، وَبُرَيْدَةَ، وَخُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَسَلْمَانَ، وَجَرِيرٍ الْبَجَلِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ بِالْمَسْحِ يَتَمَشَّى وَرُوحَ التَّشْرِيعِ الإِسْلاَمِيِّ الْمَبْنِيِّ عَلَى التَّيْسِيرِ، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وَفِي الاجْتِزَاءِ بِمَسْحِهِمَا تَيْسِيرٌ أَيُّ تَيْسِيرٍ، وَأَكْثَرُ لاَبِسِي الْخُفَّيْنِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَمَنْ أَوْلَى بِالتَّيْسِيرِ مِنْ هَؤُلاَءِ؟. اهـ مُصَحِّحه.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِي نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمُتَوَضِّئَ يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِصْحَابُ حَالِ الْوُضُوءِ عِنْدَ فِعْلِ الصَّلاَةِ، وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ مَا يَنْقُضُهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الإِتْيَانُ بِهِ، وَإِلاَّ بَطَلَتْ صَلاَتُهُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ"(١).

**وَالْمُوجِبُ لِلْوُضُوءِ** عِنْدَ الأُمَّةِ **عَشْرُ خِصَالٍ** مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ: "الْبَوْلُ، وَالْغَائِطُ، وَالْمَنِيُّ، وَالْمَذِيُّ، وَالْوَدِيُّ، وَخُرُوجُ الرِّيحِ مِنَ الدُّبُرِ، وَغُيُوبُ الْحَشَفَةِ فِي الْفَرْجِ، وَخُرُوجُ الدَّمِ مِنَ الْمَرْأَةِ بِحَيْضٍ أَوْ نِفَاسٍ، وَزَوَالُ الْعَقْلِ بِإِغْمَاءٍ أَوْ جُنُونٍ أَوْ سُكْرٍ، وَذَهَابُ الْعَقْلِ بِالنَّوْمِ مُضْطَجِعًا، فَهَذَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ فِيمَا وَجَدْتُ، إِلاَّ خِلاَفًا شَاذًّا فِي الْمَذِيِّ وَالنَّوْمِ، وَالشَّاذُّ لاَ يُعْتَدُّ بِهِ.

وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّ الْوُضُوءَ يَنْتَقِضُ بِثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ، **أَحَدُهَا**: أَحْدَاثٌ تَطْرَأُ عَلَيْهِ، **وَالثَّانِي**: أَسْبَابٌ تُؤَدِّي إِلَى نَقْضِهِ، **وَالثَّالِثُ**: أَفْعَالٌ يَنْتَقِضُ بِارْتِكَابِهَا.

وَمَحْصُولُ مُوجِبَاتِ الْوُضُوءِ تَنْحَصِرُ فِي ثَلاَثَةِ فُصُولٍ.

---

(١) تَقَدَّمَ.

# [موجبات الوضوء]

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

## فِي الأَحْدَاثِ

وَنَعْنِي بِهَا مَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ بِنَفْسِهِ لاَ بِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، وَهِيَ ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ، **أَحَدُهَا [النَّوع الأَوَّل]** : كُلُّ نَجَاسَةٍ تَسِيلُ مِنَ الْجَسَدِ مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ خَرَجَتْ، سَوَاءٌ كَانَتْ مِنَ الْقُبُلِ كَالْبَوْلِ وَالْمَنِيِّ وَالْمَذِيِّ وَالْوَدِيِّ وَالدَّمِ، أَوْ كَانَتْ مِنَ الدُّبُرِ كَالْغَائِطِ وَالدَّمِ وَالدَّابَّةِ وَالْحَصَاةِ وَالرِّيحِ وَغَيْرِهَا، أَوْ سَالَتْ مِنَ الأَنْفِ كَالرُّعَافِ، أَوْ مِنَ الْفَمِ كَالْقَيْءِ وَالْقَلْسِ، أَوْ سُفِحَتْ مِنْ جُرْحٍ أَوْ قَرْحٍ كَالدَّمِ وَالصَّدِيدِ الْغَالِبِ عَلَيْهِ الدَّمُ، أَوْ مِنْ سَائِرِ الْجَسَدِ كَالْفَصْدِ وَالْحِجَامَةِ، لِثُبُوتِ الأَحَادِيثِ فِي هَذِهِ الأَحْدَاثِ، فَصَحَّ أَنَّ مَا عُلِّقَ الْحُكْمُ بِهَا فِي نَقْضِ الْوُضُوءِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا أَنْجَاسٌ خَارِجَةٌ مِنَ الْبَدَنِ؛ لأَنَّ الْوُضُوءَ طَهَارَةٌ، وَالطَّهَارَةُ إِنَّمَا يُؤَثِّرُ فِيهَا النَّجَسُ، فَثَبَتَ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْجَسَدِ نَقَضَ الْوُضُوءَ عَلَى أَيِّ جِهَةٍ خَرَجَ، مِنْ مَرَضٍ أَوْ صِحَّةٍ، وَوَافَقَ أَصْحَابَنَا أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَاءَ فَتَوَضَّأَ[1]، وَفِي بَعْضِ الحَدِيثِ: "مَنْ قَاءَ أَوْ قَلَسَ فَلْيَتَوَضَّأْ"[2]، وَقَدِ اسْتَحَبَّ أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّوَضُّؤَ مِنَ الْقَلَسِ إِذَا وَجَدَ الإِنْسَانُ طَعْمَهُ فِي

(١) [رواه أبو داود، كتاب الصوم، ر٢٠٣٣، والترمذي، كتاب الصوم، ر٨٠، بلفظ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَاءَ فَأَفْطَرَ فَتَوَضَّأَ"].

(٢) [رواه الربيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١٠٩].

الْحَلْقِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْفَمِ. وَالدَّمُ إِذَا سُفِحَ مِنْ أَنْفٍ أَوْ جُرْحٍ وَجَبَ بِهِ الْوُضُوءُ، وَإِنْ أَخْرَجَهُ بِيَدِهِ أَوْ أَخْرَجَهُ ذُبَابٌ فَقَوْلاَنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**النَّوْعُ الثَّانِي مِمَّا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ:** وَهُوَ كُلُّ نَجَاسَةٍ تُلاَقِي بَدَنَ الْمُتَوَضِّئِ مِنْ غَيْرِهِ، سَوَاءٌ لاَقَتْهُ بِاخْتِيَارِهِ كَلَمْسِهِ النَّجِسَ الرَّطبَ، أَوْ مَيْتَةً رَطْبَةً كَانَتْ أَوْ يَابِسَةً، أَوْ ظَهْرَ الْكَلْبِ إِذَا كَانَ رَطْبًا، أَوْ غَسَّلَ مَيِّتًا غَيْرَ مُتَوَلِّى، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ لاَقَتْهُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَدَابَّةٍ تَبُولُ أَوْ تُذْبَحُ فَيَطِيرُ الْبَوْلُ مِنْهَا أَوِ الدَّمُ إِلَيْهِ فَيَمَسُّ جَسَدَهُ.

**وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ:** كُلُّ نَجَاسَةٍ أَكَلَهَا عَلَى جِهَةِ الاضْطِرَارِ، كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَالْمَنْجُوسِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَمَتَى اضْطُرَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَأَكَلَهُ فَقَدِ انْتَقَضَ وُضُوءُهُ، وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا لَهُ أَكْلُهُ حَالَ الضَّرُورَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

---

(١) وَقِيلَ: لاَ يَنْتَقِضُ وُضُوؤُهُ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ بِلاَلٌ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ يُتَوَضَّأُ مِنْ طَعَامٍ أَحَلَّ اللهُ أَكْلَهُ". [رواه الربيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١٠٤].

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي الأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى نَقْضِ الْوُضُوءِ

وَنَعْنِي بِهَا مَا لاَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ بِنَفْسِهِ وَلَكِنْ بِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، وَهِيَ ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ:

**أَحَدُهَا [النَّوعُ الأَوَّلُ]:** زَوَالُ الْعَقْلِ بِإِغْمَاءٍ، أَوْ جُنُونٍ، أَوْ سُكْرٍ، أَوْ مَرَضٍ بِرِسَامٍ[1]، أَوْ نَوْمٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَنْقُضُ الطَّهَارَةَ مُطْلَقًا، إِلاَّ النَّوْمَ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ وَاخْتِلاَفٌ[2].

**أَمَّا التَّفْصِيلُ:** فَهُوَ أَنَّ النَّوْمَ لَهُ أَرْبَعُ هَيْئَاتٍ، **أَحَدُهَا**: أَنْ يَكُونَ طَوِيلاً ثَقِيلاً فِي حَالِ الاضْطِجَاعِ، فَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ لِثُبُوتِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ،

(١) ["البِرسامُ – بالكسر -: علّة يُهذى فيها" (القاموس المحيط، باب الميم، فصل الراء: البِرسام)، وفي الصحاح: "البِرسام – بالكسر -: علّة معروفة" (الصحاح للجوهري، باب الميم، فصل الباء: برسم)، وعرّفه بعض الأطبّاء بأنّه: ورم في الصدر يحدث منه اختبال في العقل، وهي لفظة فارسية، فالبر: الصدر، والسام: الورم].

(٢) وَخُلاَصَةُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَحَادِيثِ الْبَابِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَصَرَ النَّوْمَ النَّاقِضَ لِلْوُضُوءِ فِي نَوْمِ الاضْطِجَاعِ، لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ حَتَّى غَطَّ، فَنَفَخَ فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ نِمْتَ! فَقَالَ: "إِنَّمَا الْوُضُوءُ عَلَى مَنْ نَامَ مُضْطَجِعًا". [رواه الربيع، باب في النوم الذي ينقض الوضوء، ر١١٧]. أَمَّا إِذَا كَانَ النَّائِمُ غَيْرَ مُضْطَجِعٍ بِأَنْ كَانَ جَالِسًا مُمَكِّنًا مَقْعَدَتَهُ مِنَ الأَرْضِ مَثَلاً فَإِنَّ وُضُوءَهُ لاَ يَنْتَقِضُ وَلَوْ كَانَ نَوْمُهُ ثَقِيلاً، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ حَدِيثُ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَ صَلاَةَ الْعِشَاءِ الأَخِيرَةِ حَتَّى تَخْفِقَ رُؤُوسُهُمْ، ثُمَّ يُصَلُّونَ وَلاَ يَتَوَضَّئُونَ" [رواه الربيع، باب في النوم الذي ينقض الوضوء، ر١١٩].

**والْهَيْئَةُ الثَّانِيَةُ** : أَنْ يَكُونَ قَصِيرًا خَفِيفًا غَيْرَ مُزِيلٍ لِلْعَقْلِ، فَهَذَا لاَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَ عَلَيْهَا الْمُتَوَضِّئُ مِنْ قِيَامٍ أَوْ قُعُودٍ أَوِ اضْطِجَاعٍ، **وَالْهَيْئَةُ الثَّالِثَةُ** : أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ثَقِيلاً، وَهُوَ النُّعَاسُ لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ يُطَاوِلُهُ وَيُعَالِجُهُ، فَفِيهِ خِلاَفٌ إِذَا كَانَ مُضْطَجِعًا، وَالأَصْلُ فِيهِ انْتِقَاضُ الْوُضُوءِ، **وَالْهَيْئَةُ الرَّابِعَةُ** : أَنْ يَكُونَ ثَقِيلاً خَفِيفًا، وَهُوَ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ النُّعَاسُ وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ إِلاَّ سِنَةٌ، هَذَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ.

وَاعْتَبَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ هَيْئَاتِ النَّائِمِ أَيْضًا فَقَالَ: إِنْ كَانَ النَّائِمُ عَلَى هَيْئَةٍ يَنْتَهِي بِهِ الطُّولُ إِلَى خُرُوجِ الْحَدَثِ غَالِبًا كَالسَّاجِدِ انْتَقَضَ وُضُوءُهُ، وَإِنْ كَانَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ مُحْتَبِيًا[1] فَلاَ نَقْضَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ جَالِسًا مُتَّكِئًا نَاعِسًا طَوِيلاً فَفِيهِ خِلاَفٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَإِنْ كَانَ قَائِمًا رَاكِعًا فَفِيهِ خِلاَفٌ أَيْضًا، وَمَقْصُودُ الْجَمِيعِ النَّظَرُ إِلَى أَغْلَبِ الْهَيْئَاتِ فِي النَّوْمِ، فَإِنْ كَانَ يُمْكِنُ خُرُوجُ الْحَدَثِ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ انْتَقَضَ وُضُوءُهُ، وَإِنْ كَانَ بِالْعَكْسِ لَمْ يَنْتَقِضْ، وَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ التَّوَضُّؤُ إِلاَّ إِنِ احْتَاطَ، وَإِنْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ الأَمْرُ فِي انْتِقَاضِ وُضُوئِهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ تَيَقَّنَ طَهَارَتَهُ ثُمَّ شَكَّ فِي فَسَادِهَا بِطُرُوءِ الْحَدَثِ عَلَيْهَا.

**وَأَمَّا الاخْتِلاَفُ** : فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي النَّوْمِ عَلَى ثَلاَثَةِ مَذَاهِبَ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ حَدَثٌ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِحَدَثٍ وَلاَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ إِلاَّ إِذَا تَيَقَّنَ بِالْحَدَثِ، وَأَظُنُّهُ أَنَّهُ مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَوْ غَيْرِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

---

(١) ["احتبى الرجل: إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته، وقد يحتبي بيديه، والاسم: الحِبْوة والحُبْوة، يقال: حلّ حِبْوَته وحُبْوته، والجمع: حِبًى مكسور الأول" (الصحاح للجوهري، باب الواو والياء، فصل الحاء: حبا)].

(٢) [رواه الطحاوي: شرح معاني الآثار، ١/٤٥].

وَذَهَبَ أَصْحَابُنَا وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ فُقَهَاءِ قَوْمِنَا إِلَى التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ فِي النَّوْمِ، وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: إِنَّ النَّاعِسَ فِي الصَّلاَةِ لاَ يَنْتَقِضُ وُضُوءُهُ كَانَ قَائِمًا أَوْ سَاجِدًا أَوْ قَاعِدًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الأَسْبَابِ:** مَسُّ بَدَنِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ فَهُوَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، إِذَا كَانَتْ مِمَّنْ تُوجِدُ اللَّذَّةَ بِمَسِّهَا، فَمَسَّهَا عَلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْمُعَالَجَةِ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَأَمَّا إِذَا مَسَّهَا مُضْطَرًّا أَوْ مُعَالِجًا فَلاَ، وَأَمَّا الْمُتَبَرِّجَةُ وَالْمَمْلُوكَةُ فَلاَ يُنْقَضُ وُضُوءُ مَنْ مَسَّ بَدَنَهَا مَا خَلاَ الْفَرْجَ[1]، وَكَذَلِكَ ذَوَاتُ الْمَحَارِمِ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَأَمَّا إِذَا قَبَّلَ زَوْجَتَهُ أَوْ سُرِّيَّتَهُ فَلاَ نَقْضَ عَلَيْهِ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ يُصَلِّي وَلاَ يَتَوَضَّأُ[2].

**النَّوْعُ الثَّالِثُ:** مَسُّ الْفَرْجِ مُبَاشِرًا بِيَدِهِ مِنْ غَيْرِ حَائِلٍ، لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: **"أَيُّمَا رَجُلٍ أَفْضَى بِيَدِهِ إِلَى ذَكَرِهِ انْتَقَضَ وُضُوؤُهُ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ أَفْضَتْ بِيَدِهَا إِلَى فَرْجِهَا انْتَقَضَ وُضُوؤُهَا"**[3]، فَذَهَبَ الْعُلَمَاءُ إِلَى أَنَّ الأَمْرَ بِذَلِكَ لِمُرَاعَاةِ وُجُودِ اللَّذَّةِ، وَلِذَلِكَ اعْتَبَرَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا اللَّمْسَ بِبَاطِنِ الْكَفِّ.

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي تَحْدِيدِ الْقَدْرِ النَّاقِضِ لِلْوُضُوءِ مِنَ الْعَوْرَةِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ أَوْ أُنْثَيَيْهِ أَوْ مَقْعَدَتَهُ انْتَقَضَ وُضُوؤُهُ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ مَسَّ الذَّكَرِ وَالدُّبُرِ هُوَ النَّاقِضُ دُونَ غَيْرِهِمَا، وَأَظُنُّ أَنَّ الْعَمَلَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ لاَ يَنْتَقِضُ وُضُوؤُهُ إِلاَّ إِنْ مَسَّ الثَّقْبَتَيْنِ فَقَطْ، وَعَلَى هَذَا اخْتِلاَفِ فُقَهَاءِ الأَمْصَارِ، فَالشَّافِعِيُّ يَرَى مَسَّهُ نَاقِضًا لِلْوُضُوءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَيْفَ

---

(١) فِي هَذَا نَظَرٌ، هَبِ الْمَمْلُوكَةَ مَالاً كَمَا عَلَّلَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، فَمَا هُوَ مُوجِبُ اسْتِثْنَاءِ الْمُتَبَرِّجَةِ مِنْ عُمُومِ الأَجْنَبِيَّاتِ؟!

(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: "يُقَبِّلُنِي رَسُولُ اللهِ ثُمَّ يُصَلِّي وَلاَ يَتَوَضَّأُ" [رواه الربيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١٠٨].

(٣) [رَوَاه البيهقي، باب الوضوء من مس المرأة فرجها، ر٦٢٦].

مَا مَسَّهُ، وَأَبُو حَنِيفَةَ لاَ يَرَى النَّقْضَ بِمَسِّ الذَّكَرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ[١]، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَرَّقَ بَيْنَ أَحْوَالِ مَسِّهِ كَمَا قَدَّمْنَا فِي قَوْلِ أَصْحَابِنَا.

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا أَيْضًا فِيمَنْ مَسَّ فَرْجَهُ خَطَأً أَوْ نِسْيَانًا، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ لاَ وُضُوءَ عَلَيْهِ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى إِيجَابِ الْوُضُوءِ عَلَيْهِ قِيَاسًا عَلَى خُرُوجِ الرِّيحِ وَدَمِ الاسْتِحَاضَةِ، فَهُمَا يَجِبُ بِهِمَا الْوُضُوءُ، كَانَ ذَلِكَ بِاخْتِيَارٍ أَوْ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ. وَذَهَبَ أَصْحَابُنَا أَيْضًا إِلَى أَنَّ الْوُضُوءَ لاَ يَجِبُ بِمَسِّ الذَّكَرِ فِي حَالِ الصَّلاَةِ إِذَا شَكَّ فِي الْحَدَثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَأَمَّا إِنْ مَسَّ الذَّكَرَ بِغَيْرِ الْيَدِ فَلاَ نَقْضَ عَلَيْهِ، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمُ التَّوَضُّؤَ مِنْهُ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ مُسْلِمًا ﷺ كَانَ يَتَّخِذُ جَوَارِبَ يَتَّقِي بِهَا فَرْجَهُ عَنْ مَوَاضِعِ وُضُوئِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ حَيَّانَ الأَعْرَجَ ﷺ[٢] فَقَالَ: "قَدْ أَشْقَانَا اللهُ إِذًا فِي دِينِنَا، تَعْظِيمًا لِفِعْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ[٣]، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"لَيْسَ عَلَى مَنْ مَسَّ عَجْمَ الذَّنَبِ وُضُوءٌ، وَلاَ عَلَى مَنْ مَسَّ مَوْضِعَ الاسْتِحْدَادِ وُضُوءٌ"**[٤]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) وَحُجَّتُهُ: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ يَمَسُّ ذَكَرَهُ، هَلْ عَلَيْهِ الْوُضُوءُ؟ قَالَ: "وَهَلْ هُوَ إِلاَّ مُضْغَةٌ مِنْكَ أَوْ بَضْعَةٌ مِنْكَ" [رواه النسائي: السنن الكبرى، الرخصة في ترك الوضوء من مس الذكر، ر١٦٠].

(٢) حَيَّانُ الأَعْرَجُ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الأَوَّلِ، وَكَانَ كَمَا قَالَ الشَّماخِيُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ وَمِنْ أَهْلِ التَّقْوَى وَالدِّينِ، وَمِنْ أَكْبَرِ مَنْ صَحِبَ جَابِرَ بْنَ زَيْدٍ وَأَخَذَ عَنْه، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ سِنًّا، وَكَانَ دَاعِيًا إِلَى اللهِ، آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ، نَهَّاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، مِمَّنْ يَمِيلُ فِي فَتْوَاهُ إِلَى التَّيْسِيرِ، وَيُنْكِرُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَشَدُّدَهُ، وَكَثِيرًا مَا يَقُولُ: "لَقَدْ أَشْقَانَا اللهُ فِي دِينِنَا إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا يَقُولُ أَبُو عُبَيْدَةَ" [السير، ١/ ٨٩]، أَمَّا تَارِيخُ وَفَاتِهِ بِالضَّبْطِ فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ رَغْمَ الْبَحْثِ الشَّدِيدِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٣) [انظر الكندي: المصنف، ٤/ ١٤٤].

(٤) [رَوَاهُ الرَّبِيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١١٢].

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# فِي الأَفْعَالِ الْمُوجِبَةِ لِلْوُضُوءِ

**وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَيْضًا، وَهِيَ:** لَمْسٌ وَقَوْلٌ وَاسْتِمَاعٌ وَنَظَرٌ.

**أَمَّا اللَّمْسُ:** فَكَمَا قَدَّمْنَا مِنْ مَسِّ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ أَوْ فَرْجِ الْمُحَرَّمَةِ، أَوْ فَرْجِ نَفْسِهِ، أَوْ فَرْجِ زَوْجَتِهِ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، أَوْ مَسِّ فَرْجِ الْجَارِيَةِ الطِّفْلَةِ، أَوْ فُرُوجِ الأَنْعَامِ الرَّطْبَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي الأَطْفَالِ الصِّغَارِ، فَقِيلَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ فُرُوجٌ فَتَوَضَّؤُوا مِنْهَا.

**وَأَمَّا الْقَوْلُ:** فَكَغِيبَةِ الْمُسْلِمِ، وَبُهْتَانِ الْبَرِيءِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَالْكَذِبِ، وَالنَّمِيمَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَعْنِ الْبَهَائِمِ وَالأَطْفَالِ وَمَنْ لاَ يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَةَ، وَكَالإِشْرَاكِ بِاللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ تَسْمِيَةِ الْفُرُوجِ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهَا، وَذِكْرِ الْعَذِرَةِ مَعَ فَاعِلِهَا[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا كُلُّهُ قِيَاسًا عَلَى الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ؛ إِذْ وَرَدَتْ فِيهِمَا السُّنَّةُ بِنَقْضِ الْوُضُوءِ[2].

---

(١) عَلَى وَجْهِ الشَّتْمِ قَالَ الرَّبِيعُ: "كُلُّ شَيْءٍ خَبِيثٍ مِنَ الْكَلاَمِ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ". [ذكره الكندي: المصنف، ٤/ ١٨٧].

(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْغِيبَةُ تُفْطِرُ الصَّائِمَ وَتَنْقُضُ الْوُضُوءَ". [رَوَاه الرَّبِيع، باب ما يجب منه الوضوء، ر١٠٥].

**وَأَمَّا الاسْتِمَاعُ**: فَكَالاسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، إِذْ وَرَدَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ[1]، وَكَالاسْتِمَاعِ إِلَى اللهْوِ وَالْمَزَامِيرِ وَالْغِنَاءِ وَالنِّوَاحِ وَأَسْرَارِ النَّاسِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

**وَأَمَّا النَّظَرُ**: فَكَالنَّظَرِ إِلَى عَوْرَاتِ الآدَمِيِّينَ عَمْدًا، غَيْرِ نَفْسِهِ وَزَوْجَتِهِ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، وَكَالنَّظَرِ إِلَى حُرْمَةٍ فِي مَنْزِلِ قَوْمٍ، أَوْ فِي سِرِّ كِتَابٍ غَيْرِ مُبَاحٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلاَ أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْخِلاَفِ أَوْجَبَ الْوُضُوءَ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ الأَخِيرِ، إِلاَّ فِي الارْتِدَادِ إِلَى الشِّرْكِ خَاصَّةً، وَقَدِ انْفَرَدَ بِهِ أَصْحَابُنَا - رَحِمَهُمُ اللهُ -، كَمَا أَنَّهُمْ قَدِ انْفَرَدُوا بِنَقْضِ الْوُضُوءِ فِي الْقَهْقَهَةِ فِي الصَّلاَةِ، لِحَدِيثِ أَبِي الْعَالِيَةِ[2] دُونَ مُخَالِفِيهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [من ذلك ما روي "أن رسول الله ﷺ نهى عن الغناء والاستماع إلى الغناء، وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة، وعن النميمة والاستماع إلى النميمة" (رواه الهندي: كنز العمال، ر٤٠٦٦٢)].

(٢) قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي عُمْدَةِ الْقَارِئِ [٣/ ٤٨]: "وَلأَنَّ فِي هَذَا الْبَابِ أَحَدَ عَشَرَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ مُرْسَلَةٌ وَسَبْعَةٌ مُسْنَدَةٌ، فَأَوَّلُ الْمَرَاسِيلِ حَدِيثُ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ، رَوَاهُ عَنْهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَهُوَ عَدْلٌ ثِقَةٌ: "أَنَّ أَعْمَى تَرَدَّى فِي بِئْرٍ والنَّبِيُّ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ، فَضَحِكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ ﷺ، فَأَمَرَ ﷺ مَنْ كَانَ ضَحِكَ مِنْهُمْ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَيُعِيدَ الصَّلاَةَ" اهـ. [رواه الدارقطني، باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها، ر٢].

وأَبُو الْعَالِيَةِ اسْمُهُ رفيعُ بْنُ مِهْرَانَ الرِّيَاحِيُّ الْبَصْرِيُّ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَسْلَمَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَنَتَيْنِ، وَدَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، وَصَلَّى خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَوَثَّقَهُ يَحْيَى وَأَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ.

وَغَالِبُ تِلْكَ الأَحَادِيثِ تَنُصُّ عَلَى أَنَّ الضَّحِكَ كَانَ قَهْقَهَةً أَوْ قَرْقَرَةً، وَبَعْضُهَا الآخَرُ بِلَفْظِ الضَّحِكِ وَبِزِيَادَةِ "أَنَّهُ يَنْقُضُ الصَّلاَةَ وَلاَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ"، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْبَابِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: إِذَا ضَحِكَ فِي الصَّلاَةِ أَعَادَ الصَّلاَةَ وَلَمْ يُعِدِ الْوُضُوءَ، فَذَهَبَ مَالِكٌ وَاللَّيْثُ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَذَهَبَ الْحَسَنُ وَالنَّخَعِيُّ إِلَى أَنَّهُ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّ الضَّحِكَ يُبْطِلُ الصَّلاَةَ، وَلاَ يُبْطِلُ الْوُضُوءَ، وَالْقَهْقَهَةُ تُبْطِلُهَا مِمَّا يَكُونُ مَسْمُوعًا لِجِيرَانِهِ، وَالتَّبَسُّمُ مَا لاَ صَوْتَ فِيهِ.

## [القسم الثالث]

# فِي الطَّهَارَةِ الصُّغْرَى

## وَهِيَ التَّيَمُّمُ الْمُبْدَلُ مِنَ الْوُضُوءِ

اعْلَمْ أَنَّ الطَّهَارَةَ بِأَسْرِهَا إِنَّمَا تَجِبُ بِسَبْعَةِ شُرُوطٍ، وَهِيَ: الْبُلُوغُ، وَالْعَقْلُ، وَالإِسْلاَمُ، وَدُخُولُ وَقْتِ الصَّلاَةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَكَوْنُ الْمُكَلَّفِ ذَاكِرًا غَيْرَ سَاهٍ وَلاَ نَائِمٍ، وَعَدَمُ الإِكْرَاهِ، وَارْتِفَاعُ مَوَانِعِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، وَهِيَ شُرُوطُ وُجُوبِ التَّيَمُّمِ أَيْضًا.

**وَفُرُوضُ التَّيَمُّمِ ثَمَانٍ خِصَالٍ**: طَلَبُ الْمَاءِ قَبْلَهُ، وَالنِّيَّةُ أَوَّلَهُ، وَضَرْبَةٌ لِلْوَجْهِ، وَضَرْبَةٌ لِلْيَدَيْنِ إِلَى الرُّسْغَيْنِ، وَالْمُوَالاَةُ، وَعُمُومُ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ بِالْمَسْحِ، وَفِعْلُ ذَلِكَ بِالصَّعِيدِ الطَّاهِرِ، وَدُخُولُ الْوَقْتِ.

**وَسُنَنُهُ أَرْبَعٌ**: التَّرْتِيبُ بِتَقْدِيمِ مَسْحِ الْوَجْهِ، وَتَجْدِيدُ مَسْحِ الْيَدَيْنِ إِلَى الرُّسْغَيْنِ، وَنَقْلُ[1] مَا تَعَلَّقَ بِهِمَا مِنَ الْغُبَارِ، وَالتَّسْمِيَةُ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

---

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَحَادِيثُ الْبَابِ عَلَى عُمُومِهَا تُقَوِّي جَانِبَ مَنْ يَقُولُ بِنَقْضِهِمَا مَعًا، وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مصححه.

(١) لَعَلَّ الصَّوَابَ "وَنَفْضُ".

# فصلٌ فِي أَسْبَابِ التَّيَمُّمِ وَكَيْفِيَّتِهِ وَأَحْكَامِهِ

وَهَذَا الْفَصْلُ يَتَوَزَّعُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ: **أَحَدُهَا** فِي أَسْبَابِ التَّيَمُّمِ، **وَالثَّانِي** فِي حَقِيقَتِهِ، **وَالثَّالِثُ** فِي أَحْكَامِهِ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ
## فِيمَا يَنْقُلُ إِلَى التَّيَمُّمِ وَهُوَ الْعَجْزُ

**وَلَهُ أَسْبَابٌ، وَهِيَ سِتَّةٌ:**

**أَحَدُهَا [السَّبَبُ الأَوَّلُ]:** فَقْدُ الْمَاءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾[1]، فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُسَافِرِ لَزِمَهُ طَلَبُ الْمَاءِ، فَإِنْ عَازَ[2] الْمَاءُ بَعْدَ الطَّلَبِ فَإِنَّهُ لاَ يَخْلُو مِنْ أَرْبَعِ حَالاتٍ[3]:

**[الحالة الأولى]**: أَنْ يَتَحَقَّقَ عَدَمَ الْمَاءِ حَوَالَيْهِ، فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ أَوَّلَ الْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ طَلَبِ الْمَاءِ.

**[الحالة الثانية]:** أَنْ يَتَوَهَّمَ وُجُودَهُ حَوَالَيْهِ، فَلْيَتَرَدَّدْ وَلْيُلاَحِظْ وَلْيَسْأَلْ إِلَى حَدٍّ لاَ يُدْخِلُ عَلَى نَفْسِهِ وَلاَ عَلَى أَصْحَابِهِ ضَرَرًا وَلاَ مَشَقَّةً فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُمْ، أَوْ يَعُوقُهُمْ عَلَى حَاجَتِهِمْ، فَإِذَا لَمْ يَسْأَلْ عَنِ الْمَاءِ فَصَلَّى فَإِنَّ عَلَيْهِ الإِعَادَةَ فِي الْوَقْتِ وَبَعْدَ الْوَقْتِ فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ لَوْ رَآهُمْ يَتَيَمَّمُونَ وَيُصَلُّونَ فَتَيَمَّمَ هُوَ وَصَلَّى، أَعَادَ كَمَا قَدَّمْنَا فِي الْوَقْتِ وَبَعْدَ الوَقْتِ، كَذَا ذُكِرَ فِي تَقْيِيدَاتِ

---

(١) النساء: ٤٣، والمائدة: ٦.

(٢) [عاز: بمعنى عوز وأعوز، أي افتقر (الجوهري: الصحاح، باب الزاي، فصل العين: عوز)].

(٣) [في الأصل: أربعة أحوال، استبدلتها بـ: أربع حالات لتتناسب مع التقسيم].

الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ[1] رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: وَكَذَلِكَ لَوْ نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ وَنَزَلُوا عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَطْلُبَ وَيُلاَحِظَ، وَكَذَلِكَ لَوْ طَلَبَ الْمَاءَ فَلَمْ يَجِدْهُ، ثُمَّ تَيَمَّمَ فَصَلَّى، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ الْمَاءَ كَانَ فِي مَوْضِعٍ لَوْ طَلَبَهُ لَوَجَدَهُ، أَوْ كَانَ فِي رَحْلِهِ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ حَتَّى صَلَّى فَعَلَيْهِ الإِعَادَةُ[2].

وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ مَتَى يَتَيَمَّمُ؟ فَقِيلَ: إِنَّ الآيِسَ يَتَيَمَّمُ أَوَّلَ الْوَقْتِ، وَالرَّاجِي يَتَيَمَّمُ آخِرَ الْوَقْتِ، وَالَّذِي تَسَاوَى عِنْدَهُ الأَمْرُ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَسَطَ الْوَقْتِ، وَقِيلَ: الْمُتَيَمِّمُ يَتَيَمَّمُ آخِرَ الْوَقْتِ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَقِيلَ: آخِرَ الْوَقْتِ، إِلاَّ الآيِسُ كَمَا قَدَّمْنَا، فَإِنْ صَلَّى أَحَدُ هَؤُلاَءِ ثُمَّ وَجَدَ الْمَاءَ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَلاَ إِعَادَةَ عَلَى مَنْ أَوْقَعَ الصَّلاَةَ فِي الْوَقْتِ الْمَأْمُورِ بِإِيقَاعِهَا فِيهِ، إِلاَّ الشَّاكَّ الْمُتَرَدِّدَ فِي إِدْرَاكِ الْمَاءِ مَعَ عِلْمِهِ بِوُجُودِهِ فَإِنَّهُ يُعِيدُ فِي الْوَقْتِ؛ لأَنَّهُ كَالْمُقَصِّرِ فِي اجْتِهَادِهِ، وَفِي

---

(١) أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ الْبَهْلَوِيُّ السُّلَمِيُّ، عَالِمٌ نِحْرِيرٌ، وَإِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِعُمَانَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي مَالِكٍ غَسَّانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَضِرِ الصَّلاَنِيِّ، وَتَخَرَّجَ ابْنُ بَرَكَةَ عَلَى عُلَمَاءَ نَحَارِيرَ كَالْعَلاَّمَةِ أَبِي [الْحَسَنِ] عَلِيٍّ الْبِسْيَانِيِّ صَاحِبِ سُبُوغِ النِّعَمِ، وَسِيرَةِ الْبِسْيَانِيِّ الشَّهِيرَةِ، وَأَضْرَابِهِمْ مِمَّنْ لَعِبُوا أَدْوَارًا مُهِمَّةً فِي إِقْرَارِ قَوَاعِدِ الإِمَامَةِ بِعُمَانَ، نَشَرُوا الْعِلْمَ وَحَرَّرُوا الْمَسَائِلَ، فَمَهَّدُوا سَبِيلَ الْمَعْرِفَةِ لِسَالِكِيهِ، كَمَا تَرَكَ لَنَا الإِمَامُ ابْنُ بَرَكَةَ مِنْ مَحْصُولِهِ ثَرْوَةً طَائِلَةً مِنَ التَّآلِيفِ الْمُعْتَبَرَةِ، ذَكَرَ لَهُ الشَّيْخُ السَّالِمِيُّ صَاحِبُ اللُّمْعَةِ الْمرضِيَّةِ مِنْ أَشِعَّةِ الإِبَاضِيَّةِ [١/ ٢٢] الْكُتُبَ الآتِيَةَ: الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ ابْنِ بَرَكَةَ، وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ وَضَعَ فِيهِ الْمَسَائِلَ بِأَدِلَّتِهَا، وَصَدَّرَهُ بِأَبْوَابٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبْوَابَ الْفُرُوعِ، قَامَ بِطَبْعِهِ فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الأَخِيرَةِ أَحَدُ الطَّلَبَةِ النَّفوسِيِّينَ (لِيبْيَا)، وكِتَابُ الشَّرْحِ لِجَامِعِ ابْنِ جَعْفَرٍ، وَكِتَابُ التَّقْيِيدِ، وَكِتَابُ الْمُوَازَنَةِ، وَكِتَابُ الْمُبْتَدَأِ، وَكِتَابُ التَّعَارُفِ، وَكِتَابُ الإِقْلِيدِ، وَلَهُ رَسَائِلُ. وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدِ اشْتُهِرَ عِلْمُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا، قَلَّ أَنْ يَخْلُوَ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الأَصْحَابِ مِنْ ذِكْرِهِ، هَذَا وَإِنَّ الْمُؤَلِّفَ يَذْكُرُهُ فِي كُتُبِهِ بِاسْمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ، سَوَاءٌ فِي الْقَوَاعِدِ أَوْ فِي الْفَنَاطِرِ، وَيَذْكُرُهُ الشَّيْخُ عَامِرٌ كَذَلِكَ فِي كِتَابِ الإِيضَاحِ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ كَمَا ذَكَرَهُ الْعَلاَّمَةُ السَّالِمِيُّ، وَهُوَ الْحُجَّةُ، وَأَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا، فَلْيُنْتَبَهْ. اهـ مُصَحِّحه

(٢) [ابن بركة: التقييدات، ص ٠٣ (مخطوط)].

مِثْلِهِ الْخَائِفُ مِنَ اللُّصُوصِ فَقَصَّرَ فِي الطَّلَبِ، وَكَذَلِكَ الْمَرِيضُ الَّذِي عَدِمَ مَنْ يُنَاوِلُهُ الْمَاءَ؛ لأَنَّهُ قَصَّرَ فِي الاسْتِعْدَادِ، فَحُكْمُ هَؤُلاَءِ التَّيَمُّمُ وَسَطَ الْوَقْتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ**: أَنْ يَعْتَقِدَ وُجُودَ الْمَاءِ فِي حَدِّ الْقُرْبِ، فَيَلْزَمُهُ السَّعْيُ إِلَيْهِ، وَحَدُّ الْقُرْبِ مَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَى الْمَشَقَّةِ أَوْ خَوْفِ فَوَاتِ الأَصْحَابِ، وَقِيلَ: لاَ يُعْذَرُ فِي مِيلَيْنِ، وَإِنِ انْتَهَى الْبُعْدُ إِلَى حَيْثُ يَخْرُجُ وَقْتُ الصَّلاَةِ إِذَا كَانَ آمِنًا مِنْ فَوَاتِ الأَصْحَابِ فَلْيَطْلُبْ أَصْحَابَهُ كَمَا قَدَّمْنَا، وَلاَ يَلْزَمُهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ جَمِيعًا إِذَا كَانُوا كَثِيرًا، بَلْ يَطْلُبُ مَنْ يَلِيهِ مِنْهُمْ كَمَا قَدَّمْنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْحَالَةُ الرَّابِعَةُ**: أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ حَاضِرًا وَلَكِنْ يَتَعَذَّرُ حُصُولُهُ إِلَيْهِ لِعَدَمِ الآلَةِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ؛ لأَنَّهُ فَاقِدُ الْمَاءِ، وَإِنْ وَجَدَ الآلَةَ وَلَكِنْ كَانَ الْمَاءُ فِي بِئْرٍ بَعِيدَةِ الْقَعْرِ، فَإِنِ اشْتَغَلَ بِالنَّزْحِ فَاتَهُ الْوَقْتُ فَفِيهِ خِلاَفٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، قِيلَ: إِنَّهُ يَتَيَمَّمُ؛ لأَنَّ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى الاسْتِعْمَالِ فِي الْوَقْتِ كَالْعَادِمِ الْمُطْلَقِ، وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ الْمَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُمْكِنُهُ اسْتِعْمَالُهُ لَكِنْ لَوْ تَشَاغَلَ بِاسْتِعْمَالِهِ لَخَرَجَ الْوَقْتُ لِضِيقِهِ فَقَوْلاَنِ أَيْضًا، قِيلَ: يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي وَيَشْتَغِلُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّوَضُّؤِ، وَقِيلَ: يَشْتَغِلُ بِالتَّوَضُّؤِ وَهُوَ الأَصَحُّ؛ لأَنَّهُ وَاجِدٌ لِلْمَاءِ.

**السَّبَبُ الثَّانِي**: عَجْزُ خِيفَةٍ، وَهُوَ أَنْ يَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ – إِذَا عَدَلَ إِلَى الْمَاءِ – عَدُوًّا يُهْلِكُهُ، أَوْ سَبُعًا يُتْلِفُهُ، فَكُلُّ هَذِهِ الأَحْوَالِ التَّيَمُّمُ لَهُ بِهَا جَائِزٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ وَلاَ لَهُ أَنْ يَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى حَالَةٍ مُخَوِّفَةٍ، وَلاَ أَنْ يُعَرِّضَهَا لِخُطَّةٍ مُتْلِفَةٍ، وَقَدْ يَسَّرَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ تَخْفِيفًا، وَكَانَ بِهِمْ – وَلِلهِ الْحَمْدُ – لَطِيفًا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْخَوْفَ عَلَى الْمَالِ لاَ يُلْحَقُ بِالْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ فِي الإِبَاحَةِ.

وَإِنْ وَجَدَ الْمَاءَ بِثَمَنٍ يُبَاعُ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَهُ، وَإِنِ امْتَنَعَ مِنْهُ إِلاَّ بِثَمَنٍ يُجْحِفُ بِهِ لِقِلَّةِ دَرَاهِمِهِ أَوْ لِكَثْرَةِ الزِّيَادَةِ عَلَى ثَمَنِهِ الْمُعْتَادِ لَمْ يَلْزَمْهُ شِرَاؤُهُ، وَأَمَّا بِثَمَنِ الْمِثْلِ وَمَا لاَ يُجْحِفُ بِهِ فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ، إِلاَّ إِنِ احْتَاجَ إِلَى الثَّمَنِ لِنَفَقَةِ سَفَرِهِ.

**السَّبَبُ الثَّالِثُ**: أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ لِعَطَشِهِ فِي الْحَالِ أَوْ لِتَوَقُّعِهِ فِي الْمَآلِ، بِأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لاَ يَجِدُ مَاءً، أَوْ لِعَطَشِ مَنْ مَعَهُ، فَلَهُ التَّيَمُّمُ إِنْ خَافَ الْعَطَشَ الَّذِي يُهْلِكُهُ، وَإِنْ خَافَ عَطَشًا يُمْرِضُهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ خَافَ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ لِمَرَضٍ، وَلَوْ مَاتَ صَاحِبُ الْمَاءِ وَكَانَ مَعَهُ جُنُبٌ آخَرُ، وَالْمَاءُ إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَهُمَا فَصَاحِبُهُ أَوْلَى بِهِ، إِلاَّ إِنِ احْتَاجَ الْحَيُّ إِلَى شُرْبِهِ فَهُوَ أَوْلَى بِهِ بَعْدَ أَدَاءِ قِيمَتِهِ إِلَى الْوَارِثِ، وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ بَيْنَهُمَا فَفِيهِ قَوْلاَنِ، قِيلَ: الْحَيُّ أَوْلَى بِهِ وَيُتَيَمَّمُ لِلْمَيِّتِ، وَقِيلَ: الْمَيِّتُ أَوْلَى بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**السَّبَبُ الرَّابِعُ**: الْجَهْلُ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا نَسِيَ الْمَاءَ فِي رَحْلِهِ فَتَيَمَّمَ وَصَلَّى، ثُمَّ عَلِمَ بِهِ، فَفِي إِعَادَةِ صَلاَتِهِ اخْتِلاَفٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَةَ[1] أَنْ يُعِيدَ صَلاَتَهُ، وَقَاسَهُ بِنِسْيَانِ الرَّقَبَةِ فِي مِلْكِهِ إِذَا ظَاهَرَ مِنَ امْرَأَتِهِ، أَوْ نَسِيَ النَّجَاسَةَ فِي ثَوْبِهِ حَتَّى صَلَّى، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الصَّوْمُ لاَ يُجْزِئُ نَاسِيَ الرَّقَبَةِ وَلاَ تُجْزِئُ صَلاَةُ نَاسِي النَّجَاسَةِ، كَانَ نَاسِي الْمَاءِ فِي رَحْلِهِ كَذَلِكَ[2].

**السَّبَبُ الْخَامِسُ**: الْمَرَضُ الَّذِي يُخَافُ مِنَ الْوُضُوءِ مَعَهُ فَوْتُ رُوحٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ، أَوْ إِتْلاَفُ عُضْوٍ، أَوْ تَأْخِيرُ بُرْءٍ، أَوْ زِيَادَةُ مَرَضٍ أَوْ حُدُوثُهُ، فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ فِي

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٢) [جامع ابن بركة، ١/ ٣٤٥، ٣٤٦].

جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا، لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ[١]، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ الْمَشْجُوجِ فِي رَأْسِهِ[٢]، وَصَاحِبِ الْجُدَرِيِّ، فَاسْتَفْتُوا فَأُمِرُوا بِالْغُسْلِ، فَقَالَ ﷺ: "قَتَلُوهُ قَاتَلَهُمُ اللهُ"[٣]، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيمَنْ كَانَ بِهِ جُرْحٌ أَوْ قَرْحٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾[٤] وَكَذَلِكَ الصَّحِيحُ إِنْ خَافَ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ نَزْلَةً أَوْ حُمَّى فَلَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ؛ لأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مَرَضٌ ظَاهِرٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**السَّبَبُ السَّادِسُ**: كَوْنُ الْجُرُوحِ وَالْقُرُوحِ فِي مَوْضِعٍ لاَ يُمْكِنُ غَسْلُهُ، كَالْفَرْجِ وَالْيَدِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ سَالِمَ الأَعْضَاءِ إِلاَّ عُضْوًا وَاحِدًا فِيهِ جُرْحٌ أَوْ قَرْحٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيَمْسَحْ عَلَى الْعَلِيلِ بِالْمَاءِ، وَإِنْ خَافَ أَنْ يَضُرَّهُ فَلْيُجْرِ الْمَاءَ حَوَالَيْهِ، وَإِلاَّ فَلْيَتَيَمَّمْ لَهُ، وَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَتَيَمَّمَ لَهُ حَتَّى صَلَّى فَفِيهِ

---

(١) [عن ابن عباس قال: "خرج عمرو بن العاص إلى غزوة ذات السلاسل وهو أمير على الجيش فأجنب فخاف من شدة برد الماء فتيمم فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أصحابه بما فعل عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو لم فعلت ما فعلت ومن أين علمت فقال يا رسول الله وجدت الله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (النساء: ٢٩) فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليه شيئا". [رواه الربيع، باب الزجر عن غسل المريض، ر١٧٢].

(٢) أَمَّا الْمَشْجُوجُ فَلِحَدِيثِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: "خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ « قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِىِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ "يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ". [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، ر٣٣٦].

(٣) قَالَ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ: بَلَغَنِي عَنْ قَوْمٍ مَاتَ بِحَضْرَتِهِمْ مَجْذُورٌ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّهُ أُمِرَ بِالْغُسْلِ كَمَا تَرَى، فَكَرَّ عَلَيْهِ الْجُدَرِيُّ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَمَرُوهُ بِالتَّيَمُّمِ؟". [رواه الربيع، باب الزجر على غسل المريض، ر١٧٤].

(٤) النساء: ٤٣، والْمَائِدَة: ٦.

خِلاَفٌ، أَعْنِي فِي إِعَادَةِ صَلاَتِهِ، وَالأَصَحُّ أَنَّه لاَ يُعِيدُ؛ لأَنَّ الْخِطَابَ تَوَجَّهَ إِلَى الأَعْضَاءِ الصَّحِيحَةِ دُونَ الْعَلِيلَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِي كَيْفِيَّةِ التَّيَمُّمِ

**اعْلَمْ أَنَّ أَرْكَانَ التَّيَمُّمِ أَرْبَعَةٌ:**

**أَحَدُهَا [الركن الأول]**: النِّيَّةُ؛ لأَنَّهَا عِبَادَةٌ غَيْرُ مَعْقُولَةِ الْمَعْنَى، وَلاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِالنِّيَّةِ، وَقِيلَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ.

وَكَيْفِيَّةُ عَقْدِهَا: أَنْ يَنْوِيَ بِهَا رَفْعَ الأَحْدَاثِ وَاسْتِبَاحَةَ الصَّلاَةِ، وَلَفْظُهَا أَنْ يَقُولَ: "أَرْفَعُ بِتَيَمُّمِي هَذَا جَمِيعَ الأَحْدَاثِ، وَأَتَيَمَّمُ لِلصَّلاَةِ طَاعَةً لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ"، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ مُتَيَمِّمًا فَلْيُصَلِّ بِهِ الصَّلَوَاتِ الْخُمُسَ مَا لَمْ يُحْدِثْ أَوْ يَجِدِ الْمَاءَ، كَالْوُضُوءِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: **"التَّيَمُّمُ طُهُورُ الْمُسْلِمِ وَلَوْ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ مَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ"**[1].

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي هَذَا، فَوَجَدْتُ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ التَّيَمُّمَ لاَ يَنْقُضُهُ إِلاَّ الْحَدَثُ أَوِ الْمَاءُ كَمَا قَدَّمْنَا، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ يُجَدِّدُ التَّيَمُّمَ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ إِلاَّ إِنْ جَمَعَهَا فَإِنَّهُ يَجْتَزِئُ بِتَيَمُّمٍ وَاحِدٍ، رُوِيَ هَذَا عَنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا الْعُمَانِيِّينَ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَاعْتَلُّوا بِثَلاَثِ عِلَلٍ، **إِحْدَاهَا**: أَنَّ التَّيَمُّمَ عِنْدَهُمْ لاَ يَرْفَعُ الْحَدَثَ وَإِنَّمَا هُوَ

(١) [رواه الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٦٨، والترمذي، كتاب الطهارة، باب التيمم للجنب إذا لم يجد الماء، ر١٢٤].

(٢) [انظر: جامع ابن بركة، ١/ ٣٣٣].

مَشْرُوعٌ لاسْتِبَاحَةِ أَقَلِّ مَا يُمْكِنُ لَهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ[١]، **وَالثَّانِيَةُ**: أَنَّهُ لاَ يُتَيَمَّمُ قَبْلَ وَقْتِ الصَّلاَةِ، **وَالثَّالِثَةُ**: أَنَّ تَكْرَارَ الطَّلَبِ وَاجِبٌ عِنْدَهُمْ لِكُلِّ صَلاَةٍ، فَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَدَلَ إِلَى التَّيَمُّمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الرُّكْنُ الثَّانِي**: مَا تُعْمَلُ بِهِ هَذِهِ الطَّهَارَةُ، وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيمَا يَجُوزُ بِهِ التَّيَمُّمُ، فَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِلَى إِجَازَتِهِ بِغَيْرِ التُّرَابِ مِنْ أَجْزَاءِ الأَرْضِ الْمُتَوَلِّدَةِ مِنْهَا، كَالرَّمْلِ وَالحَصْبَاءِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى جَوَازِهَا بِالرَّمْلِ وَالنُّورَةِ وَالزِّرْنِيخِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِلَى أَنَّ التَّيَمُّمَ لاَ يَجُوزُ إِلاَّ بِالتُّرَابِ الطَّيِّبِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ رَحِمَهُ اللهُ[٢]، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُهُ النَّظَرُ عِنْدِي؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا**"[٣]، فَخَصَّ التُّرَابَ دُونَ غَيْرِهِ[٤]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا**

---

(١) التَّحْقِيقُ أَنَّ التَّيَمُّمَ رَافِعٌ لِلْحَدَثِ رَفْعًا مُؤَقَّتًا إِلَى حَالِ وِجْدَانِ الْمَاءِ، لاَ مُبِيحٌ لِلْعِبَادَةِ فَقَطْ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ طَهُورًا وَوُضُوءًا، وَجَعَلَهُ قَائِمًا مَقَامَ الْمَاءِ وَعِوَضًا عَنْهُ عِنْدَ عَدَمِهِ، وَالأَصْلُ أَنَّهُ قَائِمٌ فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ، فَلاَ يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِدَلِيلٍ، وَعَلَيْهِ فَهُوَ بَدَلٌ مِنَ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ عِنْدَ عَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، وَلِلْمُتَيَمِّمِ أَنْ يُصَلِّيَ بِالتَّيَمُّمِ الْوَاحِدِ مَا شَاءَ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، فَحُكْمُهُ كَحُكْمِ الْوُضُوءِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمُتَقَدِّمِ، بَيْدَ أَنَّ حَدِيثًا وَرَدَ عَنِ الرَّسُولِ يَقْضِي بِالْغُسْلِ مَتَى قَدَرَ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، قَالَ عُمَرُ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَلاَتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ قَالَ: "مَا مَنَعَكَ يَا فُلاَنُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟" قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ؛ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ"، ثُمَّ ذَكَرَ عُمَرُ أَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ وَجَدُوا الْمَاءَ أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، وَقَالَ: "اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ". [رَوَاه البخاري، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، ر٣٣٧]. وَيَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِحْبَابِ، كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ: "فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ" فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ. اهـ مُصَحِّحه

(٢) [الجامع، ١/ ٣٣٥].

(٣) [رواه الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٦٧].

(٤) قَالَ جَابِرٌ: "وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَمْنَعُ مِنَ التَّيَمُّمِ بِغَيْرِ التُّرَابِ"، وَقَالَ الرَّبِيعُ: وَالْمَسْجِدُ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ مَسَاجِدُ الْمُصَلِّي، وَهِيَ سَبْعَةُ أَعْضَاءٍ: الْقَدَمَانِ وَالرُّكْبَتَانِ وَالْيَدَانِ وَالْجَبْهَةُ.[مسند الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٦٧]، ثُمَّ قَالَ السَّالِمِيُّ: "وَغَيْرُ الطَّيِّبِ لاَ يَكُونُ مُطَهِّرًا،

طَيِّبًا﴾[1] عَلِمْنَا أَنَّ الصَّعِيدَ: التُّرَابُ وَحْدَهُ، دُونَ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ اسْمٌ مُشْتَقٌّ لِمَا صَعِدَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لِقَوْلِهِ ﷺ "الصَّعِيدُ كَافِيكَ"[2]، فَلَمَّا ذَكَرَ التُّرَابَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عَلِمْنَا أَنَّ الصَّعِيدَ هُوَ التُّرَابُ، وَهُوَ أَيْضًا مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ، تَرَكْتُهُ مَخَافَةَ التَّطْوِيلِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الرُّكْنُ الثَّالِثُ:** فِي كَيْفِيَّةِ التَّيَمُّمِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، تَرَكْتُهُ مَخَافَةَ الإِكْثَارِ، وَالْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا: ضَرْبَتَانِ، ضَرْبَةٌ لِلْوَجْهِ وَضَرْبَةٌ لِلْيَدَيْنِ إِلَى الرُّسْغَيْنِ، لِلْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ[3].

**وَأَمَّا كَيْفِيَّتُهُ:** فَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَرِيضِ أَوِ الْمُسَافِرِ أَوِ الصَّحِيحِ الْخَائِفِ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ، فَإِنْ كَانَ يَرْجُو وُجُودَ الْمَاءِ أَوِ التَّوَصُّلَ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ إِنْ كَانَ مَوْجُودًا، فَلْيَنْتَظِرْ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلاَفِ أَحْوَالِهِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَإِنْ كَانَ آيِسًا مِنَ الْمَاءِ عَدَلَ إِلَى التُّرَابِ الطَّاهِرِ الَّذِي يَصْلُحُ لِلْحَرْثِ وَالنَّبَاتِ، فَلْيَعْقِدِ النِّيَّةَ كَمَا قَدَّمْنَا، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ، وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ وَهُمَا يَابِسَتَانِ مُفَرِّقًا بَيْنَ أَصَابِعِهِ عَلَى التُّرَابِ الْيَابِسِ، ثُمَّ يَرْفَعُهُمَا وَيَقْرِنُ بَعْضَهُمَا إِلَى بَعْضٍ، وَيَنْفُضُهُمَا نَفْضًا خَفِيفًا، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ مُسْتَوْعِبًا، يَبْدَأُ بِهِ مَارًّا بِيَدَيْهِ مِنْ أَعْلاَهُ إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَهُ، وَلْيُرَاعِ الْوَتَرَةَ، وَهِيَ مَا بَيْنَ الْمِنْخَرَيْنِ، وَلْيَقُلْ حِينَ يَرْفَعُهُمَا إِلَى الْوَجْهِ: اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَرُدُّهُمَا إِلَى الصَّعِيدِ، ثُمَّ يَضْرِبُ بِهِمَا ضَرْبَةً أُخْرَى، ثُمَّ يَرْفَعُهُمَا قَارِنًا لَهُمَا مِنْ

---

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} (النساء :٤٣). هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ، وَبِهِ قَالَتِ الْعِتْرَةُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَدَاوُدُ، فَإِنَّ عَدِمَ التُّرَابَ عَدَلَ إِلَى أَشْبَهِ شَيْءٍ مِنْهُ مِنْ أَجْزَاءِ الأَرْضِ، كَالرَّمْلِ وَالسَّبْخَةِ وَالآجِرِ وَنَحْوِهِ، مَعْذِرَةً إِلَى اللهِ تَعَالَى وَحَوْطَةً لِدِينِهِ". اهـ [السالمي: شرح الجامع الصحيح، ٢٧٧/١].

(١) النساء: ٤٣، والْمَائِدَة: ٦.

(٢) [رواه الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٦٨]

(٣) [رواه الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٧١].

عِنْدِ إِبْهَامِهِ، فَيَضَعُ الْيُسْرَى عَلَى ظَاهِرِ الْيُمْنَى، وَيَمُرُّ بِهَا عَلَى ظَاهِرِ الْكَفِّ، ثُمَّ يَعْمَلُ بِكَفِّهِ الْيُمْنَى عَلَى ظَاهِرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى كَذَلِكَ. وَإِنْ أَخْطَأَ شَيْئًا مِنْ مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ لَمْ يُصِبْهُ التُّرَابُ فَقَدْ أَجْزَأَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلِّلَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فِي التَّيَمُّمِ -فِيمَا وَجَدْتُ-؛ لأَنَّ هَذَا مَسْحٌ لاَ غُسْلٌ، وَإِنْ تَيَمَّمَ بِأُصْبُعٍ وَاحِدَةٍ فَلاَ يُجْزِئُهُ، وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعْلَقْ بِهِمَا شَيْءٌ مِنَ التُّرَابِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَسْمَحَ تُرَابَ التَّيَمُّمِ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يُصَلِّيَ، وَزَعَمَ أَنَّ التَّيَمُّمَ نُورُ الإِسْلاَمِ[1]، وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ فَرَخَّصَ فِي ذَلِكَ فِيمَا وَجَدْتُ عَنْهُ، وَقَالَ: لأَنَّهُ لَمْ يَمْسَحْهُ عَلَى جِهَةِ الرَّفْضِ بَلْ لِمَا يُؤْذِيهِ.

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْوِيَ بِالتَّيَمُّمِ صَلاَةَ فَرِيضَةٍ وَلاَ تَطَوُّعٍ، وَلَكِنْ يَنْوِي بِهِ رَفْعَ الْحَدَثِ وَطَهَارَةَ الصَّلاَةِ كَمَا قَدَّمْنَا، ثُمَّ لاَ يَنْتَقِضُ عَلَيْهِ حَتَّى يُحْدِثَ كَالْوُضُوءِ، إِلاَّ قَوْلٌ عَنِ الرَّبِيعِ وَجَابِرٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يَتَيَمَّمُ لِكُلِّ صَلاَةٍ كَمَا قَدَّمْنَا وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالتَّيَمُّمُ طُهُورٌ لِكُلِّ مُسَافِرٍ طَالَ سَفَرُهُ أَوْ قَصُرَ، وَكَذَلِكَ لِكُلِّ مَرِيضٍ يَخَافُ زِيَادَةَ الْمَرَضِ بِالْمَاءِ. وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً وَلاَ صَعِيدًا فَإِنَّهُ يَنْوِي الطَّهَارَةَ وَيُصَلِّي، خِلاَفًا لِبَعْضِ فُقَهَاءِ قَوْمِنَا فِي إِسْقَاطِهِمُ الصَّلاَةَ عَنْهُ[2]. وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي

---

(١) بَلْ بِالْعَكْسِ، فَهُوَ مَأْمُورٌ بِنَفْخِهِمَا قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ، لِحَدِيثِ عَمَّارٍ مِنْ رِوَايَةِ الشَّيْخَيْنِ قَالَ: اجْتَنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ مَاءً، فَتَمَعَّكْتُ فِي الصَّعِيدِ وَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا"، وَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَتَنْفُخُ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ. [رواه الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٧٠]. فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ مِنَ السُّنَّةِ لِمَنْ تَيَمَّمَ بِالتُّرَابِ أَنْ يَنْفُضَ يَدَيْهِ وَيَنْفُخَهُمَا مِنْهُ، وَلاَ يُعَفِّرَ بِهِ وَجْهَهُ. اهـ مُصَحِّحه

(٢) الْحَقُّ أَنَّ مَنْ عَدِمَ الْمَاءَ وَالصَّعِيدَ بِكُلِّ حَالٍ يُصَلِّي عَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَلاَ إِعَادَةَ عَلَيْهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلاَدَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاَةُ، فَصَلَّوا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا، فَوَاللهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُ

إِعَادَةِ صَلاَتِهِ إِذَا خَرَجَ الْوَقْتُ ثُمَّ وَجَدَ الْمَاءَ[١]، وَإِذَا وَجَدَ مِنَ الْمَاءِ مَا لاَ يَكْفِيهِ لِلْوُضُوءِ أَو الاغْتِسَالِ فَإِنَّهُ يَغْسِلُ مَذَاكِيرَهُ وَيَنْزِعُ النَّجَسَ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيَتَيَمَّمُ إِنْ كَانَ جُنُبًا، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ فَلْيَنْزِعِ النَّجَسَ وَيَتَيَمَّمْ لِلْوُضُوءِ، هَكَذَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا: جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، خِلاَفًا لِبَعْضِ فُقَهَاءِ قَوْمِنَا فِي أَمْرِهِمْ إِيَّاهُ بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِهِ وَالْعُدُولِ إِلَى التَّيَمُّمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَإِنْ قُطِعَتْ يَدُ الإِنْسَانِ مِنَ الْمِرْفَقِ يَتَيَمَّمُ لِوَجْهِهِ بِالأُخْرَى، يَضْرِبُ بِهَا ضَرْبَةً، ثُمَّ يَضْرِبُ بِهَا عَلَى الأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَيْهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَلاَ بَأْسَ أَنْ يَكُونَ لِلْمُتَيَمِّمِ تُرَابٌ مَوْضُوعٌ فِي شَيْءٍ يَتَيَمَّمُ بِهِ إِذَا كَانَ مَرِيضًا فِي حَضَرٍ أَوْ سَفَرٍ، وَهَكَذَا رُوِيَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حِينَ مَرِضَ بِالْفَالِجِ[٢] كَانَ لَهُ تُرَابٌ مَوْضُوعٌ فِي شَيْءٍ، فَكَانَ يَتَيَمَّمُ بِهِ[٣]، وَأَمَّا مَا لاَقَى يَدَ الْمُتَيَمِّمِ أَوْ وَجْهَهُ فَوَقَعَ فَلاَ تُيَمَّمُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى؛ لأَنَّهُ كَالْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ. وَإِنْ عَدِمَ الْمُتَيَمِّمُ التُّرَابَ عَدَلَ إِلَى رَمْلٍ، وَإِلاَّ فَلْيَدُقَّ حَجَرًا وَيَتَيَمَّمْ بِهِ، وَلاَ يَتَيَمَّمُ بِالتُّرَابِ النَّجِسِ، وَلاَ بِالْجَصِّ، وَلاَ بِالْجِبْسِ، وَلاَ بِالنُّورَةِ، وَلاَ بِالزِّرْنِيخِ، وَلاَ بِتُرَابِ النَّمْلِ، وَلاَ بِالتُّرَابِ النَّدِيِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

بَرَكَةَ [رواه البخاري، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ر٣٥٦٢]. فَهَؤُلاَءِ الصَّحَابَةُ صَلَّوْا حِينَ عَدِمُوا مَا جُعِلَ لَهُمْ طَهُورًا، وَشَكَوْا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالإِعَادَةِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهُوَ أَقْوَى الأَقْوَالِ دَلِيلاً. [شرح صحيح مسلم، ٤/ ٦٠].

(١) وَقِيلَ: لاَ تَجِبُ عَلَيْهِ الإِعَادَةُ وَإِنْ كَانَ الْوَقْتُ بَاقِيًا، لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: "خَرَجَ رَجُلاَنِ فِي سَفَرٍ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ، فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا، فَصَلَّيَا ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ، فَأَعَادَ أَحَدُهُمَا الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ، وَلَمْ يُعِدِ الآخَرُ، فَأَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ: "أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْزَأَتْكَ صَلاَتُكَ"، وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: "لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ". [رواه أبو داود، باب فِي الْمُتَيَمِّمِ يَجِدُ الْمَاءَ بَعْدَ مَا يُصَلِّي فِي الْوَقْتِ، ر٣٣٨].

(٢) [الفَالِجُ: ريح تأخذ الإنسان يرتعش منها، وصاحبه مفلوجٌ، (العين: لأبي عبد الرحمن الخليل، ص ٧٥٣)].

(٣) [انظر: أبو غانم الخراساني: المدونة الصغرى، ١/ ١٤١، والكبرى، ١/ ٣٢].

**الرُّكْنُ الرَّابِعُ**: فِي أَحْكَامِ التَّيَمُّمِ **[مفسداته]**، اعْلَمْ أَنَّ حُكْمَ التَّيَمُّمِ الطَّهَارَةُ مَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّلاَةِ فَقَدْ بَطَلَ، وَإِنْ دَخَلَ فِي الصَّلاَةِ ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ الصَّلاَةَ وَيَعْدِلُ إِلَى الْمَاءِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَإِنْ فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ ثُمَّ وَجَدَ الْمَاءَ فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ لَهُ الإِعَادَةُ[1]، وَإِنْ خَرَجَ الْوَقْتُ فَلاَ إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالَّذِي يُفْسِدُ التَّيَمُّمَ كَمَا قَدَّمْنَا هُوَ رُؤْيَةُ الْمَاءِ لِلْقَادِرِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ، وَالْحَدَثُ بَعْدَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَكَذَلِكَ لَوْ تَرَكَ فَرْضًا مِنْ فَرَائِضِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الرابع
## فِي الطَّهَارَةِ مِنَ الأَحْدَاثِ الْمُوجِبَةِ لِلاغْتِسَالِ

**وَهِيَ أَرْبَعٌ، أَحَدُهَا** : الْغُسْلُ[2] لإِنْزَالِ الْمَاءِ الدَّافِقِ كَيْفَ مَا كَانَ، مِنْ جِمَاعٍ أَوِ احْتِلاَمٍ، أَوْ مَغِيبِ حَشَفَةٍ فِي قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ، مِمَّنْ كَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَوْ مِنَ الْبَهَائِمِ، أَحْيَاءً كَانُوا أَوْ أَمْوَاتًا، ذُكُورًا كَانُوا أَوْ إِنَاثًا، حَلاَلاً كَانَ أَوْ حَرَامًا، **وَالثَّانِي** : انْقِطَاعُ

(١) [كما في حديث أبي سعيد الخدري، حيث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ "أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْزَأَتْكَ صَلاَتُكَ"، وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: "لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ". (وقد سبق تخريجه)].

(٢) [قال المحشي: "قوله أحدها: الغسل ... الخ: ظاهر هذه العبارة يقتضي أنّ الضمير في قوله: "وهي أربع" راجع إلى الطهارة، وأنّ هذا تقسيم للطهارة، وكلامه في الثاني والثالث والرابع يقتضي أنّ الضمير راجع إلى الأحداث الموجبة، وأنّ هذا التقسيم لها، والظاهر الأوّل؛ لأنّ هذا القسم معقود للطهارة، والأمر سهل؛ لأنّ تقسيم أحدهما يستلزم تقسيم الآخر، والله أعلم"].

دَمِ الْحَيْضِ، أَوِ اسْتِكْمَالُ وَقْتِهِ إِذَا كَانَتِ الاسْتِحَاضَةُ، **وَالثَّالِثُ**: انْقِطَاعُ دَمِ النِّفَاسِ، وَاخْتُلِفَ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْوِلاَدَةِ إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ ذَاتَ جَفَافٍ، **وَالرَّابِعُ**: الْمَوْتُ لِخُرُوجِ الرُّوحِ مِنَ الإِنْسَانِ الْمَأْمُورِ بِغَسْلِهِ، **وَالْخَامِسُ**: مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَهُوَ الإِسْلاَمُ، هَلْ يَجِبُ فِيهِ الْغُسْلُ عَلَى الْمُشْرِكِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ أَمْ لاَ؟، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

**وَمَسْنُونُ الْغُسْلِ خَمْسَةٌ**: الاغْتِسَالُ لِلْجُمُعَةِ، وَلِلإِحْرَامِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، وَلِدُخُولِ مَكَّةَ، وَلِلْعِيدَيْنِ، وَلِلْحِجَامَةِ.

**وَمُسْتَحَبَّاتُهُ سِتَّةٌ**: الاغْتِسَالُ لِلْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَالْمُزْدَلِفَةِ، وَلِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَلِلسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَلِمَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، وَلِلْمُسْتَحَاضَةِ إِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لِلْخُرُوجِ مِنَ الْحَيْضِ، وَلِلْمَرْأَةِ الْمُسِنَّةِ الآيِسَةِ مِنَ الْحَيْضِ إِذَا رَأَتِ الدَّمَ فَإِنَّهَا لاَ تَتْرُكُ الصَّلاَةَ، فَإِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا عَنْهَا اسْتُحِبَّ لَهَا الْغُسْلُ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: لاَ غُسْلَ عَلَى مَنْ غَسَّلَ الْمَيِّتَ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْوُضُوءُ، وَكَذَلِكَ الْمُسْتَحَاضَةُ لاَ غُسْلَ عَلَيْهَا بَعْدَ الأَوَّلِ.

**وَمَفْرُوضَاتُ الْغُسْلِ الْوَاجِبِ سِتَّةٌ**: أَحَدُهَا: النِّيَّةُ عِنْدَ التَّلَبُّسِ بِهِ، وَاسْتِصْحَابُ حُكْمِهَا فِي جَمِيعِهَا، وَعُمُومُ الْجَسَدِ بِالْغَسْلِ، وَإِمْرَارُ الْيَدِ مَعَهُ أَوَ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْيَدِ، وَكَوْنُ ذَلِكَ بِالْمَاءِ الْمُطْلَقِ، وَالْمُوَالاَةُ مَعَ الذِّكْرِ، وَاخْتُلِفَ فِي السَّادِسَةِ وَهِيَ الْمَضْمَضَةُ وَالاسْتِنْشَاقُ، فَقِيلَ: هُمَا فَرِيضَتَانِ فِي الاغْتِسَالِ الْوَاجِبِ، وَسُنَّتَانِ فِي الْوُضُوءِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

---

(١) الرَّاجِحُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - وُجُوبُ الاغْتِسَالِ عَلَيْهِ، لأَمْرِهِ ﷺ ثُمَامَةَ الْحَنَفِيَّ بِالاغْتِسَالِ حِينَ أَسْلَمَ. [رواه النسائي: السنن الكبرى، أبواب الغسل، باب ذكر ما يوجب الغسل وما لا يوجبه باب غسل الكافر إذا أسلم، ر١٩٤].

**وَمَسْنُونَاتُهُ سِتَّةٌ:** مَسْحُ الأُذُنَيْنِ، وَتَخْلِيلُ اللِّحْيَةِ، وَقِيلَ: هُوَ فَرْضٌ، وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ إِدْخَالِهِمَا فِي الإِنَاءِ وَإِنْ كَانَتَا طَاهِرَتَيْنِ، ثُمَّ غَسْلُ مَا بِهِ مِنَ الأَذَى، وَالْوُضُوءُ قَبْلَهُ، وَغَرْفُ الْمَاءِ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاثًا، وَالْبِدَايَةُ بِالْمَيَامِنِ قَبْلَ الْمَيَاسِرِ.

**وَفَضَائِلُهُ أَرْبَعٌ:** التَّسْمِيَةُ فِي أَوَّلِهِ، وَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى فِي أَثْنَاءِ غُسْلِهِ، وَالتَّعْجِيلُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَوْمٍ أَوْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، وَعَدَّ بَعْضُهُمْ غَرْفَ الْمَاءِ ثَلاثًا وَالْبِدَايَةَ بِالْمَيَامِنِ مِنَ الْفَضَائِلِ.

**وَمَكْرُوهَاتُهُ:** التَّنْكِيسُ فِي عَمَلِهِ، وَالإِكْثَارُ مِنْ صَبِّ الْمَاءِ فِيهِ، وَتِكْرَارُ الْمَغْسُولِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَوْ مَرَّةٍ إِذَا كَمُلَ، وَالاغْتِسَالُ فِي مَوْضِعِ الْخَلاءِ، وَالْكَلامُ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ الاغْتِسَالِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ الْمُتَقَدِّمَ يَنْحَصِرُ فِي **جُمْلَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا:** فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَالْكَلامُ فِيهِ يَنْحَصِرُ فِي **أَرْبَعَةِ فُصُولٍ، الْفَصْلُ الأَوَّلُ:** فِي مُوجِبِ الْغُسْلِ مِنَ الاحْتِلامِ، **وَالثَّانِي:** فِي مُوجِبِهِ مِنَ الْجِمَاعِ، **وَالثَّالِثُ:** فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِهِ، **وَالرَّابِعُ:** فِي أَحْكَامِهِ.

## [الجُمْلَةُ الأُولَى : فِي الغُسْلِ مِنَ الجَنَابَةِ]

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

# فِي الاحْتِلاَمِ

اعْلَمْ أَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ الدَّافِقِ مِنَ الإِنْسَانِ يُوجِبُ نَقْضَ الوُضُوءِ وَالطَّهَارَةِ، وَيَجِبُ مِنْ أَجْلِهِ الْغُسْلُ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[1]، وَلاَ تَنَازُعَ بَيْنَ النَّاسِ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا يَجِبُ الاغْتِسَالُ بِالْمَنِيِّ الدَّافِقِ الَّذِي لَهُ رَائِحَةٌ كَرَائِحَةِ الطَّلْعِ، وَهُوَ الثَّخِينُ الأَبْيَضُ، وَقَدْ يَصْفَرُّ مِنْ عِلَّةٍ، إِلاَّ أَنَّ الرَّائِحَةَ لاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُ، وَبِهِ تُوجَدُ اللَّذَّةُ وَتَنْقَطِعُ الشَّهْوَةُ، وَيَضْطَرِبُ الْقَضِيبُ وَيَقْذِفُ الْمَنِيَّ وَهُوَ الْجَنَابَةُ.

**وَالْمَذِيُّ**: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ قَبْلِ الانْتِشَارِ وَبَعْدَهُ، وَهُوَ رَقِيقٌ يَسِيلُ كَاللُّعَابِ.

**وَأَمَّا الْوَدِيُّ**: فَهُوَ الَّذِي يَخْرُجُ بَعْدَ الْبَوْلِ، وَيَكُونُ أَبْيَضَ، وَالْمَنِيُّ يَجِبُ مِنْهُ الْغُسْلُ بِالإِجْمَاعِ، وَالْمَذِيُّ يَجِبُ مِنْهُ الْوُضُوءُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "الْوُضُوءُ مِنَ الْمَذِيِّ"[2]، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: "كُلُّ فَحْلٍ يَمْذِي، وَكُلُّ امْرَأَةٍ تَمْذِي، فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَغْسِلْ مَذَاكِيرَهُ بِالْمَاءِ وَلْيَتَوَضَّأْ"[3]، وَقَالَ عَلِيٌّ: "أَنَا

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) [رواه الربيع، باب فيما يكون منه غسل الجنابة، ر١٠٢، بلفظ: "الوضوء من المذي، والغسل من المني"].

(٣) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، ر١٨١].

الْفَحْلُ الْمَذَّاءُ". وَالْوَدِيُّ يَجِبُ مِنْهُ الْوُضُوءُ أَيْضًا، وَقَالَ بَعْضٌ فِي الْمَذِيِّ أَيْضًا: يَجِبُ فِيهِ الْغُسْلُ، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ.

وَاخْتُلِفَ فِي الأَثَرِ فِيمَنِ اسْتَيْقَظَ فَوَجَدَ عَلَى فِرَاشِهِ أَوْ فِي فَخِذِهِ بَلَلاً، أَوْ رَأَى رُؤْيَا، فَقَالَ بَعْضٌ: يَجِبُ عَلَيْهِ الْغُسْلُ، إِلاَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مَذْيٌ لَيْسَ بِمَنِيٍّ، وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: "إِنِّي بَيْنَمَا أَسِيرُ عَلَى رَاحِلَتِي إِذْ ذَكَرْتُ نَفْسِي وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَوَجَدْتُ بَلَلاً، فَقَالَ: اغْسِلْ فَرْجَكَ وَمَا أَصَابَ مِنْكَ"، وَلَمْ يَأْمُرْنِي بِالْغُسْلِ[1]، وَقَالَ بَعْضٌ: إِنَّهُ يَشُمُّ رَائِحَتَهُ، والاحْتِيَاطُ فِي هَذَا أَنْ يَغْتَسِلَ. وَإِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَغْشَى ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَلَمْ يَجِدْ بَلَلاً فَلَيْسَ عَلَيْهِ غُسْلٌ، فَزُعِمَ فِي بَعْضِ أَثَرِ أَصْحَابِنَا أَنَّ هَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَا لَمْ يَسْتَيْقِنْ فَلاَ غُسْلَ عَلَيْهِ إِلاَّ الْوُضُوءَ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه ابن أبي شيبة، في الرجل يَرَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ احْتَلَمَ، وَلاَ يَرى بَلَلاً، ر٨٥٥].

(٢) وَهُوَ الْحَقُّ إِنْ شَاءَ اللهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ" [رواه الربيع، باب فيما يكون منه غسل الجنابة، ر١٣٥]، وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلَمْ يَجِدِ الْبَلَلَ، فَقَالَ: "لاَ غُسْلَ عَلَيْهِ" [رواه أبو داود، باب في الرجل يجد البلة في منامه، ر٢٣٦]، وَسَأَلَتْهُ ﷺ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ، فَقَالَ: "لَيْسَ عَلَيْهَا غُسْلٌ حَتَّى تُنْزِلَ، كَمَا أَنَّ الرَّجُلُ لَيْسَ عَلَيْهِ غُسْلٌ حَتَّى يُنْزِلَ" [رواه ابن ماجه، باب في المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، ر٦٠٢].

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي مُوجِبِ الْغُسْلِ مِنَ الْجِمَاعِ

وَيَحْصُلُ الْغُسْلُ مِنَ الْجِمَاعِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ بِاتِّفَاقٍ مِنْ أَصْحَابِنَا وَكَثِيرٍ مِنْ مُخَالِفِيهِمْ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ أَنْزَلَ أَوْ لَمْ يُنْزِلْ"(١)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ ﷺ: "إِذَا قَعَدَ الرَّجُلُ بَيْنَ شِعَابِ الْمَرْأَةِ الأَرْبَعِ وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ أَنْزَلَ أَوْ لَمْ يُنْزِلْ"(٢)، وَالْتِقَاءُ الْخِتَانَيْنِ لاَ يَصِحُّ إِلاَّ بَعْدَ غُيُوبِ الْحَشَفَةِ، وَيَلْتَقِي خِتَانُهُ وَخِتَانُهَا، ثُمَّ لَيْسَ الْمَقْصُودُ الْخِتَانَ، بَلْ لَوْ قُطِعَتِ الْحَشَفَةُ فَغِيبَ مِثْلُهَا وَجَبَ الْغُسْلُ، وَكَذَلِكَ لَوْ أَوْلَجَ فِي فَرْجِ امْرَأَةٍ مَيِّتَةٍ، أَوْ بَهِيمَةٍ، أَوْ فِي الدُّبُرِ وَلاَ خِتَانَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ لَوْ فَعَلَتْهُ امْرَأَةٌ بِذَكَرِ بَهِيمَةٍ، وَإِنْ كَانَ الْجِمَاعُ فِي الْفَخِذِ أَوْ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ فَلاَ غُسْلَ عَلَى الْوَاطِئِ وَلاَ عَلَى الْمَوْطُوءَةِ إِلاَّ بِالإِنْزَالِ، وَإِنَّ عُدِمَ الْبُلُوغُ فِيهِمَا فَلاَ غُسْلَ عَلَيْهِمَا، إِلاَّ أَنَّهُمَا يُؤْمَرَانِ بِهِ عَلَى جِهَةِ التَّدْرِيبِ وَالتَّعَلُّمِ لِلْغُسْلِ.

وَاخْتُلِفَ فِي الْكَبِيرَةِ يَطَؤُهَا الصَّغِيرُ، وَالأَصَحُّ وُجُوبُ الْغُسْلِ، وَإِنْ وَطِئَ الْكَبِيرُ صَغِيرَةً مِمَّنْ تُؤْمَرُ بِالصَّلاَةِ فَقَوْلاَنِ.

---

(١) [رواه الربيع، باب فيما يكون منه غسل الجنابة، ر١٣٥].

(٢) [رواه الربيع، باب فيما يكون منه غسل الجنابة، ر١٣٤].

## [فِي الْمَرْأَةِ تَرَى مَا يَرَاهُ الرَّجُلُ]

وَاخْتُلِفَ فِي الْمَرْأَةِ تَرَى مَا يَرَاهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ أَكْثَرُ مُخَالِفِينَا فِيمَا وَجَدْتُ عَنْهُمْ: عَلَيْهَا الْغُسْلُ إِذَا أَنْزَلَتْ[1]، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ بَرَكَةَ الْعُمَانِيُّ[2]، وَوَجَدْتُ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا أَنَّ الاحْتِلاَمَ لِلرِّجَالِ وَالْمَحِيضَ لِلنِّسَاءِ، وَبِهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ[3]، وَوَجَدْتُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخعِيِّ مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنِ الرَّبِيعِ رحمه الله مِثْلُ ذَلِكَ، وَقَالَ: "لاَ غُسْلَ عَلَى النِّسَاءِ إِلاَّ مِنْ جِمَاعٍ أَوْ مِنْ طُهْرِ حَيْضٍ"[4]، وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: يَلْزَمُهَا الْغُسْلُ إِذَا أَنْزَلَتْ بِاخْتِيَارٍ مِنْهَا أَوْ بِعِلاَجٍ، ذَكَرَهُ ابْنُ بَرَكَةَ فِي كِتَابِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[5].

---

(١) وَهُوَ الْحَقُّ -إِنْ شَاءَ اللهُ-، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ" [سبق تخريجه]، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: "نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ" [رواه الربيع، باب جامع الوضوء، ر١٣٧].

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٣) أَبُو عُبَيْدَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ: مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي، وَمِنْ تَلاَمِيذِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ، كَانَ يُلَقَّبُ بِأَبِي عُبَيْدَةَ الصَّغِيرِ تَمْيِيزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ. قَالَ الشَّمَاخِيُّ: "كَانَ مِمَّنْ حَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الرِّهَانِ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَخَاضَ فِي بُحُورِ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى شَابًّا وَكَهْلاً" [السير، ١/ ٩٤]، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ بِمَكَّةَ بَيْدَ أَنَّهُ كَانَ عَزَبًا، فَسَعَى لَهُ أَصْحَابُهُ فِي تَزَوُّجِ امْرَأَةٍ صَالِحَةٍ مُوسِرَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لاَ تُكَلِّفُهُ مَؤُونَةً، فَقَالَ: إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ ذَاكَ فَأَبْلِغُوا بِمَهْرِهَا مَهْرَ مِثْلِهَا وَلاَ تُنْقِصُوهَا شَيْئًا، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا وَدَخَلَ بِهَا طَابَتْ لَهُ نَفْسًا عَنِ الصَّدَاقِ، وَكَانَ بِمَكَّةَ حِينَ مَاتَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، فَأُخِذَتْ عَلَى النَّاسِ أَبْوَابُ الْمَسْجِدِ لِلْبَيْعَةِ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْفَضْلُ بْنُ جُنْدُبٍ وَوَائِلٌ وَعَلِيٌّ الْحَضْرَمِيُّ، فَلَطَفَ اللهُ بِهِمْ فَنَجَوْا، فَقِيلَ لأَبِي عُبَيْدَةَ: لَوْ أُخِذْتَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ: تَذْهَبُ وَاللهُ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أُعْطِيَهُمُ الْبَيْعَةَ. وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ وَرَعِهِ وَعَدَمِ هَوَادَتِهِ فِي الْحَقِّ؛ لأَنَّ الْبَيْعَةَ لاَ تُؤْخَذُ غِلاَبًا، وَلَكِنْ بِاخْتِيَارٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اهـ مُصَحَّحه

(٤) [انظر: الكندي: المصنف، ٤/ ٣٣٨].

(٥) [الجامع، ١/ ٣٢٣].

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "عَلَيْهَا الْغُسْلُ إِذَا أَنْزَلَتْ"[1]، وَوَجَدْتُ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْجُنُبِ يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ بَعْدَ الْغُسْلِ أَنَّهُ يَتَوَضَّأُ. وَأَظُنُّ بَعْضَهُمْ قَالَ: إِنْ كَانَ بَالَ قَبْلَ ذَلِكَ تَوَضَّأَ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبُلِ اغْتَسَلَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: "بَلَغَنِي أَنَّ أُمَّ سَلِيمٍ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ" [سبق تخريجه].

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# فِي كَيْفِيَّةِ الْغُسْلِ

وَالْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَرْضٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَلاَ عُذْرَ لِمَنْ جَهِلَهُ، وَهِيَ أَمَانَةٌ يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَصِحُّ مَعَ الْجَنَابَةِ عِنْدَنَا صَوْمٌ وَلاَ صَلاَةٌ إِلاَّ بِعُذْرٍ يُبِيحُ التَّيَمُّمَ، وَمَنْ أَرَادَ الْغُسْلَ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ أَنْ لاَ يَغْتَسِلَ حَتَّى يَسْتَبْرِئَ مِنَ الْبَوْلِ، وَإِنِ اغْتَسَلَ وَلَمْ يُرِقِ الْبَوْلَ، ثُمَّ صَلَّى فَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِنَّهُ يُعِيدُ الْغُسْلَ دُونَ الصَّلاَةِ.

ثُمَّ إِذَا أَرَادَ الْغُسْلَ قَدَّمَ النِّيَّةَ وَنَوَى أَنْ يَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ فَرِيضَةً افْتَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِ طَاعَةً لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَاخْتُلِفَ فِيهِ إِذَا اغْتَسَلَ تَبَرُّدًا بِغَيْرِ نِيَّةٍ، ثُمَّ عَلِمَ بِالْجَنَابَةِ، قَالَ بَعْضٌ: يُجْزِئُهُ، وَقَالَ بَعْضٌ: لاَ يُجْزِئُهُ، وَقَالَ الْجُمْهُورُ: إِنَّهُ لاَ يُجْزِئُهُ لِعَدَمِ النِّيَّةِ.

وَمِمَّا يُؤْثَرُ عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَيْفِيَّةِ غُسْلِهِ أَنَّهُ ﷺ يَغْسِلُ يَدَيْهِ وَكَفَّيْهِ، ثُمَّ يُفْرِغُ الْمَاءَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى فَيَغْسِلُ بِهَا عَوْرَتَهُ، ثُمَّ يَمْسَحُ يَدَهُ الْيُسْرَى بِالأَرْضِ، ثُمَّ يَغْسِلُهَا، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وُضُوءَ الصَّلاَةِ غَيْرَ الْقَدَمَيْنِ، ثُمَّ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى جِسْمِهِ، ثُمَّ يَتَنَحَّى عَنْ مَكَانِهِ وَيَغْسِلُ قَدَمَيْهِ[1]، وَهَكَذَا الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَإِنْ أَخَّرَ الْوُضُوءَ حَتَّى يَغْتَسِلَ فَلاَ بَأْسَ، وَكَذَلِكَ إِنْ وَقَعَ فِي نَهْرٍ فَبَدَأَ بِالْغُسْلِ قَبْلَ الْوُضُوءِ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا:

(١) [رواه البخاري، كتاب الغسل، باب المضمضة والاستنشاق في الجنابة، ر٢٥٦].

يَبْدَأُ الْمُغْتَسِلُ بَعْدَ الْمَضْمَضَةِ وَالاسْتِنْشَاقِ بِشِقِّ رَأْسِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ، وَوَجْهِهِ وَعُنُقِهِ، ثُمَّ يَدِهِ الْيُمْنَى وَمَا يَلِيهَا، ثُمَّ الْيُسْرَى وَمَا يَلِيهَا، ثُمَّ ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ ثُمَّ رِجْلَيْهِ، وَيُعَرِّكُ بَدَنَهُ بِيَدِهِ أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا، وَإِنْ قَدَّمَ جَارِحَةً قَبْلَ الأُخْرَى فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ بِلاَ أَنْ يُؤْمَرَ بِذَلِكَ.

**وَأَقَلُّ الْغُسْلِ**: النِّيَّةُ، وَاسْتِيعَابُ الْبَدَنِ بِصَبِّ الْمَاءِ، مَعَ إِمْرَارِ الْيَدِ وَالْعَرْكِ، مَعَ إِيصَالِ الْمَاءِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ وَإِنْ كَثُفَتْ؛ لأَنَّهُ قِيلَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: "تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ، فَبُلُّوا الشَّعْرَ وَأَنْقُوا الْبَشَرَ"(١)، وَيُخَلِّلُ الرَّجُلُ لِحْيَتَهُ، وَلاَ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ نَقْضُ ضَفَائِرِهَا، بَلْ تَحْثِي عَلَيْهَا الْمَاءَ وَتَضْغَطُهَا بِيَدِهَا، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ(٢).

وَالأَكْمَلُ كَمَا قَدَّمْنَا أَنْ يَبْدَأَ بِغَسْلِ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُزِيلُ مَا عَلَى بَدَنِهِ مِنْ أَذًى، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وُضُوءَ الصَّلاَةِ – وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحْدِثًا –، وَيُؤَخِّرُ غَسْلَ الرِّجْلَيْنِ إِلَى آخِرِ الْغُسْلِ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ، وَيَفْعَلُهُ فِي مَكَانِهِ مِنَ الْوُضُوءِ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ، ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ يُكَرِّرُهُ ثَلاَثًا، وَيَضْغَطُهُ فِي كُلِّ دَفْعَةٍ بَعْدَ الْمَضْمَضَةِ وَالاسْتِنْشَاقِ.

وَأَمَّا الْقَدْرُ الَّذِي يُغْتَسَلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ فَغَيْرُ مَحْدُودٍ وَلاَ مُقَدَّرٍ؛ لأَنَّهُ قَدْ يُرْفَقُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِي، وَيُحْرَقُ بِالْكَثِيرِ فَلاَ يَكْفِي، وَإِنْ كَانَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ "يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"(٣)، وَالأَصْلُ فِي هَذَا الإِنْقَاءُ وَالنَّظَافَةُ. وَإِنْ مَسَّ عَوْرَتَهُ بَعْدَ التَّوَضُّؤِ فِي حَالِ الْغُسْلِ فَلْيُعِدِ الْوُضُوءَ، وَقَدْ وَجَدْتُ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ رحمه الله أَنَّ

(١) [رَوَاهُ الرَّبِيع، باب في كيفية الغسل من الجنابة، ر١٣٩].

(٢) [إذ جاءت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تستفتيه لامرأة تشدّ شعر رأسها هل تنقضه لغسل الجنابة، فقال - صلى الله عليه وسلم -: "يكفيها أن تحثي عليه ثلاث حفنات من ماء، واغمزي قرونك عند كلّ حثية، ثمّ تفيضين عليك من الماء وتطهرين"، (رواه الربيع، باب في كيفية الغسل من الجنابة، ر ١٤١].

(٣) [رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، ر١٩٨].

الْجُنُبَ إِذَا غَسَلَ مَوَاضِعَ النَّجَسِ فِي مَبْدَئِهِ، ثُمَّ أَنْقَى جَمِيعَ جَسَدِهِ بِالْغُسْلِ فَلاَ بَأْسَ بِذَلِكَ، قَالَ: وَأَيُّ الْوُضُوءِ[1] أَفْضَلُ مِنَ الاغْتِسَالِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

(١) هَكَذَا يُوجَدُ فِي النُّسْخَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا، وَلَعَلَّ تَصْحِيحَ الْعِبَارَةِ: "وَإِنَّ الْوُضُوءَ أَفْضَلُ قَبْلَ الاغْتِسَالِ"، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الفَصْلُ الرَّابِعُ

# فِي أَحْكَامِ الْجَنَابَةِ

اعْلَمْ أَنَّ حُكْمَ الْجَنَابَةِ حُكْمُ الْحَدَثِ، مَعَ زِيَادَةِ تَحْرِيمِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَرَخَّصَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقْرَأَ الآيَةَ وَنَحْوَهَا لِلتَّعَوُّذِ.

وَعَرَقُ الْجُنُبِ وَسُؤْرُهُ طَاهِرٌ[1]، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ جَسَدِهِ إِلاَّ مَوْضِعَ النَّجَاسَةِ، لِحَدِيثِ حُذَيْفَةَ: امْتَنَعَ مِنْ مُصَافَحَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لاَ يَنْجُسُ حَيًّا وَلاَ مَيِّتًا"[2] فَأَخْرَجَ يَدَهُ، فَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الصَّلاَةِ.

وَيُكْرَهُ لِلْجُنُبِ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ أَوْ يَنَامَ مَا لَمْ يَغْسِلْ فَرْجَهُ وَيَتَوَضَّأْ وُضُوءَ الصَّلاَةِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِعُمَرَ ﷺ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الْجُنُبِ أَيَنَامُ؟ فَقَالَ: "تَوَضَّأْ وَاغْسِلْ رَأْسَ ذَكَرِكَ"[3]، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ وُضُوءَ الصَّلاَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ غَسْلَ يَدَيْهِ[4]. وَرَخَّصَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَغْسِلَ يَدَيْهِ وَفَاهُ وَيَأْكُلَ وَيَشْرَبَ، وَرُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَائِنَا، وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ فَإِنَّهُ قَالَ: "يُسْتَحَبُّ لِلْجُنُبِ أَنْ لاَ

(١) الصَّوَابُ "طَاهِرَانِ".

(٢) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في الجنب يصافح، ر٢٣١، بلفظ: "إن المسلم لا ينجس"].

(٣) [رواه الربيع، باب في كيفية الغسل من الجنابة، ر١٤٥].

(٤) [هو قول للإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، رواه الربيع، بعد الحديث السابق، ر١٤٥].

يَتَكَلَّفَ حَاجَةً حَتَّى يَتَوَضَّأَ وُضُوءَ الصَّلاَةِ"، وَمِثْلُهُ عَنْ ضُمَامٍ ﷺ[1]، وَأَمَّا أَبُو نُوحٍ ﷺ[2] فَرَخَّصَ فِيهِ.

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لاَ يَنْزِعَ شَعْرًا وَلاَ يُقَلِّمَ ظُفُرًا مَا لَمْ يَغْتَسِلْ، وَأَمَّا مُعَاوَدَةُ أَهْلِهِ قَبْلَ الْغُسْلِ فَلاَ بَأْسَ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.
(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ كَذَلِكَ.

# الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ
## فِي أَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِمَا

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعَةِ فُصُولٍ:

### الْفَصْلُ الْأَوَّلُ
## فِي مَعْرِفَةِ أَنْوَاعِ الدِّمَاءِ الْخَارِجَةِ مِنَ الْأَرْحَامِ

اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ فِيمَا عَلِمْتُ عَلَى أَنَّ الدِّمَاءَ الْخَارِجَةَ مِنَ الرَّحِمِ ثَلَاثَةٌ:

**أَحَدُهَا: دَمُ الْحَيْضِ**، وَهُوَ الْخَارِجُ عَلَى جِهَةِ الصِّحَّةِ، مُتَمَيِّزٌ مِنْ غَيْرِهِ مَعْرُوفٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "دَمُ الْحَيْضِ أَسْوَدُ ثَخِينٌ، لَهُ رَائِحَةٌ وَلَوْنٌ يُعْرَفُ بِهِ مُنْتِنٌ آسِنٌ[1]، لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ الثَّوْبِ، مَعْرُوفٌ بِلَوْنِهِ عِنْدَ النِّسَاءِ مِنْ سَائِرِ الدِّمَاءِ[2] فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، وَإِذَا كَانَ الْآخَرَ فَاغْتَسِلِي وَصَلِّي"[3]. وَعِنْدَ مَشَايِخِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَى الْمَرْأَةِ فَلْتُنَاظِرْهُ

(١) [آسن: أسَنَ: إذا تغير طعمه ورائحته].

(٢) [في نسخة: من سَائِرِ الدَّم].

(٣) [رواه أبو داود بلفظ آخر، كتاب الصلاة، باب من قال إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة، ر٢٨٦].

بِمَا كَانَ أَحْمَرَ شَدِيدَ الْحُمْرَةِ، كَالدَّمِ الأَوَّلِ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَدَمِ الْحَلَمَةِ وَالْخزْفَةِ الأَوَّلِيَّةِ، وَالأُرْجُوَانِ الْمِصْرِيِّ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

**وَالثَّانِي : دَمُ الاسْتِحَاضَةِ**، وَهُوَ الْخَارِجُ مِنَ الرَّحِمِ مِنْ جِهَةِ الْمَرَضِ، وَهُوَ دَمٌ أَحْمَرُ رَقِيقٌ لاَ رَائِحَةَ لَهُ، مُتَمَيِّزٌ لَوْنُهُ عَنْ لَوْنِ دَمِ الْحَيْضِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّمَا ذَلِكَ دَمُ عِرْقٍ وَلَيْسَ بِحَيْضٍ"[1].

**وَالثَّالِثُ : دَمُ النِّفَاسِ**: وَهُوَ الدَّمُ الْخَارِجُ مِنَ الْفَرْجِ بِسَبَبِ الْوِلاَدَةِ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ خَارِجٍ عَنْهَا[2].

وَلِهَذِهِ الدِّمَاءِ أَحْكَامٌ سَتَأْتِي فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُتَعَبِّدَةِ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الدِّمَاءِ لِتَمْتَثِلَ مَا تُعُبِّدَتْ بِهِ مِنَ الْفُرُوضِ عَلَى يَقِينٍ، وَتَتْرُكَ الْمَحْظُورَ عَلَيْهَا فِي حَالِ ظُهُورِ هَذِهِ الدِّمَاءِ عَلَيْهَا بِيَقِينٍ، كَمَا أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى الْمُتَعَبِّدِينَ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَعْرِفُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الأَحْدَاثِ الطَّارِئَةِ عَلَيْهَا مِنَ الْمَنِيِّ وَالْمَذِيِّ وَالْوَدِيِّ وَغَيْرِهَا؛ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعَبَّدَ الْكُلَّ بِفُرُوضٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَنَصَبَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا أَدِلَّةً لِيُتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى امْتِثَالِهَا بِيَقِينٍ، وَجَعَلَ فِي الْمَرْأَةِ دِمَاءً أَرْبَعَةً، أَحَدُهَا: دَمُ الْجَسَدِ يَشْتَرِكُ فِيهِ الذَّكَرُ وَالأُنْثَى، وَالثَّلاَثَةُ هِيَ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا خَالِفٌ[3] بَيْنَ أَحْكَامِهَا كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

---

(١) رَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: لاَ أَطْهُرُ أَفَأَدَعُ الصَّلاَةَ؟ فَقَالَ لَهَا: "إِنَّمَا ذَلِكَ دَمُ عِرْقٍ نَجِسٌ لَيْسَ بِحَيْضَةٍ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَاتْرُكِي لَهَا الصَّلاَةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ وَذَهَبَ قَدْرُهَا فَاغْسِلِي الدَّمَ عَنْكِ وَصَلِّي" [باب في المستحاضة، ر٥٥٢].

(٢) الأولَى (عَنْهُ)، أَيْ: عَنِ الْمَرَضِ.

(٣) وَفِي نُسْخَةٍ (خِلاَف)، وَلَعَلَّ كَلِمَةَ مَعَ سَقَطَتْ مِنَ الْعِبَارَةِ، أَيْ: مَعَ خِلاَفٍ بَيْنَ أَحْكَامِهَا.

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي أَحْكَامِ الْحَيْضِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ وَالْمَمْنُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ

**وَهِيَ خَمْسَةٌ**[1]:

**أَحَدُهَا فِي حَدِّ الْحَيْضِ**: وَهُوَ عَلَى مَا حَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ: الدَّمُ الْخَارِجُ مِنَ الْمَرْأَةِ الْيَافِعَةِ وَمَنْ فَوْقَهَا فِي السِّنِّ، إِلَى نِهَايَةِ تَقْصُرُ عَنْ سِنِّ الْيَائِسَةِ، فِي مُدَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَمَا دُونَهَا إِلَى سَاعَةٍ، مِنْ غَيْرِ وِلاَدَةٍ وَلاَ مَرَضٍ[2]. فَذَكَرَ الْيَافِعَةَ احْتِرَازًا عَنْ مَنْ قَصُرَ سِنُّهَا عَنْ ذَلِكَ، كَبِنْتِ خَمْسٍ أَوْ سِتٍّ سِنِينَ، إِذْ ذَاكَ مَرَضٌ وَلَيْسَ بِحَيْضٍ، وَكَذَلِكَ بِنْتُ السَّبْعِينَ وَالثَّمَانِينَ، وَبَاقِي الْحَدِّ احْتِرَازٌ عَنِ النِّفَاسِ وَالاسْتِحَاضَةِ.

**وَالثَّانِي فِي مُدَّةِ الْحَيْضِ**: وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي ذَلِكَ، وَالَّذِي يُوجِبُهُ النَّظَرُ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّتِهِ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الْعِبَادَاتِ غَيْرُ مَحْدُودٍ بِتَقْيِيدٍ مَضْبُوطٍ؛ لأَنَّ الدَّفْعَةَ الْوَاحِدَةَ تَكُونُ حَيْضًا إِذَا فَاضَتْ مِنَ الْفَرْجِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَيْضَةً مَعْدُودَةً فِي الْعِدَّةِ وَالاسْتِبْرَاءِ، إِذِ الْعِبَادَةُ لاَ تُتْرَكُ إِلاَّ بِعِلْمٍ مُتَيَقَّنٍ بِهِ سُقُوطُهَا عَنِ الْمُتَعَبِّدِ، وَالْمُبَاحُ

(١) [قال المحشي: "قوله وهي خمسة ... الخ: الذي ظفرنا به من الخمسة في كلامه -رحمه الله- ثلاثة: حكمان في المتعلّقة به، وحكم في الممنوعة من أجله، نعم الممنوعة من أجله قسمها خمسة أقسام، فإن كان قد اعتبر ذلك صارت الأحكام سبعة فليحرّر، وأيضا في جعل الحدّ وهو التعريف حكما من أحكام الحيض نظر، إذ الحكم على الشيء فرع تصوّره، فلو قال -مثلا-: في حدّ الحيض وأحكامه، لكان أظهر"].

(٢) الْمُعْتَمَدُ وَالْمُفْتَى بِهِ عِنْدَنَا مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ قَرِيبًا فِي كَلاَمِ الْمُصَنِّفِ.

الأَخْذُ فِيهِ بِالْحَوْطَةِ أَوْثَقُ[١]، وَيَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا فِي الْحَيْضِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاَةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْتَسِلِي وَصَلِّي"[٢].

وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَكْثَرِ أَصْحَابِنَا: الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ وَمُوسَى بْنِ عَلِيٍّ[٣] وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيِّ[٤] وَغَيْرِهِمْ أَنَّ أَقَلَّ الْحَيْضِ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، وَأَكْثَرُهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ،

(١) قَالَ الْمُحَشِّي مَا خُلاَصَتُهُ: يَعْنِي أَنَّ الدَّفْعَةَ الْوَاحِدَةَ تَتَيَقَّنُ أَنَّهَا حَيْضٌ حَيْثُ ظَهَرَتْ عَلاَمَاتُهُ، فَتَتْرُكُ الْعِبَادَةَ لأَجْلِ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَتْ تُعِيدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا انْقَطَعَ قَبْلَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ عَلَى الرَّاجِحِ، وَلَمْ تُعْتَبَرْ فِي الْعِدَّةِ وَالاَسْتِبْرَاءِ؛ لأَنَّ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا أَمْرٌ مُبَاحٌ وَهُوَ التَّزْوِيجُ وَالْوَطْءُ، فَيَحْتَاطُ لَهُ وَيُرَاعِي قَوْلَ مَنْ قَالَ مَثَلاً: "أَقَلُّ الْحَيْضِ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ". اهـ. هَذَا كُلُّهُ تَوْضِيحٌ لِعِبَارَةِ الْمُصَنِّفِ وَبَيَانِ غَرَضِهِ، أَمَّا تَحْقِيقُ الْمَسْأَلَةِ فَقَدْ قَالَ: إِنَّ الأَصْلَ فِي الشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ جَارِيًا عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَكُونُ الْحَيْضُ فِي الْعِدَّةِ وَالاسْتِبْرَاءِ وَالْعِبَادَةِ شَيْئًا وَاحِدًا، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: "إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ" إِلَخْ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْحَيْضَةَ الْمُعْتَبَرَةَ، وَهِيَ مَا بَيْنَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَعَشَرَةٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: "أَقَلُّ الْحَيْضِ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، وَأَكْثَرُهُ عَشَرَةٌ" [رواه الربيع، باب في الحيض، ر٥٤١]؛ وَلأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ وَظَهَرَتْ أَمَارَاتُهَا أَنْ تَتْرُكَ الصَّلاَةَ وَالصَّوْمَ وَمَا يَحْرُمُ عَلَى الْحَائِضِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ وَجَبَ عَلَيْهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وَتُصَلِّي، لَكِنْ إِذَا أَدْبَرَتْ بَعْدَ الثَّلاَثَةِ فَإِنَّهَا تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي مَا يَسْتَقْبِلُ فَقَطْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ قَبْلَ الثَّلاَثَةِ فَإِنَّهَا تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي مَا مَضَى أَيْضًا؛ لأَنَّهُ كَشَفَ الْغَيْبُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِحَيْضٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "أَقَلُّ الْحَيْضِ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ"، وَالْحَدِيثُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَإِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا عَامًّا وَالآخَرُ خَاصًّا وَجَبَ حَمْلُ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه

(٢) هَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْمُصَنِّفِ ﷺ مُخَالِفٌ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِنَا، وَقَدْ نَصَّ الشَّيْخُ عَامِرٌ فِي الإِيضَاحِ عَلَى أَنَّهُ قَوْلٌ شَاذٌّ. [١/ ١٩٤]. [والحديث سبق تخريجه].

(٣) قَاضِي الْمُسْلِمِينَ مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ: هُوَ قَاضِي الْمِصْرِ وَقُدْوَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ، أَبُو عَلِيٍّ مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ: صَاحِبُ الْجَامِعِ الْمَشْهُورِ بِجَامِعِ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي بِعُمَانَ، كَانَ قَاضِيًا لِلإِمَامِ الْمُهَنَّا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَاضِيَ الإِمَامِ هُوَ شَيْخُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ وَمَرْجِعُ الْفَتْوَى فِي الإِمَامَةِ، وَرَأْسُ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، وَلِذَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ فِي أَمْرِ الإِسْلاَمِ مِنْ بَيْعَةٍ وَخُلْعٍ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَى عُمَانَ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي إِمَامَةِ الْمَغْرِبِ الرُّسْتُمِيَّةِ، فَقَاضِي الإِمَامِ هُوَ شَيْخُ الْمُسْلِمِينَ، بَايَعَ [الشَّيْخُ] مُوسَى بِمَشُورَةِ الْمُسْلِمِينَ الإِمَامَ الْمُهَنَّا، وَهُوَ الَّذِي قَامَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَمْرِ الدَّوْلَةِ لَمَّا أَسَنَّ وَضَعُفَ الإِمَامُ عَبْدُ الْمَلِكِ الطَّوِيلُ، وَكَانَ يَرَى إِمَامَتَهُ ثَابِتَةً، وَلَمْ يَسْتَحِلَّ عَزْلَهُ حَتَّى مَاتَ، تُوُفِّيَ ﷺ سَنَةَ ٢٣٠هـ فِي أَوَاخِرِ إِمَامَةِ الْمُهَنَّا بْنِ جَيْفَرٍ، يَعْنِي قَبْلَ مَوْتِ هَذَا الإِمَامِ بِسَبْعِ سَنَوَاتٍ، وَالْبَقَاءُ لِلهِ وَحْدَهُ.

(٤) لَمْ أَعْثُرْ عَلَى تَرْجَمَتِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْهُ ﷺ: "أَقَلُّ الْحَيْضِ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، وَأَكْثَرُهُ عَشَرَةٌ"[1]، فَمَا دُونَ الثَّلاَثَةِ لَيْسَ بِحَيْضٍ وَلاَ حُكْمَ لَهُ فِي تَرْكِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ عِدَّةٍ، فَإِنَّمَا هُوَ غَيْضُ الأَرْحَامِ، وَكَذَلِكَ مَا فَوْقَ الْعَشَرَةِ الأَيَّامِ عِنْدَهُمْ لَيْسَ بِحَيْضٍ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ فِيمَا وَجَدْتُ، وَالأَوَّلُ مَرْوِيٌّ عَنْ مَالِكٍ أَيْضًا، وَعَنْهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: مُبْتَدِئَةٍ وَمُعْتَادَةٍ، فَالْمُبْتَدِئَةُ عِنْدَهُ تَتْرُكُ الصَّلاَةَ بِرُؤْيَةِ دَمٍ تَرَاهُ إِلَى تَمَامِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَإِنْ لَمْ يَنْقَطِعْ صَلَّتْ وَكَانَتْ مُسْتَحَاضَةً، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ أَيْضًا، إِلاَّ أَنَّ أَقَلَّ الْحَيْضِ عِنْدَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَزَّانُ بْنُ الصَّقْرِ[2] وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا أَيْضًا فَأَكْثَرُ الْحَيْضِ عِنْدَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَاخْتَلَفُوا فِي أَقَلِّهِ، فَقِيلَ: ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: يَوْمَانِ، وَقِيلَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَلَهُمْ حُجَجٌ تَرَكْتُهَا مَخَافَةَ التَّطْوِيلِ. وَأَكْثَرُ مَا انْعَقَدَ عَلَيْهِ الإِجْمَاعُ فِي مُدَّةِ الْحَيْضِ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِيمَا وَجَدْتُ[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ[4].

وَأَمَّا الطُّهْرُ فَأَكْثَرُهُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا سِتُّونَ يَوْمًا، وَأَقَلُّهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَبِهِ الْعَوْنُ وَالتَّوْفِيقُ[5].

## الثَّالِثُ: فِي حُكْمِ مَا يُمْتَنَعُ بِهِ فِي حَالِ الْحَيْضِ

وَهِيَ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ:

---

(١) [سبق تخريجه]

(٢) سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِمَا.

(٣) [انظر: بداية المجتهد، ١/ ٤٨].

(٤) لَمْ يَنْعَقِدِ الإِجْمَاعُ عَلَى شَيْءٍ، وَلَوْ قَالَ: وَغَايَةُ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْخِلاَفِ، لَكَانَ أَظْهَرَ.

(٥) وَالصَّحِيحُ: لاَ حَدَّ لِلطُّهْرِ؛ لأَنَّهُ لاَ يَكْذِبُ.

**أَحَدُهَا** : كُلُّ مَا يَفْتَقِرُ إِلَى الطَّهَارَةِ الْكُبْرَى كَالصَّلاَةِ وَالطَّوَافِ وَالصَّوْمِ وَالاعْتِكَافِ وَسُجُودِ التِّلاَوَةِ وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ وَمَسِّ الْمُصْحَفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ لاَ يَجِبُ عَلَيْهَا قَضَاءُ الصَّلاَةِ دُونَ الصَّوْمِ.

**وَالثَّانِي** : الْفِرَاقُ مَعَ الزَّوْجِ بِطَلاَقٍ أَوْ خُلْعٍ أَوْ خِيَارٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1] أَيْ: لِطُهْرِهِنَّ، وَاخْتُلِفَ هَلْ مَنْعُهُ فِيهِ خِيفَةٌ مِنْ تَطْوِيلِ الْمُدَّةِ، أَوْ هُوَ شَرْعٌ غَيْرُ مُعَلَّلٍ؟ فَقَوْلاَنِ.

**الثَّالِثُ** : إِلْقَاءُ التَّفَثِ مِنْ تَقْلِيمِ الأَظْفَارِ وَنَتْفِ الإِبِطَيْنِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

**الرَّابِعُ** : الزِّينَةُ الْمَعْهُودَةُ لِلْبَدَنِ، مِنَ الاكْتِحَالِ وَالاسْتِيَاكِ وَالاخْتِضَابِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَقَدْ رَخَّصَ لَهَا فِي شَرْحِ الدَّعَائِمِ فِي الامْتِشَاطِ وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَزَعَمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِثْلَ الْجُنُبِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْخَامِسُ** : الْوَطْءُ فِي الْفَرْجِ مَعَ اسْتِمْرَارِ الدَّمِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الأُمَّةِ، فَإِنْ وَطِئَ مُتَعَمِّدًا فَفِيهِ اخْتِلاَفٌ، قِيلَ بِتَحْرِيمِ الأَبَدِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْعُمَانِيِّينَ[2]، وَقِيلَ فِيهَا بِالْوُقُوفِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الرَّبِيعِ وَغَيْرِهِ[3]، وَبَعْضُ مُخَالِفِينَا أَوْجَبَ فِي ذَلِكَ الْكَفَّارَةَ[4]، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُوجِبْ فِي ذَلِكَ إِلاَّ التَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفَارَ، وَكَذَلِكَ

---

(١) الطَّلاَق: ١.

(٢) [انظر: المصنف، ٦٦/٣٩]

(٣) [نفسه، ٦٥/٣٩].

(٤) بَلْ وَمِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ بِذَلِكَ، وَالْكَفَّارَةُ هُوَ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي اصْطِلاَحِهِمُ اسْمُ دِينَارِ الْفِرَاشِ، وَذَلِكَ اسْتِنَادًا عَلَى حَدِيثٍ رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ: "إِنْ كَانَ الدَّمُ عَبِيطًا فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ، وَإِنْ كَانَ صُفْرَةً فَنِصْفُ دِينَارٍ" [رواه البيهقي، باب ما روي في كفارة من أتى امرأته حائضا، ر١٤١٦]، يَعْنِي: وَلَمْ يَأْمُرْهُ ﷺ بِفِرَاقِهَا. وَالَّذِي صَحَّحَهُ الْقُطْبُ ﷺ أَنَّ الزَّوْجَةَ لاَ تَحْرُمُ بِهِ، لَكِنَّهُ أَتَى ذَنْبًا عَظِيمًا [الذهب الخالص، ص ١٣٦]. اهـ مُصَحِّحه

الْحُكْمُ فِيهَا إِذَا وَطِئَ بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ وَقَبْلَ الاغْتِسَالِ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لاَ تَسْتَوِي مَنْ تُطَهِّرُهَا رَكْوَةُ مَاءٍ بِمَنْ لاَ تُطَهِّرُهَا دِجْلَةُ.

وَأَمَّا الاسْتِمْتَاعُ بِمَا فَوْقَ السُّرَّةِ مِنَ الْحَائِضِ فَلاَ يَحْرُمُ عِنْدَ الْجَمِيعِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِعَزْلِ الْفُرُوجِ**..." الْحَدِيثَ[1]، وَاخْتُلِفَ فِيمَا تَحْتَ الإِزَارِ مِمَّا دُونَ الْفَرْجِ، فَأَبَاحَهُ قَوْمٌ وَمَنَعَ مِنْهُ آخَرُونَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه مسلم، باب جَوَازِ غَسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ زَوْجِهَا وَتَرْجِيلِهِ وَطَهَارَةِ سُؤْرِهَا وَالاتِّكَاءِ فِي حِجْرِهَا وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ، ر ٧٢٠، بلفظ: "اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ"].

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# فِي اخْتِلاَفِ حُكْمِ النِّسَاءِ الْمُعْتَادَةِ [الْمُعَدَّةِ] لِلْمَحِيضِ

**وَهُنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْوَالٍ:**

**أَحَدُهَا** : حَالُ الْمُبْتَدِئَةِ فِي الْحَيْضِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا وَقْتٌ مُسْتَقِرٌّ.

**وَالثَّانِيَةُ** : حَالُ الْمُعْتَادَةِ الْمُسْتَقِرِّ وَقْتُهَا.

**وَالثَّالِثَةُ** : حَالُ الْمُسْتَحَاضَةِ الَّتِي حُكِمَ بِاسْتِحَاضَتِهَا.

**وَالرَّابِعَةُ** : حَالُ الْحَامِلِ الَّتِي يَطْرَأُ الدَّمُ عَلَيْهَا.

اعْلَمْ أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ الأَرْبَعِ فِي ابْتِدَاءِ الْحَيْضِ وَاحِدٌ، فَمَنْ رَأَتْ دَمًا وَهِيَ فِي سَنِّ مَنْ تَحِيضُ فَهُوَ حَيْضٌ، مُبْتَدِئَةً كَانَتْ أَوْ مُعْتَادَةً، حَائِلاً أَوْ حَامِلاً[1]، لَكِنْ تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهُنَّ فِي التَّمَادِي:

**[الأُولَى]: فَالْمُبْتَدِئَةُ** إِذَا رَأَتْ دَمًا فَهُوَ حَيْضٌ، فَإِنِ انْقَطَعَ لِعَادَةِ أَتْرَابِهَا مِنْ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ إِلَى عَشَرَةِ أَيَّامٍ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، وَإِنْ تَمَادَى بِهَا الدَّمُ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ وَلَمْ تَرَ

(١) [قال المحشي: "قوله أو حاملا: فيه نظر، لأنّ الدم الذي تراه الحامل ليس بحيض على الصحيح، لقوله - عليه السلام -: "ماكان الله ليجعل حيضا مع حبَل" [لم أجد من خرجه]، ولأنه سيأتي له التصريح بما يدلّ على أنه ليس بحيض، حيث قال: الرابعة: الحامل التي يطرأ عليها الدم فإنّها تصنع كما تصنع المستحاضة ... الخ، وقد يقال: كلامه هنا -رحمه الله- مبنيٌّ على القول الثاني فيما سيأتي"].

الطُّهْرَ انْتَظَرَتْ يَوْمَيْنِ بَعْدَ الْعَشَرَةِ، فَإِنْ دَامَ بِهَا الدَّمُ فَإِنَّهَا تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، كَذَلِكَ إِلَى عَشَرَةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الانْتِظَارِ، فَإِنْ لَمْ تَرَ الطُّهْرَ عَلَى تَمَامِ الْعَشَرَةِ أَيَّامٍ الَّتِي صَلَّتْ فِيهَا انْتَسَبَتْ إِلَى قَرَابَتِهَا مِنَ النِّسَاءِ مِنْ أُمٍّ أَوْ أُخْتٍ أَوْ خَالَةٍ أَوْ عَمَّةٍ، حُرَّةً كَانَتْ أَوْ أَمَةً، مُوَحِّدَةً كَانَتْ أَوْ مُشْرِكَةً، حَيَّةً كَانَتْ أَوْ مَيِّتَةً، عَاقِلَةً كَانَتْ أَوْ مَجْنُونَةً، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَرَابَتَهَا فَلْتَنْتَسِبْ إِلَى غَيْرِهِنَّ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ.

وَمَعْنَى انْتِسَابِهَا إِلَى مَنْ ذَكَرْنَا: أَنْ تَسْأَلَهَا عَنْ وَقْتِهَا فِي الصَّلاَةِ، فَإِنْ قَالَتْ لَهَا: وَقْتِي عَشَرَةُ أَيَّامٍ، فَلْتَتْرُكِ الصَّلاَةَ إِذَا اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، وَإِنْ قَالَتْ لَهَا: إِنَّ أَيَّامَ صَلاَتِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ عِشْرُونَ يَوْمًا، فَلْتَغْتَسِلْ وَتُصَلِّي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعَدَدِ الَّذِي قَالَتْ لَهَا، ثُمَّ تَتْرُكُ الصَّلاَةَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ تَنْتَظِرُ يَوْمَيْنِ بَعْدَ الْعَشَرَةِ، ثُمَّ تُصَلِّي بَعْدَ ذَلِكَ مَا قَالَتْ لَهَا قَرِيبَتُهَا مِنْ عَدَدِ هَذِهِ الأَيَّامِ، وَتَصْنَعُ كَذَلِكَ مَا دَامَ بِهَا الدَّمُ إِلَى سَنَةٍ، فَتَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُبْتَلَيَةً، تَتْرُكُ الصَّلاَةَ اثْنَا عَشَرَ يَوْمًا، وَتُصَلِّي عَشَرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ مَا بِهَا، وَهَذَا إِذَا دَامَ بِهَا الدَّمُ مِنْ وَقْتِ انْتِظَارِهَا، وَأَمَّا إِنْ وَجَدَتِ الطُّهْرَ بَعْدَ الانْتِظَارِ فَلْتَغْتَسِلْ وَتُصَلِّي حَتَّى يَأْتِيَهَا الدَّمُ، فَإِذَا رَاجَعَهَا الدَّمُ انْتَسَبَتْ كَمَا قَدَّمْنَا.

**[الثَّانِيَةُ]: وَأَمَّا حَالُ الْمُعْتَادَةِ** الَّتِي اسْتَقَرَّ وَقْتُهَا فِيمَا بَيْنَ الثَّلاَثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ، وَذَلِكَ أَنْ تَرَى حَيْضَهَا الأَوَّلَ فَيَدُومَ بِهَا ثَلاَثَةً أَوْ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةً أَوْ عَشَرَةً، ثُمَّ تَرَى الطُّهْرَ فَيَدُومَ بِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ تِسْعَةً؛ فَإِنَّهَا تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي خَمْسِينَ صَلاَةً لِعَشَرَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ تَنْتَسِبُ كَمَا قَدَّمْنَا فِي الْمُبْتَدِئَةِ.

وَكَذَلِكَ إِنْ خُولِطَ طُهْرُهَا الأَوَّلُ فَإِنَّهَا تَنْتَسِبُ إِذَا رَأَتِ الدَّمَ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَتِ الطُّهْرَ عَلَى الانْتِظَارِ أَوْ بَعْدَهُ فِيمَا دُونَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، فَإِنَّهَا تَنْتَسِبُ إِذَا أَتَاهَا الدَّمُ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ.

وَأَمَّا إِنْ رَأَتْ حَيْضَهَا الأَوَّلَ فَدَامَ عَلَيْهَا يَوْمَيْنِ ثُمَّ رَأَتْ بَعْدَهَا طُهْرًا، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ يَكُونَانِ لَهَا أَصْلاً، فَكُلُّ مَا رَأَتْهُ مِنَ الدَّمِ الْخَالِصِ بَعْدَ ذَلِكَ الطُّهْرِ الْمُتَقَدِّمِ فَإِنَّهَا تَجْمَعُهُ إِلَى الْيَوْمَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا الأَصْلُ، وَذَلِكَ فِيمَا تَرَاهُ بَيْنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الْحَيْضِ إِلَى الْعَاشِرِ، وَمَا رَأَتْهُ بَعْدَ الْعَاشِرِ فَلاَ تَجْمَعُهُ، فَإِنْ قَطَعَ بَيْنَ مَا تَضُمُّهُ طُهْرٌ جَمَعَتْ مَا قَبْلَ الطُّهْرِ إِلَى الأَصْلِ الأَوَّلِ، فَيَكُونُ لَهَا وَقْتًا لِلْحَيْضِ، وَلاَ تَجْمَعُ مَا بَعْدَ الطُّهْرِ الْقَاطِعِ[1] وَلاَ مَا بَعْدَ الْعَاشِرِ مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ الَّذِي تَرَى فِيهِ الْحَيْضَ. وَالْيَوْمُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَاهَا فِيهِ الْحَيْضُ لاَ تَعْتَدُّ بِهِ، إِلاَّ إِنْ رَأَتْ فِيهِ الْحَيْضَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَقِيلَ: قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ[2].

وَأَمَّا إِنْ تَمَّ وَقْتُهَا فِي الْحَيْضِ وَلَمْ يَنْقَطِعْ عَنْهَا الدَّمُ فَإِنَّهَا تَنْتَظِرُ يَوْمَيْنِ، فَإِنِ انْقَطَعَ وَإِلاَّ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ وَكَانَتْ مُسْتَحَاضَةً، وَإِنِ انْتَظَرَتْ يَوْمَيْنِ فَرَأَتِ الطُّهْرَ فَاعْتَادَهَا ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ إِلَيْهَا وَتَتْرُكُ الْوَقْتَ الأَوَّلَ، وَكَذَلِكَ إِنِ انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ فَرَأَتِ الطُّهْرَ قَبْلَ تَمَامِ وَقْتِهَا الْمُعْتَادِ، فَتَمَادَى ذَلِكَ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ، فَإِنَّهَا تَنْزِلُ إِلَيْهِ وَتَتَّخِذُهُ وَقْتًا، وَتَتْرُكُ الْوَقْتَ الأَوَّلَ.

---

(١) الطُّهْرُ الْقَاطِعُ: هُوَ الَّذِي تَقَدَّمَهُ دَمٌ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِدًا.

(٢) وَالَّذِي يَرَاهُ الْقُطْبُ أَطْفَيَّشُ ﷺ - خِلاَفًا لِمَا جَرَتْ بِهِ الْفَتْوَى مِنْ قَبْلُ عِنْدَنَا - أَنْ لاَ تَلْغِيَ الْيَوْمَ الأَوَّلَ سَوَاءٌ جَاءَهَا الدَّمُ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَوْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَلَى الْقَوْلِ الآخَرِ، بَلْ تَحْسِبُ مِنْ وَقْتِ رَأَتْ فِيهِ الدَّمَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ غَدًا يَوْمًا وَاحِدًا [شرح النيل، ١/ ٢٦٤]، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ تَعُدُّ أَيَّامَ حَيْضِهَا دُونَ أَنْ تَلْغِيَ أَوْقَاتًا هِيَ مِنْ حَيْضِهَا قَطْعًا. يَرَى ذَلِكَ حَتْمًا لِزَامًا لاَ يَسُوغُ سِوَاهُ، وَهُوَ مَا يُؤَيِّدُهُ ظَاهِرُ قَوْلِهِ ﷺ: [عن عائشة أنها قالت: قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه و سلم يا رسول الله إني لا أطهر أفادع الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة، فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي). رواه البخاري، باب الاستحاضة، ر٣٠٠]، أَيْ: وَعُدِّي ذَلِكَ مِنْ أَيَّامِ أَقْرَائِكِ، فَتَأَمَّلْ. اهـ مُصَحِّحه

فَإِنْ تَمَّ وَقْتُهَا وَانْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ وَبَقِيَ شَيْءٌ مِنَ الْكُدْرَةِ أَوِ الصُّفْرَةِ أَوِ التَّرِيَّةِ[1] تَنْتَظِرُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَإِنِ انْقَطَعَ وَإِلاَّ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ؛ لأَنَّ الصُّفْرَةَ وَالْكُدْرَةَ وَالتَّرِيَّةَ لاَ حُكْمَ لَهَا عَلَى الانْفِرَادِ، إِنَّمَا الْحُكْمُ لِمَا سَبَقَهَا وَتَقَدَّمَهَا، إِنْ تَقَدَّمَهَا حَيْضٌ فَحُكْمُهَا حُكْمُ الْحَيْضِ، وَإِنْ تَقَدَّمَهَا طُهْرٌ فَحُكْمُهَا حُكْمُ الطُّهْرِ فِي قَوْلِ الرَّبِيعِ ﷺ، وَهُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَقِيلَ عَنِ ابْنِ عَبَّادٍ[2]: أَنَّهَا حَيْضٌ فِي أَيَّامِ الْحَيْضِ؛ لأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ الْحَيْضَ سِتَّةُ أَشْيَاءٍ، وَهِيَ: الدَّمُ وَالصُّفْرَةُ وَالْكُدْرَةُ وَالتَّرِيَّةُ وَالْحُمْرَةُ وَالْغُبْرَةُ، فَهَذِهِ الأَوْصَافُ حُكْمُهَا حُكْمُ الْحَيْضِ.

## [أنواع الطهر]

وَأَمَّا الطُّهْرُ فَنَوْعَانِ، **[الأول]: جُفُوفٌ**، وَهُوَ أَنْ تُدْخِلَ الْمَرْأَةُ الْخِرْقَةَ فَتُخْرِجَهَا جَافَّةً، **وَالثَّانِي: الْقَصَّةُ الْبَيْضَاءُ**، وَهُوَ مَاءٌ رَقِيقٌ أَبْيَضُ يَأْتِي فِي آخِرِ الْحَيْضِ كَمَاءِ الْقَصَّةِ وَهُوَ الْجِيرُ، وَهَذَا هُوَ الأَقْعَدُ فِي الطُّهْرِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، كَانَ ذَلِكَ عَادَةً فِي الْمَرْأَةِ أَوْ لَيْسَ بِعَادَةٍ، وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "لاَ تَطْهُرُ الْمَرْأَةُ مِنْ حَيْضِهَا حَتَّى تَرَى الْقَصَّةَ الْبَيْضَاءَ"[3].

وَالَّتِي عَادَتُهَا الْجُفُوفُ هُوَ طُهْرُهَا، فَإِنْ جَفَّتِ الَّتِي عَادَتُهَا الْمَاءُ الأَبْيَضُ؛ فَبَعْضُ أَصْحَابِنَا يَقُولُ: تَنْتَظِرُ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ، فَإِنْ أَتَاهَا الْمَاءُ الأَبْيَضُ وَإِلاَّ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، وَعِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الأَقْعَدُ هُوَ الْجُفُوفُ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمُ الأَقْعَدُ الْقَصَّةُ الْبَيْضَاءُ كَمَا قَدَّمْنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [التريّة: "ما تراه الحائض عند الاغتسال، وهو الشيء الخفيّ اليسير، أقلّ من الصفرة والكُدرة" (القاموس المحيط، باب الياء، فصل الواو: الوَرْيُ)].

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٣) [رواه الربيع، باب الحيض، ر٥٤٣].

**[الثَّالِثَةُ]: وَأَمَّا الْمُسْتَحَاضَةُ** الَّتِي تَمَادَى بِهَا الدَّمُ وَحُكِمَ بِاسْتِحَاضَتِهَا فَلاَ تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدِئَةً أَوْ مُعْتَادَةً، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِمَّا مُمَيِّزَةٌ وَإِمَّا غَيْرُ مُمَيِّزَةٍ، فَهِيَ إِذًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: مُبْتَدِئَةٍ مُمَيِّزَةٍ، وَمُبْتَدِئَةٍ غَيْرِ مُمَيِّزَةٍ، وَمُعْتَادَةٍ بِتَمْيِيزٍ، وَمُعْتَادَةٍ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ.

**فَأَمَّا الأُولَى**: فَإِنَّهَا تَتْرُكُ الصَّلاَةَ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مُدَّةَ تَمْيِيزِ حَيْضِهَا، بِشَرْطِ أَنْ لاَ تَزِيدَ عَلَى أَكْثَرِ مُدَّةِ الْحَيْضِ، فَإِنْ زَادَ عَلَى أَكْثَرِهَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ حَيْضًا.

**وَأَمَّا الثَّانِيَةُ**: وَهِيَ الْمُبْتَدِئَةُ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ، فَإِنَّهَا عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ تَجْلِسُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا إِذَا تَمَادَى بِهَا الدَّمُ، فَإِنِ انْقَطَعَ وَإِلاَّ صَارَتْ مُسْتَحَاضَةً.

**وَأَمَّا الثَّالِثَةُ**: وَهِيَ الْمُعْتَادَةُ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ، فَإِنَّهَا عِنْدَ بَعْضِهِمْ إِذَا شَكَّتْ فَلَمْ تَدْرِ أَذَلِكَ انْتِقَالٌ مِنْ حَيْضِهَا أَمِ اسْتِحَاضَةٌ، فَإِنَّهَا تَغْسِلُ وَتُصَلِّي وَتَصُومُ، وَلاَ يَطَؤُهَا زَوْجُهَا احْتِيَاطًا، ثُمَّ تَنْتَظِرُ إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا، فَإِنِ انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ لِتَمَامِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا عُلِمَ أَنَّهَا قَدِ انْتَقَلَتْ عَادَتُهَا، وَكَانَتِ الْمُدَّةُ كُلُّهَا حَيْضًا، وَإِنِ اسْتَمَرَّ الدَّمُ عُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ اسْتِحَاضَةٌ، وَاعْتَدَّتْ بِحَيْضَتِهَا كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ عَادَتِهَا، وَتَقْضِي الصَّوْمَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الزِّيَادَةِ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

**وَأَمَّا الرَّابِعَةُ**: وَهِيَ الْمُعْتَادَةُ بِتَمْيِيزٍ، فَإِنَّهَا تَعْتَبِرُ التَّمْيِيزَ عِنْدَهُمْ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَبِي حُبَيْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهَا وَكَانَتْ مُسْتَحَاضَةً أَنْ تَدَعَ الصَّلاَةَ مِقْدَارَ أَقْرَائِهَا الَّتِي كَانَتْ تَحِيضُ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهَا مَا أَصَابَهَا، ثُمَّ تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي[1]. قَالُوا: لأَنَّ الْعَادَةَ تَخْتَلِفُ، وَالتَّمْيِيزَ لاَ يَخْتَلِفُ، وَلأَنَّ النَّظَرَ إِلَى اللَّوْنِ اجْتِهَادٌ، وَالنَّظَرَ إِلَى الْعَادَةِ تَقْلِيدٌ، وَالاجْتِهَادُ أَوْلَى مِنَ التَّقْلِيدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَالْعَمَلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا

(١) [سبق تخريجه].

عَلَى مَا قَدَّمْنَا فِي صَدْرِ الْكِتَابِ، لَكِنِّي إِنَّمَا أَثْبَتُّ هَذَا التَّقْسِيمَ هَهُنَا لِئَلاَّ يَضْطَرَّ إِلَيْهِ مُضْطَرٌّ فَيُسَوِّغُ لَهُ الأَخْذَ بِأَقَاوِيلِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ الْمُسْتَحَاضَةُ حُكْمُهَا حُكْمُ الطَّاهِرِ فِي جَمِيعِ مَعَانِيهَا؛ لأَنَّ الاسْتِحَاضَةَ كَسَلسِ الْبَوْلِ، لاَ تُمْنَعُ مِنَ الصَّلاَةِ، لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لَهَا أَنْ تَغْتَسِلَ لِكُلِّ صَلاَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَتَوَضَّأَتْ لِكُلِّ صَلاَةٍ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ تَغْتَسِلَ عِنْدَ الْحُكْمِ لَهَا بِالاسْتِحَاضَةِ، وَيُؤْمَرُ زَوْجُهَا أَنْ يَطَأَهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ لِلصَّلاَةِ، وَإِنْ وَطِئَهَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

**والرابعة : الْحَامِلُ الَّتِي يَطْرَأُ عَلَيْهَا الدَّمُ**، فَإِنَّهَا تَصْنَعُ كَمَا تَصْنَعُ الْمُسْتَحَاضَةُ، وَإِنْ ضَرَبَهَا الطَّلْقُ فَجَاءَتْهَا دَفْعَةٌ مِنَ الدَّمِ ثُمَّ انْقَطَعَ فَإِنَّهَا تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي، وَإِنْ كَانَتْ حَامِلاً فَرَأَتْ بَلَّةً أَوْ صُفْرَةً فَإِنَّهَا تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَإِنْ ضَرَبَهَا الطَّلْقُ فَرَأَتْ صُفْرَةً أَوْ كُدْرَةً قَبْلَ أَنْ تَلِدَ فَإِنَّهَا تَتَوَضَّأُ وَتُصَلِّي؛ لأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِحَيْضٍ وَلاَ نِفَاسٍ، وَإِنْ كَانَ دَمًا سَائِلاً اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، وَقَالَ مَنْ قَالَ: الْحَامِلُ إِذَا رَأَتِ الدَّمَ فَإِنَّهَا تَقْعُدُ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا، وَتَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ بِالْغُسْلِ إِذَا كَانَ دَمًا سَائِلاً، وَإِنْ كَانَتْ صُفْرَةً تَوَضَّأَتْ لِكُلِّ صَلاَةٍ، وَيَغْشَاهَا زَوْجُهَا فِي الصُّفْرَةِ وَالْكُدْرَةِ، وَيُكْرَهُ لَهُ ذَلِكَ فِي الدَّمِ السَّائِلِ.

وَعَنِ الرَّبِيعِ ﷺ فِي الْمَرْأَةِ تَرَى الدَّمَ فَتَحْسَبُ أَنَّهُ حَيْضٌ فَتَرَكَتِ الصَّلاَةَ، ثُمَّ اسْتَبَانَ أَنَّهَا حَامِلٌ، قَالَ: عَلَيْهَا إِعَادَةُ مَا تَرَكَتْ مِنَ الصَّلاَةِ فِي حَمْلِهَا[1]، وَكَانَ

---

(١) أَمَّا الأَطِبَّاءُ فَيَرَوْنَ إِمْكَانَ الْحَيْضِ مَعَ وُجُودِ الْجَنِينِ، إِمَّا لِوَفْرَةِ قُوَّةِ الْمَرْأَةِ وَضَعْفِ الْجَنِينِ أَوْ لِمَرَضِهِ، وَعَلَيْهِ إِذَا رَأَتِ الْحَامِلُ دَمًا فِي مُعْتَادِهَا اعْتَبَرَتْهُ حَيْضًا، وَقَدْ جَرَى فَرِيقٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، بَلْ ثَمَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَعْتَبِرُهُ حَيْضًا مُطْلَقًا، يَعْنِي: وَإِنْ لَمْ يَجِئْ فِي وَقْتِهِ الْمُعْتَادِ قَبْلَ الْحَمْلِ، أَمَّا الْمَانِعُونَ لِلْحَيْضِ مَعَ الْحَبَلِ فَحُجَّتُهُمْ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: "لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَجْعَلَ حَيْضًا مَعَ حَبَلٍ" [لم أجد من خرجه]، وَالْمُجِيزُونَ يَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَلَى الْغَالِبِ، أَيْ: لاَ يَجْعَلُ اللهُ حَيْضًا مَعَ حَبَلٍ فِي الْغَالِبِ، وَإِذَا جَعَلَهُ كَانَ حَيْضًا، عَلَى أَنَّ لِلْمَانِعِينَ أَنْ يَقُولُوا: سَلَّمْنَا أَنَّ الْحَيْضَ

- وَبِعِبَارَةٍ أَدَقَّ - الدَّمَ يَأْتِي الْمَرْأَةَ مَعَ وُجُودِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِهَا كَمَا يَقُولُ الأَطِبَّاءُ، لَكِنَّ الأَطِبَّاءَ يَنْظُرُونَ إِلَى ذَلِكَ الدَّمِ بِالنَّظَرِ الطَّبِيعِيِّ لاَ بِالنَّظَرِ الشَّرْعِيِّ، بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ لاَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ دَمِ الْحَيْضِ وَدَمِ الاسْتِحَاضَةِ، بَلْ يَرَوْنَهُمَا كِلَيْهِمَا مِنَ الدَّمِ الصَّالِحِ الَّذِي يَجْرِي فِي سَرَايِينِ الْمَرْأَةِ، بِخِلاَفِ الشَّارِعِ ﷺ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ الدَّمِ بِالنَّظَرِ الشَّرْعِيِّ، فَيُثْبِتُهُ أَوْ يَنْفِيهِ شَرْعِيًّا، يَعْنِي: يَعْتَبِرُهُ دَمَ اسْتِحَاضَةٍ لاَ دَمَ حَيْضٍ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ الْعِبْرَةَ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِمَا يُقَرِّرُهُ الشَّرْعُ، وَعَلَيْهِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُوَ الْحَلُّ لِمُشْكِلِ النِّسَاءِ وَخَلْطِهِنَّ فِي أَمْرِ طَهَارَتِهِنَّ، وَقَدْ أَضَلَّهُنَّ تَشَبُّثُهُنَّ بِأُسْطُورَةِ الرَّاقِدِ "ضَرْبِ الْجَنِينِ فِي الْبَطْنِ"، فَلِمُجَرَّدِ أَنْ تُحِسَّ إِحْدَاهُنَّ أَلَمًا أَوْ حَرَكَةً فِي بَطْنِهَا وَقَدْ يَكُونُ الأَلَمُ مِنْ قَرْحَةٍ، وَالْحَرَكَةُ نَبْضَ عِرْقٍ أَوْ تَكَبُّدَ دَمٍ، أَوْ مُجَرَّدَ رِيحٍ يَنْتَقِلُ مِنْ جِهَةِ الْبَطْنِ إِلَى أُخْرَى، وَتُحِسُّهُ كَمَا تُحِسُّ حَرَكَةَ الْجَنِينِ تَمَامًا - سِيَّمَا اللاَّتِي يَتَعَلَّقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي النَّسْلِ - فَإِنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ يَرُوقُهَا أَنْ تَعْتَبِرَ حَيْضَهَا اسْتِحَاضَةً لِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ الْمُعْتَادِ، فَتُصَلِّي وَتَصُومُ وَيُبَاشِرُهَا زَوْجُهَا مَتَى جَاءَهَا مُتَوَهِّمَةً أَنَّهَا حَامِلٌ، وَلاَ حَيْضَ مَعَ حَبَلٍ، وَلَرُبَّمَا مَضَتْ عَلَيْهَا سِنُونَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، وَكُلَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهَا أَجَابَتْ أَنَّ لَدَيْهَا رَاقِدًا فِي بَطْنِهَا، نَاهِيكَ أَنَّ بَعْضَ هَؤُلاَءِ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ، فَقَامَ بِنَفَقَتِهَا مُدَّةً، حَتَّى إِذَا مَا طَالَ أَمَدُ وِلاَدَةِ الْجَنِينِ الْمُسْتَغْرِقِ فِي نَوْمِهِ أَمْسَكَ عَنِ الإِنْفَاقِ، فَنَاصَبَتْهُ الْخُصُومَةَ بِدَعْوَى أَنَّهَا حَامِلٌ تَسْتَحِقُّ النَّفَقَةَ، فَيُضْطَرُّ لِمُرَاجَعَتِهَا حَسْمًا لِلنِّزَاعِ، وَتَظَلُّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِصْمَتِهِ سِنِينَ أُخْرَى لَمْ تَتْرُكْ أَثْنَاءَهَا صَلاَةً وَلاَ صِيَامًا وَلاَ اقْتِرَابًا مِنْ زَوْجِهَا، وَلاَ أَبْصَرَ الْمَوْلُودُ الْمُنْتَظَرُ ضِيَاءَ الْحَيَاةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا، فَاصْطَدَمَتْ بِصَخْرَةِ الْمِيرَاثِ، فَإِذَا هِيَ حَائِلٌ لاَ حَامِلٌ. إِزَاءَ هَذَا الْوَضْعِ الْغَرِيبِ الَّذِي لاَ يَرْتَضِيهِ الشَّرْعُ وَلاَ يُقِرُّهُ الْعِلْمُ وَلاَ الْوَاقِعُ يَجِبُ عَلَى الْمُفْتِي - وَهُوَ طَبِيبُ الأَدْيَانِ - أَنْ يَقِفَ مَوْقِفًا حَكِيمًا لاَ يُصَادِمُ نَصًّا ثَبَتَ عَنِ الشَّارِعِ مِنْ جِهَةٍ، وَلاَ يَسْتَسْلِمُ لِوَسْوَاسِ الْمُوَسْوِسَاتِ أَوْ هَوَسِ الْمُتَهَوِّسَاتِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى مَا دَامَ لَدَيْنَا مِنَ الْوَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ مَا يَكْشِفُ لَنَا عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَيُمَكِّنُنَا أَنْ نُجْرِيَ أَمْرَنَا عَلَى طَرِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا النَّفْسُ وَيَثْلَجُ لَهَا الصَّدْرُ، ذَلِكَ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى حَالاَتِ الْمَرْأَةِ الْمُخْتَلِفَةِ فَإِذَا هِيَ:

١- إِمَّا أَنْ يَأْتِيَهَا الدَّمُ قَبْلَ أَنْ تَتَحَقَّقَ بِالْحَمْلِ، فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ تُعْطِي لِلْحَيْضِ - سِيَّمَا إِذَا رَأَتْهُ فِي مُعْتَادِهَا اسْتِصْحَابًا لِلأَصْلِ - وَلاَ يَسُوغُ لَهَا أَنْ تُلْغِيَهُ لِمُجَرَّدِ أَنْ تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ الْمُعْتَادِ، أَوِ اعْتَرَاهَا شَكٌّ أَنَّهَا حَامِلٌ، فَإِذَا طَالَتْ بِهَا هَذِهِ الْحَالَةُ فَلاَ تَسْتَسْلِمُ لِلْوَسْوَاسِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا عَلَى طَبِيبٍ، إِمَّا أَنْ يُثْبِتَ وُجُودَ الْحَمْلِ وَإِمَّا أَنْ يَنْفِيَهُ، ثُمَّ تَعْمَلُ بِمُقْتَضَى نَظَرِ الطَّبِيبِ.

٢- وَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَهَا الدَّمُ بَعْدَ التَّحَقُّقِ مِنَ الْحَمْلِ، وَسَوَاءٌ تَحَقَّقَتْ ذَلِكَ بِالطَّبِيبِ، أَوْ بِالأَمِينَاتِ الْعَارِفَاتِ، أَوْ بِنُمُوِّهِ نُمُوًّا طَبِيعِيًّا، فَإِنَّهَا تَعْتَبِرُ الدَّمَ حِينَئِذٍ دَمَ اسْتِحَاضَةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: "مَا كَانَ اللهُ لِيَجْعَلَ حَيْضًا مَعَ حَبَلٍ".

٣- وَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَهَا الدَّمُ بَعْدَ مُضِيِّ سَنَةٍ بَيْضَاءَ (قَمَرِيَّةٍ: ٣٥٤ يَوْمًا) عَلَى حَمْلِهَا الْمَزْعُومِ تَمَسُّكًا بِأُسْطُورَةِ الرَّاقِدِ، فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ تُعْطِي لِلْحَيْضِ قَوْلاً وَاحِدًا، وَلاَ هَوَادَةَ فِي ذَلِكَ؛ لأَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يَنْفِي

يَرَى أَنَّهَا تَصْنَعَ كَالْمُسْتَحَاضَةِ، وَسُئِلَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى الصُّفْرَةَ أَوِ الْكُدْرَةَ أَوِ الْحُمْرَةَ قَبْلَ وِلاَدَتِهَا بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ، هَلْ تَتْرُكُ الصَّلاَةَ؟ قَالَ: لاَ، هُوَ دَاءٌ جَاءَ أَحْيَانًا وَذَهَبَ أَحْيَانًا، قِيلَ لَهُ: فَإِنْ رَأَتْ ذَلِكَ أَيَّامًا وَظَنَّتْ أَنَّهَا تَلِدُ فَتَرَكَتِ الصَّلاَةَ وَالصَّوْمَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ حَبَلٌ قَدِ اسْتَبَانَ فَعَلَيْهَا بَدَلُ تِلْكَ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ الدَّمَ لَيْسَ بِشَيْءٍ.

## [في اليائسَةِ تَرَى الدَّمَ أَوْ شيئًا مِنْ تَوابِعِهِ]

وَكَذَلِكَ الْيَائِسَةُ الَّتِي قَعَدَتْ عَنِ الْحَيْضِ بِالْكِبَرِ، فَإِنَّهَا إِذَا رَأَتِ الدَّمَ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، وَتَصْنَعُ كَالْمُسْتَحَاضَةِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ دَاءٌ لَيْسَ بِحَيْضٍ، وَيَجُوزُ صَوْمُهَا وَصَلاَتُهَا، وَإِنْ رَأَتْ صُفْرَةً تَوَضَّأَتْ لِكُلِّ صَلاَةٍ.

وَاخْتُلِفَ فِي حُكْمِ الإِيَاسِ، فَقِيلَ: خَمْسُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: سِتُّونَ.

## [الأشياءُ التي تَقْطَعُ الحَيْضَ]

وَقِيلَ: يَقْطَعُ الْحَيْضَ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: الْكِبَرُ، وَالْحَمْلُ، وَالرِّيَاحُ، وَالرَّضَاعُ، وَالْمَرَضُ فِي الْغَالِبِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

بَقَاءَ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ الأُمِّ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ بَيْضَاءَ بِإِجْمَاعِ الأَطِبَّاءِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، وَبِذَلِكَ يُقْضَى عَلَى خَلْطِ النِّسَاءِ وَخَبْطِهِنَّ فِي أَمْرِ طَهَارَتِهِنَّ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه.

## الفَصْلُ الرَّابِعُ

# فِي دَمِ النِّفَاسِ

وَهُوَ الْخَارِجُ بِسَبَبِ الْوِلاَدَةِ، وَهُوَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ: حَيْضٌ زَادَتْ أَيَّامُهُ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ مَعَ دَمِ الْحَيْضِ إِلاَّ فِي طُولِ الْمُدَّةِ وَقِصَرِهَا. وَالدَّفْعَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الدَّمِ تَكُونُ نِفَاسًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَيْسَ الْحَيْضُ كَذَلِكَ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ.

**وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي أَقْصَى النِّفَاسِ**، فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: أَقْصَى النِّفَاسِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، إِلاَّ أَنْ تَرَى الطُّهْرَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرُوِيَ مِثْلُ هَذَا فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: "كُنَّا نَقْعُدُ فِي النِّفَاسِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعُونَ يَوْمًا إِلاَّ أَنْ نَرَى الطُّهْرَ قَبْلَ ذَلِكَ"[1]، وقَالَ آخَرُونَ: أَكْثَرُ النِّفَاسِ سِتُّونَ يَوْمًا، وَقِيلَ: تَسْعُونَ يَوْمًا.

**وَأَقَلُّ النِّفَاسِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا** عَشَرَةُ أَيَّامٍ، وَكَذَلِكَ **أَدْنَى أَوْقَاتِ الصَّلاَةِ** عِنْدَهُمْ عَشَرَةُ أَيَّامٍ، **وَأَكْثَرُهَا** سِتُّونَ يَوْمًا.

وَإِذَا وَضَعَتِ الْحَامِلُ تَرَكَتِ الصَّلاَةَ وَالصَّوْمَ، وَاجْتَنَبَهَا زَوْجُهَا حَتَّى تَطْهُرَ مِنْ نِفَاسِهَا أَوْ تَبْلُغَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِذَا رَأَتِ الطُّهْرَ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، وَإِنْ لَمْ تَرَ الطُّهْرَ بَعْدَ الأَرْبَعِينَ انْتَظَرَتْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ تَغْتَسِلُ وَتُصَلِّي، تَصْنَعُ كَالْمُسْتَحَاضَةِ. وَإِنْ كَانَ لَهَا وَقْتٌ دُونَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَإِذَا تَمَّ وَقْتُهَا وَلَمْ تَرَ الطُّهْرَ انْتَظَرَتْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ كَمَا قَدَّمْنَا، ثُمَّ تَصْنَعُ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا تَصْنَعُ الْمُسْتَحَاضَةُ، وَإِنْ كَانَ وَقْتُهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا

(١) [رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب ما جاء في وقت النفساء، ر٣١١].

وَانْقَطَعَ الدَّمُ دُونَهَا ثُمَّ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ أَيَّامًا، ثُمَّ رَاجَعَهَا الدَّمُ قَبْلَ أَرْبَعِينَ، فَفِي إِعَادَةِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا قَوْلاَنِ.

وَكَذَلِكَ الْحَائِضُ يَكُونُ وَقْتُهَا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، فَتَحِيضُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَطْهُرُ، فَتَصُومُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يُرَاجِعُهَا الدَّمُ فِي الثَّامِنِ، فَقَوْلاَنِ فِي إِعَادَةِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا.

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ حُكْمَ النِّفَاسِ فِي وَقْتِهِ حُكْمُ الْحَيْضِ، وَلَوِ انْقَطَعَ دَمُ النِّفَاسِ ثُمَّ عَادَ بَعْدَمَا مُضِيِّ طُهْرٍ تَامٍّ فَهُوَ حَيْضٌ، وَإِنْ عَادَ دُونَ الطُّهْرِ فَهُوَ نِفَاسٌ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ النِّفَاسُ كَمُلَ بِالأَوَّلِ، فَلاَ يَكُونُ مَا بَعْدَ انْتِظَارِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ نِفَاسًا.

وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ التَّوْأَمَيْنِ فَفِي كَوْنِهِ نِفَاسًا لانْفِصَالِ الأَوَّلِ، أَوْ حَيْضًا لِبَقَاءِ الثَّانِي قَوْلاَنِ فِي بَعْضِ الآثَارِ.

وَحُكْمُ دَمِ النِّفَاسِ فِيمَا يَمْنَعُهُ وَفِي اقْتِضَاءِ الْغُسْلِ حُكْمُ دَمِ الْحَيْضِ.

وَلاَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضٍ أَوْ نِفَاسٍ حَتَّى تَرَى طُهْرًا بَيِّنًا، أَوْ تَخْرُجُ مِنْهُ بِالانْتِظَارِ، فَإِنِ اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرَى الطُّهْرَ الْبَيِّنَ، فَإِذَا رَأَتِ الطُّهْرَ أَعَادَتِ الْغُسْلَ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ.

وَاغْتِسَالُ الْحَائِضِ وَالنُّفَسَاءِ كَاغْتِسَالِ الْمُجْنِبَةِ، إِلاَّ أَنَّ الْحَائِضَ تُؤْمَرُ بِنَقْضِ شَعْرِ رَأْسِهَا عِنْدَ الْغُسْلِ، وَتَغْسِلُهُ بِالرَّمْلِ أَوْ بِالطَّفْلِ وَتُمَشِّطُهُ، ثُمَّ تَجْمَعُ الشَّعْرَ فَتَغْسِلُهُ، ثُمَّ تَدْفِنُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، وَبِهِ الْعَوْنُ وَالتَّوْفِيقُ.

# كتاب الصلاة

# الرُّكْنُ الثَّانِي مِنَ الْكِتَابِ
# فِي الصَّلاَةِ وَأَقْسَامِهَا وَفَرَائِضِهَا وَسُنَنِهَا
# وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْفَضَائِلِ

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الرُّكْنَ يَنْحَصِرُ فِي مُقَدِّمَةٍ وَثَلاَثِ جُمَلٍ، **أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ** فَتَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ أَقْسَامِ الصَّلاَةِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْمَسْنُونَاتِ وَمُتَطَوَّعِهَا مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ مِنْ عِبَادِهِ - بَعْدَ أَحْكَامِ مَعْرِفَتِهِ وَتَصْدِيقِ أَنْبِيَائِهِ - عِبَادَاتِ الأَبْدَانِ، وَقَدَّمَهَا عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ مِنْ وَاجِبِ الْحُقُوقِ فِي الأَمْوَالِ؛ لأَنَّ النُّفُوسَ عَلَى الأَمْوَالِ أَشَحُّ، وَبِمَا يَتَعَلَّقُ بِالأَبْدَانِ أَسْمَحُ، ثُمَّ قَدَّمَ فَرْضَ الصَّلاَةِ عَلَى سَائِرِ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ؛ لأَنَّ الصَّلاَةَ أَسْهَلُ فِعْلاً وَأَيْسَرُهُ عَمَلاً، ثُمَّ جَعَلَهَا مُشْتَمِلَةً عَلَى خُضُوعٍ لَهُ رَهْبَةً مِنْ سَطْوَتِهِ وَعِقَابِهِ، وَمُتَضَمِّنَةً عَلَى تَضَرُّعٍ وَابْتِهَالٍ إِلَيْهِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ وَفَضْلِهِ، بَعْدَ أَنْ شَرَعَ لَنَا شُرُوطًا لاَزِمَةً مِنْ رَفْعِ الأَحْدَاثِ وَإِزَالَةِ الأَنْجَاسِ، لِيَسْتَدِيمَ الْعَبْدُ النَّظَافَةَ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، وَالطَّهَارَةَ لأَدَاءِ فَرْضِهِ، ثُمَّ ضَمَّنَهَا تِلاَوَةَ كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ لِيَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَيَعْتَبِرَ بِإِعْجَازِ لَفْظِهِ وَمَعَانِيهِ، ثُمَّ عَلَّقَهَا بِأَوْقَاتٍ لاَزِمَةٍ وَأَزْمَانٍ مُتَرَادِفَةٍ، لِيَكُونَ تَرَادُفُ أَزْمَانِهَا وَتَتَابُعُ أَوْقَاتِهَا سَبَبًا لاسْتِدَامَةِ الْخُضُوعِ لَهُ وَالابْتِهَالِ إِلَيْهِ، حَتَّى لاَ تَنْقَطِعَ الرَّهْبَةُ مِنْ عِقَابِهِ وَلاَ الرَّغْبَةُ فِي ثَوَابِهِ، فَإِذَا لَمْ تَنْقَطِعِ الرَّهْبَةُ وَلاَ الرَّغْبَةُ مِنْ قُلُوبِ الْخَلِيقَةِ أَذْعَنَتْ لِلْعُبُودِيَّةِ، وَذَلَّتْ وَاسْتَقَامَتْ عَلَى الطَّرِيقَةِ وَصَلُحَتْ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ يَكُونُ اسْتِيفَاءُ الْفُرُوضِ عَلَى الْكَمَالِ، أَوِ التَّقْصِيرُ فِيهَا عَنْ حَالِ الْجَوَازِ، كَمَا جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، فَمَنْ وَفَّى وُفِّيَ

لَهُ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْمُطَفِّفِينَ"[١]، ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِكُلِّ فَرْضٍ مِنْ فَرَائِضِهِ تَوَابِعَ مَسْنُونَاتٍ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ وَلَوَاحِقَ مُتَطَوَّعَاتٍ، تَبَرَّعَتْ بِهَا أَنْفُسُ أَوْلِيَائِهِ لِيُثِيبَهُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ أَفْضَلَ الثَّوَابِ وَيَنَالُوا عِنْدَهُ بِذَلِكَ حُسْنَ الْمَثَابِ.

## [أقسام الصلاة]

**فَإِذَا الصَّلَاةُ تَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ:**

**أَحَدُهَا**: **قِسْمُ فُرُوضٍ**، وَهِيَ نَوْعَانِ: فَرْضٌ عَلَى الأَعْيَانِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَفَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ كَالْجُمُعَةِ عَلَى مَنْ تَعَيَّنَتْ عَلَيْهِ فِي مِصْرِ الإِمَامِ، وَكَصَلَاةِ الْمَيِّتِ عَلَى مَنْ حَضَرَهَا مِنَ الأَنَامِ، وَالْجُمُعَةُ أَيْضًا فَرْضُ عَيْنٍ؛ لأَنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الظُّهْرِ، وَلَكِنْ لَهَا أَحْكَامٌ تُخَالِفُهَا.

**وَالثَّانِي**: **قِسْمُ سُنَنٍ**، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ، **وَاجِبَاتٌ**: كَالْوَتْرِ، وَصَلَاةِ الْمَيِّتِ أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ، **وَمُؤَكَّدَاتٌ**: كَرَكْعَتَيْ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَصَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، وَرَكْعَتَيِ الطَّوَافِ، وَقِيَامِ رَمَضَانَ، وَسُجُودِ الْقُرْآنِ، **وَمَرْغُوبَاتٌ**: كَكُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالزَّلْزَلَةِ، وَصَلَاةِ الاسْتِسْقَاءِ، وَرَكْعَتَيِ الإِحْرَامِ.

**الثَّالِثُ**: **قِسْمُ فَضَائِلَ**: كَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ رَكْعَتَانِ[٢]، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَرَكْعَتَيِ السَّحَرِ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

**الرَّابِعُ**: **قِسْمُ تَطَوُّعٍ**، وَهِيَ نَوْعَانِ، **أَحَدُهُمَا**: كُلُّ صَلَاةٍ يَتَنَفَّلُ بِهَا فِي أَوْقَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، **الثَّانِي**: الصَّلَاةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالأَسْبَابِ، كَالصَّلَاةِ لِوَدَاعِ الْمَنْزِلِ عِنْدَ

---

(١) [رواه البيهقي، باب الترغيب في تحسين الصلاة، ر٣٤٠١]

(٢) [قال بعض علمائنا: إنهما سنة مؤكدة (انظر: المعتصم المعولي: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٣٨٨)]

الْخُرُوجِ إِلَى السَّفَرِ وَعِنْدَ الْقُدُومِ مِنْهُ، وَصَلاَةِ الاسْتِخَارِ رَكْعَتَانِ، وَصَلاَةِ الْحَاجَةِ رَكْعَتَانِ، وَصَلاَةِ التَّسْبِيحِ أَرْبَعٌ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الدُّعَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَصَلاَةِ الدَّهْرِ وَهِيَ عَشْرُ رَكَعَاتٍ، وَصَلاَةِ الرَّجَاءِ وَهِيَ أَرْبَعٌ، وَصَلاَةِ الأَجْرِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ[1].

**الْخَامِسُ : قِسْمُ مَمْنُوعِ الصَّلاَةِ**[2]، وَهِيَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا، وَعِنْدَ تَوَسُّطِهَا فِي كَبِدِ السَّمَاءِ قَبْلَ أَنْ تَزُولَ، وَالصَّلاَةُ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مَا خَلاَ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَرَكْعَتَيْهِ، وَالْوِتْرِ إِنْ نَسِيَهُ أَوْ نَامَ عَنْهُ، وَبَعْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ صَلاَةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ إِلاَّ لِمَنْ تَذَكَّرَ فَرْضًا أَوْ نَامَ عَنْهُ أَوْ لَزِمَهُ قَضَاؤُهُ، وَقَبْلَ صَلاَةِ الْمَغْرِبِ، وَبَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ لِمَنْ قَرَنَهُمَا، وَالتَّنَفُّلُ لِمَنْ عَلَيْهِ فَرْضٌ خَرَجَ وَقْتُهُ أَوْ ضَاقَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ مُخَالِفًا لِلإِمَامِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ زِيَادَةُ: "وَصَلاَةُ التَّسْبِيحِ رَكْعَتَانِ"، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا هُنَا.

(٢) [جمع المصنف بين الأوقات التي تحرم فيها الصلاة وبين الأوقات التي تكره فيها]

# الْجُمْلَةُ الأُولَى
## فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَفَرَائِضِهَا وَسُنَنِهَا وَفَضَائِلِهَا

اعْلَمْ أَنَّ الصَّلاَةَ بُنِيَتْ عَلَى أَرْكَانٍ وَفَرَائِضَ لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِهَا، وَعَلَى سُنَنٍ لاَ تَتِمُّ إِلاَّ بِامْتِثَالِهَا، مَعَ الذِّكْرِ لَهَا أَوْ جَبْرِهَا بِالسُّجُودِ عِنْدَ السَّهْوِ عَنْهَا، وَعَلَى فَضَائِلَ يُؤْجَرُ الْعَبْدُ بِإِحْرَازِهَا.

### [فرائض الصلاة]

**فَفَرَائِضُهَا مَعَ جُمْلَةِ شُرُوطِهَا عِشْرُونَ:** عَشَرَةٌ قَبْلَ الدُّخُولِ فِيهَا، وَعَشَرَةٌ بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِهَا.

### [فرائض الصلاة قبل الدخول فيها]

فَاللَّوَاتِي قَبْلَ الدُّخُولِ فِيهَا **إِحْدَاهَا** : الطَّهَارَةُ مِنَ الأَحْدَاثِ بِالْوُضُوءِ وَالاغْتِسَالِ إِنْ طَرَأَ عَلَى الإِنْسَانِ، **وَالثَّانِيَةُ** : إِزَالَةُ النَّجَسِ قَبْلَ الطَّهَارَةِ. **وَالثَّالِثَةُ** : طَهَارَةُ الثَّوْبِ وَطَهَارَةُ الْبُقْعَةِ الْمُصَلَّى عَلَيْهَا، **وَالرَّابِعَةُ** : دُخُولُ الْوَقْتِ لأَدَائِهَا، **وَالْخَامِسَةُ** : السَّتْرُ لِلْعَوْرَةِ فِي جُمْلَتِهَا مِنَ الرُّكْبَةِ إِلَى السُّرَّةِ لِلرَّجُلِ، وَلِلْمَرْأَةِ الْحُرَّةِ جَمِيعُ جَسَدِهَا مَا خَلاَ الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ مِنْ زِينَتِهَا، **وَالسَّادِسَةُ** : الْقِيَامُ مَعَ

الْقُدْرَةِ فِي حَالِ عَمَلِهَا[1]، **وَالسَّابِعَةُ** : اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ فِي جَمِيعِهَا، **الثَّامِنَةُ** : النِّيَّةُ بِالْقَلْبِ عِنْدَ التَّلَبُّسِ بِهَا، **التَّاسِعَةُ** : اسْتِصْحَابُ حُكْمِ النِّيَّةِ فِي سَائِرِهَا، **وَالْعَاشِرَةُ** : الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ امْتِثَالِهَا.

## [فرائض الصلاة بعد الدخول فيها]

**وَأَمَّا الْعَشَرَةُ** الَّتِي بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهَا **فَإِحْدَاهَا** : الإِحْرَامُ بِلَفْظِ التَّكْبِيرِ أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي أَوَّلِهَا، **وَالثَّانِيَةُ** : الْقِرَاءَةُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَصَاعِدًا، **وَالثَّالِثَةُ** : الرُّكُوعُ فِيهَا، **وَالرَّابِعَةُ** : الاعْتِدَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ، **وَالْخَامِسَةُ**: السُّجُودُ بَعْدَ الرُّكُوعِ، **وَالسَّادِسَةُ** : الْفَصْلُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَالاعْتِدَالُ فِيهِمَا، **وَالسَّابِعَةُ** : الْجُلُوسُ بَعْدَهُ، **وَالثَّامِنَةُ** : التَّحِيَّاتُ عَلَى الاخْتِلاَفِ بَيْنَ الأَئِمَّةِ فِي أَيَّتِهِمَا الْفَرِيضَةُ الأُولَى أَوِ الآخِرَةُ مِنْهُمَا، **وَالتَّاسِعَةُ** : تَرْتِيبُ الأَفْعَالِ فِي جَمِيعِهَا، **وَالْعَاشِرَةُ** : اسْتِصْحَابُ الْخُشُوعِ فِيهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

## [سنن الصلاة]

**وَسُنَنُهَا** عِشْرُونَ أَيْضًا، **إِحْدَاهَا** : الأَذَانُ لَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَحَيْثُ الأَئِمَّةُ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَسُنَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، **وَالثَّانِيَةُ** : الإِقَامَةُ لِلرِّجَالِ، **وَالثَّالِثَةُ**: الصَّلاَةُ بِالْجَمَاعَةِ[2]، **وَالرَّابِعَةُ** : التَّوْجِيهُ، **وَالْخَامِسَةُ** : الاسْتِعَاذَةُ بَعْدَ التَّكْبِيرِ، **وَالسَّادِسَةُ**: قِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ[3]، **وَالسَّابِعَةُ** : قِرَاءَةُ السُّورَةِ مَعَ أُمِّ الْقُرْآنِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَلِرَكْعَتَيِ

(١) [ضمير الهاء هنا وما بعده يعود إلى الصلاة وليس إلى المرأة الأقرب مذكور].

(٢) [يرى بعض علمائنا أن صلاة الجماعة فرض عين (انظر: المعتصم المعولي: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢٧٥].

(٣) [قراءة البسملة مع الحمد واجبة. (انظر المعولي: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢١٧- ٢١٩)].

الْفَجْرِ، **وَالثَّامِنَةُ** : الْجَهْرُ بِالْقِرَاءَةِ فِي مَوْضِعِ الْجَهْرِ، وَهِيَ فِيمَا قَدَّمْنَا مَعَ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ، **وَالتَّاسِعَةُ** : الإِسْرَارُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَآخِرِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، **وَالْعَاشِرَةُ** : الإِنْصَاتُ لِقِرَاءَةِ الإِمَامِ إِذَا جَهَرَ، **وَالْحَادِيَةَ عَشْرَةَ** : قِرَاءَةُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ لِلْمَأْمُومِ وَرَاءَ الإِمَامِ[1]، **وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: التَّكْبِيرُ مَعَ كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ إِلاَّ عِنْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ فَيَقُولُ الإِمَامُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَيَقُولُ الْفَذُّ وَرَاءَ الإِمَامِ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، **وَالثَّالِثَةَ عَشْرَةَ** : التَّعْظِيمُ فِي حَالِ الرُّكُوعِ، **وَالرَّابِعَةَ عَشْرَةَ** : التَّسْبِيحُ فِي حَالِ السُّجُودِ، **وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ** : السُّجُودُ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ[2]، **والسَّادِسَةَ عَشْرَةَ** : التَّحِيَّاتُ مَعَ الإِسْرَارِ بِهَا[3]، **وَالسَّابِعَةَ عَشْرَةَ** : التَّسْلِيمُ مِنْهَا[4]، **وَالثَّامِنَةَ عَشْرَةَ** : التَّيَامُنُ بِالسَّلاَمِ عَلَى الْيَمِينِ ثُمَّ الْيَسَارِ، **وَالتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ** : الدُّعَاءُ بَعْدَ الصَّلاَةِ، **وَالْعِشْرُونَ** : الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

## [فضائل الصلاة]

**وَفَضَائِلُهَا عَشْرٌ، إِحْدَاهَا** : الأَذَانُ لِلْمُسَافِرِ، **وَالثَّانِيَةُ** : الإِقَامَةُ لِلنِّسَاءِ، **وَالثَّالِثَةُ** : تَوْجِيهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، **وَالرَّابِعَةُ** : إِطَالَةُ الْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ، وَتَخْفِيفُهَا فِي الْمَغْرِبِ، وَتَوَسُّطُهَا فِي الْعِشَاءِ، **وَالْخَامِسَةُ** : مُبَاشَرَةُ الأَرْضِ بِالْجَبْهَةِ وَالْكَفَّيْنِ عِنْدَ السُّجُودِ مَعَ إِيصَالِ الأَنْفِ[5]، **وَالسَّادِسَةُ** : التَّجَافِي فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ

(١) [قراءة الفاتحة ركن للإمام والمأموم. (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢١٥- ٢١٧)].

(٢) [(السجود على سبعة آراب فرض. (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص٢٢٦، ٢٢٧)].

(٣) [لعل المؤلف يقصد التحيات الأولى؛ لأن التحيات الأخيرة ركن أو فرض (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢٣٠)].

(٤) [التسليم ركن في الصلاة (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢٣٢)].

(٥) [لقد سبق أن السجود على سبعة آراب فرض، ولا أدري ما الداعي إلى تكراره هنا وجعله من فضائل الصلاة؟].

بِالضَّبْعَيْنِ وَلاَ يَضُمُّهُمَا، **وَالسَّابِعَةُ** : الدُّنُوُّ مِنَ السُّتْرَةِ لِلإِمَامِ وَالْفَذِّ، **وَالثَّامِنَةُ** : الصَّلاَةُ أَوَّلَ الْوَقْتِ، **وَالتَّاسِعَةُ** : وَضْعُ الْبَصَرِ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ، **وَالْعَاشِرَةُ** : الْمَشْيُ إِلَيْهَا بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## [مكروهات الصلاة]

**وَمَكْرُوهَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ، إِحْدَاهَا** : صَلاَةُ الرَّجُلِ وَهُوَ يُدَافِعُ الأَخْبَثَيْنِ، **وَالثَّانِيَةُ** : الالْتِفَاتُ قَلِيلاً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ، **وَالثَّالِثَةُ** : تَحَدُّثُ النَّفْسِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا، **وَالرَّابِعَةُ** : الْعَبَثُ بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِه، **وَالْخَامِسَةُ** : الإِقْعَاءُ، وَهُوَ الْجُلُوسُ عَلَى الأَلْيَتَيْنِ مَعَ نَصْبِ الْفَخِذَيْنِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي التَّشَهُّدِ، **وَالسَّادِسَةُ** : الصَّفَنُ، وَهُوَ رَفْعُ إِحْدَى الرِّجْلَيْنِ كَمَا تَفْعَلُ الدَّابَّةُ عِنْدَ الْوُقُوفِ، **وَالسَّابِعَةُ** : الصَّفَدُ، وَهُوَ ضَمُّ الْقَدَمَيْنِ فِي الْقِيَامِ كَالْمُكَبَّلِ، **وَالثَّامِنَةُ** : الصَّلَبُ، وَهُوَ فِيمَا وَجَدْتُ وَضْعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ وَتَجَافِي الْعَضُدَيْنِ فِي حَالِ الْقِيَامِ كَصِفَةِ الْمَصْلُوبِ، وَفِي مَعْنَاهُ الاخْتِصَارُ، **وَالتَّاسِعَةُ**: الصَّلاَةُ بِالتَّلَثُّمِ، **وَالْعَاشِرَةُ**: كَفُّ الثَّوْبِ أَوِ الشَّعْرِ لأَجْلِ الصَّلاَةِ، **وَالْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: الْحَمْلُ فِي الْفَمِ أَوْ فِي غَيْرِهِ مِمَّا يَشْغَلُ عَنِ الصَّلاَةِ، **وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: أَنْ يُصَلِّيَ وَهُوَ مَشْغُولُ الْخَاطِرِ بِغَضَبٍ أَوْ نُعَاسٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ حُضُورِ طَعَامٍ أَوْ خَلاَءٍ مِمَّا يَشْغَلُهُ عَنْ فَهْمِ صَلاَتِهِ، وَمَا أَشْبَهَ مَا ذَكَرْنَا.

## [مفسدات الصلاة]

**وَمُفْسِدَاتُهَا كَثِيرَةٌ، وَهِيَ**: تَرْكُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهَا أَوْ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِهَا كَتَرْكِ النِّيَّةِ أَوْ قَطْعِهَا، أَوِ الْقِرَاءَةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ، عَمْدًا تَرَكَ ذَلِكَ أَوْ جَهْلاً أَوْ سَهْوًا، إِلاَّ خَطَأَ الْقِبْلَةِ بَعْدَ الاجْتِهَادِ فِي التَّحَرِّي أَوَّلاً، أَوْ تَرْكِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِهَا، أَوْ

تَرْكِ أَكْثَرِ التَّكْبِيرِ أَوِ التَّعْظِيمِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، إِنْ فَاتَتْ جَبَرَهَا بِسُجُودِ السَّهْوِ، وَكَذَلِكَ الزِّيَادَةُ بِالسَّهْوِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِيهَا، وَالرِّدَّةُ، وَالْقَهْقَهَةُ كَيْفَ كَانَتْ، وَالْكَلاَمُ لِغَيْرِ إِصْلاَحِ الصَّلاَةِ، وَالأَكْلُ وَالشُّرْبُ فِيهَا، وَالْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا، وَغَلَبَةُ الْهَمِّ أَوِ الْحقْنُ حَتَّى يَشْغَلَهُ عَنْهَا وَلاَ يَفْقَهَ مَا صَلَّى، وَالاتِّكَاءُ فِي حَالِ قِيَامِهِ عَلَى حَائِطٍ أَوْ عَصًى بِغَيْرِ عُذْرٍ مِمَّا لَوْ أُزِيلَ عَنْهُ ذَاكَ لَسَقَطَ، أَوْ ذِكْرُ صَلاَةِ فَرْضٍ يَجِبُ تَرْتِيبُهَا عَلَيْهِ، وَالصَّلاَةُ فِي الْكَعْبَةِ أَوْ عَلَى ظَهْرِهَا، وَحُدُوثُ الْمَاءِ عَلَى الْمُتَيَمِّمِ فِيهَا، وَاخْتِلاَفِ نِيَّةِ الْمَأْمُومِ وَإِمَامِهِ يُفْسِدُ الصَّلاَةَ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ فَسَادُ صَلاَةِ إِمَامِهِ يُفْسِدُهَا أَيْضًا، وَمَا أَشْبَهَ مَا ذَكَرْنَا، فَكُلُّ هَذَا يُفْسِدُ الصَّلاَةَ.

وَسَنَسُوقُ إِنْ شَاءَ اللهُ مَا يَنْبَغِي مِنْ تَقْسِيمَاتِ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ مَعَ سُنَنِهَا حَتَّى يَضْبِطَهَا الْمُسْتَرْشِدُ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

# الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ
## فِي تَفْصِيلِ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ وَسُنَنِهَا عَلَى مَا يَنْبَغِي

**أَمَّا الطَّهَارَةُ مِنَ الأَحْدَاثِ** فَقَدْ ذَكَرْنَاهَا، وَهِيَ شَرْطٌ فِي الصَّلاَةِ فِي الابْتِدَاءِ وَالدَّوَامِ، حَتَّى لَوْ أَحْدَثَ فِي الصَّلاَةِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا لَبَطَلَتْ، وَكَذَلِكَ لَوْ سَبَقَهُ الْحَدَثُ مَا خَلاَ الأَحْدَاثَ الثَّلاَثَةَ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الْحَدِيثُ أَنَّهَا لاَ تَنْقُضُ الصَّلاَةَ، وَهُوَ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: **"الْقَيْءُ وَالرُّعَافُ وَالْخَدَشُ لاَ يَنْقُضْنَ الصَّلاَةَ، فَإِذَا انْفَلَتَ الْمُصَلِّي بِهَا تَوَضَّأَ وَبَنَى عَلَى صَلاَتِهِ"**[1].

**[الفريضة الأولى]: وَأَمَّا طَهَارَةُ الثَّوْبِ** فَهِيَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلاَةِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ۝٤﴾[2] وَلِمَا رُوِيَ فِي السُّنَّةِ مِنْ أَمْرِهِ ﷺ بِغَسْلِ النَّجَاسَةِ مِنَ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ، وَإِنْ صَلَّى بِثَوْبٍ نَجِسٍ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ، عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا، ذَاكِرًا كَانَ أَوْ نَاسِيًا، وَعَلَيْهِ الإِعَادَةُ فِي الْوَقْتِ وَبَعْدَهُ، وَإِنْ كَانَتْ نُطْفَةً لاَ يَدْرِي مَتَى حَدَثَتْ فَلْيُعِدْ مِنْ آخِرِ نَوْمِهِ، وَإِنْ كَانَ غَائِطًا فَلْيُعِدْ مِنْ آخِرِ قَعْدَةٍ، وَإِنْ كَانَ دَمًا فَلْيَحْتَطْ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ مَنْ قَالَ فِيمَنْ جَهِلَ حُدُوثَ النَّجَاسَةِ فِي الثَّوْبِ جُمْلَةً: فَإِنَّهُ يُعِيدُ صَلاَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُ ثَوْبَيْهِ نَجِسًا وَلاَ يُفْرِزُهُ فَلْيُصَلِّ بِكُلِّ وَاحِدٍ صَلاَةً، وَقِيلَ: يَتَحَرَّى الطَّاهِرَ مِنْهُمَا فِي غَالِبِ ظَنِّهِ؛ لأَنَّ الأَصْلَ فِيهِمَا الطَّهَارَةُ، وَالأَوَّلُ أَحْوَطُ، وَإِنْ أَصَابَ بَعْضَ ثَوْبِهِ نَجَسٌ وَلَمْ

(١) [رواه الربيع، كتاب الطهارة، باب ما يجب منه الوضوء، ر١١٣ (دون ذكر :الخدش)].
(٢) الْمُدَّثِّر: ٤.

يَعْلَمْ مَوْضِعَهُ لَمْ يَجُزِ التَّحَرِّي وَغَسَلَ جَمِيعَهُ لِتَيَقُّنِ النَّجَاسَةِ فِيهِ بَعْدَ الإِصَابَةِ، وَلَوْ شَقَّهُ نِصْفَيْنِ لَمْ يَجُزِ التَّحَرِّي لِجَوَازِ أَنْ تَنْقَسِمَ النَّجَاسَةُ فِيهِمَا، وَلَوْ تَحَقَّقَ أَنَّ النَّجَاسَةَ أَصَابَتْ أَحَدَ الْكُمَّيْنِ فَغَسَلَهُمَا أَوْ قَطَعَهُمَا جَمِيعًا جَازَتِ الصَّلاَةُ بِهِ إِجْمَاعًا، وَإِذَا رَأَى النَّجَاسَةَ فِي ثَوْبِهِ فِي الصَّلاَةِ اسْتَأْنَفَهَا بِإِقَامَةٍ جَدِيدَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[الفريضة الثانية]: وَأَمَّا الْبَدَنُ** فَقَدْ تَقَدَّمَ تَطْهِيرُهُ بِالْغُسْلِ أَوْ بِالْمَسْحِ فِيمَا يُمْكِنُ فِيهِ الْمَسْحُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمُلْسِ قَبْلَ الطَّهَارَةِ، وَإِنْ نَسِيَ النَّجَسَ فِي رِجْلِهِ أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنْ بَدَنِهِ حَتَّى صَلَّى فَلْيُعِدِ الصَّلاَةَ بَعْدَ غَسْلِ النَّجَاسَةِ وَالتَّوَضُّؤِ بَعْدَهَا، وَكَذَلِكَ إِنِ الْتَصَقَتْ بِهِ الْمَيْتَةُ عَلَى هَذَا الْحَالِ.

**وَأَمَّا الثَّوْبُ** إِنْ غَسَلَهُ غَيْرُهُ فَلاَ يُعِيدُ الْوُضُوءَ وَلْيُعِدِ الصَّلاَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَإِنْ كَانَ مَعْذُورًا فِي تَعَلُّقِ النَّجَاسَةِ بِهِ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ مَشَايِخِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ، وَذَلِكَ فِي رَجُلٍ نَهَشَتْهُ أَفْعَى مِنْ رِجْلِهِ، فَجَعَلَ رِجْلَهُ فِي جَوْفِ كَلْبٍ مَذْبُوحٍ، فَرُخِّصَ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ كَذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[الفريضة الثالثة]: وَأَمَّا طَهَارَةُ الْبُقْعَةِ** فَهِيَ أَيْضًا مِنْ شُرُوطِ الصَّلاَةِ الَّتِي لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِهَا، الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِصَبِّ الذَّنُوبِ مِنَ الْمَاءِ عَلَى بَوْلِ الأَعْرَابِيِّ[1]، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ لاَ تَجُوزُ الصَّلاَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الأَنْجَاسِ، وَالْمُشْتَرَطُ مِنْ طَهَارَةِ الْمَكَانِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يَمَسُّ بَدَنَ الْمُصَلِّي عِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَالسُّجُودِ طَاهِرٌ، فَلَوْ صَلَّى عَلَى حَصِيرٍ أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا يَنْتَقِلُ وَطَرَفُهُ مُتَّصِلٌ بِنَجَاسَةٍ فَفِي إِنْزَالِهَا مَنْزِلَةَ الْمُتَّصِلِ بِهِ قَوْلاَنِ، وَالاخْتِيَارُ فِي جَوَابَاتِ أَبِي سَهْلٍ اللاَّلُوتِيِّ رحمه الله[2] أَنْ لاَ تَفْسُدَ الصَّلاَةُ بِذَلِكَ.

---

(١) [سبق تخريجه].

(٢) [تقدمت ترجمته].

وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِمَكَانِ الصَّلاَةِ نَهْيُهُ ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ: الْمَزْبَلَةُ، وَالْمَجْزَرَةُ، وَقَارِعَةُ الطَّرِيقِ، وَبَطْنُ الْوَادِي، وَالْحَمَّامُ، وَظَهْرُ الْكَعْبَةِ، وَمَعَاطِنُ الإِبِلِ[1] وَهُوَ مُجْتَمَعُهَا عِنْدَ الصَّدْرِ عَنِ الْمَنْهَلِ.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الصَّلاَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، فَبَعْضٌ كَرِهَهَا، وَبَعْضٌ اسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ الْمَقْبَرَةَ[2] فَقَطْ، وَبَعْضٌ الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ[3]، وَالأَصَحُّ أَنَّ الْمَقْبَرَةَ عِنْدَ أَصْحَابِنَا لاَ تَجُوزُ الصَّلاَةُ عَلَيْهَا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "لَعَنَ اللهُ أَقْوَامًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"[4]، وَكَذَلِكَ ظَهْرُ الْكَعْبَةِ، لِنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ[5]، وَلِقَوْلِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ رحمه الله لِلْمُصَلِّي عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ: مَنِ الْمُصَلِّي؟ لاَ قِبْلَةَ لَهُ. وَأَمَّا الْمَزْبَلَةُ وَالْمَجْزَرَةُ فَتَجُوزُ الصَّلاَةُ عِنْدَهُمْ عَلَيْهِمَا بَعْدَ طَهَارَتِهِمَا بِمَطَرٍ سَنَةً، وَمَعَاطِنُ الإِبِلِ كَذَلِكَ، وَأَمَّا الْحَمَّامُ فَالصَّلاَةُ فِيهِ فِي الْمَوَاضِعِ الطَّاهِرَةِ مِنْهُ مَكْرُوهَةٌ، وَكَذَلِكَ بَطْنُ الْوَادِي وَقَارِعَةُ الطَّرِيقِ مَعَ عَدَمِ الْمَضَرَّةِ فِيهِ لأَحَدٍ، وَالأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ**"[6]، إِلاَّ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا.

وَاخْتُلِفَ فِي عِلَّةِ نَهْيِهِ ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ فِي مَعَاطِنِ الإِبِلِ دُونَ مَرَابِضِ الْغَنَمِ، فَقِيلَ: لأَجْلِ نَجَاسَتِهَا، وَقِيلَ: لاَ يُؤْمَنُ نِفَارُهَا، وَقِيلَ: لِزُفْرَتِهَا، وَقِيلَ: لِكَوْنِهَا

(١) [رواه الترمذي، باب ما جاء في كراهية ما يصلي إليه وفيه، ٣٤٦].

(٢) [ذكرت المقبرة في الحديث ولم يذكرها ضمن السبعة هنا]

(٣) لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلاَّ الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ" [رواه الترمذي، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، ر٣١٧].

(٤) [مسند الربيع، الأخبار المقاطيع عن جابر بن زيد، ر٩٨٠].

(٥) [للحديث المتقدم].

(٦) [رواه الربيع، باب فرض التيمم والعذر الذي يوجبه، ر١٦٧ (دون ذكر: فحيثما أدركتك الصلاة فصل)، والبخاري، باب قول الله تعالى {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب}، ر٣٢٤٣].

يَسْتَتِرُ بِهَا الإِنْسَانُ فِي الْعَادَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَقِيلَ: لأَنَّهَا مِنْ جِنٍّ خُلِقَتْ، وَالْكَنِيفُ[1] عِنْدَ أَصْحَابِنَا لاَ يُصَلَّى إِلَيْهِ، إِلاَّ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُصَلِّي سُتْرَتَانِ: جِدَارَانِ، أَوْ حَصِيرَانِ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ. وَاخْتُلِفَ فِي الصَّلاَةِ عَلَى الأَرْضِ الْمَغْصُوبَةِ، فَقِيلَ: لاَ يُصَلِّي عَلَيْهَا الْغَاصِبُ وَلاَ غَيْرُهُ، وَقِيلَ: جَائِزَةٌ صَلاَةُ الْجَمِيعِ، وَقِيلَ بِإِبْطَالِ صَلاَةِ الْغَاصِبِ دُونَ غَيْرِهِ. وَاخْتُلِفَ أَيْضًا فِي الصَّلاَةِ فِي الْبِيَعِ وَالْكَنَائِسِ، فَكَرِهَهَا قَوْمٌ، وَأَجَازَهَا آخَرُونَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَجَسٌ وَتَمَاثِيلُ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ لِقَوْلِ عُمَرَ ﷺ: لاَ تَدْخُلُوا كَنَائِسَهُمْ مِنْ أَجْلِ التَّمَاثِيلِ[2]. وَفَرَّقَ أَصْحَابُنَا رَحِمَهُمُ اللهُ فَأَجَازُوا الصَّلاَةَ فِي الَّتِي بُنِيَتْ قَبْلَ الإِسْلاَمِ، وَأَبْطَلُوهَا فِيمَا بُنِيَ بَعْدَهُ، وَهُوَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ.

وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّلاَةِ عَلَى الأَرْضِ وَمَا أَنْبَتَتْ، مَعْمُولاً كَانَ أَوْ غَيْرَ مَعْمُولٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي السُّجُودِ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ، فَكَرِهَ ذَلِكَ أَصْحَابُنَا وَأَكْثَرُ الأُمَّةِ مِنْ غَيْرِ بُطْلاَنِ الصَّلاَةِ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْجِصِّ وَنَحْوِهِ وَلَمْ يُجِيزُوهَا عَلَى الرَّمَادِ وَالْهَكِّ[3] وَالْحَرِيرِ وَالإِبْرِيسَمِ[4] وَالْمَاءِ وَالطِّينِ وَالْوَحْلِ وَنَحْوِهِ، وَكَذَلِكَ الْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ وَالنُّحَاسُ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْمِلْحُ وَالشَّبُّ وَالْمَغْرَةُ[5] وَالنُّورَةُ وَالزِّرْنِيخُ[6]، إِلاَّ إِنِ اخْتَلَطَ أَحَدُ هَذِهِ الأَشْيَاءِ مَعَ التُّرَابِ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهَا. وَأَمَّا النَّجَاسَةُ إِذَا كَانَتْ عَنْ يَمِينِ الْمُصَلِّي أَوْ شِمَالِهِ فَقَدْ أَجَازُوا صَلاَتَهُ إِذَا لَمْ تَمَسَّهُ النَّجَاسَةُ، وَإِذَا كَانَتْ فِي قِبْلَتِهِ فَحَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِقْدَارُ ثَلاَثَةِ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ لاَ يُصَلِّيَ إِلاَّ عَلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ

(١) [الكنيف: مكان قضاء حاجة الإنسان].

(٢) [رواه البخاري، باب الصلاة في البيعة، ١٦٧/١].

(٣) [الهك: الفساء والذرق]

(٤) [الإبريسم: الحرير الخالص].

(٥) [المغرة: طين أحمر يُصبغ به].

(٦) [النورة والزرنيخ: مادتان يُطلى بهما لإزالة الشعر].

مُتَمَكِّنٍ فِيهِ الْمُصَلِّي، لَيْسَ بِمَنْهِيٍّ عَنْهُ وَلاَ بِقُرْبِهِ النَّجَاسَةُ، وَقَدْ كَرِهَ الرَّبِيعُ رحمه الله أَنْ يَكُونَ مُغْتَسَلُ الرَّجُلِ فِي مُؤَخِّرِ الْمَسْجِدِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ذِرَاعَانِ أَوْ ذِرَاعٌ، هَذَا إِذَا كَانَ الْمُغْتَسَلُ طَاهِرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

## الْفَرِيضَةُ الرَّابِعَةُ: دُخُولُ الْوَقْتِ لأَدَائِهَا

وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ:

**الأَوَّلُ:** فِي الأَوْقَاتِ الْمَأْمُورِ بِالصَّلاَةِ فِيهَا.

**وَالثَّانِي:** فِي الأَوْقَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا.

**وَالثَّالِثُ:** فِي أَوْقَاتِ الْمَعْذُورِينَ.

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

# فِي الأَوْقَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا

**وَفِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ**، وَقَدِ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ لِلصَّوَاتِ الْخَمْسِ أَوْقَاتًا هِيَ شَرْطٌ فِي صِحَّتِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا**﴾[1]، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مِنَ الأَوْقَاتِ مَا هُوَ فَضِيلَةٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ تَوْسِعَةٌ.

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى: فِي وَقْتِ الظُّهْرِ**، وَقَدِ اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ وَقْتَ الظُّهْرِ الَّذِي لاَ تُصَلَّى قَبْلَهُ هُوَ زَوَالُ الشَّمْسِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ظُهُورِ بِدَايَةِ انْحِطَاطِهَا عَنْ نِهَايَةِ ارْتِفَاعِهَا، الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ**﴾[2] يَعْنِي: زَوَالِهَا، وَبِمَا صَحَّ فِي تَوَاتُرِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ[3]، وَهُوَ أَشْبَهُ بِدُلُوكِهَا.

**وَقَدْ وَضَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ عَلاَمَاتٍ:**

**إِحْدَاهَا**: مَعْرِفَةُ ظِلِّ الزَّوَالِ بِالأَقْدَامِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الشُّهُورِ الْعَجَمِيَّةِ، وَذَلِكَ يَعْسُرُ عَلَى الْعَوَامِّ؛ لأَنَّهُ لاَ يَصِحُّ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ دُخُولِ الشَّهْرِ الْعَجَمِيِّ، وَالَّذِي يَقْرُبُ إِلَى أَفْهَامِ الْعَوَامِّ ثَلاَثُ عَلاَمَاتٍ: **إِحْدَاهَا**: مَعْرِفَةُ ظِلِّ الأَشْخَاصِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ

(١) النِّسَاء: ١٠٣.

(٢) الإسْرَاء: ٧٨.

(٣) [رواه مسلم، باب أوقات الصلوات الخمس، ر١٤٢٤].

شَخْصٍ لاَ بُدَّ أَنْ يَقَعَ لَهُ فِي ابْتِدَاءِ النَّهَارِ ظِلٌّ مُسْتَطِيلٌ فِي جَانِبِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ لاَ يَزَالُ يَنْقُصُ إِلَى وَقْتِ الزَّوَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِالزِّيَادَةِ فِي جِهَةِ الْمَشْرِقِ، وَلاَ يَزَالُ يَزِيدُ إِلَى الْغُرُوبِ. وَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ مَعْرِفَةَ دُخُولِ الْوَقْتِ بِالظِّلِّ فَلْيَقُمْ فِي مَوْضِعٍ أَوْ يَنْصُبَ عُودًا مُسْتَقِيمًا، وَلْيُعَلِّمْ عَلَى رَأْسِ الظِّلِّ، ثُمَّ لِيَنْظُرْ بَعْدَ سَاعَةٍ، فإن رَآهُ فِي النُّقْصَانِ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بَعْدُ وَقْتُ الصَّلاَةِ، وَالطَّرِيقُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْبَلَدِ وَقْتَ الأَذَانِ الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهِ إِلَى ظِلِّ قَامَتِهِ، فَإِذَا كَانَ مِثْلَ ثَلاَثَةِ أَقْدَامٍ بِقَدَمِهِ، فَمَهْمَا صَارَ كَذَلِكَ فِي غَيْرِ الْبَلَدِ وَأَخَذَ فِي الزِّيَادَةِ صَلَّى، ثُمَّ إِذَا زَادَ عَلَيْهِ سِتَّةُ أَقْدَامٍ وَنِصْفٌ دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ؛ إِذْ ظِلُّ كُلِّ شَخْصٍ بِقَدَمِهِ سِتَّةُ أَقْدَامٍ وَنِصْفٌ بِالتَّقْرِيبِ، ثُمَّ ظِلُّ الزَّوَالِ يَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ فِي ابْتِدَاءِ الصَّيْفِ وَيَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَوَّلِ الشِّتَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالْعَلاَمَةُ الثَّانِيَةُ**: أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَاقِفًا، غَاضًّا عَيْنَهُ الْيُمْنَى نَاظِرًا بِالْيُسْرَى، فَإِنْ لَمْ يُبْصِرْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الظُّهْرِ؛ لأَنَّ الشَّمْسَ حِينَئِذٍ عَلَى قَرْنِهِ الأَيْمَنِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُبْصِرْهَا، وَذَلِكَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ انْحِطَاطِهَا عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ.

**وَالْعَلاَمَةُ الثَّالِثَةُ**: أَنْ يَسْتَدِلَّ بِالشَّمْسِ إِذَا قَطَعَتْ أَكْثَرَ السَّمَاءِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

---

(١) كَانَ الْمُؤَذِّنُونَ – وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ – يُحَدِّدُونَ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ بِالأَقْدَامِ خُصُوصًا فِي الْجَنُوبِ الْجَزَائِرِيِّ وَعَلَى الأَخَصِّ فِي مِيزَابَ، أَمَّا الآنَ فَقَدِ اسْتَقَرَّ الْعَمَلُ عَلَى التَّوْقِيتِ الْفَلَكِيِّ وَاعْتِمَادِ السَّاعَةِ الزَّمَنِيَّةِ فِي كَامِلِ الْقُطْرِ الْجَزَائِرِيِّ، بَلْ وَالْعَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ بِأَجْمَعِهِ، فَلاَ نَكَادُ نَجِدُ الْيَوْمَ مُؤَذِّنًا لَيْسَتْ لَهُ سَاعَةٌ زَمَنِيَّةٌ يَعْتَمِدُهَا فِي مَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، وَقَدِ اعْتَنَتْ وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الأَصْلِيِّ وَالشُّئُونِ الدِّينِيَّةِ – تَوْحِيدًا لِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ الدِّينِيَّةِ – بِضَبْطِ مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ فِي يَوْمِيَّةٍ تُوَزِّعُهَا دِرَاكًا [أي تِبَاعًا] عَلَى مَسَاجِدِ الْقُطْرِ، ثُمَّ إِنَّ مِمَّا عَمَّمَ هَذَا التَّوْقِيتَ وَصَيَّرَهُ فِي مَيْسُورِ كُلِّ أَحَدٍ نَشْرَ الْمَوَاقِيتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْجَرِيدَةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَهَكَذَا يَرْفَعُ الْحِسَابُ الْفَلَكِيُّ الَّذِي يَضْبِطُ الأَوْقَاتَ بِدِقَّةٍ عَنِ الْمُؤَذِّنِينَ كُلْفَةَ تَحْدِيدِ الْمَوَاقِيتِ بِالأَقْدَامِ الَّذِي يَخْتَلِفُ زِيَادَةً وَنَقْصًا بِاخْتِلاَفِ فُصُولِ السَّنَةِ، وَلاَ يَكَادُ الْمُؤَذِّنُونَ كُلُّهُمْ يُتْقِنُونَهُ، وَهَكَذَا تَتَوَحَّدُ مَوَاقِيتُ الْعِبَادَةِ فِي سَائِرِ نَوَاحِي الْبِلاَدِ، وَهُوَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الإِسْلاَمُ دِينُ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ. اهـ مُصَحَّحه.

**وَاخْتُلِفَ فِي آخِرِ وَقْتِ الظُّهْرِ الْمُوَسَّعِ**، فَقِيلَ: إِذَا صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ فِي الصَّيْفِ وَمِثْلَيْهِ فِي الشِّتَاءِ، وَقِيلَ: الْمِثْلُ آخِرَ الظُّهْرِ وَأَوَّلَ الْعَصْرِ، فَيَبْقَى الْوَقْتُ بَيْنَهُمَا مُشْتَرَكًا، إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ زِيَادَةُ الظِّلِّ الْمِثْلَ، فَيَنْحَصِرُ حِينَئِذٍ الْوَقْتُ لِلْعَصْرِ خَاصَّةً، وَقِيلَ: بَل الاشْتِرَاكُ فِي الْقَامَةِ الأُولَى، فَيَكُونُ مَا قَبْلَهَا بِقَدْرِ مَا تُوقَعُ فِيهِ إِحْدَى الصَّلاَتَيْنِ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُمَا، وَاحْتَجَّ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **لاَ يَخْرُجُ وَقْتُ الصَّلاَةِ حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتُ الأُخْرَى**[1].

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي أَوَّلِ وَقْتِ صَلاَةِ الْعَصْرِ**، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضًا، فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هُوَ آخِرُ وَقْتِ الظُّهْرِ بِعَيْنِهِ، وَذَلِكَ إِذَا صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، وَهُوَ وَقْتٌ مُشْتَرَكٌ لِلصَّلاَتَيْنِ مَعًا، وَقَالَ آخَرُونَ: أَوَّلُ وَقْتِ الْعَصْرِ أَنْ يَصِيرَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، وَاحْتَجَّ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: "وَقْتُ الظُّهْرِ مَا لَمْ يَدْخُلْ وَقْتُ الْعَصْرِ"[2]، وَاحْتَجَّ الأَوَّلُ بِأَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فِي الْوَقْتِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ الْعَصْرَ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ[3].

---

(١) [ساق المنصفُ الحديثَ بالمعنَى، ولفظ الحديث: "وَقْتُ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْعَصْرُ، ووقت العصر..." (رواه مسلم، باب أوقات الصلوات الخمس، ر١٤١٩)].

(٢) [رواه مسلم، باب أوقات الصلوات الخمس، ر١٤١٧، بلفظ: "وَقْتُ الظُّهْرِ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْعَصْرُ وَوَقْتُ الْعَصْرِ"].

(٣) [رواه أبو داود، باب في المواقيت، ر٣٩٣، بلفظ: "أَمَّنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ قَدْرَ الشِّرَاكِ، وَصَلَّى بِيَ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِيَ - يَعْنِي الْمَغْرِبَ - حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى بِيَ الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ صَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِيَ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّى بِيَ الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلَّى بِيَ الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ"].

**وَعَلامَةُ الْعَصْرِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ**: أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَعَلامَتُهَا عِنْدَهُمْ أَيْضًا أَنْ يَسْتَقْبِلَ الإِنْسَانُ الشَّمْسَ بِوَجْهِهِ فَتَضْرِبُهُ بَيْنَ حَاجِبَيْهِ أَوْ فِي الْعَظْمِ الَّذِي خَلْفَ الأُذُنِ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَاخْتُلِفَ فِي آخِرِ وَقْتِ الْعَصْرِ**، فَقِيلَ: اصْفِرَارُ الشَّمْسِ، وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ، وَقِيلَ: آخِرُهَا غُيُوبُ قَرْنِهَا.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي أَوَّلِ وَقْتِ الْمَغْرِبِ**، وَوَقْتُ الْمَغْرِبِ يَدْخُلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا بِثَلاثَةِ أَشْيَاءَ، **أَحَدُهَا**: بِغُيُوبِ قُرْصِ الشَّمْسِ الْمُسْتَدِيرِ بِشُعَاعِهَا، **والثاني**: أَنْ يَتَسَاوَى الْمَوْضِعُ الَّذِي غَرَبَتْ فِيهِ مَعَ غَيْرِهِ فِي الْحُمْرَةِ، **والثالث**: إِقْبَالُ اللَّيْلِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَغْرِبِ مَا يَحُولُ دُونَ غُيُوبِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْمٍ أَوْ جَبَلٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمَشْرِقِ مَهْمَا ظَهَرَ سَوَادُ الأُفُقِ مُرْتَفِعًا عَنِ الأَرْضِ قَيْدَ رُمْحٍ فَصَاعِدًا فَقَدْ دَخَلَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ.

**وَاخْتُلِفَ فِي آخِرِهِ**، فَقِيلَ: هُوَ غَيْرُ مُوَسَّعٍ، وَهُوَ وَقْتٌ وَاحِدٌ مُضَيَّقٌ غَيْرُ مُمْتَدٍّ، آخِرُهُ مِقْدَارُ الْفَرَاغِ مِنْهَا فِي حَقِّ كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَأَظُنُّ أَصْحَابَ هَذَا الرَّأْيِ احْتَجُّوا بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ مَا صَلُّوا الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَرَوُا النُّجُومَ**"[2]، وَلِهَذَا - فِيمَا أَحْسَبُ- أَعْتَقَ عُمَرُ أَوْ غَيْرُهُ ثَلاثَةَ أَعْبُدٍ حِينَ أَخَّرَهَا حَتَّى طَلَعَتْ ثَلاثَةُ نُجُومٍ، وَقِيلَ: آخِرُهَا مَا لَمْ تَتَمَيَّزِ الشَّاةُ مِنَ الذِّئْبِ، وَإِنْ كَانَ سَحَابٌ فَوَقْتُ الْمَغْرِبِ يَحْصُلُ بِتَنَكُّرِ الْوُجُوهِ، وَقِيلَ: بِعُمُومِ الضَّوْءِ فِي الْبَيْتِ، وَقِيلَ: مَا لَمْ تُعَدَّ فِيهِ الْخشبُ، وَقِيلَ: آخِرُهُ مِقْدَارُ رَكْعَتَيْنِ، وَقِيلَ: أَرْبَع، وَقِيلَ: مَا لَمْ يُعْرَفْ مَوْضِعُ الرِّمَايَةِ، وَقِيلَ: هُوَ وَقْتٌ مُوَسَّعٌ، آخِرُهُ

---

(١) يَعْنِي: يَسْتَقْبِلُ الْمَغْرِبَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ وَلاَ يَخْفِضَهُ، فَيَفْتَحُ عَيْنَيْهِ فَتَضْرِبُهُ بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ.

(٢) [رواه أبو داود، باب في وقت المغرب، ٤١٨].

غُيُوبُ الشَّفَقِ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الْمَغْرِبُ مَا لَمْ تَذْهَبْ حُمْرَةُ الشَّفَقِ"(١)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي أَوَّلِ وَقْتِ الْعِشَاءِ**، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِغُيُوبَةِ الشَّفَقِ الأَحْمَرِ الَّذِي يَلِي الشَّمْسَ، دُونَ الأَبْيَضِ وَالصُّفْرَةِ فِي قَوْلِ الْجَمْهُورِ الأَعْظَمِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَعُمَرُ وَابْنُهُ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَشَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَقَتَادَةُ الأَنْصَارِيُّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيمَا وَجَدْتُ عَنْهُمْ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَطَاوُسٌ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَقَالَ بِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ وَالأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ(٢)، وَغَيْرُهُمْ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّ الْوَقْتَ مُتَعَلِّقٌ بِغُيُوبَةِ الشَّفَقِ الثَّانِي، وَهُوَ الأَبْيَضُ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

**وَسَبَبُ التَّنَازُعِ**: اشْتِرَاكُ اسْمِ الشَّفَقِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، فَكَمَا أَنَّ الْفَجْرَ فَجْرَانِ، كَذَلِكَ الشَّفَقُ شَفَقَانِ: الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ، فَمَغِيبُ الأَبْيَضِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الأَحْمَرِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، كَمَا يَكُونُ الْفَجْرُ الصَّادِقُ الْمُسْتَطِيرُ بَعْدَ الْفَجْرِ الْكَاذِبِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَتَكُونُ الْحُمْرَةُ بَعْدَ الْفَجْرِ الصَّادِقِ نَظِيرَ الْحُمْرَةِ فِي اللَّيْلِ.

فَالطَّوَالِعُ إِذًا أَرْبَعَةٌ: الْفَجْرُ الْكَاذِبُ، وَالصَّادِقُ، وَالأَحْمَرُ، وَالشَّمْسُ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْغَوَارِبُ.

وَذُكِرَ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: "صَعِدْتُ مَنَارَةَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَرَمَقْتُ الْبَيَاضَ، فَرَأَيْتُهُ يَتَرَدَّدُ مِنْ أُفُقٍ إِلَى أُفُقٍ وَلَمْ أَرَهُ يَغِيبُ"(٣)، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَإِنْ كَانَ

(١) [رواه مسلم، باب أوقات الصلوات الخمس، ر١٤١٧، وابن خزيمة، باب كراهية تسمية صلاة العشاء، ر٣٥٤].

(٢) وَفِي نُسْخَةٍ: "أَبُو عُبَيْدٍ"، وَهُوَ الظَّاهِرُ.

(٣) [القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٩/ ٢٧٥].

الْغَيْمُ فِي السَّمَاءِ فَيَحْصُلُ وَقْتُ الْعِشَاءِ وَغَيْرُهَا بِالاجْتِهَادِ وَالتَّحَرِّي إِلاَّ إِنْ كَانَ السَّحَابُ فِي مَوْضِعِ الشَّفَقِ خَاصَّةً، فَإِنَّهُ قِيلَ: إِذَا ظَهَرَتِ الْكَوَاكِبُ الصِّغَارُ وَكَثُرَتْ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى غَيْبُوبَةِ الشَّفَقِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1]. وَقَدْ رُوِيَ فِي إِمَامَةِ جِبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى بِهِ الْعِشَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الأُولَى حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعِشَاءَ عِنْدَ مَغِيبِ الْقَمَرِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَاخْتَلَفُوا فِي آخِرِ وَقْتِ الْعِشَاءِ، فَقِيلَ:** إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَقِيلَ: إِلَى النِّصْفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَشَذَّ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: آخِرُهُ طُلُوعُ الْفَجْرِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ دَاوُدَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدِ احْتَجَّ كُلٌّ بِحَدِيثٍ رَوَاهُ.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: فِي دُخُولِ وَقْتِ الْفَجْرِ،** وَقَدِ اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنَّ وَقْتَ الصُّبْحِ يَحْصُلُ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ الصَّادِقِ الْمُسْتَطِيرِ ضَوْءُهُ، لاَ بِالْفَجْرِ الْكَاذِبِ الَّذِي يَبْدُو مُسْتَطِيلاً مِقْدَارَ رُبْعِ السَّمَاءِ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**لَيْسَ الصُّبْحُ هَكَذَا، وَجَمَعَ كَفَّيْهِ، وَإِنَّمَا الصُّبْحُ هَكَذَا، وَوَضَعَ إِحْدَى سَبَّابَتَيْهِ عَلَى الأُخْرَى**"[2]، أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ الْمُعْتَرِضُ، وَيَتَمَادَى وَقْتُ الاخْتِيَارِ إِلَى الإِسْفَارِ.

**وَاخْتُلِفَ فِي الْوَقْتِ الْمُخْتَارِ مِنْهُ،** فَقِيلَ: **الأَفْضَلُ التَّغْلِيسُ بِهِ،** لِمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ "**أَنَّهُ ﷺ يُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ وَالنِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٌ بِمُرُوطِهِنَّ مَا يُعْرَفْنَ مِنَ الْغَبَشِ**"[3]، وَقِيلَ: **الإِسْفَارُ أَفْضَلُ،** لِقَوْلِهِ ﷺ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ: "**أَسْفِرُوا**

(١) مِنْ قَوْلِهِ: "خَاصَّةً" إِلَى قَوْلِهِ: "غَيْبُوبَةِ الشَّفَقِ": زِيَادَةٌ لاَ تُوجَدُ فِي بَعْضِ النُّسَخِ الَّتِي بِأَيْدِينَا.

(٢) [رواه ابن حبان، ذكر الأمر بأكل السحور لمن يسمع الأذان للصبح بالليل، ر٣٤٦٨].

(٣) [رواه الربيع، باب في أوقات الصلوات، ر١٨١، قَالَ الرَّبِيعُ: "الْمُرُوطُ: الأُزُرُ"، (مفردها مرط: وهو كساء من صوف أو خزّ كان يؤتزر به)، وقال: "وَالْغَبَشُ وَالْغَلَسُ وَاحِدٌ، وَهُوَ الظُّلْمَةُ"].

بِالْفَجْرِ، فَكُلَّمَا أَسْفَرْتُمْ فَهُوَ أَقْوَى لِلأَجْرِ"[١]، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ يَهِيدَنَّكُمُ السَّاطِعُ الْمُصْعِدُ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَعَرَّضَ لَكُمُ الأَحْمَرُ"[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وُجُوبُ الصَّلاَةِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا يَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ مَتَى فَعَلَ فَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ الْفَرْضُ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الأَوْقَاتِ، فَقِيلَ: كُلُّ صَلاَةٍ انْفَرَدَتْ بِوَقْتِهَا، وَهُوَ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ ﷺ، وَقِيلَ: الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ مُشْتَرِكَتَا الْوَقْتِ، وَكَذَلِكَ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ، وَأَمَّا صَلاَةُ الْفَجْرِ فَقَدِ انْفَرَدَتْ بِوَقْتِهَا، وَيَلْزَمُ الْكُفْرُ[٣] بِالتَّفْرِيطِ فِيهَا حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَتَعْجِيلُ الصَّلاَةِ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ أَفْضَلُ عِنْدَ الْجَمِيعِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "أَفْضَلُ الصَّلاَةِ لأَوَّلِ وَقْتِهَا"[٤]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الأَفْضَلُ فِي حَقِّ الْجَمَاعَةِ تَأْخِيرُ الظُّهْرِ إِلَى رُبْعِ الْقَامَةِ، وَالإِبْرَادُ بِهَا فِي وَقْتِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ، لِلْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْهُ ﷺ: "أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ"[٥]، وَلِمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ "يُؤَخِّرُ فِي الصَّيْفِ، وَيُعَجِّلُ فِي الشِّتَاءِ"[٦].

---

(١) [رواه الترمذي، باب ما جاء في الإسفار بالفجر، ر١٥٤].

(٢) [رواه أبو داود، باب وقت السحور، ر٢٣٥٠]. وَالْمَعْنَى: لاَ يَهِيدَنَّكُمْ؛ أَيْ: لاَ تَنْزَعِجُوا لِلْفَجْرِ الْمُسْتَطِيلِ فَتَمْتَنِعُوا عَلَى السَّحُورِ فَإِنَّهُ الْكَاذِبُ.

(٣) [يقصد بالكفر: كفر نعمة]

(٤) [رواه أبو دواد، باب في المحافظة على وقت الصلوات، ر٤٢٦].

(٥) [رواه الربيع، باب في أوقات الصلاة، ر١٧٩].

(٦) [لم أجد من خرجه بهذا اللفظ، وروي بلفظ: "أن رسول الله ﷺ كان يصلي الهجير وهي التي تدعونها الأولى حين تدحض الشمس، ويصلي العصر ثم يرجع أحدنا إلى أهله في أقصى المدينة والشمس حية ونسيت ما قال في المغرب، قال وكان يستحب أن يؤخر العشاء..." (رواه البخاري، باب ما يكره من السمر بعد العشاء، ر٥٧٤)].

**وَاخْتَلَفُوا فِي الْعِشَاءِ**، فَقِيلَ: **تَأْخِيرُهَا أَفْضَلُ**، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ**"[1]، وَقِيلَ: **التَّعْجِيلُ فِيهَا أَفْضَلُ** لِلْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ، **وَاخْتَارَ بَعْضُهُمُ** التَّعْجِيلَ إِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ، وَالتَّأْخِيرَ إِنْ أَبْطَأُوا، **وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ** تَأْخِيرَهَا فِي زَمَانِ الشِّتَاءِ قَلِيلاً لِطُولِ اللَّيْلِ، وَفِي لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَلِيلاً تَوْسِعَةً عَنِ النَّاسِ فِي إِفْطَارِهِمْ.

**وَاخْتُلِفَ فِي الْعَصْرِ، فَقِيلَ**: تَعْجِيلُهَا أَفْضَلُ، وَقِيلَ: تَأْخِيرُهَا إِلَى زِيَادَةِ ذِرَاعٍ عَلَى الْقَامَةِ فِي وَقْتِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ أَفْضَلُ.

**وَأَمَّا الصُّبْحُ وَالْمَغْرِبُ** فَتَقْدِيمُهُمَا بَعْدَ تَحَقُّقِ دُخُولِهِمَا أَفْضَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

**مَسْأَلَةٌ [فِي جَمْعِ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اشْتِبَاهِ الْوَقْتِ]**: وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ الْوَقْتُ فَلْيَجْتَهِدْ وَلْيَسْتَدِلَّ بِالأَوْرَادِ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَالْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا إِذَا غَامَتِ السَّمَاءُ حَتَّى خَفِيَ وَقْتُ الصَّلاَةِ أَنْ يُؤْخَذَ بِالرُّخْصَةِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ جَمِيعًا، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ جَمِيعًا

**وَكَيْفِيَّةُ الْجَمْعِ**: أَنْ يُؤَخِّرَ الأُولَى، وَيُعَجِّلَ الْعَصْرَ فَيَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، وَكَذَلِكَ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ، وَهَذَا بَعْدَ أَنْ يَنْوِيَ الْجَمْعَ قَبْلَ قِيَامِهِ إِلَى الأُولَى، وَيَقُولَ: "اللهُمَّ إِنَّ نِيَّتِي وَاعْتِقَادِي أَنْ أُؤَخِّرَ الظُّهْرَ وَأُعَجِّلَ الْعَصْرَ وَأَجْمَعَ بَيْنَهُمَا إِحْيَاءً لِلسُّنَّةِ طَاعَةً لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ". إِذَا نَوَى الْجَمْعَ جَازَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ الأُولَى إِلَى آخِرِ الْعَصْرِ، وَبَيْنَ أَوَّلِ الْمَغْرِبِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ، وَلاَ يَكُونُ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ إِلاَّ الإِقَامَةُ وَالتَّسْلِيمُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ بَيْنَهُمَا، وَلاَ يَتَنَفَّلُ، وَلاَ يَعْمَلُ عَمَلاً، وَإِنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدِ انْتَقَضَ قِرَانُهُ، وَيُؤَخِّرُ الآخِرَةَ إِلَى وَقْتِهَا وَيُصَلِّيهَا، وَإِنْ نَوَى أَنْ يَجْمَعَ فَلَهُ أَنْ يُفَرِّقَ، وَأَمَّا إِنْ عَقَدَ عَلَى التَّفْرِيقِ فَلاَ يَجُوزُ لَهُ الْجَمْعُ.

---

(١) [رواه الترمذي، باب ما جاء في تأخير صلاة العشاء الآخرة، ر١٦٧].

وَقَدِ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى جَوَازِ الْجَمْعِ بِعَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ، فَأَجَازَهُ الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ، وَمَنَعَهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَشْيَاعُهُ.

**وَسَبَبُ التَّنَازُعِ فِيهِ**: اخْتِلاَفُهُمْ فِي مَفْهُومِ الأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَمْعِ فِي السَّفَرِ، كَحَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ[1]، وَحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلاَ سَفَرٍ وَلاَ سَحَابٍ وَلاَ مَطَرٍ"[2]. فَكَثُرَ التَّنَازُعُ لأَجْلِ هَذَا، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَ الْجَمْعَ فِي عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ فَقَطْ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهُ فِيمَا ذَكَرْنَا وَفِي السَّفَرِ، وَأَجَازَهُ أَصْحَابُنَا فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَفِيمَا يُشْبِهُهُ، مِمَّا تَلْحَقُ فِيهِ الْمَشَقَّةُ كَالْمُسْتَحَاضَةِ، وَالْمَبْطُونِ، وَالْمَرِيضِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُغْشَى عَلَيْهِ، وَلِمَنْ خَفِيَتْ عَلَيْهِ أَوْقَاتُ الصَّلاَةِ بِالسَّحَابِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ قِيَاسًا عَلَى الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمْعِ فِي عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ وَفِي السَّفَرِ، لاسْتِوَاءِ الْعِلَّةِ فِي الْجَمِيعِ؛ وَهِيَ الرُّخْصَةُ لأَجْلِ الْمَشَقَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا صَلاَةُ الْفَجْرِ** إِذَا خَفِيَ وَقْتُهَا فَلَيْسَ فِيهَا إِلاَّ الاجْتِهَادُ حَتَّى لاَ يَشُكَّ فِي الْفَجْرِ، ثُمَّ إِنْ وَقَعَتْ صَلاَتُهُ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ أَوْ بَعْدَهُ فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ، وَإِنْ صَلَّى قَبْلَ الْوَقْتِ أَعَادَ بِلاَ خِلاَفٍ.

وَأَرْجُو لِمَنْ صَلَّى الْعَصْرَ قَبْلَ الْقَامَةِ وَالْعِشَاءَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّفَقِ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَلَّى وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ سَفَرٍ وَلاَ سَحَابٍ وَلاَ مَطَرٍ؛ لأَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُخْتَلَفٌ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الربيع، باب القرآن في الصلاة، ر٢٥٢].

(٢) [رواه الربيع، باب القرآن في الصلاة، ر٢٥١].

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي الأَوْقَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا[1]

**وَهِيَ أَرْبَعَةٌ**: بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَتَّى تُصَلَّى الصُّبْحُ، وَبَعْدَ الصَّلاَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَتَرْتَفِعَ، وَعِنْدَ وَقْتِ اسْتِوَائِهَا حَتَّى تَزُولَ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَزَادَ آخَرُونَ مِنْهُم: الصَّلاَةَ بَعْدَ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْمُصَلِّي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلاَةِ الَّتِي لاَ تَجُوزُ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ**، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ جَمِيعُ الصَّلَوَاتِ بِإِطْلاَقٍ لاَ فَرِيضَةً مَقْضِيَّةً، وَلاَ سُنَّةً، وَلاَ نَافِلَةً إِلاَّ عَصْرُ يَوْمِهِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَقْضِيَهُ النَّاسِي عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ أَنْ تَشْرَعَ فِيهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَقْضِي جَمِيعَ الْمَفْرُوضَاتِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجُوزُ قَضَاءُ السُّنَنِ أَيْضًا، وَإِنَّمَا الْمَمْنُوعُ النَّوَافِلُ، وَقَالَ مَنْ قَالَ: لاَ يُصَلَّى عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَلاَ عِنْدَ اسْتِوَائِهَا حَتَّى تَزُولَ، وَلاَ عِنْدَ غُرُوبِهَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ، فَلاَ يُصَلَّى

(١) [الأوقات المنهي عن الصلاة فيها هي: ١- وقت طلوع الشمس، ٢- وقت الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء، ٣- وقت غروب الشمس، ٤- وقت خطبة الجمعة إلا ركعتي تحية المسجد. (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ١٧٥، ١٧٦). أما الأوقات التي ذكرها المؤلف فهي الأوقات المكروه فيها الصلاة كراهة تنزيه لا تحريم، إلا وقت استواء الشمس عند الزوال فإنه من الأوقات المحرمة كما سبق. (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ١٧٩)].

فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ لاَ فَرِيضَةً، وَلاَ نَافِلَةً، وَلاَ سُنَّةً، وَلاَ صَلاَةَ جَنَازَةٍ، وَلاَ قَضَاءَ فَائِتَةٍ، وَأَمَّا قَبْلَ الطُّلُوعِ وَالْغُرُوبِ فَتُقْضَى فِيهِ الْفَوَائِتُ الْمَفْرُوضَةُ، وَيُصَلَّى فِيهِ عَلَى الْجَنَازَةِ، وَزَادَ آخَرُونَ قَضَاءَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَصْلُ التَّنَازُعِ فِيهَا**: تَعَارُضُ الأَحَادِيثِ: حَدِيثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: "**ثَلاَثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهَا، وَنُقْبِرَ فِيهَا مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَعِنْدَ قِيَامِ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَزُولَ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ**"(١)، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ "**نَهَى عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَعَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**"(٢)، فَاقْتَضَى هَذَانِ الْحَدِيثَانِ مَنْعَ الصَّلاَةِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ، ثُمَّ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَذَلِكَ وَقْتُهَا**"(٣)، فَتَعَارَضَتِ الأَحَادِيثُ كَمَا قَدَّمْنَا، فَذَهَبَ النَّاسُ فِيهَا ثَلاَثَةَ مَذَاهِبَ، **أَحَدُهَا**: مَنْعُ الصَّلاَةِ بِإِطْلاَقٍ، **والثاني**: مَنْعُ مَا عَدَا الْفَرْضِ مِنَ السُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ، **والثالث**: مَنْعُ النَّوَافِلِ، **وَقَوْلٌ رَابِعٌ**: التَّفْرِيقُ الْمُتَقَدِّمُ أَنَّهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ وُقُوفِهَا، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا لاَ يُصَلَّى فِيهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَبَعْدَ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ تُصَلَّى فِيهِ الْفَوَائِتُ وَالصَّلاَةُ الْحَاضِرَةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه مسلم، باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها، ر١٩٦٦].

(٢)[رواه الربيع، باب جامع الصلاة، ر٢٩٥].

(٣)[رواه الربيع، كتاب الصلاة ووجوبها، باب في أوقات الصلاة، ر١٨٤].

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# فِي أَوْقَاتِ الْمَعْذُورِينَ

وَأَمَّا أَوْقَاتُ الْمَعْذُورِينَ وَأَهْلِ الضَّرُورَاتِ فَهِيَ الأَوْقَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا لأَرْبَعٍ: الْحَائِضِ تَطْهُرُ أَوْ تَحِيضُ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ وَهِيَ لَمْ تُصَلِّ، وَالْمُسَافِرِ يَذْكُرُ هَذِهِ الصَّلاَةَ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ وَهُوَ حَاضِرٌ، أَوْ حَاضِرٌ يَذْكُرُ فِيهَا وَهُوَ مُسَافِرٌ، وَالصَّبِيِّ يَبْلُغُ فِيهَا، وَالْمُشْرِكِ يُسْلِمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُغْمَى عَلَيْهِ، فَقِيلَ: هُوَ كَالْحَائِضِ لاَ يَقْضِي إِلاَّ الصَّلاَةَ الَّتِي أَفَاقَ فِيهَا، وَقِيلَ: يَقْضِي فِيهَا دُونَ الْخَمْسِ.

وَاتَّفَقُوا عَلَى الْحَائِضِ إِذَا طَهُرَتْ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ أَنَّهَا تَجِبُ عَلَيْهَا الصَّلاَةُ الَّتِي طَهُرَتْ فِي وَقْتِهَا، وَاخْتَلَفُوا فِيهَا، فَقِيلَ: إِذَا طَهُرَتْ وَقَدْ بَقِيَ لِغُرُوبِ الشَّمْسِ مِقْدَارُ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَنَّهَا تَجِبُ عَلَيْهَا الْعَصْرُ فَقَطْ، وَإِنْ بَقِيَ مِقْدَارُ خَمْسِ رَكَعَاتٍ وَجَبَ عَلَيْهَا الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ جَمِيعًا، وَقِيلَ: إِنْ بَقِيَ لِلْغُرُوبِ رَكْعَةٌ فَالصَّلاَتَانِ مَعًا عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الأَصْنَافِ الأَرْبَعَةِ الَّتِي قَدَّمْنَاهَا، أَعْنِي الْمُسَافِرَ يَتَذَكَّرُ الصَّلاَةَ فِي الْحَضَرِ، أَوِ الْحَاضِرَ يَتَذَكَّرُهَا فِي السَّفَرِ، أَوِ الصَّبِيَّ يَبْلُغُ، أَوِ الْكَافِرَ يُسْلِمُ، وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْوَقْتِ مَا قَدَّمْنَا عَلَى الاخْتِلاَفِ الْمُتَقَدِّمِ.

**وَسَبَبُ التَّنَازُعِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ:** الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْعَصْرِ رَكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ"[1]، فَجَعَلَهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالأَقَلِّ عَلَى الأَكْثَرِ، أَعْنِي أَنَّهُ عَبَّرَ بِالرَّكْعَةِ عَلَى الأَرْبَعِ، وَجَعَلَهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالأَكْثَرِ عَلَى الأَقَلِّ، أَعْنِي عَبَّرَ بِالرَّكْعَةِ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ، وَأُيِّدَ قَوْلُهُ هَذَا بِمَا رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: "**مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْعَصْرِ سَجْدَةً قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ**"[2]، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: مَنْ أَدْرَكَ تَكْبِيرَةً قَبْلَ الطُّلُوعِ وَالْغُرُوبِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْوَقْتَ، فَرَأَى صَاحِبُ الْقَوْلِ الأَوَّلِ أَنَّ الْحَائِضَ إِنَّمَا تَعْتَدُّ بِهَذَا الْوَقْتِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ غُسْلِهَا، وَكَذَلِكَ الصَّبِيُّ يَبْلُغُ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَإِنَّمَا يَعْتَدُّ بِهِ مِنْ حِينِ أَسْلَمَ دُونَ الْفَرَاغِ مِنَ الْغُسْلِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَيَرَى أَيْضًا أَنَّ الْحَائِضَ إِذَا حَاضَتْ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ وَهِيَ بَعْدُ لَمْ تُصَلِّ أَنَّ الْقَضَاءَ سَاقِطٌ عَنْهَا، وَغَيْرُهُ يَرَى الْقَضَاءَ عَلَيْهَا إِذَا حَاضَتْ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْوَقْتِ مَا يُمْكِنُ أَنْ تُوقِعَ فِيهِ الصَّلاَةَ؛ لأَنَّهَا وَجَبَتْ عَلَيْهَا بِدُخُولِ الْوَقْتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

## فصل [الفريضة الخامسة من فرائض الصلاة]: فِي سَتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا

**وَهَذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ عَلَى قِسْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا** : فِي سَتْرِ الْعَوْرَةِ، **وَالثَّانِي** : فِيمَا يُجْزِئُ مِنَ اللِّبَاسِ فِي الصَّلاَةِ.

---

(١)[رواه الربيع، باب في صلاة الجماعة والقضاء في الصلاة، ر٢١٨].

(٢)[رواه مسلم، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة، ر١٤٠٧، وقال: "وَالسَّجْدَةُ إِنَّمَا هِيَ الرَّكْعَةُ"].

# الْقِسْمُ الأَوَّلُ
# فِي حَدِّ الْعَوْرَةِ وَحُكْمِ سَتْرِهَا

اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنَّ سَتْرَ الْعَوْرَةِ فَرْضٌ بِإِطْلاَقٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلاَةِ: هَلْ سَتْرُ الْعَوْرَةِ شَرْطٌ فِي صِحَّتِهَا أَمْ لاَ؟ فَذَهَبَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ إِلَى أَنَّهَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلاَةِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا مِنْ سُنَنِ الصَّلاَةِ، رُوِيَ هَذَا عَنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَسَبَبُ التَّنَازُعِ:** هَلِ الأَمْرُ الْوَارِدُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1] يُحْمَلُ عَلَى الْوُجُوبِ أَوِ النَّدْبِ، فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ كَمَا قَدَّمْنَا أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْوُجُوبِ، وَقَالُوا: لأَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سَتْرُ الْعَوْرَةِ، وَمَنْ حَمَلَ الأَمْرَ عَلَى النَّدْبِ قَالَ: الْمُرَادُ بِهِ الزِّينَةُ الظَّاهِرَةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا حَدُّ الْعَوْرَةِ فَإِنَّ الْمُكَلَّفِينَ فِي ذَلِكَ صِنْفَانِ:** رِجَالٌ وَنِسَاءٌ، وَالنِّسَاءُ قِسْمَانِ: حَرَائِرُ وَإِمَاءٌ، أَمَّا الصِّنْفُ الأَوَّلُ فَقَدِ اجْمَعُوا عَلَى أَنَّ السَّوْأَتَيْنِ مِنْهُمْ عَوْرَةٌ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا سِوَى ذَلِكَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْوَالٍ:

**أحدها:** أَنَّ الْعَوْرَةَ مِنَ السُّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ، وَهُمَا دَاخِلَتَانِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا: أَبِي الْمُؤَثِّرِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ كَشْفَ الرُّكْبَةِ وَالسُّرَّةِ وَنَظِيرَهُمَا مُحَرَّمٌ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، وَرُوِيَ عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْبُوبٍ رَحِمَهُمُ اللهُ مِنْ أَصْحَابِنَا[2] أَنَّ الْمُحَرَّمَ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ حَدِّ مَنَابِتِ الشَّعْرِ إِلَى مُسْتَغْلَظِ الْفَخِذَيْنِ.

---

(١) الأعراف: ٣١.

(٢) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي**: أَنَّ الْعَوْرَةَ مَا بَيْنَ السُّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ، وَهُمَا غَيْرُ دَاخِلَتَيْنِ فِي الْعَوْرَةِ، وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَرُوِيَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ الْعَوْرَةَ هِيَ السَّوْأَتَانِ لاَ غَيْرُ.

**وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ**: أَنَّ سَتْرَ جَمِيعِ بَدَنِ الرَّجُلِ فِي الصَّلاَةِ إِذَا أَمْكَنَ ذَلِكَ وَاجِبٌ.

**وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّانِي**: مِنَ النِّسَاءِ الْحَرَائِرِ[1] فَأَجْمَعُوا أَنَّ أَبْدَانَهُنَّ عَوْرَةٌ مَا خَلاَ الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّ قَدَمَهَا لَيْسَ بِعَوْرَةٍ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: الاشْتِرَاكُ الْوَاقِعُ فِي الْمُسْتَثْنَى مِنَ الزِّينَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾[2]، هَلْ هَذَا الْمُسْتَثْنَى الْمَقْصُودُ مِنْهُ أَعْضَاءٌ مَحْدُودَةٌ، وَأَنَّ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِيمَا لاَ يُسْتَرُ لَيْسَ بِعَوْرَةٍ كَالْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، إِذْ لَوْ كَانَا عَوْرَةً لَوَجَبَ سَتْرُ الْوَجْهِ فِي الإِحْرَامِ؟ فَمَنْ قَالَ: إِنَّ مَا يُسْتَرُ مِنَ الْبَدَنِ بِخِلاَفِ مَا لاَ يُسْتَرُ مِنْهُ فِي الْعَادَةِ، ذَهَبَ إِلَى أَنَّ مَا ذَكَرْنَا لَيْسَ بِعَوْرَةٍ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مَا لاَ تَمْلِكُ ظُهُورَهُ عِنْدَ الْحَرَكَةِ، قَالَ: بَدَنُهَا كُلُّهُ عَوْرَةٌ حَتَّى ظُفُرُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّانِي**: وَهُنَّ الإِمَاءُ، فَلاَ أَعْلَمُ خِلاَفًا بَيْنَ النَّاسِ فِي أَنَّ عَوْرَتَهُنَّ لَيْسَتْ كَعَوْرَةِ الْحَرَائِرِ؛ لأَنَّهُنَّ لَسْنَ فِي الْحُرْمَةِ كَالْحَرَائِرِ؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ ﷺ رَأَى أَمَةً مُتَقَنِّعَةً فَضَرَبَهَا، فَقَالَ: لاَ تَتَشَبَّهِي بِالْحَرَائِرِ يَا لَكَاعِ[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) يَعْنِي الْقِسْمَ الأَوَّلَ مِنَ الصِّنْفِ الثَّانِي.

(٢) النُّور: ٣١.

(٣) [رواه ابن شيبة، في الأمة تصلي بلا خمار، ر٦٢٩١]

# الْقِسْمُ الثَّانِي
# فِي اللِّبَاسِ الْمُجْزِئِ فِي الصَّلاَةِ

وَالأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[١]، أَيْ لِبَاسَكُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، وَقَدْ أَجْمَعُوا فِيمَا وَجَدْتُ عَلَى أَنَّ الْمُجْزِئَ فِي الصَّلاَةِ مِنَ اللِّبَاسِ لِلرَّجُلِ ثَوْبٌ وَاحِدٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ سُئِلَ: أَيُصَلِّي الرَّجُلُ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ؟ فَقَالَ: "أَوَكُلُّكُمْ يَجِدُ ثَوْبَيْنِ؟"[٢]، وَاخْتُلِفَ فِي الرَّجُلِ يُصَلِّي مَكْشُوفَ الظَّهْرِ وَالْبَطْنِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ صَلاَتَهُ جَائِزَةٌ؛ لأَنَّ الظَّهْرَ وَالْبَطْنَ لَيْسَتَا بِعَوْرَةٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ صَلاَتَهُ فَاسِدَةٌ، لِنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ "أَنْ يُصَلَّى فِي الثَّوْبِ الْوَاسِعِ لَيْسَ عَلَى عَاتِقِ الْمُصَلِّي مِنْهُ شَيْءٌ"[٣].

وَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّ اللِّبَاسَ الْمُجْزِئَ لِلْمَرْأَةِ فِي الصَّلاَةِ هُوَ دِرْعٌ وَخِمَارٌ، لِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ حَائِضٍ إِلاَّ بِخِمَارٍ"[٤]. وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِي الْمَرْأَةِ تُصَلِّي مَكْشُوفَةَ الرَّأْسِ، فَرَخَّصَ فِيهَا أَبُو نُوحٍ ﷺ[٥]، وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ صُحَارٍ[٦] أَنَّهُ قَالَ: فَإِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ تُصَلِّيَ مَكْشُوفًا رَأْسُهَا كَأَنَّهَا رَأْسُ أُمِّ رَبِيعٍ الْمَجْنُونَةِ، يَعْنِي مَجْنُونَةً فِي سُوقِ طُلَيْحَةَ تُدْعَى أُمَّ

(١) الأعراف: ٣١.

(٢) [رواه الربيع، باب في الثياب والصلاة فيها وما يستحب من ذلك، ر٢٦٦].

(٣)[رواه البخاري، باب إذا صلى في الثوب الواحد فليجعل على عاتقيه، ر٣٥٢].

(٤) تَقَدَّمَ.

(٥) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٦) صُحَارٌ الْعَبْدِيُّ هُوَ مِنْ أَعْلاَمِ الإِسْلاَمِ فِي الْقَرْنِ الأَوَّلِ، كَانَ فِي الْعِلْمِ غَايَةً، وَمِمَّنْ يَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيَدُهُ فِي الْعَقَائِدِ طَوِيلَةٌ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، وَكَانَ شَيْخًا لأَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ الإِمَامِ الثَّانِي لِلْمَذْهَبِ الإِبَاضِيِّ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: "وَأَكْثَرُ مَا حَمَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ السَّمَّاكِ وَصُحَارٍ الْعَبْدِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَقَادَتِهِمْ". اهـ مُصَحِّحه

رَبِيعٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَأَمَّا إِنْ صَلَّتْ وَفَخِذُهَا مَكْشُوفَةٌ أَوْ فِي خِمَارٍ رَقِيقٍ أَوْ فِي إِزَارٍ يُرَى مِنْهُ جَسَدُهَا فَصَلاَتُهَا فَاسِدَةٌ، إِذَا كَانَتْ تَقْدِرُ عَلَى الثِّيَابِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ فِي هَيْئَاتٍ مِنَ اللِّبَاسِ فِي الصَّلاَةِ:** كَاشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ: وَهُوَ أَنْ يَحْتَبِيَ الإِنْسَانُ بِثَوْبِهِ وَلَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَعَنْ لِبَاسِ السَّدْلِ: وَهُوَ أَنْ يُرْخِيَ إِزَارَهُ مِنْ عَلَى رَأْسِهِ، وَلاَ يَجْمَعُ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ سَدٌّ ذَرِيعَةٍ، لِئَلاَّ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُهُ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا أَبْطَلَ صَلاَةَ مَنْ صَلَّى بِبَعْضِ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ إِنْ لَمْ تَنْكَشِفْ عَوْرَتُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أَجَازُوا صَلاَةَ الإِمَاءِ غَيْرَ مُخْتَمِرَاتٍ مَكْشُوفَاتِ الصُّدُورِ كَحَالِ الرِّجَالِ، وَكَذَلِكَ السَّرَارِيُّ وَالْمُدَبِّرَاتُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُرَاهِقَةُ فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تُصَلِّيَ إِلاَّ مُخْتَمِرَةً مُسْتَتِرَةً كَالْحَرَّةِ الْبَالِغَةِ، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ أَوْجَبَ عَلَى الأَمَةِ فِي الصَّلاَةِ لُبْسَ الْخِمَارِ، وَاسْتَحَبَّهُ عَطَاءٌ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** هَلِ الْخَطَّابُ يَشْمَلُ الْعَبِيدَ وَالأَحْرَارَ أَمْ لاَ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتُلِفَ فِي الصَّلاَةِ بِثَوْبِ حَرِيرٍ، فَبَعْضٌ أَجَازَهَا، وَبَعْضٌ أَبْطَلَهَا، وَهُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا، لِلنَّهْيِ الْوَارِدِ عَنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ لِلرِّجَالِ، إِلاَّ فِي حَالِ الْحَرْبِ، وَأَجَازُوا مَوْضِعَ الأُصْبُعَيْنِ مِنْهُ إِذَا كَانَ عَلَمًا فِي الثَّوْبِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ الثَّوْبَ النَّجِسَ فَالْحَرِيرُ أَوْلَى بِهِ[1]، ثُمَّ إِنْ وَجَدَ غَيْرَهُ فِي الْوَقْتِ أَعَادَ الصَّلاَةَ. وَكَرِهُوا الصَّلاَةَ بِالثَّوْبِ الَّذِي يَشِفُّ لَيْلاً وَنَهَارًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الثَّوْبَ النَّجِسَ أَوْلَى مِنْ ثَوْبِ الْحَرِيرِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الإِيضَاحِ [كتاب الإيضاح، ١/ ٤٢٨]، اللهُمَّ إِلاَّ إِذَا كَانَ حَرِيرًا صِنَاعِيًّا فَهُوَ أَوْلَى، ذَلِكَ بِأَنَّ ثَوْبَ الْحَرِيرِ نُهِيَ عَنْهُ لِعَيْنِهِ، وَالثَّوْبَ النَّجِسَ لِمَعْنًى غَيْرِهِ، يَعْنِي: وَإِذَا دَارَ الأَمْرُ بَيْنَ التَّحْرِيمِ الْمُثَقَّلِ كَأَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَالتَّحْرِيمِ الْمُخَفَّفِ كَأَكْلِ الْمَيْتَةِ، قُدِّمَ التَّحْرِيمُ الْمُخَفَّفُ عَلَى الْمُثَقَّلِ، وَلِقَائِلٍ [أَنْ] يَقُولَ: إِنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ الْجِيطَالِيُّ أَوْلَى وَأَوْجَهُ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الإِيضَاحِ، ذَلِكَ أَنَّ الْحَرِيرَ يُبَاحُ لُبْسُهُ فِي بَعْضِ الْحَالاَتِ لِعِلَّةٍ كَالْحَكَّةِ وَالْحَرْبِ مَثَلاً، بِخِلاَفِ النَّجِسِ فَإِنَّهُ لاَ يُبَاحُ فِي حَالٍ مِنَ

وَالَّذِي يَنْبَغِي مِنْ ثِيَابِ الْمُصَلِّي أَنْ يَكُونَ كَثِيفًا صَفِيقًا فَلاَ يَكُونُ شَفًّا وَلاَ بِحَيْثُ يَصِفُ، فَإِنْ كَانَ شَفًّا فَهُوَ كَالْعَدَمِ بِالانْفِرَادِ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَحْتَهُ ثَوْبٌ آخَرُ، وَإِنْ كَانَ بِحَيْثُ يَصِفُ فَهُوَ مَكْرُوهٌ، وَلاَ يُؤَدِّي إِلَى بُطْلاَنِ الصَّلاَةِ إِنْ لَمْ تَنْكَشِفْ مِنْهُ عَوْرَتُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

هَذَا حُكْمُ الْقَادِرِ عَلَى السُّتْرَةِ، وَإِنْ عَجَزَ عَنْهَا صَلَّى عُرْيَانًا قَاعِدًا يَرُدُّ عَلَى عَوْرَتِهِ مَا يُوَارِيهَا بِهِ مِنْ شَجَرٍ أَوْ تُرَابٍ أَوْ غَيْرِهِ، يُومِئُ إِيمَاءً، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً صَلُّوا قُعُودًا وَإِمَامُهُمْ قَاعِدٌ فِي وَسْطِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا، يُومِئُونَ إِيمَاءً بَعْدَ أَنْ يُوَارُوا عَوْرَاتِهِمْ بِمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

## [الفريضة السادسة من فرائض الصلاة]: فِي الْقِيَامِ مَعَ الْقُدْرَةِ فِي الصَّلاَةِ

وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنْ لَيْسَ لِلصَّحِيحِ أَنْ يُصَلِّيَ فَرْضًا قَاعِدًا إِذَا كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ إِمَامًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[1]، أَيْ: مُطِيلِينَ الْقِيَامَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا أَوْ تَوَكَّأَ وَاسْتَنَدَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِيَامِ وَالاسْتِقْلاَلِ بِنَفْسِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ صَلاَتُهُ، إِنْ كَانَ لَوْ زَالَ العِمَادُ لَسَقَطَ، وَإِنْ كَانَ بِحَيْثُ لَو زَالَ لَمْ يَسْقُطْ لَمْ تَبْطُلْ مَعَ كَرَاهِيَةِ فِعْلِهِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ حَبِيبٍ ﷺ يَكْرَهُ الاسْتِنَادَ وَالاتِّكَاءَ عَلَى شَيْءٍ، وَرَخَّصَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ لِلشَّيْخِ الضَّعِيفِ، وَكَانَ يَفْعَلُهُ بَعْدَ مَا ضَعُفَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

الأَحْوَالِ. أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ فِي صَلاَتِهِ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَالْمَقَامُ مَقَامُ قَدَاسَةٍ وَطُهْرٍ، وَمَا كَانَ أَجْدَرَهُ أَنْ يَتَجَافَى النَّجَاسَةَ مَا أَمْكَنَ، وَلَئِنْ يُقَابِلُهُ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ نَظِيفٍ خَيْرٌ لَهُ أَنْ يُقَابِلَهُ بِثَوْبٍ نَجِسٍ قَذِرٍ، فَلْيُتَأَمَّلْ. اهـ مُصَحِّحه.

(١) الْبَقَرَة: ٢٣٨.

فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الاسْتِقْلاَلِ بِنَفْسِهِ فَفَرْضُهُ التَّوَكُّؤُ عَلَى شَيْءٍ يَعْمَدُهُ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ انْتَقَلَ إِلَى الْجُلُوسِ مُسْتَقِلاًّ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ فَفَرْضُهُ الْجُلُوسُ مُسْتَنِدًا، وَلَوْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ وَلَكِنْ تَلْحَقُهُ مَشَقَّةٌ فَادِحَةٌ تُلْحِقُهُ بِحُكْمِ الْعَاجِزِينَ لَسَقَطَ عَنْهُ الْقِيَامُ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَعْضِ آثَارِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ لاَ يُصَلِّي قَاعِدًا إِلاَّ إِذَا كَانَ فِي حَالَةٍ لاَ يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقِيَامَ إِلَى قَضَاءِ حَاجَةِ الإِنْسَانِ مِنَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ، فَحِينَئِذٍ يُصَلِّي قَاعِدًا يُومِئُ إِيمَاءً، يَجْعَلُ السُّجُودَ أَخْفَضَ مِنَ الرُّكُوعِ، وَيَقْعُدُ كَقُعُودِ الْمُصَلِّي فِي الصَّلاَةِ، وَقِيلَ: عَلَى مَقْعَدَتَيْهِ نَاصِبًا رُكْبَتَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَإِنْ عَجَزَ عَنِ الْقُعُودِ صَلَّى مُضْطَجِعًا عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلاً لِلْقِبْلَةِ، أَوْ مُسْتَلْقِيًا عَلَى قَفَاهُ وَرَأْسِهِ مِمَّا يَلِي الشِّمَالَ، كَمَا لَوْ جَلَسَ قَاعِدًا لاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ بِوَجْهِهِ، وَإِنْ عَجَزَ صَلَّى بِالتَّكْيِيفِ لِجَمِيعِ صَلاَتِهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْقُعُودِ وَالتَّسْلِيمَيْنِ، وَإِنْ عَجَزَ صَلَّى بِالتَّكْبِيرِ سَبْعًا، وَقِيلَ: سِتًّا، وَقِيلَ: أَرْبَعًا، وَقِيلَ: تَكْبِيرُ الصَّلاَةِ كُلُّهَا، وَإِنْ عَجَزَ كَبَّرَ وَلِيُّهُ، وَيَتْبَعُهُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَإِنْ غَابَ عَقْلُهُ حَتَّى لاَ يَعْقِلَ فَلاَ صَلاَةَ عَلَيْهِ وَلاَ قَضَاءَ إِذَا أَفَاقَ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ ﷺ غُشِيَ عَلَيْهِ أَيَّامًا فَلَمْ يَقْضِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## [الفريضة السابعة]: فِي اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ فِي جَمِيعِ الصَّلاَةِ

وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ الإِسْلاَمِ عَلَى أَنَّ التَّوَجُّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ الصَّلاَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1]، وَيَتَفَرَّعُ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ ثَلاَثَةُ أَرْكَانٍ:

---

(١) الْبَقَرَة: ١٤٤.

## الرُّكْنُ الأَوَّلُ: فِي الصَّلاَةِ

وَيَتَعَيَّنُ الاسْتِقْبَالُ فِي جَمِيعِ الصَّلاَةِ إِلاَّ فِي الْقِتَالِ، وَلاَ تُؤَدَّى فَرِيضَةٌ عَلَى الرَّاحِلَةِ إِلاَّ فِي حَالِ الاضْطِرَارِ، وَأَمَّا النَّوَافِلُ فَلاَ بَأْسَ، وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ عِنْدَ الإِحْرَامِ، ثُمَّ لاَ يَضُرُّهُ انْحِرَافُ الدَّابَّةِ عَنِ الْقِبْلَةِ فِي التَّمَادِي، وَكَذَلِكَ رَاكِبُ السَّفِينَةِ عَلَى هَذَا الْحَالِ.

## الرُّكْنُ الثَّانِي: فِي أَدِلَّةِ الْقِبْلَةِ

اعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكْتَفِي فِي الْبِلاَدِ وَالْقُرَى بِالْمَحَارِيبِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْقُبُورِ عَنْ طَلَبِ الأَدِلَّةِ عَلَى الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ فِي السَّفَرِ رُبَّمَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ فَيَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الأَدِلَّةِ عَلَيْهَا، وَهِيَ بِالْجُمْلَةِ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ: **أحدها**: أَدِلَّةٌ أَرْضِيَّةٌ كَالاسْتِدْلاَلِ بِالْقُرَى وَالْجِبَالِ وَالأَنْهَارِ، **والثاني**: أَدِلَّةٌ هَوَائِيَّةٌ كَالاسْتِدْلاَلِ بِالرِّيَاحِ شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَصَبَاهَا وَدبُورِهَا، **والثالث**: أَدِلَّةٌ سَمَائِيَّةٌ كَالاسْتِدْلاَلِ بِالنُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

**فَأَمَّا الأَرْضِيَّةُ وَالْهَوَائِيَّةُ** فَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلاَفِ الْبِلاَدِ، فَرُبَّ طَرِيقٍ فِيهَا جَبَلٌ مُرْتَفِعٌ يُعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى يَمِينِ الْمُسْتَقْبِلِ أَوْ شِمَالِهِ أَوْ وَرَائِهِ أَوْ أَمَامِهِ، فَلْيَتَعَلَّمْ ذَلِكَ وَلْيَتَفَهَّمْهُ، وَكَذَلِكَ الرِّيَاحُ قَدْ تَدُلُّ فِي بَعْضِ الْبِلاَدِ فَلْيَتَفَهَّمْ ذَلِكَ، وَلَسْنَا نَقْدِرُ عَلَى اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ، إِذْ كُلُّ بَلَدٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهُ حُكْمٌ آخَرُ.

**وَأَمَّا السَّمَائِيَّةُ** فَأَدِلَّتُهَا تَنْقَسِمُ إِلَى نَهَارِيَّةٍ وَلَيْلِيَّةٍ، أَمَّا النَّهَارِيَّةُ فَكَالشَّمْسِ فَلاَ بُدَّ أَنْ يُرَاعِيَهَا الإِنْسَانُ عِنْدَ زَوَالِهَا قَبْلَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ لِيَعْلَمَ أَيْنَ تَقَعُ مِنْهُ، أَهِيَ بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ أَوْ عَلَى الْعَيْنِ الْيُمْنَى أَوِ الْيُسْرَى، أَوْ تَمِيلُ إِلَى الْحَاجِبَيْنِ مَيْلاً أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنَّ الشَّمْسَ لاَ تَعْدُو فِي الْبِلاَدِ الشَّمَالِيَّةِ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ، وَكَذَلِكَ غُرُوبُهَا تُعْرَفُ بِهِ الْقِبْلَةُ أَيْضًا، بِأَنْ تَكُونَ عَنْ يَمِينِ الْمُسْتَقْبِلِ، أَوْ هِيَ مَائِلَةٌ إِلَى وَجْهِهِ أَوْ قَفَاهُ أَيْضًا، وَتُعْرَفُ الْقِبْلَةُ بِالشَّفَقِ أَيْضًا لِلْعِشَاءِ الأَخِيرَةِ، وَتُعْرَفُ بِمَشْرِقِ الشَّمْسِ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، وَكَذَلِكَ تُعْرَفُ الْقِبْلَةُ بِمَطَالِعِ مَنَازِلِ اللَّيْلِ وَمَغَارِبِهَا، وَكَذَلِكَ الْقُطْبُ وَهُوَ الْكَوْكَبُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْجَدْيُ، فَإِنَّهُ كَوْكَبٌ كَالثَّابِتِ لاَ تَظْهَرُ حَرَكَتُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى قَفَا الْمُسْتَقْبِلِ أَوْ عَلَى مَنْكِبِهِ الأَيْمَنِ مِنْ ظَهْرِهِ، أَوْ مَنْكِبِهِ الأَيْسَرِ فِي الْبِلاَدِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ مَكَّةَ، وَفِي الْبِلاَدِ الْجَنُوبِيَّةِ كَالْيَمَنِ وَمَا وَرَاءَهَا فَيَقَعُ فِي مُقَابَلَةِ الْمُسْتَقْبِلِ، فَمَتَى تَعَلَّمَ ذَلِكَ وَعَرَفَهُ فَلْيُعَوِّلْ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الرُّكْنُ الثَّالِثُ: فِي الْمَعْنَى الْمُعَيَّنِ عَلَى الْمُكَلَّفِ اسْتِقْبَالُهُ مَا هُوَ؟

وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ الْفَرْضَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُشَاهَدَةِ لِلْبَيْتِ اسْتِقْبَالُ الْعَيْنِ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ بَعُدَ عَنْهُ، فَقِيلَ: الْفَرْضُ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ الْعَيْنِ، أَعْنِي إِذَا كَانَتِ الْكَعْبَةُ غَيْرَ مُبْصَرَةٍ، وَقَالَ الْجُمْهُورُ: إِنَّمَا الْفَرْضُ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ الْجِهَةِ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْمُعَايَنَةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَضِّدُهُ الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقِيَاسِ.

**أَمَّا الْكِتَابُ:** فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ**﴾[1]، أَيْ: نَحْوَهُ، وَمَنْ قَابَلَ جِهَةَ الْكَعْبَةِ فَإِنَّهُ يُقَالُ: قَدْ وَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَهَا.

**وَأَمَّا السُّنَّةُ:** فَمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ: "مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ"[2]، وَالْمَغْرِبُ يَقَعُ عَلَى يَمِينِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالشَّمْسُ عَلَى يَسَارِهِمْ، فَجَعَلَ ﷺ جَمِيعَ مَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا قِبْلَةً، وَمِسَاحَةُ الْكَعْبَةِ لاَ تَفِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنَّمَا تَفِي بِذَلِكَ جِهَتُهَا.

**وَأَمَّا فِعْلُ الصَّحَابَةِ:** فَمَا رُوِيَ أَنَّ أَهْلَ مَسْجِدِ قِبَاء كَانُوا فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ مُسْتَقْبِلِينَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ مُسْتَدْبِرِينَ لِلْكَعْبَةِ – لأَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهُمَا – فَقِيلَ لَهُمْ: قَدْ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَاسْتَدَارُوا فِي أَثْنَاءِ الصَّلاَةِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ دَلاَلَةٍ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِمْ، فَسُمِّيَ مَسْجِدُهُمْ ذَا الْقِبْلَتَيْنِ[3].

---

(١) الْبَقَرَة: ١٤٤.

(٢) [رواه الترمذي، باب ما جاء ما بين المشرق والمغرب قبلة، ر٣٤٢].

(٣) [رواه الربيع، باب استقبال الكعبة وبيت المقدس، ر٢٠٧].

وَمُقَابَلَةُ الْعَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لاَ تُعْرَفُ إِلاَّ بِأَدِلَّةٍ هَنْدَسِيَّةٍ يَطُولُ النَّظَرُ فِيهَا، كَيْفَ أَدْرَكُوا ذَلِكَ عَلَى الْبَدِيهَةِ فِي أَثْنَاءِ الصَّلاَةِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؟ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ أَهْلَ الإِسْلاَمِ بَنَوُا الْمَسَاجِدَ حَوَالَيْ مَكَّةَ وَفِي بِلاَدِ الإِسْلاَمِ وَلَمْ يُحْضِرُوا فِيمَا بَلَغَنَا قَطُّ مُهَنْدِسًا عِنْدَ تَسْوِيَةِ الْمَحَارِيبِ.

**وَأَمَّا الْقِيَاسُ:** فَهُوَ أَنَّ الْحَاجَةَ تَمَسُّ إِلَى الاسْتِقْبَالِ وَبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَلاَ يُمْكِنُ مُقَابَلَةُ الْعَيْنِ إِلاَّ بِعُلُومٍ هَنْدَسِيَّةٍ لَمْ يَرِدِ الشَّرْعُ بِالنَّصِّ فِيهَا، بَلْ رُبَّمَا زَجَرَ عَنِ التَّعَمُّقِ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ الْفَرْضُ مُقَابَلَةَ الْعَيْنِ لَكَانَ حَرَجًا، وَاللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، فَيَجِبُ الاكْتِفَاءُ بِالْجِهَةِ لِلضَّرُورَةِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَاخْتَلَفُوا هَلِ الْفَرْضُ فِي الاسْتِقْبَالِ الاجْتِهَادُ أَوِ الإِصَابَةُ؟ فَقَوْلاَنِ: فَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ الْفَرْضَ عَلَيْهِ الاجْتِهَادُ، وَإِلَيْهِ يَؤُولُ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا فِي قِيَاسِ أُصُولِهِمْ، وَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ الْفَرْضَ الإِصَابَةُ، وَأَنَّهُ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْخَطَأُ أَعَادَ أَبَدًا، فَقَاسَ جِهَةَ الْمَكَانِ عَلَى جِهَةِ الزَّمَانِ، أَعْنَى الْوَقْتَ الْمَوْضُوعَ لِلصَّلاَةِ، وَكَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْفَرْضَ عَلَيْهِ فِيهِ الإِصَابَةُ، وَأَنَّهُ إِذَا انْكَشَفَ لِلْمُكَلَّفِ أَنَّهُ قَدْ صَلَّى قَبْلَ الْوَقْتِ أَعَادَ أَبَدًا، إِلاَّ خِلاَفًا شَاذًّا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ الْمُسَافِرَ إِذَا جَهِلَ فَصَلَّى الْعِشَاءَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّفَقِ أَنَّهُ قَدْ مَضَتْ صَلاَتُهُ، وَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْفَرْضَ الاجْتِهَادُ، فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَهَدَ وَصَلَّى بِالتَّحَرِّي إِلَى الْقِبْلَةِ ثُمَّ تَبَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْطَأَ الْقِبْلَةَ فَإِنَّهُ لاَ يُعِيدُ صَلاَتَهُ، وَقَدْ رُوِيَ فِي الأَثَرِ مِثْلُ ذَلِكَ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَرَجُوا فِي سَفَرٍ، فَحَضَرَتْهُمُ الصَّلاَةُ فِي يَوْمٍ غَائِمٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ صَلَّى نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَلَّى نَحْوَ الْمَغْرِبِ، فَسَأَلُوا

(١) الْحَجّ: ٧٨.

النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "مَضَتْ صَلاَتُكُمْ"[١]، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآيَةَ[٢].

**مَسْأَلَةٌ:** وَالإِنْسَانُ الْقَادِرُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْقِبْلَةِ يَقِينًا لاَ يَجُوزُ لَهُ الاجْتِهَادُ، وَالْقَادِرُ عَلَى الاجْتِهَادِ لاَ يَجُوزُ لَهُ التَّقْلِيدُ، لَكِنْ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الْقِبْلَةَ وَيُصَلِّي، فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ أَخْطَأَ الْقِبْلَةَ بَعْدَ خُرُوجِ الْوَقْتِ لَمْ تَلْزَمْهُ الإِعَادَةُ، وَإِنْ كَانَ الْوَقْتُ لَمْ يَخْرُجْ أَعَادَ الصَّلاَةَ اسْتِحْبَابًا، وَقِيلَ: إِنِ اسْتَدْبَرَ الْقِبْلَةَ خَطَأً أَعَادَ وَلَوْ بَعْدَ الْوَقْتِ، وَإِنْ شَرَّقَ أَوْ غَرَّبَ لَمْ يُعِدْ بَعْدَ الْوَقْتِ، وَقِيلَ: مَنْ تَحَيَّرَ عَنِ الْقِبْلَةِ فَلْيُصَلِّ الصَّلاَةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الأَعْمَى فَفَرْضُهُ التَّقْلِيدُ، وَأَنْ يُقَلِّدَ شَخْصًا عَالِمًا بِأَدِلَّةِ الْقِبْلَةِ، مُسْلِمًا مُكَلَّفًا، وَإِنْ عَدِمَ مَنْ يُقَلِّدُهُ فَلْيَجْتَهِدْ أَوْ يُصَلِّي الصَّلاَةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ كَمَا قَدَّمْنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتُلِفَ فِي الصَّلاَةِ فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ، فَمَنَعَهَا قَوْمٌ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَأَجَازَهَا آخَرُونَ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَفَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَ الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: اخْتِلاَفُ الرِّوَايَاتِ الْمَنْقُولَةِ عَنْهُ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ ﷺ دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَدَعَا فِيهَا وَلَمْ يُصَلِّ حَتَّى خَرَجَ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فِي قِبَلِ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ: "هَذِهِ الْقِبْلَةُ"[٣]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ بِلاَلٍ ﷺ أَنَّهُ ﷺ جَعَلَ عَمُودًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَمُودًا عَنْ يَسَارِهِ، وَثَلاَثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ ثُمَّ صَلَّى[٤]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ رُوِيَ

---

(١) [رواه البيهقي: معرفة السنن والآثار، ر٧٢٦، وقال: "حديث ضعيف لم يثبت فيه إسناد"].

(٢) الْبَقَرَة: ١١٥.

(٣) [رواه البخاري، باب قول الله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، ر٣٨٩]. وَقِبَلَهَا، أَيْ: مُقَابِلَهَا، وَ"هَذِهِ الْقِبْلَةُ" الإِشَارَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ.

(٤) [رواه الربيع، باب في الكعبة والمسجد والصفا والمروة، ر٤٠٩]. وَحُجَّةُ الْقَائِلِينَ بِصِحَّةِ الصَّلاَةِ فِي الْكَعْبَةِ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ، مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: "دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْبَيْتَ هُوَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلاَلٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ، فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا فَتَحُوا كُنْتُ أَوَّلَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الْبَيْتُ كُلُّهُ قِبْلَةٌ، وَقِبْلَةُ الْبَيْتِ الْبَابُ، وَالْبَيْتُ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الْمَسْجِدِ، وَالْمَسْجِدُ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الْحَرَمِ، وَالْحَرَمُ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهَا. وَاللهُ أَعْلَمُ.

## مسألة: [في استحبابِ السُّتْرَةِ للمُصَلِّي]

وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى اسْتِحْبَابِ السُّتْرَةِ لِلْمُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْفَرِدًا كَانَ أَوْ إِمَامًا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مِثْلُ مُؤَخِّرَةِ الرَّحْلِ لَمْ يُبَالِ بِمَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**"(١)، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ سُتْرَةً، هَلْ يَخُطُّ أَمَامَهُ خُطَّةً وَيُصَلِّي؟ فَاسْتَحَبَّ ذَلِكَ أَصْحَابُنَا وَبَعْضُ الأُمَّةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَخُطَّ، وَالأَصَحُّ الأَوَّلُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَعَصًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَخُطَّ خَطًّا ثُمَّ لاَ يَضُرُّهُ مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**"(٢)، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى غَيْرِ سُتْرَةٍ(٣)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ غَرَزَ عَنَزَةً فَصَلَّى إِلَيْهَا(٤)، وَإِنَّمَا اسْتَحَبَّ أَصْحَابُنَا السُّتْرَةَ لأَجْلِ مَا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي، لِئَلاَّ يَقْطَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةَ كَالْحَائِضِ وَالنُّفَسَاءِ وَالْكَلْبِ الَّذِي لَهُ نُكْتَتَانِ فَوْقَ عَيْنَيْهِ، وَاخْتُلِفَ فِي الْجُنُبِ، وَكَذَلِكَ اسْتِقْبَالُ الأَمْوَاتِ وَالتَّصَاوِيرِ وَالْعِجْلِ وَالنَّارِ الْمُوقَدَةِ، شَدَّدَ فِي اسْتِقْبَالِ هَؤُلاَءِ الْوُجُوهِ بَعْضُهُمْ، وَاخْتُلِفَ فِي اسْتِقْبَالِ الأَلْوَاحِ

---

مَنْ وَلَجَ، فَلَقِيتُ بِلاَلاً فَسَأَلْتُهُ: هَلْ صَلَّى رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ" [رواه البخاري، باب إغلاق البيت ويصلي في أي نواحي البيت شاء، ر١٥٢١].

(١) [رواه مسلم، باب سترة المصلي، ر١١٣٩]، "الرحل: ما يوضع على ظهر البعير ليركب عليه كالسرج للفرس".

(٢) [رواه ابن ماجه، باب ما يستر المصلي، ر٩٤٣]

(٣) [رواه أبو داود، باب من قال الكلب لا يقطع الصلاة، ر٧١٨].

(٤) [رواه البخاري، باب حمل العنزة أو الحربة بين يدي الإمام يوم العيد، ر٩٣٠]. والعَنَزَةُ: عَصًا فِي أَسْفَلِهَا حَدِيدَةٌ.

وَالنَّائِمِ، فَهَذِهِ الْمَعَانِي عِنْدَ بَعْضِهِمْ تَنْقُضُ الصَّلاَةَ مَا لَمْ يَكُنِ الإِمَامُ وَالسُّتْرَةُ، إِلاَّ إِنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُصَلِّي مِقْدَارُ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، وَقِيلَ: خَمْسَةٍ، وَقِيلَ: ثَلاَثَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

## [الفريضة الثامنة من فرائض الصلاة]: فِي النِّـيَّـةِ

وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلاَةِ، لِكَوْنِ الصَّلاَةِ رَأْسُ الْعِبَادَاتِ الَّتِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِهَا لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ مَعْقُولَةٍ مِنَ الْمَصَالِحِ الْمَحْسُوسَةِ، وَاخْتَلَفُوا هَلْ مِنْ شَرْطِ نِيَّةِ الْمَأْمُومِ أَنْ تُوَافِقَ نِيَّةَ الإِمَامِ فِي تَعْيِينِ الصَّلاَةِ وَفِي الْوُجُوبِ حَتَّى لاَ يَجُوزَ أَنْ يُصَلِّيَ الْمَأْمُومُ ظُهْرًا خَلْفَ إِمَامٍ يُصَلِّي عَصْرًا، وَلاَ يَجُوزَ أَنْ يُصَلِّيَ الإِمَامُ ظُهْرًا تَكُونُ فِي حَقِّهِ نَفْلاً وَفِي حَقِّ الْمَأْمُومِ فَرْضًا، فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تُوَافِقَ نِيَّةُ الْمَأْمُومِ نِيَّةَ الإِمَامِ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَاحْتَجَّ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الأَوَّلِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ"[2]، وَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ بِمَا رُوِيَ أَنَّ مُعَاذًا كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يُصَلِّي بِقَوْمِهِ[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) وَقِيلَ: لاَ يَقْطَعُهَا شَيْءٌ، قَالَ الرَّبِيعُ وَابْنُ مَحْبُوبٍ وَهَاشِمٌ وَبَعْضُ الْمَغَارِبَةِ: "لَيْسَتِ الصَّلاَةُ حَبْلاً مَمْدُودًا كُلُّ مَا جَاءَ يَقْطَعُهَا، وَإِنَّمَا تَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ، يَصِلُهَا بِرُّ الْقَلْبِ وَيَقْطَعُهَا فُجُورُهُ، فَلاَ يَقْطَعُهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِهِ وَلَوْ مَرَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُجُودِهِ، إِلاَّ إِنْ مَسَّ نَجَاسَةً" [انظر: شرح النيل باب في السترة، ٢/ ٩٠]. نَعَمْ نَهَى عَنِ الْمُرُورِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي، وَالْمَارُّ آثِمٌ إِنْ تَعَمَّدَ، وَلِلْمُصَلِّي أَنْ يَمْنَعَهُ وَيَدْفَعَهُ وَإِنْ بِعُنْفٍ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لاَ يُؤَثِّرُ فِي صَلاَتِهِ؛ لأَنَّهَا صِلَةٌ رُوحِيَّةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) [رواه الربيع، باب في القعود في الصلاة والتحيات، ر٢٤٠]

(٣) ["عن جابر بن عبد الله قال: كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء، ثم ينصرف إلى قومه فيصليها لهم، وكان إمامهم" (رواه ابن حبان، باب إعادة الصلاة، ر٢٤٠١)].

**مَسْأَلَةٌ فِي كَيْفِيَّةِ النِّيَّةِ فِي الصَّلاَةِ:** وَذَلِكَ أَنْ يَعْقِدَ فِي قَلْبِهِ وَيَقْصِدُ بِهِ الدُّخُولَ فِي الصَّلاَةِ الْمُعَيَّنَةِ إِمَّا ظُهْرًا أَوْ عَصْرًا، أَوْ غَيْرَهُمَا لِيَوْمٍ مَعْلُومٍ أَوْ لَيْلَةٍ مَعْلُومَةٍ، وَقَدِ اسْتَحَبَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا مَعْرِفَةَ الشَّهْرِ، وَيَتَّصِلُ بِعَقْدِ النِّيَّةِ لِلصَّلاَةِ أَنْ تَكُونَ حَضَرِيَّةً أَوْ سَفَرِيَّةً، وَسَنَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ هَهُنَا طَرَفًا إِنْ شَاءَ اللهُ.

**مَسْأَلَةٌ فِي أَخْذِ الْوَطَنِ:** وَهُوَ مِنْ شُرُوطِ الصَّلاَةِ الَّتِي لاَ تَصِحُّ إِلاَّ بِهَا بِلاَ خِلاَفٍ أَجِدُهُ بَيْنَ الأُمَّةِ، لِمَا صَحَّ مِنْ تَوْطِينِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةَ بَعْدَمَا كَانَ وَطَنُهُمْ مَكَّةَ -أَعَزَّهَا اللهُ تَعَالَى-، وَلاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ وَطَنَ لَهُ، وَلاَ يُوَطِّنُ الرَّجُلُ إِلاَّ مَوْضِعًا مَعْرُوفًا طَاهِرًا مِمَّا تَجُوزُ الصَّلاَةُ عَلَيْهِ مِنَ الأَرْضِ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا، وَكُلُّ مَكَانٍ لاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ لاَ يُوَطِّنُهُ، وَيَأْخُذُ أَرْبَعَةَ أَوْطَانٍ فَمَا دُونَهَا، وَالْمَرْأَةُ لاَ تُوَطِّنُ إِلاَّ وَاحِدًا، إِلاَّ إِنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ فَوَطَنُهَا وَطَنُ زَوْجِهَا وَاحِدًا كَانَ أَوْ أَرْبَعَةً، وَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْوَطَنَ بِالنَّوَى دُونَ اللَّفْظِ، وَلاَ يَنْزِعُهُ إِلاَّ بِالنَّوَى وَاللَّفْظِ، وَيَكُونُ وَطَنُ الرَّجُلِ وَطَنَ جَمِيعِ مَنْ عَلَّقَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ مِنْ عَبِيدِهِ وَأَطْفَالِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَبَنَاتِهِ الْبَالِغَاتِ مَا لَمْ يَخْرُجْنَ عَنْهُ، وَمَا تَعَلَّقَ إِلَيْهِنَّ مِنَ الْعَبِيدِ وَعَبِيدُ أَطْفَالِهِ أَيْضًا كَذَلِكَ، وَعَبِيدُ مَوَالِيهِ وَلَقِيطُهُ مَا دَامَ طِفْلاً كَذَلِكَ.

**مَسْأَلَةٌ فِي صَلاَةِ السَّفَرِ:** وَفِيهَا خَمْسُ مَسَائِلَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ الاخْتِلاَفُ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ السَّفَرَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي قَصْرِ الصَّلاَةِ، وَأَنَّهُ جَائِزٌ لِلْمُسَافِرِ أَنْ يَقْصُرَهَا فِيهِ، إِلاَّ خِلاَفًا شَاذًّا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، وَهُوَ أَنَّ الْقَصْرَ لاَ يَجُوزُ إِلاَّ لِلْخَائِفِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآيَةَ[1]، وَقَالُوا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا قَصَرَهَا لأَنَّهُ كَانَ خَائِفًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) النِّسَاء ١٠١ – فَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: "قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَرَأَيْتَ إِقْصَارَ النَّاسِ الصَّلاَةَ؟ وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ ﷻ: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) (النساء: ١٠١) فَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى فِي حُكْمِ الْقَصْرِ**: وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ، **أحدها** : أَنَّ الْقَصْرَ فَرْضٌ لِلْمُسَافِرِ الْمُتَعَبِّدِ، وَبِهِ قَالَ أَصْحَابُنَا وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَالْكُوفِيُّونَ بِأَسْرِهِمْ، **وَالثَّانِي** : أَنَّ الْقَصْرَ سُنَّةٌ، وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ فِي أَشْهَرِ الرِّوَايَاتِ عَنْهُ، **وَالثَّالِثُ** : أَنَّ الْمُسَافِرَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالإِتْمَامِ كَالتَّخْيِيرِ فِي وَاجِبِ الْكَفَّارَاتِ، **وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ** : أَنَّ الْقَصْرَ رُخْصَةٌ، وَأَنَّ الإِتْمَامَ أَفْضَلُ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: تَعَارُضُ الْعِلَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلآثَارِ النَّقْلِيَةِ، وَمُعَارَضَةُ الدَّلِيلِ الْفِعْلِيِّ لِلْمَعْنَى النَّقْلِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ قَصْرِ الصَّلاَةِ إِنَّمَا هُوَ الرُّخْصَةُ لِمَوْضِعِ الْمَشَقَّةِ، كَمَا رَخَّصَ لَهُ فِي الْفِطْرِ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "**هِيَ صَدَقَةٌ مِنَ اللهِ تَصَدَّقَ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**"(١)، فَمَفْهُومُ هَذَا هِيَ الرُّخْصَةُ، وَأَمَّا الأَثَرُ النَّقْلِيُّ الْمُعَارِضُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ فَحَدِيثُ عَائِشَةَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا فُرِضَتِ الصَّلاَةُ رَكْعَتَانِ ثُمَّ زِيدَتْ

---

فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ" [رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، ر٦٨٦]. وَقِيلَ لابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَجِدُ صَلاَةَ الْخَوْفِ وَصَلاَةَ الْحَضَرِ فِي الْقُرْآنِ وَلاَ نَجِدُ صَلاَةَ السَّفَرِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: "يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ اللهَ بَعَثَ إِلَيْنَا مُحَمَّدًا ﷺ مَا نَعْلَمُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا نَفْعَلُ مَا رَأَيْنَاهُ يَفْعَلُ" [رواه الربيع، باب في فرض الصلاة في الحضر والسفر، ر١٨٧]، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" [رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة...، ر٦٠٥]، وَرَأَى ابْنُ عُمَرَ قَوْمًا يُسَبِّحُونَ "يُصَلُّونَ فِي السَّفَرِ تَطَوُّعًا" بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: "لَوْ كُنْتُ مُسَبِّحًا لأَتْمَمْتُ صَلاَتِي، يَا ابْنَ أَخِي، صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى، وَصَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَذَكَرَ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الأحزاب: ٢١) [رواه مسلم، باب صلاة المسافرين وقصرها، ر١٦١١]. اهـ مُصَحّحه.

(١) [سبق تخريجه].

فِي الْحَضَرِ[١]، وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا قَالَ: "إِنَّ الصَّلاَةَ الَّتِي كُنْتُمْ تُصَلُّونَ رَكْعَتَانِ أَلاَ إِنَّهَا صَلاَةُ الْمُسَافِرِ"[٢].

وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْفِعْلِيُّ الْمُعَارِضُ لِلْمَعْنَى النَّقْلِيِّ وَمَفْهُومِ الآثَارِ فَهُوَ مَا نُقِلَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ يَقْصُرُ فِي جَمِيعِ أَسْفَارِهِ، وَلَمْ يَصِحَّ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَمَّ الصَّلاَةَ قَطُّ[٣]، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّخْيِيرِ لِلْمُسَافِرِ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالإِتْمَامِ احْتَجَّ بِمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُتِمُّ فِي السَّفَرِ وَيَقْصُرُ، وَيَصُومُ وَيُفْطِرُ، وَيُؤَخِّرُ الظُّهْرَ، وَيُعَجِّلُ الْعَصْرَ، وَيُؤَخِّرُ الْمَغْرِبَ، وَيُعَجِّلُ الْعِشَاءَ[٤]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:** اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَسَافَةِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا الْقَصْرُ:

**فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الظَّاهِرِ** إِلَى أَنَّهَا **فَرْسَخَانِ**، وَهُمَا فِي التَّقْدِيرِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ، وَذَلِكَ مَرْوِيٌّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ

(١) [رواه الربيع، باب في فرض الصلاة في الحضر والسفر، ر١٨٦].

(٢) [لم أجد من خرجه بهذا اللفظ].

(٣) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَكَانَ ﷺ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ الرُّبَاعِيَةَ فَيُصَلِّيهَا رَكْعَتَيْنِ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مُسَافِرًا إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَمَّ الصَّلاَةَ الرُّبَاعِيَةَ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي ذَلِكَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ [زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل: في هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفره وعبادته فيه، ١/ ٤٦٤]. اهـ مُصَحّحه.

(٤) [رواه ابن أبي شيبة، في المسافر إن شاء صلى ركعتين وإن شاء أربعا، ر٨١٨٧. وقال ابن القيم: "وأما حديث عائشة: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقصرُ في السفر ويتمُّ، ويُفْطِرُ ويَصُومُ، فلا يَصحّ، وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم... وهذا باطل ما كانت أم المؤمنين لِتُخالف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميعَ أصحابه، فتصليَ خلاف صلاتهم، كيف والصحيح عنها أنها قالت: إن الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين، فلما هاجرَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، زيد في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر. فكيف يُظن بها مع ذلك أن تُصليَ بخلاف صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين معه" (زاد المعاد، ١/ ٤٦٤، ٤٦٥)].

بِأَصْحَابِهِ إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ[١]، ثُمَّ رَجَعَ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "أَرَدْتُ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ حَدَّ السَّفَرِ، أَوْ قَالَ: صَلاَةَ السَّفَرِ"[٢]، وَبِهِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمٌ وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِنَا بِلاَ خِلاَفٍ أَجِدُهُ بَيْنَهُمْ.

**وَذَهَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَشْيَاعُهُ إِلَى أَنَّ الْمَسَافَةَ لِقَصْرِ الصَّلاَةِ أَرْبَعَةُ بُرُدٍ**[٣]، وَذَلِكَ فِيمَا وَجَدْتُ مَسِيرَةُ يَوْمٍ بِالْوَسَطِ، وَرَوَوْا ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا.

**وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى أَنَّ أَقَلَّ مَسَافَةِ التَّقْصِيرِ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ**[٤]، قَالُوا: إِنَّمَا الْقَصْرُ لِمَنْ سَافَرَ مِنْ أُفُقٍ إِلَى أُفُقٍ، وَرَوَوْهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ[٥].

**وَسَبَبُ التَّنَازُعِ**: مُعَارَضَةُ الْمَعْنَى الْمَعْقُولِ لِلَّفْظِ الْمَنْقُولِ، وَذَلِكَ أَنَّ عِلَّةَ قَصْرِ الصَّلاَةِ فِي السَّفَرِ إِنَّمَا هِيَ لأَجْلِ الْمَشَقَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي الصَّوْمِ، فَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْقَصْرُ إِذَا كَانَتِ الْمَشَقَّةُ، وَأَمَّا اللَّفْظُ الْمُعَارِضُ لَهُ

---

(١) [مسند الإمام الربيع، الزيادات، ر٩١٧، والبخاري، باب من باب بذي الحليفة حتى أصبح، ر١٤٧٢].

(٢) [أما هذه الزيادة فلم أجد من رواها، وقد ذكرها بعض الفقهاء في كتبهم مثل: القطب: شرح النيل، ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣، والشماخي: الإيضاح، ١/ ٦٢٣، والسالمي: المعارج، ١٠/ ١٩٢].

(٣) [لما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "يا أهل مكة لا تقصروا الصلاة في أدنى من أربعة برد من مكة إلى عسفان". (رواه البيهقي، السن الكبرى، كتاب الصلاة، باب السفر الذي لا تقصر في مثله الصلاة، ٣/ ١٣٧)، ولكن إسناد هذا الحديث ضعيف؛ لأن فيه إسماعيل بن عياش وعبد الوهاب بن مجاهد، وهما ضعيفان (ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢/ ٥٦٦)].

(٤) [واستدلوا بما روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم" (رواه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة، ر١٠٨٦، ١٠٨٧)].

(٥) [رواه الطبراني: المعجم الكبير، ر٩٤٥٦].

فَمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلاَةِ"[1]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ:** فَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَيِّ أَنْوَاعِ السَّفَرِ الَّذِي تُقْصَرُ فِيهِ الصَّلاَةُ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ مَقْصُورٌ عَلَى السَّفَرِ الْمُتَقَرَّبِ بِهِ كَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْصُرِ الصَّلاَةَ قَطُّ إِلاَّ فِي سَفَرٍ مُتَقَرَّبٍ بِهِ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الْقَصْرَ إِنَّمَا هُوَ فِي السَّفَرِ الْمُبَاحِ دُونَ سَفَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَهُوَ الأَلْيَقُ بِأُصُولِ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَبَعْضُهُمْ أَجَازُوهُ فِي كُلِّ سَفَرٍ مُبَاحًا كَانَ أَوْ مَعْصِيَةً، وَذُكِرَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: تَعَارُضُ الْمَعْنَى الْمَعْقُولِ وَظَاهِرِ اللَّفْظِ بِدَلِيلِ الْفِعْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنِ اعْتَبَرَ الْمَشَقَّةَ وَظَاهِرَ لَفْظِ السَّفَرِ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ سَفَرٍ وَسَفَرٍ، وَمَنِ اعْتَبَرَ فِعْلَ الرَّسُولِ ﷺ لَمْ يُجِزِ الْقَصْرَ إِلاَّ فِي السَّفَرِ الْمُتَقَرَّبِ بِهِ كَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَأَمَّا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْمُبَاحِ وَالْمَعْصِيَةِ فَعَلَى جِهَةِ التَّغْلِيظِ، وَالأَصْلُ فِيهِ: هَلْ تَجُوزُ الرُّخْصَةُ لِلْعُصَاةِ أَمْ لاَ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ:** اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ الْمُسَافِرُ فِي تَقْصِيرِ الصَّلاَةِ، فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ يَنْوِي سَفَرًا نَائِيًا فَإِنَّهُ يَقْصُرُ مِنْ حِينِ خَرَجَ مِنْ قَرْيَتِهِ، وَخَيَّرَهُ بَعْضُهُمْ فِيمَا دُونَ الْفَرْسَخَيْنِ بَيْنَ الْفِطْرِ وَالإِتْمَامِ، وَأَوْجَبُوا عَلَيْهِ الْقَصْرَ إِذَا جَاوَزَ الْفَرْسَخَيْنِ، بِخِلاَفِ الْفِطْرِ فِي الصَّوْمِ، قَالُوا: لأَنَّ الْفِطْرَ فِي السَّفَرِ رُخْصَةٌ مُخَيَّرٌ بَيْنَ قَبُولِهَا وَرَدِّهَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ قَصْرُ الصَّلاَةِ؛ لأَنَّهُ أَمْرٌ لاَزِمٌ لاَ تَصِحُّ صَلاَةُ الْمُسَافِرِ إِلاَّ بِالْقَصْرِ، وَإِلاَّ فَعَلَيْهِ الإِعَادَةُ أَبَدًا، قَالُوا: وَأَمَّا إِنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ حَاجَةٍ فِيمَا فَوْقَ الْفَرْسَخَيْنِ فَإِنَّهُ لاَ يَقْصُرُ حَتَّى يُجَاوِزَ الْفَرْسَخَيْنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مِثْلُ هَذَا، وَهُوَ أَنَّ الْمُرِيدَ لِلسَّفَرِ

(١) [رواه أبو داود، كتاب الصوم، باب اختيار الفطر، ر٢٤٠٨].

لاَ يَقْصُرُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ بُيُوتِ الْمِصْرِ، وَلاَ يُتِمُّ مَا لَمْ يَدْخُلْ أَوَّلَ بُيُوتِهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ لاَ يَقْصُرُ إِذَا كَانَتْ قَرْيَةً جَامِعَةً حَتَّى يَكُونَ مِنْهَا بِنَحْوِ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ[1].

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: مُعَارَضَةُ مَفْهُومِ اللَّفْظِ بِدَلِيلِ الْفِعْلِ، فَمَنْ رَاعَى مَفْهُومَ لَفْظِ السَّفَرِ فَإِنَّهُ مَتَى مَا شَرَعَ فِي السَّفَرِ فَقَدْ انْطَلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ مُسَافِرٍ، فَيَقْصُرُ الصَّلاَةَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بُيُوتِ الْمِصْرِ، وَمَنْ رَاعَى فِعْلَ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ لاَ يَقْصُرُ حَتَّى يُجَاوِزَ ثَلاَثَةَ أَمْيَالٍ فَصَاعِدًا؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلاَثَةِ فَرَاسِخَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ:** اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مِقْدَارِ الزَّمَانِ الَّذِي إِذَا مَكَثَ فِيهِ الْمُسَافِرُ فِي الْمِصْرِ لَزِمَهُ الإِتْمَامُ، فَرَوَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ مَبْلَغَ اخْتِلاَفِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَحَدَ عَشَرَ قَوْلاً، إِلاَّ أَنَّ الأَشْهَرَ مِنْهَا ثَلاَثَةُ أَقْوَالٍ، **أحدها**: مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، أَنَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى إِقَامَةِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ لَزِمَهُ الإِتْمَامُ، **وَالثَّانِي**: مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، أَنَّهُ إِذَا عَزَمَ عَلَى إِقَامَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا لَزِمَهُ الإِتْمَامُ، **وَالثَّالِثُ**: مَذْهَبُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ الْمُسَافِرَ يَقْصُرُ أَبَدًا مَا لَمْ يَتَّخِذْ وَطَنًا، وَكَانَ فِيمَا بَلَغَنَا يَقُولُ: مَضَتِ السُّنَّةُ أَنْ يَقْصُرَ الْمُسَافِرُونَ وَإِنْ أَقَامُوا عَشْرَ سِنِينَ مَا لَمْ يَتَّخِذُوهَا وَطَنًا[3].

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** أَنَّهَا مَسْأَلَةٌ مَسْكُوتٌ عَنْهَا فِي الشَّرْعِ، وَالْقِيَاسُ عَلَى التَّحْدِيدِ ضَعِيفٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ، فَلَمَّا سَكَتَ عَنْهَا الرَّسُولُ ﷺ وَلَمْ يَحُدَّ فِي تَقْصِيرِ صَلاَةِ الْمُسَافِرِ حَدًّا، وَثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ أَقَامَ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ سَبْعَةَ عَشَرَ

(١) [انظر: بداية المجتهد، ١/ ١٦٩].

(٢) [رواه مسلم، باب صلاة المسافرين وقصرها، ر١٦١٥].

(٣) [مسند الإمام الربيع، الزيادات، ر٩١٦].

يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلاَةَ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَوْ تِسْعَةَ عَشَرَ[١]، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَذَهَبَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَشْيَاعُهُ أَنَّ الْمُسَافِرَ إِذَا قَامَ أَرْبَعًا صَلَّى أَرْبَعًا[٢]، وَرَوَوْا ذَلِكَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَأَنَّهُ فَعَلَهُ فِي بَعْضِ خِلاَفَتِهِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مِثْلَهُ، وَاحْتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ بِإِقَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلاَةَ[٣]، وَمَذْهَبُ أَصْحَابِنَا فِي هَذَا أَبِي عُبَيْدَةَ وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَضُمَامِ بْنِ السَّائِبِ وَأَبِي نُوحٍ[٤] وَغَيْرِهِمْ رَحِمَهُمُ اللهُ أَنَّ الْمُسَافِرَ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ وَإِنْ أَقَامَ فِي الْمِصْرِ أَبَدًا مَا لَمْ يَتَّخِذْهُ وَطَنًا، أَوْ يَشْتَرِ فِيهِ دَارًا فِيمَا وَجَدْتُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ خَاصَّةً[٥].

وَحُجَّةُ أَصْحَابِنَا فِي هَذَا: مَا رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فِي قَرْيَةٍ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ فِي بَعْضِ آثَارِ أَصْحَابِنَا، وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ الْحَسَنَ أَقَامَ بِفَارِسَ سَنَتَيْنِ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّ عَلْقَمَةَ أَقَامَ بِخَوَارِزْمَ سَنَتَيْنِ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ

(١) أَمَّا رِوَايَةُ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، قَالَ: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَ بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلاَةَ وَهُوَ لاَ يَنْوِي الإِقَامَةَ بِهَا". قَالَ الرَّبِيعُ: "هَذِهِ حُجَّةُ مَنْ لَمْ يَرَ الإِقَامَةَ لِلْمُسَافِرِ إِذَا كَانَ يَنْوِي الإِقَامَةَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ" [باب في فرض الصلاة في الحضر والسفر، ١٩٠] وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا" [باب مقام النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفتح، ر٤٠٤٧]، وَلأَبِي دَاوُدَ: "سَبْعَةَ عَشَرَ" [كتاب صلاة المسافر، باب متى يتم المسافر، ر١٢٣٠]، وَلَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: "ثَمَانِيَةَ عَشَرَ" [باب متى يتم المسافر، ر١٢٣١]، وَلَهُ عَنْ جَابِرٍ ﷺ: "أَقَامَ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلاَةَ" [باب إذا أقام بأرض العدو يقصر، ر١٢٣٧]. اهـ مُصَحّحه.

(٢) [رواه الترمذي، باب ما جاء في كم تقصر الصلاة، رقم ٥٤٨].

(٣) وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٤) أَبُو نُوحٍ صَالِحٌ الدَّهَّانُ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٥) أَوْ تَزَوَّجَ فِيهَا، كَمَا رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ صَلَّى بِمِنًى أَرْبَعًا، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَتْمَمْتُ لأَنِّي تَأَهَّلْتُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ تَأَهَّلَ بِبَلَدٍ فليصلِّ صلاة المُقيمِ" [رواه أحمد، ر٤٤٣]. اهـ.

أَقَامَ بِهَا أَرْبَعَ سِنِينَ، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَقَامَ بِأَذْرَبِيجَانَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا يَقْصُرُ الصَّلاَةَ، وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَقَامُوا بِالْقَادِسِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ يَقْصُرُونَ الصَّلاَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَهَذِهِ أُمَّهَاتُ مَسَائِلِ التَّقْصِيرِ، وَلْنَرْجِعْ إِنْ شَاءَ اللهُ إِلَى مُتَعَلِّقَاتِ سُنَنِ الصَّلاَةِ مِنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالتَّوْجِيهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَيْفِيَّةِ امْتِثَالِ سُنَنِ الصَّلاَةِ وَفَرَائِضِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

[تفصيل سنن الصلاة وأعمالها، وبعض فرائضها بعد الدخول فيها

## فصل فِي الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ

وَهَذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ، **أَحَدُهُمَا** : فِي الأَذَانِ، **وَالثَّانِي** : فِي الإِقَامَةِ.

### الْقِسْمُ الأَوَّلُ
### فِي الأَذَانِ

وَهُوَ عَلَى **وَجْهَيْنِ** لُغَوِيٍّ وَشَرْعِيٍّ:

**فَاللُّغَوِيُّ** مَعْنَاهُ الإِعْلاَمُ، دَلِيلُهُ ﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ** ﴾[1]، أَيْ: إِعْلاَمٌ.

**وَالشَّرْعِيُّ**: هُوَ التَّعْرِيفُ لِلصَّلاَةِ بِأَلْفَاظٍ شَرْعِيَّةٍ فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ، وَلْنَذْكُرْ فِيهِ هَهُنَا خَمْسَ مَسَائِلَ تَجْرِي مَجْرَى الأُمَّهَاتِ فِيهِ:

**إِحْدَاهَا [المسألة الأولى]:** فِي صِفَةِ الأَذَانِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ فِيمَا وَجَدْتُ عَلَى **أَرْبَعِ صِفَاتٍ، إِحْدَاهَا** : تَثْنِيَةُ التَّكْبِيرِ فِيهِ، وَتَرْبِيعُ الشَّهَادَتَيْنِ، وَبَاقِيهِ مَثْنَى، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، **وَالصِّفَةُ الثَّانِيَةُ** : أَذَانُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَهُوَ تَرْبِيعُ التَّكْبِيرِ الأَوَّلِ، وَتَثْنِيَةُ بَاقِي الأَذَانِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ، إِلاَّ أَنَّ أَصْحَابَنَا رَأَوْا تَرْبِيعَ التَّكْبِيرِ فِي جَمِيعِ

(١) التَّوْبَة: ٣.

**الأَذَانِ**[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ، **وَالثَّالِثَةُ**: أَذَانُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُمْ، وَهُوَ تَرْبِيعُ التَّكْبِيرِ الأَوَّلِ، وَتَثْنِيَةُ الشَّهَادَتَيْنِ وَالْحَيْعَلَتَيْنِ[2]، وَرُوِيَ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَابْنِ سِيرِينَ، **وَالصِّفَةُ الرَّابِعَةُ**: أَذَانُ أَهْلِ مَكَّةَ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُمْ، وَهُوَ تَرْبِيعُ التَّكْبِيرِ الأَوَّلِ وَالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَثْنِيَةُ بَاقِي الأَذَانِ، وَرُوِيَ مِثْلُهَا عَنِ الشَّافِعِيِّ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: اخْتِلاَفُ الآثَارِ وَاخْتِلاَفُ الْعَمَلِ الْمُتَّصِلِ عِنْدَ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: حُكْمُهُ**، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْوَالٍ، **أحدها**: أَنَّهُ فَرِيضَةٌ عَلَى الأَعْيَانِ وَعَلَى الْجَمَاعَاتِ، رُوِيَ هَذَا عَنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَلَعَلَّهُمُ احْتَجُّوا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ وَلِصَاحِبِهِ: "إِذَا كُنْتُمَا فِي سَفَرٍ فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا وَلْيَؤُمَّكُمَا أَفْضَلُكُمَا"[3]، **وَالْقَوْلُ الثَّانِي**: أَنَّهُ فَرْضٌ عَلَى مَسَاجِدِ الْجَمَاعَاتِ، وَقِيلَ: سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ الأَذَانَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ لإِقَامَةِ شَعَائِرِ الإِسْلاَمِ، وَإِنْ تَرَكَهُ الْجَمِيعُ أَثِمُوا وَقُوتِلُوا، وَإِنْ فَعَلَهُ وَاحِدٌ أَجْزَأَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَعَلَّلُوا وُجُوبَهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الْجَمَاعَةِ بِوَجْهَيْنِ: إِقَامَةِ الشِّعَارِ وَتَعْرِيفِ الأَوْقَاتِ، **وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ**: قَوْلُ أَصْحَابِنَا أَنَّ الأَذَانَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَهُوَ سُنَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ.

**وَسَبَبُ الاخْتِلاَفِ**: هُوَ سَبَبُ تَرَدُّدِهِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ قَوْلاً مِنْ أَقَاوِيلِ الصَّلاَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهِ هُوَ إِعْلاَمُ النَّاسِ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الْجَمَاعَاتِ.

---

(١) [وهو المعمول به الآن عند إباضية المغرب]

(٢) [وهو المشهور اليوم، وعليه العمل عند إباضية المشرق]

(٣) [رواه الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الأذان في السفر، ر٢٠٥].

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي وَقْتِهِ**، وَقَدْ أَجْمَعُوا فِيمَا وَجَدْتُ عَلَى أَنَّهُ لاَ يُؤَذَّنُ لِلصَّلاَةِ قَبْلَ دُخُولِ الْوَقْتِ، مَا عَدَا الصُّبْحَ فَإِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُؤَذَّنَ لَهَا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَرُوِيَ هَذَا عَنْ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ، وَقَالَ بَعْضٌ: لاَ بُدَّ لِلصُّبْحِ مِنْ أَذَانٍ ثَانٍ إِنْ أُذِّنَ لَهَا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

**وَسَبَبُ اخْتِلاَفِهِمْ: حَدِيثَانِ مُتَعَارِضَانِ، أَحَدُهُمَا**: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "إِنْ بِلاَلاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ"[1]، **وَالثَّانِي**: مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ بِلاَلاً أَذَّنَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يُعِيدَ فَيُنَادِيَ: أَلاَ إِنَّ الْعَبْدَ قَدْ نَامَ"[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي شُرُوطِ الأَذَانِ**، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا، قَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ يُؤَذِّنُ إِلاَّ عَلَى طَهَارَةٍ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ، غَيْرَ قَاعِدٍ وَلاَ رَاكِبٍ، مُتَوَجِّهًا لِلْقِبْلَةِ، غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ فِي حَالَةِ الأَذَانِ، وَهُوَ بَالِغٌ صَحِيحُ الْعَقْلِ، وَلاَ يُقِيمُ الصَّلاَةَ غَيْرُهُ، أَيْ غَيْرُ الْمُؤَذِّنِ إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ، وَلاَ يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا.

فَصَاحِبُ هَذَا الْقَوْلِ قَاسَ الأَذَانَ عَلَى الصَّلاَةِ، وَهُوَ اللاَّئِقُ بِأُصُولِ أَصْحَابِنَا، وَقَدْ وَجَدْتُ عَنْ أَبِي الْمُؤَرِّجِ[3]: إِنْ تَكَلَّمَ أَعَادَ الأَذَانَ، وَأُعْجِبَ بِهِ أَيُّوبُ[4]، وَأَمَّا

---

(١) [رواه البخاري، باب الأذان بعد الفجر، ٥٩٥].

(٢) [رواه أبو داود، باب في الأذان قبل دخول الوقت، ر٥٣٢].

(٣) أَبُو الْمُؤَرِّجِ: عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، مِنْ أَهْلِ قدم مِنَ الْيَمَنِ، هُوَ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّانِي مِمَّنْ أَخَذَ هُوَ وَالرَّبِيعُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ، وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ خِلاَفٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّبِيعِ فِي مَسَائِلَ أَدَّى إِلَى تَدَخُّلِ شَيْخِهِمْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَتَرْجِيحِهِ جَانِبَ الرَّبِيعِ، وَقَدْ سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ مِمَّنْ يَرْوِي عَنْهُ أَبُو غَانِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ فِي كُتُبِهِ، وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَدِمَ إِلَى عُمَانَ، فَحَاجَّهُ عُلَمَاؤُهَا، فَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ. اهـ مُصَحِّحه.

(٤) هُوَ أَبُو أَيُّوبَ وَائِلُ بْنُ أَيُّوبَ الْحَضْرَمِيُّ مِنْ تَلاَمِيذِ الرَّبِيعِ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

الرَّبِيعُ بْنُ حَبِيبٍ وَأَبُو غَسَّانَ[١] فَإِنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَهُمْ لِحَاجَةٍ لاَ بُدَّ مِنْهَا فَلاَ يُعِيدُ الأَذَانَ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ إِلاَّ بِثَوْبٍ طَاهِرٍ، وَلاَ يَأْكُلُ فِيهِ وَلاَ يَشْرَبُ.

وَقَدْ سُئِلَ الرَّبِيعُ بْنُ حَبِيبٍ: مَتَى يَكُونُ الأَذَانُ لِلْفَجْرِ؟ فَقَالَ: عَلَى قَدْرِ مَا يَنْتَبِهُ النَّائِمُ الْجُنُبُ فَيَغْتَسِلُ وَيُدْرِكُ الصَّلاَةَ[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ:** وَقَدِ اسْتَحَبَّ الْعُلَمَاءُ لِسَامِعِ الأَذَانِ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ، لِثُبُوتِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ عِنْدَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، فَقِيلَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّ السَّامِعَ يَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ لِعُمُومِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: "**إِذَا سَمِعْتُمُ الأَذَانَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ**"[٣]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي

## فِي الإِقَامَةِ

**وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حُكْمِهَا**، فَقَالَ الْجُمْهُورُ: إِنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ أَبْلَغُ مِنْ تَأْكِيدِ الأَذَانِ، وَذَهَبَ أَهْلُ الظَّاهِرِ إِلَى أَنَّهَا فَرْضٌ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَعْفَرٍ الْعُمَانِيُّ فِي

---

(١) أَبُو غَسَّانَ مخْلَدُ بْنُ الْعمْرَدِ [ق: ٢هـ]، هُوَ كَمَا قَالَ الشماخِيُّ: "مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّحَارِيرِ وَالْفُقَهَاءِ الْقَنَاطِيرِ" [السير، ١/ ١١١]، مِنْ عُلَمَاءِ الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ طَبَقَةِ الرَّبِيعِ بْنِ حَبِيبٍ وَوَائِلِ بْنِ أَيُّوبَ الْحَضْرَمِيِّ، وَحَمَلَةِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ، وَكُلُّهُمْ مِنْ خِرِّيجِي مَدْرَسَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ بِالْبَصْرَةِ، أَمَّا تَارِيخُ مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ عَلَى التَّحْدِيدِ فَلَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ كَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ طَبَقَتِهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ. اهـ مُصَحّحه.

(٢) [الجامع لابن جعفر، ٢/ ٧٥ ، والكندي: بيان الشرع، ١١/ ٣١].

(٣) [رواه الربيع، باب في الأذان، ر١٧٥].

كِتَابِهِ[١] أَنَّ مَنْ تَرَكَ الإِقَامَةَ مُتَعَمِّدًا حَتَّى صَلَّى يُعِيدُ صَلاَتَهُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَفِي سُبُوغِ النَّعَمِ[٢] مَنْزِلَتُهُ خَسِيسَةٌ.

**وَسَبَبُ اخْتِلاَفِهِمْ:** هَلِ الإِقَامَةُ مِنَ الأَفْعَالِ الَّتِي يُحْمَلُ الْعِلْمُ بِهَا عَلَى الْوُجُوبِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**"[٣] أَمْ هِيَ مِنَ الأَفْعَالِ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَى النَّدْبِ؟ وَظَاهِرُ حَدِيثِ الرَّسُولِ لِلرَّجُلَيْنِ: "أَذِّنَا وَأَقِيمَا" يُوجِبُ كَوْنَهَا فَرْضًا، إِمَّا عَلَى الْجَمَاعَةِ أَوْ عَلَى الْمُنْفَرِدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الإِقَامَةِ،** فَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ التَّكْبِيرَ الَّذِي فِي أَوَّلِهَا فَمَثْنَى، وَمَا بَعْدَهُ فَمَرَّةٌ وَاحِدَةٌ[٤]، وَخَيَّرَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ، وَمَذْهَبُ أَصْحَابِنَا أَنَّ الأَذَانَ وَالإِقَامَةَ مَثْنَى مَثْنَى، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَنَفِيَّةُ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ مَثْنَى مَثْنَى، وَأَقَامَ كَذَلِكَ[٥]، وَرَوَى أَصْحَابُ الْقَوْلِ الأَوَّلِ أَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَشْفَعَ الأَذَانَ وَيُفْرِدُ الإِقَامَةَ[٦]، وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَفْرَدَ الإِقَامَةَ مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ يَطُولُ عَلَيْهِ الْقُعُودُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَيَسْتَحِبُّ الْجَزْمَ فِي الإِقَامَةِ.

وَمَنْ نَسِيَ مِنْهَا شَيْئًا ثُمَّ ذَكَرَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ أَعَادَ ذَلِكَ وَحْدَهُ مَا لَمْ يَتَطَاوَلْ ذَلِكَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهَا فَأَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يُعِيدَهَا، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَبْلَ أَنْ تَنْقَضِ الصُّفُوفُ فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَةِ، وَقَالَ مَنْ قَالَ: إِنْ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ فَلْيُقِمْ

---

(١) [كتابه: الجامع، ٢/ ٧٠].

(٢) [مختصر أبي الحسن البسيوي، ص ٤٦، ويسمى أيضا: سبوغ النعم]. كِتَابُ سُبُوغِ النِّعَمِ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبِسْيَانِيِّ الْعُمَانِيِّ، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ، وَمِمَّنْ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَرَكَةَ، الَّذِي تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَتُهُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٣) [رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة...، ر٦٠٥].

(٤) الأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: أَمَّا التَّكْبِيرُ... الخ.

(٥) [رواه الربيع، باب في الأذان، ر١٧٥، دون ذكر: "أمر بلالا"].

(٦)[رواه البخاري، باب الأذان مثنى مثنى، ر٥٨٠]. "إِلاَّ الإِقَامَةَ"، يَعْنِي: إِلاَّ قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ.

وَحْدَهُ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَمَنْ دَخَلَ الصَّلاَةَ بِمَا لَمْ تَتِمَّ بِهِ مِنَ انْتِقَاضِ وُضُوءٍ أَوْ ثَوْبٍ مَنْجُوسٍ فَلْيُعِدِ الإِقَامَةَ مَعَ الصَّلاَةِ، وَلَيْسَ لِصَلاَةِ السُّنَنِ وَقَضَاءِ فَوَائِتِ الْفَرَائِضِ أَذَانٌ وَلاَ إِقَامَةٌ.

وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ أَذَانٌ وَلاَ إِقَامَةٌ، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: إِنْ أَقَمْنَ فَحَسَنٌ، وَعَنِ الشَّافِعِيِّ: إِنْ أَذَّنَّ وَأَقَمْنَ فَحَسَنٌ، وَرَوَى مُخَالِفُونَا عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا تُؤَذِّنُ وَتُقِيمُ.

وَأَصْلُ الاخْتِلاَفِ: هَلِ الْمَرْأَةُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ كَالرَّجُلِ أَمْ لاَ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ بِخَفْضِ الصَّوْتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## فصل فِي التَّوْجِيهِ

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حُكْمِهِ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ فِي الصَّلاَةِ قَبْلَ الإِحْرَامِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ تَوْجِيهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ إِنَّمَا عَلَيْهِ التَّسْبِيحُ، وَمَذْهَبُ أَبِي يُوسُفَ -صَاحِبِهِ- الْجَمْعُ بَيْنَ التَّوْجِيهِ وَالتَّسْبِيحِ، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ التَّوْجِيهَ فِي الصَّلاَةِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلاَ سُنَّةٍ، وَمَذْهَبُ أَصْحَابِنَا أَنَّ التَّسْبِيحَ فِي التَّوْجِيهِ سُنَّةٌ، وَتَوْجِيهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْتَحَبٌّ، وَحُجَّةُ أَصْحَابِنَا فِي التَّسْبِيحِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[1]، وَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَائِشَةَ ﷺ: أَنَّهُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: "سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ"[2]، وَقَدِ اسْتَحَبَّ أَصْحَابُنَا أَنْ يَضُمَّ إِلَى تَوْجِيهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ تَوْجِيهَ [سَيِّدِنَا]

(١) الطُّور: ٤٨.

(٢)[رواه مسلم، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، ر٩١٨].

إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَهُوَ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا فِيمَنْ دَخَلَ الصَّلاَةَ بَعْدَ عَقْدِ النِّيَّةِ بِتَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ، فَقِيلَ: تَفْسُدُ صَلاَتُهُ؛ لأَنَّهُ تَرَكَ سُنَّةً مَعْمُولاً بِهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا هِيَ التَّوْجِيهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: لاَ نَقْضَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ صُلْبِ الصَّلاَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَمْثَلُ، وَأَمَّا إِنْ تَرَكَ ذَلِكَ نَاسِيًا فَلاَ نَقْضَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ إِنْ خَافَ فَوَاتَ الإِمَامِ فَإِنَّهُ يُوَجِّهُ وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الصَّفِّ، وَيُحْرِمُ إِذَا وَقَفَ فِيهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## [ما يَنبغِي لِلمصلِّي فِعْلُه قَبْلَ تكبيرةِ الإحرامِ]

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الصَّلاَةَ بَعْدَ الإِتْيَانِ بِجَمِيعِ شُرُوطِهَا مِنَ الطَّهَارَةِ وَغَيْرِهَا أَنْ يَقُومَ مُنْتَصِباً جَاعِلاً بَيْنَ رِجْلَيْهِ مِقْدَارَ مَسْقَطِ نَعْلٍ، مُرْسِلاً يَدَيْهِ إِرْسَالاً، رَادًّا بَصَرَهُ فِي مَوْضِعِ سُجُودِهِ، مُتَخَشِّعًا لِلهِ بِقَلْبِهِ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، مُتَوَجِّهًا إِلَى الْقِبْلَةِ بِنِيَّتِهِ وَوَجْهِهِ، عَالِمًا بِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالصَّلاَةِ وَبِالتَّوْجِيهِ بِهَا إِلَى الْقِبْلَةِ، عَارِفًا بِصَلاَتِهِ تِلْكَ وَيَوْمِهِ وَشَهْرِهِ، رَاجِيًا ثَوَابَ اللهِ فِي أَدَاءِ فَرْضِهِ، خَائِفًا مِنْ عِقَابِهِ فِي تَضْيِيعِ شَيْءٍ مِنْ أَوَامِرِهِ، وَلْيَقُلْ بَعْدَ عَقْدِ النِّيَّةِ عَلَى أَدَاءِ صَلاَةٍ مُعَيَّنَةٍ حَضَرِيَّةٍ أَوْ سَفَرِيَّةٍ: "رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى أَدَاءِ فَرِيضَتِكَ الَّتِي افْتَرَضْتَهَا عَلَيَّ، أَنْ أُصَلِّيَ صَلاَةَ الظُّهْرِ فَرِيضَةً افْتَرَضْتَهَا عَلَيَّ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ، فِي شَهْرٍ مَعْلُومٍ، مُتَقَرِّبًا بِهَا إِلَيْكَ، رَاجِيًا ثَوَابَكَ، خَائِفًا مِنْ عِقَابِكَ، مُسْتَقْبِلاً بِهَا فَرْضَ الْقِبْلَةِ، وَهِيَ الْكَعْبَةُ الَّتِي هِيَ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الْمَسْجِدِ الَّذِي هُوَ قِبْلَةٌ لأَهْلِ مَكَّةَ الَّتِي هِيَ قِبْلَةٌ لأَهْلِ الْحَرَمِ، الَّذِي هُوَ قِبْلَةٌ لأَهْلِ

(١) الأنعام: ٧٩.

(٢) [أي قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢)].

الأَرْضِ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ، اللهُ أَكْبَرُ".

**[فصل]**[1] **مَسْأَلَةٌ فِي الاسْتِعَاذَةِ:** وَهِيَ مَأْمُورٌ بِهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا فِي الصَّلاَةِ وَفِي غَيْرِهَا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2] يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، وَهِيَ تُقْرَأُ سِرًّا فِي صَلاَةِ السِّرِّ وَالْجَهْرِ، وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَصَلاَتُهُ نَاقِصَةٌ، وَيَسْتَعِيذُ الْمُصَلِّي كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، لاَ يَزِيدُ عَنْ هَذَا شَيْئًا. وَاخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِهَا، فَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمٌ ﷺ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ يَسْتَعِيذُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْضًا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَابْنَ مَسْعُودٍ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعِيذُونَ بَعْدَ الإِحْرَامِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، وَبِهَذَا أَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَبُو الْمُؤَرِّجِ[3]، وَفِي أَثَرِ مَشَايِخِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ أَنَّهُ إِنْ كَانَ لِسَانُهُ مُتَعَوِّدًا بِعجْمِ ذَالِ الاسْتِعَاذَةِ فَلْيُعَوِّذْ بَعْدَ التَّكْبِيرِ وَإِلاَّ قَبْلَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي الإِحْرَامِ:** اتَّفَقَ جُمْهُورُ الأُمَّةِ – فِيمَا وَجَدْتُ – عَلَى أَنَّ تَكْبِيرَةَ الإِحْرَامِ فَرْضٌ وَاجِبٌ لاَ يَصِحُّ الدُّخُولُ فِي الصَّلاَةِ إِلاَّ بِهَا، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[4]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[1]، وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ:

---

(١) [أضفتُ لعنوان هذه المسألة والمسائل التي بعدها كلمة "فصل"، ليكون تقسيم سنن الصلاة وأعمالها على نسق واحد، على النحو الآتي: فصل في الأذان والإقامة، فصل في التوجيه، فصل في الاستعاذة، فصل في الإحرام، ...الخ].

(٢) النَّحل: ٩٨.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ قَرِيبًا.

(٤) المُدَّثِّر: ٣.

"مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ"(٢)، وَقَوْلُهُ لِلَّذِي يُعَلِّمُهُ الصَّلاَةَ: "إِذَا أَرَدْتَ الصَّلاَةَ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ كَبِّرْ..."(٣) الْحَدِيث، وَمَا نُقِلَ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ أَنَّهُ يُكَبِّرُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلاَةِ، فَوَجَبَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ، لِقَوْلِهِ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"(٤)؛ وَلأَنَّ أَفْعَالَهُ فِي الصَّلاَةِ كَانَتْ بَيَانًا لِمُجْمَلِ فَرْضِهَا، إِلاَّ مَا وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِفَرْضٍ فِيهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَد ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ تَكْبِيرَ الصَّلاَةِ كُلَّهُ وَاجِبٌ، وَلَعَلَّهُمْ قَاسُوهُ عَلَى تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ، وَقَدْ شَذَّ قَوْمٌ فَقَالُوا: إِنَّ تَكْبِيرَ الصَّلاَةِ كُلَّهُ نَفْلٌ وَسُنَّةٌ، وَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ، وَلَعَلَّهُمْ قَاسُوهُ عَلَى الأَقْوَالِ الَّتِي لَيْسَتْ بِفَرْضٍ فِي الصَّلاَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّ لَفْظَ التَّكْبِيرِ الْمُجْزِئَ فِي الصَّلاَةِ: اللهُ أَكْبَرُ، وَاخْتَلَفُوا هَلْ يَقُومُ غَيْرُ لَفْظِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ مَقَامَهُ؟ فَذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَقُومُ لَفْظٌ سَوَاهُ مَقَامَهُ، إِلاَّ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ: يَجُوزُ: اللهُ أَكْبَرُ، وَاللهُ الأَكْبَرُ، وَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّهُ يَقُومُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ إِذَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ مِثْل: اللهُ أَجَلُّ، اللهُ أَعْظَمُ، وَاخْتَلَفُوا فِي الأَجَلِّ وَالأَعْظَمِ، وَالْجَلِيلِ وَالْعَظِيمِ، وَوَافَقَ أَبُو حَنِيفَةَ أَصْحَابَنَا فِي هَذَا.

**وَسَبَبُ اخْتِلاَفِهِمْ:** هَلِ اللَّفْظُ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي الاْفْتِتَاحِ أَوِ الْمَعْنَى؟ فَذَهَبَ الأَوَّلُونَ إِلَى أَنَّهُ اللَّفْظُ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ ﷺ: "تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا

---

(١) الإسْرَاء: ١١٠.

(٢) [رواه الربيع، باب في ابتداء الصلاة، ر٢٢٠، بدون ذكر: مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ"، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء، ر٦١].

(٣) [رواه البخاري، باب من رد فقال: السلام عليكم، ر٥٨٩٧].

(٤) [سبق تخريجه].

التَّسْلِيمُ"[١]، فَالأَلِفُ وَاللاَّمُ هَهُنَا لِلْحَصْرِ، وَالْحَصْرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ خَاصٌّ بِالْمَنْطُوقِ بِهِ، وَذَهَبَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الثَّانِي إِلَى أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ ذَلِكَ هُوَ مِنْ بَابِ دَلِيلِ الْخِطَابِ، وهُوَ أَنْ يُحْكَمَ بِالْمَسْكُوتِ عَنْهُ بِحُكْمِ الْمَنْطُوقِ بِهِ، وَالنَّظَرُ يُوجِبُ الْقَوْلَ الأَوَّلَ؛ لأَنَّهُ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ بَرَكَةَ الْعُمَانِيُّ فِي كِتَابِهِ[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَمَنْ تَرَكَ تَكْبِيرَةَ الإِحْرَامِ مُتَعَمِّدًا أَوْ نَاسِيًا فَلاَ صَلاَةَ لَهُ، وَإِنْ جَاوَزَهَا إِلَى الْقِرَاءَةِ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ وَيُحْرِمُ، وَإِنْ جَاوَزَهَا إِلَى الرُّكُوعِ فَسَدَتْ صَلاَتُهُ، وَاخْتَلَفُوا: هَلْ يُعْتَبَرُ الشَّكُّ فِيهَا بَعْدَ أَنْ جَاوَزَهَا؟ فَقِيلَ: لاَ يُعْتَبَرُ. وَقِيلَ: يُعْتَبَرُ، وَهُوَ الأَصَحُّ؛ لأَنَّهَا هِيَ الدُّخُولُ فِي الصَّلاَةِ، فَلاَ يُجَاوِزُهَا حَتَّى يُحْكِمَهَا.

**مَسْأَلَةٌ:** وَلْتَكُنِ النِّيَّةُ مَقْرُونَةً بِالإِحْرَامِ، وَكَيْفِيَّتُهُ: أَنْ يَقْصِدَ بِقَلْبِهِ الدُّخُولَ فِي الصَّلاَةِ الْمُعَيَّنَةِ كَمَا قَدَّمْنَا، ثُمَّ إِذَا قَارَنَتْهُ النِّيَّةُ وَجَبَ اسْتِصْحَابُ حُكْمِهَا وَهُوَ اسْتِدَامَةُ أَمْرِهَا بِأَنْ لاَ يُحْدِثَ مَا يُنَافِيهَا وَيَنْقُضُ جَزْمَهَا، مِثْلَ أَنْ يَنْقُلَ نِيَّتَهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الصَّلاَةِ قَبْلَ إِتْمَامِهَا، وَإِنْ عَزَبَتْ نِيَّتُهُ أَثْنَاءَ الصَّلاَةِ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا إِنْ عَزَبَتْ نِيَّتُهُ فِي الانْهِمَاكِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقِ بِعَلاَئِقِهَا، وَالتَّشَبُّثِ بِفُضُولِهَا وَلَمْ يَرُدَّ نَظَرَهُ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ، فَالأَقْوَى عِنْدِي تَرْكُ الاعْتِدَادِ بِهَا؛ لأَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ بِاخْتِيَارِهِ، وَقَدْ رَوَى ضِمَامُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ[٣] قَالَ: أَجْمَعَ عِلْمُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنْ "لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ إِلاَّ مَا عَقَلَ مِنْهَا"، وَرَفَعَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ[٤]، وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ عَمَّارٍ ﷺ أَنَّ

(١) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٢) سَبَقَ ذِكْرُهُ وَذِكْرُ كِتَابِهِ الْمَشْهُورِ بِجَامِعِ ابْنِ بَرَكَةَ.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِمَا.

(٤) [لم أجد من أخرجه بهذا اللفظ، ورواه محمد بن علي الترمذي: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الأصل الخامس والأربعون والمائة في حقيقة الخشوع، ١٧٤/٢ بمعناه،

الرَّجُلَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ وَلاَ يُكْتَبُ لَهُ نِصْفُهَا وَلاَ ثُلُثُهَا وَلاَ رُبُعُهَا إِلَى عُشْرِهَا[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا إِنْ تَذَكَّرَ فِي صَلاَتِهِ فَرَدَّ نَظَرَهُ فِيهَا فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَأَمَّا إِنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِمُهِمٍّ دِينِيٍّ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَسْتَنْكِحْهُ الشَّكُّ فِي صَلاَتِهِ، كَمَا حُكِيَ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْوَسْوَاسُ يَعْتَرِينِي فِي الصَّلاَةِ، فَقِيلَ لَهُ: أَفِي أَمْرِ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: لأَنْ تَخْتَلِفَ فِيَّ الأَسِنَّةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَشْتَغِلُ قَلْبِي بِمَوْقِفِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي كَيْفَ أَنْصَرِفُ. فَعَدَّ ذَلِكَ وَسْوَاسًا، وَهُوَ كَذَلِكَ؛ لأَنَّهُ يَشْغَلُهُ عَنْ فَهْمِ مَا هُوَ فِيهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

**[فصل] مَسْأَلَةٌ: فِي قِرَاءَةِ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"**، اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلاَةِ بِهَا، فَرُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَأَصْحَابِهِ مَنْعُ الاْفْتِتَاحِ بِهَا فِي الْمَكْتُوبَةِ سِرًّا كَانَتْ أَوْ جَهْرًا، إِلاَّ فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ، لاَ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ، وَأَجَازَ ذَلِكَ فِي النَّافِلَةِ، وَقَالَ أَصْحَابُنَا: تُقْرَأُ فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ وَمَعَ كُلِّ سُورَةٍ فِي الصَّلاَةِ وَفِي غَيْرِهَا، إِلاَّ فِي أَوَّلِ سُورَةِ التَّوْبَةِ، وَتُقْرَأُ فِي الصَّلاَةِ سِرًّا مَعَ السِّرِّ، وَجَهْرًا مَعَ

---

والمنذري: الترغيب والترهيب، بلفظ: "لا يقبل الله من عبد عملا..."، كتاب الصلاة، الترهيب من عدم إتمام الركوع والسجود، ر٢٤].

(١) [رواه النسائي في الكبرى، كتاب السهو، باب تخفيف الصلاة في تمام، ر٦١١].

(٢) كَانَ ﷺ يُرَخِّصُ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَلَوْ طَالَ زَمَنُ الْخَوَاطِرِ، يَعْنِي: لاَ تَفْسُدُ إِنْ لَمْ يَتَعَمَّدْ، وَأَمَّا قَوْلُ عُمَرَ ﷺ: "إِنِّي لأَحْسِبُ جِزْيَةَ الْبَحْرَيْنِ وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ" [الهندي: كنز العمال، ر٢٢٦٢٨]. فَمَعْنَاهُ: ذِكْرُ سُوءِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ لاَ جَوَازُ عُمَرَ ذَلِكَ وَنَحْوُهُ. عن عمر بن الخطاب قال: "إِنِّي لأُجَهِّزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ" [رواه البخاري، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة، ١/ ٤٠٨، وقال (أجهز جيشي): "أي أتفكر في تجهيز جيشي وأنا أصلي، واللائق به رضي الله عنه أن ذلك كان يهجم عليه فيحاول دفعه"]، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعَصْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا وَدَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، وَرَأَى مَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ، قَالَ: "ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ تِبْرًا عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يُمْسِيَ أَوْ يَبِيتَ عِنْدَنَا، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ" [رواه البخاري، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة، ر١١٦٣].

الْجَهْرِ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[١] وَالشَّافِعِيُّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَأَحْمَدُ وَأَبُو ثَوْرٍ[٢] وَغَيْرُهُمْ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ سَبَبَانِ، أَحَدُهُمَا**: اخْتِلاَفُ الآثَارِ، **وَالثَّانِي**: هَلْ هِيَ آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ أَمْ لاَ؟ فَرَوَى مَنْ أَسْقَطَ قِرَاءَتَهَا عَنْ بَعْضِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ بِهَا فِي الصَّلاَةِ وَلاَ الْخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ رَحِمَهُمَا اللهُ[٣]، وَرَوَى أَصْحَابُنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ تَرَكُوا قِرَاءَةَ الْبَسْمَلَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَوَفَعَلُوهَا؟! ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ صَلَّى خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْخَلِيفَتَيْنِ بَعْدَهُ فَكَانُوا يَقْرَؤُونَهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا أَقْرَؤُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا، قَالَ: فَسَاءَنِي إِذْ لَمْ يَسْتَثْنِ[٤]، وَرُوِيَ عَنْ صُحَارٍ الْعَبْدِيِّ ﷺ مِثْلُ ذَلِكَ، فَقَالَ

---

(١) الثَّوْرِيُّ: هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ الثَّوْرِيُّ الْكُوفِيُّ نِسْبَةً إِلَى ثَوْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ أَحَدِ أَجْدَادِهِ، وَهُوَ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وُلِدَ سَنَةَ ٩٧هـ وَمَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٦١هـ. اهـ مُصَحَّحه.

(٢) أَبُو ثَوْرٍ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْيَمَانِيِّ الْكَلْبِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ الْجَامِعُ بَيْنَ عِلْمَيِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، بَلْ قَالَ فِيهِ ابْنُ حِبَّانَ: "كَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الدُّنْيَا فِقْهًا وَعِلْمًا وَوَرَعًا وَفَضْلاً وَدِيَانَةً وَخَيْرًا" [الثقات، ٨/ ٧٤]، يُعَدُّ مِنْ طَبَقَةِ الشَّافِعِيِّ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَذْهَبٌ مُسْتَقِلٌّ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٤٠هـ وَقِيلَ سَنَةَ ٢٤٦ هـ.

(٣) لِحَدِيثِ أَنَسٍ "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ الصَّلاَةَ بِالْحَمْدِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ". [رواه ابن أبي شيبة، من قال لا يجهر بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، ٤١٦٨]، وَزَادَ مُسْلِمٌ: "لاَ يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ الْقِرَاءَةِ وَلاَ فِي آخِرِهَا" [باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، ر٩١٨]. وَفِي رِوَايَةٍ: "لاَ يَجْهَرُونَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"[رواه ابن حبان، باب صفة الصلاة، ر١٨٠٢] ... وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ النَّفْيُ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ خِلاَفًا لِمَنْ أَعَلَّهَا.

(٤) أَيْ لَمَّا قَالَ: (مَا دُمْتُ حَيًّا)، لَمْ يَقُلْ: (إِنْ شَاءَ اللهُ)؛ لأَنَّ هَذَا أَمْرٌ غَيْبِيٌّ، وَالأَوْلَى رَدُّهُ إِلَى الْمَشِيئَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ (الكهف: ٢٣) [لم أجد من أخرج هذا الأثر].

ابْنُ عُمَرَ: إِنَّهَا لآيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ اخْتَلَسَهَا مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ، وَرَوَى مُخَالِفُونَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ(١).

وَأَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي الْمُوجِبُ لِلْخِلاَفِ فَهُوَ كَمَا قَدَّمْنَا: هَلِ الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ وَكُلِّ سُورَةٍ أَمْ لَيْسَتْ بِآيَةٍ إِلاَّ فِي سُورَةِ النَّمْلِ خَاصَّةً؟ فَمَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ لَيْسَتْ بِآيَةٍ عِنْدَهُمْ إِلاَّ فِي سُورَةِ النَّمْلِ، وَأَصْحَابُنَا وَمَنْ وَافَقَهُمْ هِيَ آيَةٌ عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَاتِحَةِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ(٢)، وَأَنَّهُ عَدَّ الْفَاتِحَةَ سَبْعَ آيَاتٍ، وَعَدَّ فِيهَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي قِرَاءَتِهَا، فَقَالَ بَعْضٌ: تُقْرَأُ سِرًّا، وَقَالَ آخَرُونَ: تُقْرَأُ جَهْرًا، وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا: أَنَّهَا تُقْرَأُ سِرًّا مَعَ السِّرِّ، وَجَهْرًا مَعَ الْجَهْرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي الْقِرَاءَةِ:** وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الصَّلاَةَ لاَ تَجُوزُ بِغَيْرِ قِرَاءَةٍ سَهْوًا وَلاَ عَمْدًا، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾(٣)، وَلِحَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَصَاعِدًا"(٤)، وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ عَنْهُ ﷺ قَالَ: "كُلُّ

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا قَرَأْتُمُ الْفَاتِحَةَ فَاقْرَءُوا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهَا إِحْدَى آيَاتِهَا" [رواه الدارقطني، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة والجهر بها واختلاف الروايات في ذلك، ر٣٦].

(٢) لِمَا رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ، فَقَرَأَهَا وَقَرَأَ فِيهَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَقَالَ: "إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ" [رواه الربيع، باب في القراءة في الصلاة، ر٢٢٣، قَالَ الرَّبِيعُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَقَدْ رَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَ هَذَا].

(٣) الْمُزَّمِّل: ٢٠.

(٤) [رواه الربيع، باب في القراءة في الصلاة، ر٢٢٥، وأبو داود، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، ر٨٢٣].

صَلاَةٍ لَمْ يُقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ"[1]، وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ جَهْرًا فِي خَفْضِ صَوْتٍ، ثُمَّ يَقْرَأُ بَعْدَهَا سُورَةً.

وَعِنْدَ عُلَمَائِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ: **الأَوَّلُ**: الْجَهْرُ فِي جَمِيعِ الرَّكَعَاتِ بِالْحَمْدِ وَالسُّورَةِ، كَالصُّبْحِ وَالْجُمُعَةِ فِي زَمَانِ الإِمَامِ، **الثَّانِي**: الإِسْرَارُ فِي جَمِيعِهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ خَاصَّةً الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، **الثَّالِثُ**: الْجَمْعُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، كَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، فَيُجْهَرُ فِي الأُولَيَيْنِ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَيُسَرُّ فِي سَائِرِهَا، وَرُوِيَ "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْرَأْ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ سِرًّا"، وَعَلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الأُمَّةِ، وَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا: جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لاَ يُقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ سِرًّا، خِلاَفًا لِفُقَهَاءِ مُخَالِفِينَا مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فِي إِيجَابِهِمْ[2] قِرَاءَةَ السُّورَةِ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ.

---

(١) [رواه الربيع، باب في القراءة في الصلاة، ر٢٢٢].

(٢) [قال سيد سابق: "الأصل أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة سورة الفاتحة، في كل ركعة من ركعات الفرض والنفل كما تقدم في فرائض الصلاة، إلا أن المأموم تسقط عنه القراءة ويجب عليه الاستماع والإنصات في الصلاة الجهرية، لقول الله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (الأعراف: ٢٠٤)، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كبر الامام فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا" [رواه مسلم، باب التشهد في الصلاة، ر٩٣١، ٩٣٢]، وعلى هذا يحمل حديث: "من كان له إمام فقراءة الامام له قراءة" [رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا، ر٨٥٠]: أي إن قراءة الامام له قراءة في الصلاة الجهرية، وأما الصلاة السرية فالقراءة فيها على المأموم وكذا تجب عليه القراءة في الصلاة الجهرية، إذا كان بحيث لا يتمكن من الاستماع للإمام. قال أبو بكر بن العربي (أحكام القرآن، ٤/ ٧٣): "والذي نرجحه وجوب القراءة في الإسرار لعموم الأخبار" أن قراءة السورة فيهما سنة عندهم". (فقه السنة، القراءة خلف الإمام، ١/ ١٥٩). وانظر: ابن عبد البر: الاستذكار الجامع لفقهاء الأمصار، ١/ ٤١٨. كما ورد في الموسوعة الفقهية: "اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ مَحَلَ الْقِرَاءَةِ الْمَسْنُونَةِ هُوَ الرَّكْعَتَانِ الأُولَيَانِ مِنْ صَلاَةِ الْفَرْضِ" (٢٧/ ٩٠)].

وَحُجَّةُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُمْ قَالُوا: رَأَيْنَا النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ لاَ يُجْهَرُ فِيهِمَا، وَرَأَيْنَا كُلَّ صَلاَةٍ أَوْ رَكْعَةٍ لاَ يُقْرَأُ فِيهَا إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ يُسَرُّ بِهَا لَيْلاً وَنَهَارًا، وَوَجَدْنَا الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَيْنِ يُجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ لأَجْلِ السُّورَةِ، وَهِيَ صَلاَةُ النَّهَارِ، فَأَخَذْنَا فِيهِمَا بِقَوْلِ مَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِيهِمَا إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ خَاصَّةً[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى الإِسْرَارِ فِي صَلاَةِ النَّهَارِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "صَلاَةُ النَّهَارِ عَجْمَاءُ"[2].

**مَسْأَلَةٌ:** وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْقَدْرِ الْمُجْزِئِ فِي قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلاَةِ، فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّهَا تُقْرَأُ بِجَمِيعِهَا فِي جَمِيعِ رَكَعَاتِ الصَّلاَةِ، فَإِنْ تَرَكَ مِنْهَا شَيْئًا عَمْدًا أَعَادَ صَلاَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَ الأَقَلَّ مِنْهَا نَاسِيًا فَلاَ إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَحُكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ أَوْجَبَهَا فِي نِصْفِ الصَّلاَةِ، وَحُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: تُجْزِئُ قِرَاءَتُهَا فِي رَكْعَةٍ، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ أَجَازَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأَخِيرَتَيْنِ التَّسْبِيحَ بِغَيْرِ قِرَاءَةٍ.

---

(١) يُعَكِّرُ عَلَى هَذَا الاسْتِنْتَاجِ قَوْلُهُ ﷺ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِنَا يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، وَيُسْمِعُنَا الآيَةَ أَحْيَانًا، وَيُطَوِّلُ الرَّكْعَةَ الأُولَى، وَيَقْرَأُ فِي الأُخْرَيَيْنِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ" [رواه البخاري، باب يقرأ في الأخريين بفاتحة الكتاب، ر٧٤٣]، وَعِنْدِي أَنَّ الْقَوْلَ الْجَامِعَ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: فِي كُلِّ صَلاَةٍ يُقْرَأُ، "فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى أُمِّ الْقُرْآنِ أَجْزَأَتْ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ" [رواه البخاري، باب القراءة في الفجر، ر٧٣٨]. اهـ مُصَحِّحه. [والمسألة محل خلاف]

(٢) [رواه عبد الرزاق، باب ترديد الآية في الصلاة، وباب قراءة النهار، ر٤١٩٩. وقال النووي: "وهذا الحديث الذي ذكره باطل غريب لا أصل له"، وهو من قول بعض التابعين (المجموع شرح المهذب، ٣/ ٣٨٩)]، وَفِي مَعْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: "إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ فِي صَلاَةِ النَّهَارِ فَارْجُمُوهُ بِالْبَعْرِ" [رواه الطبراني في الكبير، ر٣٨٩٦، والديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب، ر١٠٣٥].

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: الاحْتِمَالُ الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: "كُلُّ صَلاَةٍ لَمْ يُقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ..." الْحَدِيثَ[1]، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا أَوْ قَرَأَ بَعْضَهَا فِي كُلِّ الصَّلاَةِ أَوْ فِي رَكْعَةٍ مِنْهَا لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ قَوْلِهِ: "لَمْ يُقْرَأْ فِيهَا"، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ**: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُجْزِئَ مِنْ قِرَاءَةِ السُّورَةِ فِي الصَّلاَةِ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ ثَلاَثُ آيَاتٍ فَصَاعِدًا، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا دُونَ ذَلِكَ، فَقِيلَ: تُجْزِئُ آيَةٌ قَصِيرَةٌ، وَقِيلَ: آيَةٌ مُنْتَظِمَةٌ طَوِيلَةٌ كَآيَةِ الدَّيْنِ، وَرُوِيَ أَنَّ جَابِرَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ قَرَأَ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[2] ثُمَّ رَكَعَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالْمُسْتَحَبُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا فِي قِرَاءَةِ الصُّبْحِ أَنْ يُقْرَأَ بِصَدْرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ مِنْ سُورَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى تَبَارَكَ وَإِلَى عَبَسَ، وَفِي الْعَتَمَةِ مِنْ عَبَسَ إِلَى الْفَجْرِ، وَفِي الْمَغْرِبِ مِنْ إِذَا زُلْزِلَتْ إِلَى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ**: وَيَجُوزُ قِرَاءَةُ سُورَةٍ فِي رَكْعَتَيْنِ مَعًا، وَتَكْرِيرُهَا فِي رَكْعَتَيْنِ، وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ قَرَأَ فِي آخِرِ رَكْعَتَيِ الصُّبْحِ سُورَةَ الْمُرْسَلاَتِ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَكَعَ وَلَمْ يَقْنُتْ، وَبَلَغَنَا عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْعَتَمَةِ بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[3]، ثُمَّ قَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ الْغَاشِيَةِ، وَقِيلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِأَلَمْ نَشْرَحْ، وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، ثُمَّ قَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ وَالضُّحَى[4]، وَكَذَلِكَ بَلَغَنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ

---

(١) وَقَدْ تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٢) الْمُلْك: ٣٠.

(٣) الْفُرْقَان: مِنْ ٦١ إِلَى ٧٧.

(٤) قَالَ الْمُحَشِّي: قَالَ فِي الإِيضَاحِ: "وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ تُنَكِّسَ السُّوَرَ فِي الصَّلاَةِ، مِثْلَ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بِسُورَةٍ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بِسُورَةٍ هِيَ فَوْقَ السُّورَةِ الَّتِي قَرَأَهَا، وَإِنْ فَعَلَ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ فِي صَلاَتِهِ" [باب في القراءة في الصلاة، ١/ ٤٨٨، ٤٨٩]. اهـ مُصَحِّحه.

بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي صَلاَةِ الْمَغْرِبِ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[1] وَبِسُورَةِ الْهُمَزَةِ، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ: وَحَدُّ الْجَهْرِ** أَنْ يُسْمِعَ نَفْسَهُ وَأُذُنَيْهِ، وَقِيلَ: وَمَنْ يَلِيهِ، فَمَنْ قَرَأَ فِي الْجَهْرِ وَلَمْ يُسْمِعْ أُذُنَيْهِ فَلاَ يُعْتَدُّ بِقِرَاءَتِهِ وَلاَ تُجْزِئُهُ، وَكَذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ السُّورَةِ إِنْ لَمْ يُسْمِعْ نَفْسَهُ فَلاَ تُجْزِئُهُ، إِذِ الْقِرَاءَةُ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ بِالصَّوْتِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تُلْحَقَ الْحُرُوفُ بِمَخَارِجِهَا إِلاَّ وَيُسْمِعُ نَفْسَهُ وَإِلاَّ صَارَ تَكْيِيفًا، وَقِرَاءَةُ السِّرِّ يُشْتَرَطُ فِيهَا تَحْرِيكُ اللِّسَانِ بِالْحُرُوفِ وَإِسْمَاعُ النَّفْسِ، فَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّكْ بِهَا لَمْ يُعْتَدَّ بِمَا فَعَلَ مِنَ الْقِرَاءَةِ؛ لأَنَّهَا تَكْيِيفٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ نَسِيَ فَقَرَأَ بِالسُّورَةِ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ سِرًّا فَلاَ فَسَادَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَإِنْ قَرَأَ التَّشَهُّدَ فِي مَوْضِعِ الْفَاتِحَةِ فَرَكَعَ فَلْيَسْتَأْنِفْ صَلاَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَرْكَعْ فَلْيَقْرَأِ الْفَاتِحَةَ، ثُمَّ يَرْكَعْ فِي صَلاَةِ السِّرِّ أَوْ يَقْرَأِ السُّورَةَ فِي الْجَهْرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَيُسْتَحَبُّ تَرْتِيلُ الْقِرَاءَةِ بِغَيْرِ لَحْنٍ وَالتَّفَكُّرُ فِي مَعَانِيهَا. وَاللَّحْنُ الَّذِي يُفْسِدُ الصَّلاَةَ أَنْ يُبَدِّلَ آيَةَ الرَّحْمَةِ بِآيَةِ الْعَذَابِ، أَوْ آيَةَ الْعَذَابِ بِآيَةِ الرَّحْمَةِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنْ تَبْدِيلِ الْوَحْدَانِيَّةِ شِرْكًا وَالشِّرْكِ تَوْحِيدًا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدِ اسْتَحَبَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ سَكْتَتَيْنِ فِي الصَّلاَةِ: **إِحْدَاهُمَا**: بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، **وَالثَّانِيَةُ**: بَيْنَ الْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ، لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ سَكْتَتَانِ حِينَ يُكَبِّرُ وَيَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ، وَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ قَبْلَ الرُّكُوعِ"[3]،

---

(١) الْفِيل: ١.

(٢) الْمَاعُون: ١.

(٣) [رواه البيهقي، باب في سكتتي الإمام، ر٢٩٠٠].

وَفِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا: يَسْكُتُ مِقْدَارَ التَّنَفُّسِ، أَوْ مِقْدَارَ مَا يَبْلَعُ الرِّيقَ[١]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي الرُّكُوعِ:** وَهُوَ فَرْضٌ لاَ تَتِمُّ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ بِإِجْمَاعِ مِنَ النَّاسِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[٢]، وَلأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ الأَعْرَابِيَّ الَّذِي يُعَلِّمُهُ الصَّلاَةَ[٣]، وَلِمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ فِعْلِهِ ﷺ فِي الرُّكُوعِ، فَوَجَبَ الاقْتِدَاءُ بِهِ، لِقَوْلِهِ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"[٤].

**وَحَدُّ الرُّكُوعِ اللُّغَوِيُّ:** الانْحِنَاءُ، **وَحَدُّهُ فِي الشَّرْعِ:** إِمْكَانُ وَضْعِ الْيَدَيْنِ عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ فِي الصَّلاَةِ، وَهُوَ أَقَلُّهُ، وَأَكْمَلُهُ: مَا رُوِيَ مِنْ صِفَةِ رُكُوعِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ إِذَا رَكَعَ اسْتَقَامَ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ إِلَى مِفْصَلِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَسَوَّى ظَهْرَهُ مُعْتَدِلاً، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ اسْتَقَامَ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ إِلَى مِفْصَلِهِ، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ[٥]. فَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَفْعَلَ فِي رُكُوعِهِ، وَيُجَافِي مِرْفَقَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ، وَيُسَوِّي عُنُقَهُ، وَلاَ يُجَاوِزُ فِي الانْحِنَاءِ الاسْتِوَاءَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٦]

---

(١) [لم أقف على هذا الأثر] بَلْ يَكُونُ سُكُوتُهُ أَطْوَلَ مِمَّا حَدَّدَهُ هَذَا الأَثَرُ قَطْعًا، لِمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلاَةِ سَكَتَ هُنَيْهَةً قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: "اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ" [رواه البخاري، باب ما يقول بعد التكبير، ر٧١١].

(٢) الْحَجّ: ٧٧.

(٣) رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لأَعْرَابِيٍّ: "تَرْكَعُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، وَتَرْفَعُ حَتَّى تَعْتَدِلَ فَيَكُونَ ذَلِكَ تَامًّا مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ، وَمَا نَقَصْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا نَقَصْتَهُ مِنْ صَلاَتِكَ" [رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، ر٧٥٧].

(٤) [سبق تخريجه].

(٥) وَرَدَتْ أَحَادِيثُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ تَصِفُ هَيْئَةَ رُكُوعِ النَّبِيِّ الْمَأْمُورِ بِهِ شَرْعًا، وَكُلُّهَا مُتَّحِدَةٌ فِي مَعْنَاهَا [منها: ما رواه أبو داود، في باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، ر٨٦٣].

(٦) [الواقعة: ٩٦، الحاقة: ٥٢].

قَالَ: "اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ"(١)، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَنْعِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ قَالَ: "نُهِيتُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ"(٢)، وَذَهَبَ بَعْضٌ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ(٣).

وَهَلْ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَوْلٌ مَحْدُودٌ؟ فَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ مَحْدُودٌ، وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُمَا إِلَى أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُولُ فِي الرُّكُوعِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلاَثًا، وَفِي السُّجُودِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى ثَلاَثًا، عَلَى مَا فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ(٤)، وَبِهَذَا أَخَذَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ ﷺ أَنَّ الثَّلاَثَةَ تُجْزِئُ، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ أَحْسَنُ وَأَطْيَبُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ إِمَامَ قَوْمٍ فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى الثَّلاَثَةِ لِئَلاَّ يُطِيلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الْمَعْمُولُ بِهِ سَبْعٌ، وَالْمُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاَثٌ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ، وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُصَلِّي خَلْفَهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَيَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِصَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ صَلاَةِ هَذَا الْغُلاَمِ(٥)، وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلاَثًا"(٦)، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ نَقْصُ صَلاَةٍ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَنْ سَبَّحَ ثَلاَثًا فَهُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ، وَمَنْ سَبَّحَ وَاحِدَةً فَلاَ نَقْضَ عَلَيْهِ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي اعْتِدَالِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَمْ لاَ؟ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "اعْتَدِلُوا فِي رُكُوعِكُمْ وَسُجُودِكُمْ"(٧)،

(١) [رواه الربيع، باب في الركوع والسجود وما يفعل فيهما، ر٢٣٣].

(٢)[رواه الربيع، باب في الركوع والسجود وما يفعل فيهما، ر٢٣١، بلفظ: "عن علي بن أبي طالب قال: نهاني رسول الله ﷺ... وعن قراءة القرآن في الركوع والسجود"].

(٣) وَهَذَا الْقَوْلُ يَتَضَارَبُ مَعَ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ: "وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ..." [وَمَعَ نهيه ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود].

(٤) [رواه أبو داود، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ر٨٧٠].

(٥) [رواه أحمد، ر١٢٦٨٣].

(٦) [رواه الدارقطني، باب صفة ما يقول المصلي عند ركوعه وسجوده، ر١].

وَسُجُودِكُمْ"[١]، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ قِيَاسًا عَلَى الأُمُورِ الْمَحْمُولَةِ عَلَى النَّدْبِ، وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: "لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ"[٢]، وَكَرِهَتِ الْعُلَمَاءُ التَّخْفِيفَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ أَشَدَّ الْكَرَاهِيَةِ إِذَا لَمْ يُقِمِ الْمُصَلِّي ظَهْرَهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ﷺ كَانَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى فَخَفَّفَ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ، فَدَعَا بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: مُنْذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلاَةَ؟ فَقَالَ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً[٣]، وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ رَجُلاً يُخَفِّفُ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ، فَعَلاَهُ بِالدِّرَّةِ، فَقَالَ: وَاللهِ لاَ نَتْرُكُ النِّفَاقَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَأَمَرَهُ أَنْ يُعِيدَ الصَّلاَةَ[٤]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَإِذَا أَتَمَّ الْمُصَلِّي التَّعْظِيمَ فَلْيَسْتَوِ قَائِمًا حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عُضْوٍ إِلَى مِفْصَلِهِ، وَيَقُولُ فِي حِينِ الرَّفْعِ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، إِذَا كَانَ فَذًّا أَوْ إِمَامًا، وَإِذَا كَانَ مَأْمُومًا فَلْيَقُلْ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ يَهْوِي إِلَى السُّجُودِ بِالتَّكْبِيرِ. وَاخْتَلَفُوا فِيهِ إِذَا

---

(١) [رواه النسائي: السنن الكبرى، الاعتدال في الركوع، ر١١٠١] الاعْتِدَالُ هُوَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الانْفِرَاشِ وَالْقَبْضِ؛ بِوَضْعِ الْكَفَّيْنِ عَلَى الأَرْضِ وَرَفْعِ الذِّرَاعَيْنِ عَنْهَا وَالْبَطْنِ عَنِ الْفَخِذَيْنِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالتَّوَاضُعِ، وَأَمْكَنُ مِنْ تَمْكِينِ الْجَبْهَةِ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلسُّجُودِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلرُّكُوعِ فَهُوَ أَنْ يَحْنِيَ ظَهْرَهُ وَتَصِلَ الْيَدَانِ إِلَى الرُّكْبَتَيْنِ مَعَ اسْتِوَاءٍ، لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَلاَ يُصَوِّبُهُ، كَرُكُوعِهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ "إِذَا رَكَعَ لَوْ وُضِعَ عَلَى ظَهْرِهِ قَدَحُ مَاءٍ مَا تَحَرَّكَ مِنَ اعْتِدَالِهِ" [رواه أحمد، ر٩٩٧، وعبد الرزاق، كتاب الصلاة، باب التصويب في الركوع وإقناع الرأس، ر٢٨٧٢]، وَقَالَ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ثُمَّ لاَ يَفْتَرِشُ ذِرَاعَيْهِ فِي السُّجُودِ افْتِرَاشَ الْكَلْبِ" [رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب الركوع في الصلاة، ر٨٧١]، فَكَمَا يُشْتَرَطُ الاعْتِدَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَذَلِكَ يُشْتَرَطُ فِي الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ، وَذَلِكَ بِالاسْتِوَاءِ قَائِمًا حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ مَعَ الطُّمَأْنِينَةِ، وَحَدُّهَا: أَنْ يَمْكُثَ زَمَنًا مَا بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الأَعْضَاءِ.

(٢) [رواه أبو داود، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، ر٨٥٥].

(٣) [رواه النسائي: السنن الكبرى، عن حذيفة بن اليمان، تطفيف الطلاة، ر٦٠٨]

(٤) [لم أجد من خرجه بهذا اللفظ].

سَجَدَ هَلْ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ أَوْ يُقَدِّمُ رُكْبَتَيْهِ؟ فَرَوَى أَصْحَابُ كُلِّ قَوْمٍ حَدِيثًا يُقَوِّي مَذْهَبَهُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي السُّجُودِ:** وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ السُّجُودَ فَرْضٌ فِي الصَّلاَةِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْجُدُواْ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[1].

**وَصِفَةُ السُّجُودِ:** أَنْ يُمَكِّنَ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ مِنَ الأَرْضِ مَعَ الْكَفَّيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَصَابِعِ الْقَدَمَيْنِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَرَابٍ، وَلاَ أَكُفَّ شَعْرًا وَلاَ ثَوْبًا**"[2]، وَهِيَ الأَعْضَاءُ الْمُتَقَدِّمَةُ، وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِوَضْعِ الْكَفَّيْنِ وَنَصْبِ الْقَدَمَيْنِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ ﷺ "كَانَ إِذَا سَجَدَ جَافَى عَضُدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ وَفَتَحَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ"[3]، قَالَ بَعْضُهُمْ: الْفَتْحُ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا: فَنَصَبَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ غَمَزَ مَوْضِعَ الْمَفَاصِلِ مِنْهَا إِلَى بَاطِنِ الرَّاحَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ، فَإِذَا سَجَدَ الْمُصَلِّي جَافَى عَضُدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ وَفَرَّقَ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَجَنْبَيْهِ وَبَطْنِهِ وَفَخِذَيْهِ وَهُوَ التَّفْرِيجُ، وَلاَ تُفَرِّجُ الْمَرْأَةُ، وَتُؤْمَرُ بِالضَّمِّ وَالالْتِصَاقِ، وَيَجْعَلُ كَفَّيْهِ بَيْنَ رَأْسِهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِمَا، وَلاَ يَكُفُّ شَعْرًا وَلاَ ثَوْبًا، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ أَنْفُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ، وَلْيُسَبِّحْ ثَلاَثًا، يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى ثَلاَثًا كَمَا قَدَّمْنَا، وَلْيُوَصِّلْ إِلَى الأَرْضِ أَكْثَرَ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ، وَلْيَرْفَعْ رَأْسَهُ بِالتَّكْبِيرِ، وَلْيَقْعُدْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَظَاهِرُ الْيُسْرَى مِمَّا يَلِي الأَرْضَ، وَلْيَسْتَوِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عُضْوٍ إِلَى مِفْصَلِهِ، وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُخْرِجَ كَفَّيْهِ مِنَ الثَّوْبِ وَيُبَاشِرَ بِهِمَا الأَرْضَ، وَلاَ يَسْجُدَ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ.

---

(١) العَلَق: ١٩.

(٢) [رواه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب لا يكف ثوبه في الصلاة، ر٧٨٣].

(٣) [رواه الترمذي، باب ما جاء في وصف الصلاة، ر٣٠٤].

وَاخْتَلَفُوا فِي السُّجُودِ عَلَى كَوْرِ الْعِمَامَةِ، فَأَجَازَهُ بَعْضٌ، وَمَنَعَ مِنْهُ آخَرُونَ، وَفَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى طَاقَاتٍ[1] يَسِيرَةٍ مِنَ الْعِمَامَةِ أَوْ كَثِيرَةٍ، وَبَيْنَ أَنْ تَمَسَّ الأَرْضُ جَبْهَتَهُ أَوْ لاَ تَمَسَّ، واخْتَلَفُوا فِي الاعْتِدَالِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ كَمَا قَدَّمْنَا فِي الرُّكُوعِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي الْجُلُوسِ:** وَهُوَ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقٍ؛ لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْعُدْ فَسَدَتْ صَلاَتُهُ، فَإِذَا جَلَسَ وَضَعَ ظَاهِرَ قَدَمِهِ الْيُمْنَى فِي أَخْمَصِ الْيُسْرَى، وَظَاهِرَ الْيُسْرَى مِمَّا يَلِي الأَرْضَ، وَقَدْ أَجَازُوا هَيْئَاتِ الْقُعُودِ كُلَّهَا، إِلاَّ قُعُودَ الْحَبَشَةِ وَتَرْبِيعَ الْمُلُوكِ[2]، وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنِ الإِقْعَاءِ فِي الصَّلاَةِ، وَهُوَ فِيمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ: أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ بِإِلْيَتَيْهِ عَلَى عَقِبَيْهِ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَفِي التَّشَهُّدِ، وَقِيلَ: أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ عَلَى إِلْيَتَيْهِ نَاصِبًا فَخِذَيْهِ مِثْلَ إِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَقَوْمٌ رَأَوْا أَنَّ الإِقْعَاءَ هُوَ: أَنْ يَجْعَلَ إِلْيَتَيْهِ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَأَنْ يَجْلِسَ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الإِقْعَاءُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ فِي السُّجُودِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ هُوَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ[3]. وَعَقِبُ الشَّيْطَانِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ النَّهْيُ هُوَ أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ بِإِلْيَتَيْهِ عَلَى عَقِبَيْهِ فِي الصَّلاَةِ، وَمَا سِوَى هَذَا مِنْ هَيْئَاتِ الْقُعُودِ لاَ يُفْسِدُ الصَّلاَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [الطاقات، مفرده طاقة، إذا كان القماش ملتفا بعضه على بعض، يقال: طاقة القماش].

(٢) [تربيع الملك: "وَهُوَ وَضْعُ الْأَلْيَتَيْنِ وَبَعْضِ الْفَخْذَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ وَالْبَعْضِ الْآخَرِ مَعَ الرُّكْبَتَيْنِ عَلَى الْقَدَمَيْنِ" (شرح النيل، ٢/ ١٨٤)].

(٣) الإِقْعَاءُ إِقْعَاءَانِ، **الأَوَّلُ**: أَنْ يَفْرِشَ قَدَمَيْهِ وَيَجْلِسَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ طَاوُوسَ يَقُولُ: "قُلْنَا لابْنِ عَبَّاسٍ فِي الإِقْعَاءِ عَلَى الْقَدَمَيْنِ فَقَالَ: هِيَ السُّنَّةُ، قَالَ فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَاهُ جَفَاءً بِالرَّجُلِ، فَقَالَ: هِيَ سُنَّةُ نَبِيِّكَ ﷺ [رواه مسلم، باب جواز الإقعاء على العقبين، ر١٢٢٦]. **وَالإِقْعَاءُ الثَّانِي**: بِمَعْنَى وَضْعِ الْيَدَيْنِ عَلَى الأَرْضِ وَنَصْبِ الْفَخِذَيْنِ، فَهَذَا مَكْرُوهٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نَهَانِي النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ثَلاَثَةٍ: عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرِ الدِّيكِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ" [رواه الربيع، بَاب فِي الْقُعُود فِي الصَّلاَةِ وَالتَّحِيَّاتِ، ر٢٣٨].

وَأَمَّا قُعُودُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ أَنْ تُفْضِيَ إِلَى الأَرْضِ بِأَوْرَاكِهَا[١] وَتَرُدَّ رِجْلَيْهَا إِلَى الْجَانِبِ الأَيْمَنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي التَّحِيَّاتِ:** وَقِرَاءَةُ التَّحِيَّاتِ فِي الصَّلاَةِ فَرْضٌ وَاجِبٌ مِنَ السُّنَّةِ لاَ تَتِمُّ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهَا، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ[٢]، وَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْجَلْسَةَ الأَخِيرَةَ هِيَ الْفَرِيضَةُ دُونَ الْوُسْطَى، وَقَالَ بَعْضٌ: الْوُسْطَى هِيَ الْفَرِيضَةُ، وَقِيلَ: كِلْتَاهُمَا فَرِيضَتَانِ، وَقِيلَ: كِلْتَاهُمَا مَسْنُونَتَانِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ التَّشَهُّدَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَدَاوُدُ إِلَى وُجُوبِهِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** مُعَارَضَةُ الأَثَرِ الْمُتَقَدِّمِ الْمَرْوِيِّ فِي التَّشَهُّدِ لِلْقِيَاسِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقِيَاسَ يَقْتَضِي إِلْحَاقَهُ بِسَائِرِ الأَقْوَالِ الَّتِي لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ فِي الصَّلاَةِ، وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقْتَضِي وُجُوبَهُ، مَعَ أَنَّ الأَصْلَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ تَكُونَ أَقْوَالُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَفْعَالُهُ فِي الصَّلاَةِ مَحْمُولَةً عَلَى الْوُجُوبِ حَتَّى يَدُلَّ الدَّلِيلُ عَلَى خِلاَفِ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالتَّشَهُّدُ الْمَأْثُورُ عَنِ الصَّحَابَةِ رَحِمَهُمُ اللهُ عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ:**

**أحدها**: تَشَهُّدُ ابْنِ عَبَّاسٍ: التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ: تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

---

(١) [الأوراك: الفخذان والساقان، (شرح النيل، ٢/٤٠٩)].

(٢) [رواه مسلم، باب التشهد في الصلاة، ر٩٢٩].

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمٌ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو الْمُؤَرِّجِ[1]: إِذَا قَالَ وَحْدَهُ؛ فَقَدْ نَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ. وَهَذَا التَّشَهُّدُ هُوَ الَّذِي أَخَذَ بِهِ أَصْحَابُنَا وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ.

**وَالتَّشَهُّدُ الثَّانِي**: مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ﷺ، كَانَ يُعَلِّمُهُ النَّاسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ: التَّحِيَّاتُ لِلهِ، الزَّاكِيَاتُ لِلهِ، الصَّلَوَاتُ لِلهِ... إِلَى آخِرِهِ، كَمَا قَدَّمْنَا، وَاخْتَارَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَأَصْحَابُهُ.

**وَالثَّالِثُ**: تَشَهُّدُ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا إِذَا جَلَسْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلَامُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَسَمِعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَحَدُكُمْ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ..."، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَهَا كَمَا تَقَدَّمَ[2]. وَاخْتَارَ هَذَا التَّشَهُّدَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ.

فَبِأَيِّ هَذِهِ الأَلْفَاظِ أَخَذَ الإِنْسَانُ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَذُكِرَ فِي بَعْضِ آثَارِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُمْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ: السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللهِ.

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ إِلَى التَّخْيِيرِ فِيمَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّحِيَّاتِ، كَمَا ذَهَبُوا إِلَى التَّخْيِيرِ فِي الأَذَانِ وَالتَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ وَالْعِيدَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَوَاتَرَ نَقْلُهُ، وَهُوَ الصَّوَابُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ اشْتَرَطَ فِي التَّشَهُّدِ الصَّلَاةَ

(١) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٢) [رواه البخاري، باب التشهد في الآخرة، ر٧٩٧].

عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّهَا فَرْضٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا التَّسْلِيمَ هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي الصَّلاَةِ.

وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ إِلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى الْمُتَشَهِّدِ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنَ الأَرْبَعِ الَّتِي وَرَدَ الْحَدِيثُ بِهَا: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهَا فِي آخِرِ التَّشَهُّدِ، وَهِيَ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَمِنَ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ"[2].

وَقَدِ اتَّفَقَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى إِجَازَةِ الدُّعَاءِ فِي الصَّلاَةِ، وَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى إِجَازَةِ ذَلِكَ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، وَأَنْ يَدْعُوَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ وَمَا أَشْبَهَ مَا فِي الْقُرْآنِ لأَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ لاَ يَرَوْنَ بَأْسًا أَنْ يَدْعُوَ الإِنْسَانُ فِي الصَّلاَةِ بِأَيِّ دُعَاءٍ، كَانَ لِلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً، وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ فِيمَا وَجَدْتُ عَلَى إِجَازَةِ الدُّعَاءِ فِي الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ، إِلاَّ مَا كَانَ مِنَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَإِنَّهُ يكره الدُّعَاءَ فِي الْمَكْتُوبَةِ، وَأَظُنُّ بِهَذَا أَخَذَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ الْجَبَلِ[3].

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي التَّسْلِيمِ:** وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: "تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ"[4]، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حُكْمِهِ، فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى وُجُوبِهِ لِلْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ؛ لأَنَّهُ عَقَدَ الصَّلاَةَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَلإِجْمَاعِ الْكُلِّ عَلَى أَنَّ

(١) الأَحْزَاب: ٥٦.

(٢) [رواه الربيع، باب في الدعاء، ر٤٩٠].

(٣) الْمُرَادُ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ عُلَمَاءُ الْجَزَائِرِ (الْمَغْرِبِ الأَوْسَطِ)، وَبِأَهْلِ الْجَبَلِ عُلَمَاءُ لِيبْيَا، هَذَا وَإِنَّ مَنْ تَتَبَّعَ كُتُبَ السُّنَّةِ وَمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ أَحَادِيثَ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا تَتَعَلَّقُ بِصَلاَتِهِ ﷺ وَجَدَهَا تَطْفَحُ بِالأَذْكَارِ وَالأَدْعِيَةِ، لاَ فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَأَثْنَائِهَا أَوْ آخِرِهَا، كَمَا لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْمَكْتُوبَةِ وَالنَّافِلَةِ، فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" [سبق تخريجه]، وَإِذَا وَجَدْنَا الْعُلَمَاءَ يَحْرِصُونَ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى تَقْرِيرِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ﷺ لِلتَّأَسِّي بِهَدْيِهِ، فَمَا بَالُنَا نَجِدُهُمْ يَخْتَلِفُونَ حَتَّى قَصَرَ الْبَعْضُ جَوَازَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلاَةِ عَلَى الْقُرْآنِ وَمَا أَشْبَهَ الْقُرْآنَ؟! وَهَلْ يَسُوغُ الْعُدُولُ عَمَّا ثَبَتَ عَنِ الْمَعْصُومِ أَوْ تَقْيِيدُ مَا أَطْلَقَ؟ فَلْيُتَأَمَّلْ. اهـ مُصَحِّحه.

(٤) تَقَدَّمَ.

الدُّخُولَ فِيهَا لاَ يَصِحُّ إِلاَّ بِالتَّكْبِيرِ، فَكَذَلِكَ الْخُرُوجُ مِنْهَا لاَ يَصِحُّ إِلاَّ بِالتَّسْلِيمِ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَنْ وَافَقَهُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَاحْتَجَّ بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا جَلَسَ الرَّجُلُ فِي آخِرِ صَلاَتِهِ فَأَحْدَثَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ فَقَدْ تَمَّتْ صَلاَتُهُ"(١)، وَالَّذِينَ أَوْجَبُوهُ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْوَاجِبُ عَلَى الْمُنْفَرِدِ وَالإِمَامِ تَسْلِيمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَصْحَابُنَا وَجُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "تَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ"، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْوَاجِبَ تَسْلِيمَتَانِ، وَرَوَوْا ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ الرَّبِيعُ رحمه الله: وَكَانُوا يَكْتَفُونَ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَكْتَفِي بِهَا، وَرُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَضُمَامٍ رَحِمَهُمُ اللهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُثَنُّونَ التَّسْلِيمَ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: التَّسْلِيمُ إِذْنٌ بِانْقِضَاءِ الصَّلاَةِ، وَهِيَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَرَأَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَجُلاً يُسَلِّمُ تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ: أَنَا أَعْقِلُ عَمَّنْ أَخَذَهَا، وَبِهَا أَخَذَ أَصْحَابُنَا.

وَمَنْ سَلَّمَ قَبْلَ تَمَامِ الصَّلاَةِ سَاهِيًا فَإِنَّهُ يُتِمُّ وَيَسْجُدُ لِلسَّهْوِ، وَزَعَمَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةَ(٢) أَنَّ التَّسْلِيمَ بِالسَّهْوِ لاَ يُفْسِدُ الصَّلاَةَ إِجْمَاعًا مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا مَنْ وَجَدَ قَيْئًا أَوْ رُعَافًا وَقَدْ تَشَهَّدَ فَلْيَقُمْ وَقَدْ تَمَّتْ صَلاَتُهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ(٣)، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ إِنْ قَرَأَ بَعْضَ التَّشَهُّدِ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ ثُمَّ حَدَثَ عَلَيْهِ عُذْرٌ فَلْيُسَلِّمْ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ خَلْفَ إِمَامٍ فَلْيَقُمْ، فَإِذَا غَلَبَ ظَنُّهُ أَنَّ الإِمَامَ قَدْ سَلَّمَ فَلْيُسَلِّمْ، وَإِنْ سَلَّمَ قَبْلَ انْقِضَاءِ التَّحِيَّاتِ بِلاَ عُذْرٍ أَوْ تَرَكَ التَّسْلِيمَ رَأْسًا فَلْيُعِدْ صَلاَتَهُ، وَإِنْ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فِي مَوْضِعِ التَّحِيَّاتِ سَاهِيًا ثُمَّ سَلَّمَ فَأَرْجُو أَنْ لاَ

(١) يَعْنِي اضْطِرَارًا. [رواه البيهقي، باب مبتدأ فرض التشهد، ر٢٦٤٨، وقال: هذا الحديث لا يصح].

(٢) تَقَدَّمَ، وَأَنَّهُ أَبُو مُحَمَّدٍ لاَ أَبُو عَبْدِ اللهِ.

(٣) [رواه الدارقطني، باب في الوضوء من الخارج من البدن كالرعاف، ر١٩].

فَسَادَ عَلَيْهِ[١]، وَإِنْ ذَكَرَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ فَلْيَقْرَأْهَا ثُمَّ يُسَلِّمْ.

وَالتَّسْلِيمُ أَنْ يَقُولَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، يُصْفِحُ بِهَا وَجْهَهُ عَلَى الْيَمِينِ ثُمَّ عَلَى الشِّمَالِ، وَيَنْوِي بِهِ الْخُرُوجَ مِنَ الصَّلاَةِ، وَقِيلَ: يَنْوِي بِهِ التَّسْلِيمَ عَلَى الْحَفَظَةِ، وَإِنْ نَوَّنَ فَقَالَ: سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ، فَقَوْلاَنِ فِي الاجْتِزَاءِ بِهِ، وَلاَ يُسَلِّمُ الْمَأْمُومُ حَتَّى يَفْرُغَ الإِمَامُ مِنَ التَّسْلِيمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**[فصل] مَسْأَلَةٌ فِي الدُّعَاءِ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ يَعْنِي: مِنَ الصَّلاَةِ، ﴿فَانْصَبْ﴾[٢] يَعْنِي: فِي الدُّعَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ، وَثَمَرَةُ الصَّلاَةِ الدُّعَاءُ بَعْدَهَا"[٣]، وَوَجَدْتُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَالَ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رِجْلَهُ: أَسْتَجِيرُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ؛ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِنْ مَاتَ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ رُجِيَ لَهُ أَنْ يَنْجُوَ مِنَ النَّارِ، إِنْ سَلِمَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنَ الدِّمَاءِ الْحَرَامِ، وَالأَمْوَالِ الْحَرَامِ، وَالأَشْرِبَةِ الْحَرَامِ، وَالْفُرُوجِ الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَهَا إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ عَلَى الْحَالِ الْمُتَقَدِّمِ". وَوَجَدْتُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّي إِذَا سَلَّمَ مِنْ صَلاَتِهِ أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[٥]، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّهُنَّ مُعَلِّقَاتٌ، لَيْسَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، يَقُلْنَ: إِيْ رَبَّنَا تُهْبِطُنَا

---

(١) [ويرى بعض أصحابنا أن لفظ التشهد واجب من واجبات الصلاة، وقيل هو ركن، ولا تتم صلاة من تركه (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢٣١)].

(٢) الشَّرْح: ٧.

(٣) [لم أجد من خرجه، وذكره ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ر٤٢، ١٠/ ٣٠٠، موقوفا عن ابن مسعود].

(٤) آل عِمْرَانَ: ١٨.

(٥) آل عِمْرَانَ: ٢٦.

إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مَنْ يَعْصِيكَ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: "إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ لاَ يَقْرَأَكُنَّ عَبْدٌ فِي دُبُرِ صَلاَةٍ إِلاَّ جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ، وَأَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ الْفِرْدَوْسِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً – أَرَادَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ –، وَقَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَوَّلُهَا الْمَغْفِرَةُ، وَأُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ لَهُ، وَنَصَرْتُهُ عَلَيْهِ"[1]، وَإِذَا أَرَادَ الْمُصَلِّي أَنْ يَدْعُوَ فَلْيُقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ التَّوْبَةَ وَالصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهَا فَرِيضَةٌ فِي كُلِّ صَلاَةٍ، وَقَالَ أَصْحَابُنَا: هِيَ فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ مَعَ الذِّكْرِ لَهُ ﷺ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ تَعَالَى قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ فَصَلُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ أَمَرَكُمُ اللهُ بِهَا، وَيُقَالُ لَمْ تُؤْمَرْ أُمَّةٌ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهَا غَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَإِذَا صَلَّى عَلَى الرَّسُولِ كَمَا قَدَّمْنَا وَاسْتَفْتَحَ بِالتَّسْبِيحِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الأَرْبَعِ الَّتِي يَسْتَعِيذُ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ[2]، وَيَقُولُ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ[3]، وَلْيَدْعُ بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهِ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلاَةِ الْوِتْرِ، وَهُوَ: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعْثِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا صَادِقًا، وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ، وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنُّصْرَةَ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ، اللهُمَّ إِنْ قَصُرَ عَمَلِي، وَضَعُفَ رَأْيِي، وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ،

(١) [رواه الهندي: كنز العمال، الأدعية المطلقة، ر٥٠٥٦، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ١/ ٢٤٥].

(٢) مِنْ حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ" [سبق تخريجه].

(٣) [رواه أبو داود، باب في الاستغفار، ر١٥٢٤].

فَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ فَأَجِرْنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ، اللهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ عِلْمِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ، اللهُمَّ يَا ذَا الأَمْرِ الرَّشِيدِ، وَالْحَبْلِ الشَّدِيدِ أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ، الرُّكَّعِ السُّجُودِ، الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ، فَإِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، اللهُمَّ مِنِّي الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجَهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلاَنُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ، اللهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عَظْمِي، وَنُورًا بَيْنَ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ أَمَامِي، وَنُورًا مِنْ وَرَائِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، اللهُمَّ زِدْنِي نُورًا، وَأَعْطِنِي نُورًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِرَحْتَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[1].

وَإِنْ وَجَبَ عَلَى الْمُصَلِّي الْوَهْمُ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَسْجُدْ قَبْلَ الدُّعَاءِ.

---

(١) [رواه الترمذي، باب ٣٠ منه (باب مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى الصَّلاَةِ)، ر٣٤١٩].

# بَابٌ
# فِي سُجُودِ السَّهْوِ [وَالتِّلاوَةِ]

وَالسُّجُودُ الْمَأْمُورُ بِهِ نَوْعَانِ

[النَّوْعُ] الأَوَّلُ: **سُجُودُ السَّهْوِ** الْمَنْقُولُ فِي الشَّرِيعَةِ فِي أَحَدِ مَوْضِعَيْنِ: إِمَّا عِنْدَ الزِّيَادَةِ أَوِ النُّقْصَانِ اللَّذَيْنِ يَقَعَانِ فِي أَفْعَالِ الصَّلاَةِ وَأَقْوَالِهَا مِنْ قِبَلِ النِّسْيَانِ فَقَطْ لاَ مِنْ قِبَلِ الْعَمْدِ، **وَفِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ** تَجْرِي مَجْرَى الأُمَّهَاتِ وَالأُصُولِ فِيهِ.

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى:** فِي حُكْمِهِ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: هُوَ فَرْضٌ مَشْرُوعٌ لِجُبْرَانِ الصَّلاَةِ، وَقِيلَ: هُوَ سُنَّةٌ مَشْرُوعَةٌ لِتَرْغِيمِ الشَّيْطَانِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** هَلْ أَفْعَالُهُ ﷺ فِيهِ مَحْمُولَةٌ عَلَى النَّدْبِ أَوْ عَلَى الْوُجُوبِ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:** فِي مَوَاضِعِ سُجُودِ السَّهْوِ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: قَبْلَ التَّسْلِيمِ، وَقِيلَ: بَعْدَ التَّسْلِيمِ، وَقِيلَ: إِنْ وَجَبَتَا لِلنُّقْصَانِ فَقَبْلَهُ، وَإِنْ وَجَبَتَا لِلزِّيَادَةِ فَبَعْدَهُ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ إِلاَّ فِي الْمَوَاضِعِ الْخَمْسَةِ الَّتِي قِيلَ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَجَدَ فِيهَا.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** اخْتِلاَفُ الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي سُجُودِهِ ﷺ لِلسَّهْوِ.

**وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الْخَمْسَةُ الَّتِي قَدَّمْنَا، فَأَحَدُهَا**: أَنَّهُ ﷺ قَامَ مِنَ اثْنَتَيْنِ، **والثاني**: أَنَّهُ سَلَّمَ مِنَ اثْنَتَيْنِ عَلَى مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ذِي الْيَدَيْنِ، **والثالث**: أَنَّهُ صَلَّى خَمْسًا، **والرابع**: أَنَّهُ سَلَّمَ مِنْ ثَلاَثٍ، **والخامس**: السُّجُودُ عِنْدَ الشَّكِّ عَلَى مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالَّذِي اخْتَارَهُ عُلَمَاؤُنَا رَحِمَهُمُ اللهُ أَنْ يَسْجُدَ لِلسَّهْوِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي أَفْعَالِ الصَّلاَةِ وَأَقْوَالِهَا الَّتِي يُسْجَدُ لَهَا، اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ سُجُودَ السَّهْوِ إِنَّمَا يَكُونُ عَنْ نِسْيَانِ سُنَنِ الصَّلاَةِ دُونَ الْفَرَائِضِ وَالْفَضَائِلِ، فَالْفَرَائِضُ لاَ يُجْزِئُ فِيهَا إِلاَّ الإِتْيَانُ بِهَا[2]، أَوْ جَبْرُهَا إِذَا كَانَ السَّهْوُ عَنْهَا مِمَّا لاَ يُوجِبُ إِعَادَةَ الصَّلاَةِ بِأَسْرِهَا[3]، وَالْفَضَائِلُ لاَ شَيْءَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَالْوَهْمُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي بِالْغَلَطِ الَّذِي لاَ يَنْقُضُ الصَّلاَةَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ فِيهَا، وَقَالَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لاَ يَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي إِلاَّ إِنْ قَامَ حَتَّى تُقِلَّهُ الأَقْدَامُ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الْقُعُودُ، أَوْ قَعَدَ فِي مَوْضِعِ الْقِيَامِ، وَعَنِ الرَّبِيعِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْجُدُ سَجْدَتَيِ الْوَهْمِ وَإِنْ لَمْ يُوهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا إِنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَنِ أَقَلَّهَا فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ نَاسِيًا فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ عَامِدًا أَعَادَ صَلاَتَهُ، وَذَلِكَ مِثْلُ التَّوْجِيهِ، وَالاسْتِعَاذَةِ، وَالْبَسْمَلَةِ، وَالإِسْرَارِ فِي مَوْضِعِ الْجَهْرِ، وَالْجَهْرِ فِي مَوْضِعِ السِّرِّ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّعْظِيمِ، أَوْ سَلَّمَ مِنَ اثْنَتَيْنِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَإِنْ تَرَكَ الأَكْثَرَ مِنَ السُّنَنِ أَعَادَ صَلاَتَهُ، وَأَمَّا الشَّكُّ فِي الصَّلاَةِ إِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ حَتَّى لاَ يَدْرِي

---

(١) [انظر ابن المنذر: الأوسط، ر١٦٦٠].

(٢) أَيْ: ابْتِدَاءً.

(٣) يَعْنِي إِنْ لَمْ يُجَاوِزْهُ إِلَى حَدِّ ثَالِثٍ فَإِنَّ هَذَا السَّهْوَ لاَ يُوجِبُ إِعَادَةَ الصَّلاَةِ بِأَسْرِهَا، وَأَمَّا إِنْ سَهَا حَتَّى جَاوَزَهَا إِلَى حَدِّ ثَالِثٍ فَإِنَّ هَذَا السَّهْوَ يُوجِبُ إِعَادَةَ الصَّلاَةِ بِأَسْرِهَا.

كَمْ صَلَّى فَإِنَّهُ يُتِمُّ وَيُعِيدُ[١]. وَأَمَّا مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ صَلاَتَهُ حَتَّى لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى مِنْهَا، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ"، قَالَ الرَّبِيعُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ذَلِكَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ خَلْفَ إِمَامِهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ وَحْدَهُ فَلْيُعِدْ صَلاَتَهُ[٢]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي صِفَةِ سُجُودِ السَّهْوِ**، وَهُوَ أَنْ يَسْجُدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلاَةِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ[٣]، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا يَقُولُهُ فِي حَالِ السُّجُودِ، فَقِيلَ: يُسَبِّحُ كَتَسْبِيحِ السُّجُودِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ كَتَسْلِيمِ الصَّلاَةِ، وَقِيلَ يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُكَ اللهُمَّ مِمَّا كَانَ مِنِّي، ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

---

(١) الظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ يَبْنِي فِيهَا الْمُصَلِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَيُجْبِرُ شَكَّهُ بِسَجْدَتَيِ السَّهْوِ، وَلاَ تَجِبُ عَلَيْهِ الإِعَادَةُ، لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلاَثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ صَلاَتَهُ" - يَعْنِي أَنَّ السَّجْدَتَيْنِ بِمَنْزِلَةِ الرَّكْعَةِ، وَصَارَتِ الصَّلاَةُ شَفْعًا - "وَإِنْ كَانَ صَلَّى تَمَامًا كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ" [رواه مسلم، باب السهو في الصلاة والسجود له، ر١٣٠٠].

(٢) [رواه الربيع، باب فِي السَّهْوِ فِي الصَّلاَةِ، ر٢٤٦].

(٣) نَعَمْ شَرَعَ اللهُ سُجُودَ السَّهْوِ لِجَبْرِ مَا يَقَعُ فِي الصَّلاَةِ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، عَنْ سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، وَلِتَرْغِيمِ الشَّيْطَانِ الَّذِي كَانَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ السَّهْوِ، وَلَمْ يَشْرَعْهُ لِصَلاَةٍ لَمْ يَقَعْ فِيهَا وَهْمٌ، وَقَدِ اعْتَادَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَنَا الْتِزَامَهُ فِي كُلِّ صَلاَةٍ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ فِيهَا سَهْوٌ، فَتَرَى الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَنْزِلُ آلِيًا إِلَى السُّجُودِ إِثْرَ التَّسْلِيمِ مُبَاشَرَةً كَأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ، وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلاَءِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْجُدْ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ لَهُ سَهْوٌ نَظَرَهُمْ إِلَى مَنْ أَخَلَّ بِوَاجِبٍ مِنْ وَاجِبَاتِ الصَّلاَةِ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَجِدُ بَعْضَ الْغُلاَةِ مِنْ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ يُنْكِرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ إِنْكَارَهُ عَلَى مَنْ أَخَلَّ بِوَاجِبٍ مَفْرُوضٍ، مُعْتَقِدًا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الدِّينِ وَالتَّمَسُّكِ بِسِيرَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ! وَلَوْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمُتَنَطِّعُ قَلِيلاً لَوَجَدَ ذَلِكَ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ الَّذِي نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ" [رواه النسائي :المجتبى، باب التقاط الحصى، ٣٠٥٧]. اهـ مُصَحِّحه.

وَوَجَدْتُ أَنَّ عُلَمَاءَ السَّلَفِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، فَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعَطَاءٍ أَنَّهُ لاَ يَتَشَهَّدُ فِي السَّهْوِ وَلاَ يُسَلِّمُ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَتَشَهَّدُ وَيُسَلِّمُ، وَقَالَ قَوْمٌ: يَتَشَهَّدُ فَقَطْ دُونَ أَنْ يُسَلِّمَ، وَقِيلَ: هُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الإِتْيَانِ بِالتَّشَهُّدِ وَتَرْكِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ فِي السَّهْوِ إِلاَّ التَّسْلِيمُ دُونَ التَّشَهُّدِ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِنَا وَالْمَعْمُولُ عِنْدَهُمْ، قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ: ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَبَّرَ فِيهِمَا أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ[1]، وَأَنَّهُ سَلَّمَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا مَنْ يُصَلِّي بِالإِيمَاءِ فَوَهْمُهُ بِالنَّوَى، وَإِنْ نَوَى الْقِيَامَ فِي مَوْضِعِ الْقُعُودِ، أَوِ الْقُعُودَ فِي مَوْضِعِ الْقِيَامِ فَلْيُوهِمْ بِالإِيمَاءِ، وَمَنْ وَهِمَ فِي وَهْمِهِ فَلاَ وَهْمَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: عَلَيْهِ الْوَهْمُ، وَمَنْ وَهِمَ فِي الصَّلاَةِ مِرَارًا فَيَكْفِيهِ سُجُودُ وَهْمٍ وَاحِدٌ، وَمَنْ نَسِيَهُ فَلْيَسْجُدْ دُبُرَ صَلاَةٍ أُخْرَى، أَوْ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَلْيُوهِمْ عَلَى أَثَرِهِمَا.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ:** وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ سُجُودَ السَّهْوِ مِن سُنَّةِ الْمُنْفَرِدِ وَالإِمَامِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَأْمُومِ يَسْهُو وَرَاءَ الإِمَامِ، فَقِيلَ: يَحْمِلُهُ عَنْهُ الإِمَامُ، وَقِيلَ: يَلْزَمُهُ السُّجُودُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَكْحُولٍ، وَبِهِ أَخَذَ أَصْحَابُنَا.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** هَلْ يَحْمِلُهُ الإِمَامُ أَمْ لاَ؟ وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّ وَهْمَ الإِمَامِ لاَ يَلْحَقُ الْمَأْمُومَ إِلاَّ إِنْ تَبِعَهُ، وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ وَإِنْ لَمْ يَتْبَعْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفُوا مَتَى يَسْجُدُ الْمَأْمُومُ إِذَا فَاتَهُ مَعَ الإِمَامِ بَعْضُ الصَّلاَةِ وَعَلَى الإِمَامِ سُجُودُ السَّهْوِ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: يَسْجُدُهُمَا مَعَ الإِمَامِ، ثُمَّ يَقُومُ لِيُصَلِّيَ مَا عَلَيْهِ، وَسَوَاءٌ كَانَ سُجُودُهُ قَبْلَ السَّلاَمِ أَوْ بَعْدَهُ، رُوِيَ هَذَا عَنْ عَطَاءٍ وَالْحَسَنِ وَالنَّخَعِيِّ وَالشَّعْبِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَقَالَ قَوْمٌ: يَقْضِي ثُمَّ يَسْجُدُ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ

(١) [ابن المنذر: الأوسط، جماع أبواب السهو، ر١٦٦٥].

سِيرِينَ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِذَا سَجَدَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ سَجَدَ مَعَهُ، وَإِنْ سَجَدَ بَعْدَ التَّسْلِيمِ أَخَّرَ السُّجُودَ حَتَّى يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَاللَّيْثِ وَالأَوْزَاعِيِّ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: أَيُّهُمَا أَحَقُّ أَنْ يَتْبَعَهُ، فِي السُّجُودِ مُصَاحِبًا لَهُ أَوْ فِي آخِرِ صَلاَتِهِ؟ فَكَأَنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الاتِّبَاعَ وَاجِبٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ..." الْحَدِيث[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالنَّوْعُ الثَّانِي فِي سُجُودِ التِّلاَوَةِ**: وَتَنْحَصِرُ فُرُوعُهُ فِي خَمْسِ مَسَائِلَ:

**إِحْدَاهَا فِي حُكْمِهِ**: وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّهُ مَسْنُونٌ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: تَنَازُعُهُمْ فِي مَفْهُومِ الأَوَامِرِ وَالأَخْبَارِ الْخَارِجَةِ مَخْرَجَ الأَوَامِرِ بِالسُّجُودِ، مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[2]، هَلْ هِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى النَّدْبِ أَوْ عَلَى الْوُجُوبِ؟ فَالْجُمْهُورُ اتَّبَعُوا فِيهَا مَفْهُومَ الصَّحَابَةِ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا أَقْعَدَ فِي فَهْمِ الأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلِمَا ثَبَتَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ السَّجْدَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَنَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ قَرَأَهَا، فَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِلسُّجُودِ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكُمْ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَكْتُبْهَا عَلَيْنَا إِلاَّ أَنْ نَشَاءَ[3]، قَالَ هَذَا بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلاَفٌ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَفْسِيرِ الشَّرْعِ، وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَحَمَلَ الأَوَامِرَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْوُجُوبِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ**: وَاخْتَلَفُوا فِي عَدَدِ عَزَائِمِ سُجُودِ الْقُرْآنِ، فَرُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهَا إِحْدَى عَشْرَةَ سَجْدَةً، **أَوَّلُهَا**: خَاتِمَةُ الأَعْرَافِ، وَفِي الرَّعْدِ ﴿بِٱلْغُدُوِّ

(١) [سبق تخريجه].

(٢) مَرْيَم: ٥٨.

(٣) [رواه البيهقي، باب من لم ير وجوب سجدة التلاوة، ر٣٥٧٤].

﴿وَٱلْآصَالِ﴾"بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ"، وَفِي النَّحْلِ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وَفِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، وَفِي مَرْيَمَ ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، وَفِي أَوَّلِ الْحَجِّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، وَفِي الْفُرْقَانِ ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾، وَفِي النَّمْلِ ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وَفِي سَجْدَةِ أَلم تَنْزِيل ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وَفِي ص ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، وَفِي سُورَةِ فُصِّلَتْ ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. وَهَذَا هُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ، إِلاَّ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ، فَإِنَّ السُّجُودَ فِيهَا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ جَابِرٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَجْدَةً، ثَلاَثٌ مِنْهَا فِي الْمُفَصَّلِ: فِي الانْشِقَاقِ، وَفِي النَّجْمِ، وَفِي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وَلَمْ يَرَ فِي ص سَجْدَةً؛ لأَنَّهَا عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الشُّكْرِ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَهَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ سَجَدَ فَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ آخَرُ قَرَأَهَا وَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِلسُّجُودِ، فَقَالَ: إِنَّهَا تَوْبَةُ نَبِيٍّ، وَلَكِنْ رَأَيْتُكُمْ تُشِيرُونَ إِلَى السُّجُودِ، فَنَزَلْتُ وَسَجَدْتُ[1]، فَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَجْدَةً، أَثْبَتُوا سَجْدَةً ثَانِيَةً فِي الْحَجِّ، وَسَجْدَةَ ص، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ أَنَّهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: أَنَّ بَعْضَهُمُ اعْتَمَدَ عَلَى الْعَمَلِ الْمُسْتَقِرِّ عِنْدَهُ كَمَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَبَعْضُهُمُ اعْتَمَدَ عَلَى السَّمَاعِ كَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَبَعْضُهُمُ اعْتَمَدَ عَلَى الْقِيَاسِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، أَعْنِي أَنَّهُ قَاسَ السَّجَدَاتِ الْمُخْتَلَفَ فِيهَا عَلَى الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهَا، إِذْ كَانَ الْخِطَابُ الْوَارِدُ فِي جَمِيعِهِنَّ بَعْضُهُ بِالأَمْرِ كَالَّتِي فِي النَّجْمِ وَفِي "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" وَفِي آخِرِ الْحَجِّ، وَبَاقِيهِ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ، قَالُوا: فَوَجَدْنَا الْمُجْتَمَعَ عَلَيْهَا مِنْ سَجْدَةِ آخِرِ الأَعْرَافِ إِلَى السَّجْدَةِ فِي فُصِّلَتْ إِنَّمَا جَاءَ الأَمْرُ فِيهَا بِصِيغَةِ الْخَبَرِ، وَجَبَ أَنْ تُلْحَقَ بِهَا سَجْدَةُ ص وَسَجْدَةُ الانْشِقَاقِ، وَأَسْقَطَ

(١) [رواه أبو داود، باب السجود في (ص)، ر١٤١٢].

الثَّلاَثَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ، وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَاعْتَمَدَ سَمَاعَ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي الثَّلاَثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي وَقْتِ سُجُودِهِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الْمُبَاحُ فِيهِ الصَّلاَةُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ هَلْ يَسْجُدُ فِي الأَوْقَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا؟ فَمَنَعَهُ قَوْمٌ بِإِطْلاَقٍ، وَهُوَ الْمُسْتَقِرُّ بِهِ الْعَمَلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى أَصْلِهِ فِي مَنْعِ الصَّلاَةِ الْمَفْرُوضَةِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ، وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ مَالِكٍ، وَأَجَازَهُ الشَّافِعِيَّةُ عَلَى أَصْلِهِ أَنَّ السُّنَنَ تُصَلَّى فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ مَا لَمْ تَدْنُ الشَّمْسُ مِنَ الطُّلُوعِ وَالْغُرُوبِ، وَوَجَدْتُ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ سُجُودِهَا بَعْدَ الصُّبْحِ فَأَجَازَ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِصَلاَةٍ[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ**: عَلَى مَنْ يَتَوَجَّهُ حُكْمُهَا، وَقَدْ وَجَدْتُ أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَتَوَجَّهُ عَلَى الْقَارِئِ لَهَا، فِي الصَّلاَةِ كَانَ أَوْ غَيْرِهَا، إِلاَّ أَنَّ أَصْحَابَنَا أَجَازُوا سُجُودَهَا فِي النَّافِلَةِ وَمَنَعُوهُ فِي الْفَرِيضَةِ، وَأَجَازَهُ غَيْرُهُمْ فِي الْحَالَتَيْنِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي السَّامِعِ، فَقِيلَ: عَلَيْهِ السُّجُودُ بِإِطْلاَقٍ، وَقَالَ قَوْمٌ: يَسْجُدُ السَّامِعُ بِشَرْطَيْنِ، **أَحَدُهُمَا**: أَنْ يَكُونَ جَلَسَ لِلاسْتِمَاعِ، **والثاني**: أَنْ يَكُونَ الْقَارِئُ لَهَا يَسْجُدُهَا، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّنْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِلسَّامِعِ، وَاخْتُلِفَ فِي الْجُنُبِ وَالْحَائِضِ وَالْمُحْدِثِ يَسْمَعُهَا، فَقِيلَ: عَلَى هَؤُلاَءِ السُّجُودُ إِذَا انْتَقَلُوا إِلَى حَالِ الطَّهَارَةِ، وَقِيلَ: لاَ شَيْءَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا قَارِئُ الْمُصْحَفِ وَقَارِئُ اللَّوْحِ عَلَى التَّكْرَارِ

---

(١) وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا رَجَّحَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ سُجُودَ التِّلاَوَةِ لَيْسَ بِصَلاَةٍ، فَلاَ يُشْتَرَطُ فِيهِ مَا يُشْتَرَطُ فِي الصَّلاَةِ مِنْ طَهَارَةٍ وَغَيْرِهَا. قال ابن حزم: "وَالسُّجُودُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لَيْسَ رَكْعَةً، وَلاَ رَكْعَتَيْنِ فَلَيْسَ صَلاَةً، وَإِذْ لَيْسَ هُوَ صَلاَةً فَهُوَ جَائِزٌ بِلاَ وُضُوءٍ، وَلِلْجُنُبِ وَلِلْحَائِضِ وَإِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ كَسَائِرِ الذِّكْرِ، وَلاَ فَرْقَ، إِذْ لاَ يَلْزَمُ الْوُضُوءُ إِلاَّ لِلصَّلاَةِ فَقَطْ، إِذْ لَمْ يَأْتِ بِإِيجَابِهِ لِغَيْرِ الصَّلاَةِ قُرْآنٌ وَلاَ سُنَّةٌ وَلاَ إِجْمَاعٌ وَلاَ قِيَاسٌ. فإن قيل: إِنَّ السُّجُودَ مِنَ الصَّلاَةِ، وَبَعْضَ الصَّلاَةِ صَلاَةٌ، قلنا وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ: هَذَا بَاطِلٌ؛ لأَنَّهُ لاَ يَكُونُ بَعْضُ الصَّلاَةِ صَلاَةً إِلاَّ إِذَا تَمَّتْ كَمَا أُمِرَ بِهَا الْمُصَلِّي" [ابن حزم: المحلى، ١/ ٨٠]. اهـ مُصَحِّحه.

أَنَّهُ يَسْجُدُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ لاَ شَيْءَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَوْ تَكَرَّرَتْ، وَقِيلَ: مَا دَامَ فِي مَوْضِعِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ:** وَاخْتَلَفُوا هَلْ مِنْ شُرُوطِهَا الطَّهَارَةُ وَاسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ لَهَا؟ فَالأَكْثَرُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ شَرْطِهَا، وَقَالَ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِصَلاَةٍ حَتَّى يُشْتَرَطَ لَهَا ذَلِكَ، وَالْقَوْلُ الأَوَّلُ هُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، إِلاَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالُوا فِي الاسْتِقْبَالِ: إِنَّهُ مُتَعَيِّنٌ عَلَى الَّذِي يَسْجُدُهَا بِالْقَوْمِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَيُسْتَحَبُّ فِي حَقِّهِ مِنْ غَيْرِ اشْتِرَاطٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا صِفَتُهُ** فَإِنَّ جُمْهُورَ الْفُقَهَاءِ قَالُوا: إِذَا سَجَدَ الْقَارِئُ لَهَا كَبَّرَ، وَإِذَا رَفَعَ كَبَّرَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ فِي سُجُودِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾[1]، وَقِيلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، وَقِيلَ يَقُولُ: سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، ثُمَّ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ: "رَبَّنَا لَكَ سَجَدْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، اللهُمَّ احْطُطْ بِهَا عَنِّي وِزْرًا، وَأَحْدِثْ لِي بِهَا شُكْرًا، وَاكْتُبْ لِي بِهَا أَجْرًا، وَارْفَعْ لِي بِهَا ذِكْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ سَجْدَتَهُ"، وَقِيلَ يَقُولُ: "سَجَدْتُ بِوَجْهِي لِلْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ سُجُودِي إِلاَّ لَهُ"، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: "اللهُمَّ اجْعَلْهَا كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِي، وَزِيَادَةَ خَيْرٍ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي"، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَمَن لَمْ يَسْتَطِعِ السُّجُودَ لَهَا فَلْيُومِئْ إِيمَاءً، وَقِيلَ: إِنَّ مَنْ جَازَهَا وَلَمْ يَسْجُدْهَا قَبَّلَهُ الشَّيْطَانُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

---

(١) الإسْرَاء: ١٠٨.

# فصل

## فِي صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ وَتَرْتِيبِ أَئِمَّتِهَا

وَهَذَا الْفَصْلُ يَنْحَصِرُ فِي سَبْعَةِ أَقْسَامٍ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ
## فِي حُكْمِ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ

وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِيهَا، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ، أَوْ فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا فَرْضٌ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَرُوِيَ هَذَا عَنِ الظَّاهِرِيَّةِ، وَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّهَا فَرْضُ كِفَايَةٍ[1]، وَبِالأَوَّلِ قَالَ فُقَهَاءُ الأَمْصَارِ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: اخْتِلاَفُ مَفْهُومِ الآثَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: "صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"[2]، يُؤَدِّي إِلَى أَنَّ صَلاَةَ الْجَمَاعَةِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، وَأَنَّهَا كَمَالٌ زَائِدٌ عَلَى صَلاَةِ الْفَذِّ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَكْمَلُ مِنْ صَلاَةِ الْمُنْفَرِدِ، وَقَوْلِهِ ﷺ لابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ حِينَ قَالَ: إِنِّي ضَرِيرٌ شَاسِعُ الدَّارِ،

(١) [قد سبق القول أن بعض علمائنا يرون أن صلاة الجماعة فرض عين (انظر: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٢٧٥].

(٢) [رواه الربيع، باب في صلاة الجماعة والقضاء في الصلاة، ر٢١٦، والبخاري، باب وجوب صلاة الجماعة، ر٦١٩. وفي رواية: "بسبع وعشرين درجة"، رواه الربيع، نفسه، ر٢١٥، والبخاري، نفسه، ر٦١٩].

وَلاَ قَائِدَ لِي، فَهَلْ لِي مِنْ رُخْصَةٍ أُصَلِّي فِي بَيْتِي؟ قَالَ ﷺ: "هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَأَجِبْ"، وَقِيلَ قَالَ لَهُ: "لاَ أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً"[1]، وَهَذَا كَالنَّصِّ فِي وُجُوبِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ دَخَل عَلَى الإِمَامِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ صَلَّى وَحْدَهُ تِلْكَ الصَّلاَةَ، فَقَالَ قَوْمٌ: يُصَلِّي مَعَهُمْ كُلَّ الصَّلَوَاتِ إِلاَّ الْمَغْرِبَ، رُوِيَ هَذَا عَنْ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ يُعِيدُ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا إِلاَّ الْمَغْرِبَ وَالْعَصْرَ، وَعَنِ الأَوْزَاعِيِّ إِلاَّ الْمَغْرِبَ وَالصُّبْحَ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِلاَّ الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، وَعَنِ الشَّافِعِيِّ: يُعِيدُ الصَّلَوَاتِ كُلَّهَا.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يُصَلِّ مَعَهُ: "مَا لَكَ لَمْ تُصَلِّ مَعَنَا؟ أَلَسْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ؟" قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنِّي صَلَّيْتُ فِي أَهْلِي، فَقَالَ ﷺ: "إِذَا جِئْتَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ"[2]، فَحَمَلَ الشَّافِعِيُّ هَذَا عَلَى عُمُومِهِ فَأَوْجَبَ إِعَادَةَ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، وَاسْتَثْنَى مَالِكٌ صَلاَةَ الْمَغْرِبِ بِقِيَاسِ شُبْهَةٍ، وَهُوَ زَعْمُ أَنَّ إِعَادَةَ الْمَغْرِبِ وَهُوَ وِتْرٌ صَارَتْ شَفْعًا بِسِتِّ رَكَعَاتٍ مَعَ الَّتِي صَلاَّهَا، وَهَذَا قِيَاسٌ ضَعِيفٌ؛ لأَنَّهُ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بِالسَّلاَمِ، وَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: إِنْ أَعَادَهَا كَانَ قَدْ أَوْتَرَهَا مَرَّتَيْنِ، وَقَدْ جَاءَ الأَثَرُ: لاَ وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ[3]، وَإِنْ أَعَادَ الْعَصْرَ كَانَتِ الثَّانِيَةُ نَفْلاً، وَقَدْ صَحَّ النَّهْيُ عَنِ النَّفْلِ بَعْدَهَا.

وَأَمَّا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ فَلأَنَّهُ لَمْ تَخْتَلِفِ الآثَارُ فِي النَّهْيِ عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَاخْتُلِفَ فِي الصَّلاَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَأَمَّا مَنِ اسْتَثْنَى الصُّبْحَ

(١) [رواه أبو داود، باب في التشديد في ترك الجماعة، ر٥٥٢].

(٢) [رواه الربيع، باب في صلاة الجماعة والقضاء في الصلاة، ر٢١٩].

(٣) [رواه أبو داود، باب في نقض الوتر، ر١٤٤١].

وَالْعَصْرَ فَلِلنَّهْيِ الثَّابِتِ عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَهُمَا، وَهُوَ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبُو ثَوْرٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِيهِ أَيْضًا إِذَا صَلَّى مَعَ الْجَمَاعَةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: لاَ يُعِيدُهَا جَمَاعَةً، لِمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لاَ تُصَلَّى صَلاَةٌ وَاحِدَةٌ مَرَّتَيْنِ"(١)، وَقَالَ آخَرُونَ: يُصَلِّيهَا، لِحَدِيثِ مُعَاذٍ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَؤُمُّ قَوْمَهُ بِتِلْكَ الصَّلاَةِ(٢)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّانِي
## فِيمَنْ أَوْلَى بِالإِمَامَةِ الْفَقِيهُ أَوِ الْقَارِئُ

فَرُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْفَقِيهَ أَوْلَى، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، وَقِيلَ: الْقَارِئُ أَوْلَى، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: قَوْلُهُ ﷺ: "يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ.." الْحَدِيثَ(٣)، فَمَنْ فَهِمَ مِنَ الأَقْرَإِ أَنَّهُ الأَفْقَهُ، قَالَ الْفَقِيهُ أَوْلَى؛ وَلأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْفِقْهِ مَاسَّةٌ فِي الإِمَامَةِ أَمَسَّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْقِرَاءَةِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الأَقْرَأَ مِنَ الصَّحَابَةِ هُوَ الأَفْقَهُ

(١) [رواه أبو داود، باب إذا صلى ثم أدرك جماعة أيعيد، ر٥٧٩، والطبراني: المعجم الكبير، ر١٣٢٧٠].
(٢) [رواه مسلم، باب القراءة في العشاء، ر١٠٧٠].
(٣) وَتَمَامُهُ: "فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَسْبَقُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلاَ يُقْعَدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ" [رواه الربيع، باب في الإمامة والخلافة في الصلاة، ر٢٠٩، ومسلم، باب من أحق بالإمامة، ر١٥٦٤].

مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَحَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَأَوْجَبَ إِمَامَةَ الْقَارِئِ[١]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ:** وَاخْتَلَفُوا فِي إِمَامَةِ الْفَاسِقِ، فَرَدَّهَا قَوْمٌ بِإِطْلَاقٍ، وَفَرَّقَ قَوْمٌ بَيْنَ الْفَاسِقِ الْمُتَأَوِّلِ وَغَيْرِهِ.

**وَسَبَبُ الْخِلَافِ:** أَنَّهَا مَسْأَلَةٌ مَسْكُوتٌ عَنْهَا فِي الشَّرْعِ، وَالْقِيَاسُ لَهَا مُعَارِضٌ، فَمَنْ حَمَلَ عُمُومَ قَوْلِهِ ﷺ: "**صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ**"[٢]، وَقَوْلِهِ: "**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ**"[٣]، أَجَازَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ بِإِطْلَاقٍ[٤]، وَمَنْ قَاسَ الصَّلَاةَ عَلَى الشَّهَادَةِ فَاتَّهَمَهُ فِي فَسَادِ الصَّلَاةِ كَمَا اتَّهَمَهُ فِي فَسَادِ الشَّهَادَةِ، رَدَّهَا بِإِطْلَاقٍ.

**وَاخْتَلَفُوا فِي إِمَامَةِ الصَّبِيِّ،** فَأَجَازَهَا قَوْمٌ[٥]، وَمَنَعَهَا قَوْمٌ، وَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ فَأَجَازَهَا فِي النَّفْلِ دُونَ الْفَرْضِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي إِمَامَةِ الأَعْمَى، فَأَجَازَهَا قَوْمٌ[٦] وَمَنَعَ مِنْهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) وَهُوَ الأَظْهَرُ؛ لأَنَّ الْمُرَادَ بِالأَقْرَأِ الأَكْثَرُ حِفْظًا، لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ، وَفِيهِ: "لِيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا" [رواه البخاري، باب من شهد الفتح، ر٤٠٥١].

(٢) [رواه الربيع، كتاب الصلاة ووجوبها، باب في الإمامة والخلافة في الصلاة، ر٢٠٨] بلفظ: "الصَّلَاةُ جَائِزَةٌ خَلْفَ كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ مَا لَمْ يَفْعَلْ فِيهَا مَا يُفْسِدُهَا".

(٣) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

(٤) وَهُوَ مَا جَرَى عَلَيْهِ الصَّدْرُ الأَوَّلُ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ الرَّبِيعِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى يُؤَخِّرُوهَا عَنْ وَقْتِهَا، فَصَلُّوا لِوَقْتِهَا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ أُصَلِّي مَعَهُمْ؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ" [رواه الربيع، باب في الإمامة والخلافة في الصلاة، ر٢١٤].

(٥) لِمَا ثَبَتَ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ أَنَّهُ صَلَّى بِقَوْمِهِ وَلَهُ سِتٌّ أَوْ سَبْعُ سِنِينَ. [رواه البخاري، باب من شهد الفتح، ر٤٠٥١]

(٦) لاسْتِخْلَافِ الرَّسُولِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ يُصَلِّي بِهِمْ وَهُوَ أَعْمَى. [رواه أبو داود، باب في الضرير يُولَّى، ر٢٩٣٣].

وَقَالَ أَصْحَابُنَا: لاَ تَجُوزُ الصَّلاَةُ خَلْفَ مَنْ عَلِمْتَهُ يَقْنُتُ فِي الصَّلاَةِ؛ لأَنَّهَا مِنْ كَلاَمِ الآدَمِيِّينَ، قَالُوا: وَمَنْ صَلَّى خَلْفَهُ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِهِ فَلاَ بَأْسَ بِصَلاَتِهِ.

وَقَالَ أَصْحَابُنَا: الصَّلاَةُ خَلْفَ مَنْ لاَ وِلاَيَةَ لَهُ كَالصَّلاَةِ وَحْدَهُ.

وَاخْتُلِفَ فِي إِمَامَةِ الْعَبْدِ أَيْضًا، فَأَجَازَهَا قَوْمٌ فِي الصَّلاَةِ، وَمَنَعَهَا آخَرُونَ.

وَاخْتُلِفَ فِي إِمَامَةِ الْمَرْأَةِ، فَعَامَّةُ فُقَهَائِنَا أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ لاَ إِمَامَةَ لَهَا فِي صَلاَةِ الْفَرْضِ لِلرِّجَالِ وَلاَ لِلنِّسَاءِ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ مَقَامَهُنَّ فِي الصَّفِّ الأَخِيرِ، فَلاَ يَجُوزُ لَهَا التَّقْدِيمُ، وَاخْتَلَفُوا فِي إِمَامَتِهَا بِالنِّسَاءِ، فَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ أَجَازَهَا إِذَا كُنَّ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْمَرْتَبَةِ فِي الصَّلاَةِ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ لِلْمَرْأَةِ مُؤَذِّنًا[1] يُؤَذِّنُ لَهَا، وَأَمَرَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ بَيْتِهَا وَدَارِهَا، وَالْمَشْهُورُ فِي الأَثَرِ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَؤُمُّ النِّسَاءَ فِي النَّافِلَةِ، وَتَكُونُ وَسْطَهُنَّ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ الثَّالِثُ
## فِي مَقَامِ الْمَأْمُومِ مِنَ الإِمَامِ

وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ سُنَّةَ الْوَاحِدِ الْمُنْفَرِدِ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَقُومَ عَنْ يَمِينِ الإِمَامِ، لِثُبُوتِ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ[3] وَغَيْرِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا ثَلاَثًا سِوَى الإِمَامِ قَامُوا وَرَاءَهُ، وَاخْتَلَفُوا إِذَا كَانَا اثْنَيْنِ سِوَى الإِمَامِ، فَذَهَبَ جُمْهُورُ

(١) [كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم لأم ورقة مؤذنا، روي عن أم ورقة الأنصاري: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: انطلقوا بنا إلى الشهيدة فنزورها - يعني أم ورقة - وأمر أن يُؤذَّن لها ويُقام وتؤمَّ أهلَ دارها في الفرائض" [رواه البيهقي، باب إثبات إمامة المرأة، ر٥١٣٧].

(٢) [رواه ابن أبي شيبة، المرأة تؤم النساء، ر٤٩٥٢، ٤٩٥٣]

(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: "بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَقُمْتُ أُصَلِّي مَعَهُ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِرَأْسِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ". [رواه البخاري، باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام، ر٦٦٦].

أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُمَا يَقُومَانِ خَلْفَ الإِمَامِ، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى أَنَّ الإِمَامَ يَقُومُ بَيْنَهُمَا، وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الأَوَّلُ، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَعَنْ يَمِينِهِ رَجُلٌ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ فَقَامَ عَنْ شِمَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَدَارَهُمَا إِلَى خَلْفِهِ[1].

وَاحْتَجَّ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الثَّانِي بِأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ صَلَّى بِعَلْقَمَةَ وَالأَسْوَدِ[2] فَقَامَ فِي وَسَطِهِمَا، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَسُنَّتُهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ تَقِفَ خَلْفَ الإِمَامِ وَخَلْفَ صَفِّ الرِّجَالِ إِنْ كَانُوا هُنَاكَ، لِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ الْمَشْهُورِ: "فَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا[3]"، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه البيهقي، باب المأموم يخالف السنة في الموقف فيقف عن يسار الإمام فلا تفسد صلاته، ر٤٩٥٣].

(٢) عَلْقَمَةُ: هُوَ ابْنُ قَيْسٍ، وَيُكَنَّى أَبَا الشِّبْلِ، وَهُوَ مِنَ النَّخَعِ رَهْطِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ. وَالأَسْوَدُ: هُوَ الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ ابْنُ أَخِي عَلْقَمَةَ، وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كِلاَهُمَا صَاحَبَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ ابْنُهُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ الأسودِ مِنَ الخِيَارِ، وكانَ يقولُ فِي تَلْبِيَتِهِ: لَبَّيْكَ أَنَا الحَاجُّ بنُ الحَاجِّ، وَكَانَ أَبُوهُ حَجَّ ثَمَانِينَ بَيْنَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ. قَالَ الشَّعْبِيُّ فِي حَقِّهِمَا: كَانَ الأَسْوَدُ قَوَّامًا صَوَّامًا، وَكَانَ عَلْقَمَةُ مَعَ الْبَطِيءِ وَهُوَ يَسْبِقُ السَّرِيعَ. مَاتَ عَلْقَمَةُ سَنَةَ ٦٢هـ وَالأَسْوَدُ سَنَةَ ٧٣هـ وَقِيلَ: ٧٥هـ. اهـ

(٣) [رواه الربيع، باب الإمامة في النوافل، ر٢٠٢، بلفظ: "عن أنس بن مالك قَالَ: كَانَتْ جَدَّتِي مُلَيْكَةُ صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَامًا، فَأَكَلَ ثُمَّ قَالَ: "قُومُوا لأُصَلِّي بِكُمْ". قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَفَفْتُ أَنَا وَالشَّيْخُ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ وَرَاءَنَا فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ"].

# الْقِسْمُ الرَّابِعُ

## فِي تَرْتِيبِ الإِمَامِ وَصِفَتِهِ

وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى تَقْدِيمِ الأَفْضَلِ فِي الصَّلاَةِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ كَانَ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ"[1].

**وَالشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي الإِمَامَةِ** الَّتِي لاَ تَنَازُعَ فِيهَا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي صِحَّةِ صَلاَةِ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هِيَ: الْبُلُوغُ، وَالْعَقْلُ، وَالإِسْلاَمُ، وَالذُّكُورِيَّةُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالْعَدَالَةُ، وَالْعِلْمُ بِمَا لاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ قِرَاءَةً وَفِقْهًا، وَسَلاَمَةُ الأَعْضَاءِ الَّتِي يَكُونُ فَقْدُهَا قَادِحًا فِي الصَّلاَةِ.

وَقَدْ جَمَعْنَا فِيمَا عَدَدْنَا هَهُنَا بَيْنَ شُرُوطِ الصِّحَّةِ وَشُرُوطِ كَمَالِ الْفَضِيلَةِ، وَنَحْنُ نَشْرَعُ فِي تَمْيِيزِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

**أَمَّا الْبُلُوغُ**: فَشَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْفَرِيضَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ الأَعْظَمِ، فَلاَ تَجُوزُ إِمَامَةُ الصَّبِيِّ فِي الْفَرِيضَةِ، وَإِنْ كَانَ ﷺ أَثْبَتَ لَهُ الْحَجَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ عَلَيْهِ لاَ اسْتِحْقَاقٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: تَجُوزُ إِمَامَتُهُ فِي النَّفْلِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: هَلْ يَؤُمُّ أَحَدٌ فِي صَلاَةٍ غَيْرِ وَاجِبَةٍ عَلَيْهِ مَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ وُجُوبُ تِلْكَ الصَّلاَةِ؟ وَذَلِكَ لاخْتِلاَفِ نِيَّةِ الإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ[2].

**وَأَمَّا الْعَقْلُ**: فَشَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلاَةِ؛ لأَنَّهُ لاَ تَجُوزُ إِمَامَةُ الْمَجْنُونِ وَمَنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ مِنْ جَمِيعِ مَنْ غَابَ عَقْلُهُ بِإِغْمَاءٍ، أَوْ سُكْرٍ، أَوْ عَتَهٍ، أَوْ مَرَضٍ بِرِسَامٍ

---

(١) لِقَوْلِهِ ﷺ: "يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ فِي الْهِجْرَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا". [سبق تخريجه].

(٢) وَتَقَدَّمَ جَوَازُ إِمَامَةِ الصَّبِيِّ إِذَا كَانَ مُمَيِّزًا، وَجَوَازُ اخْتِلاَفِ نِيَّةِ الإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ لِلأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَلإِمَامَةِ مُعَاذٍ بِقَوْمِهِ.

أَوْ غَيْرِهِ، لاسْتِوَاءِ الْجُنُونِ وَالطُّفُولِيَّةِ فِي رَفْعِ الْقَلَمِ عَنْهُمَا، لِعَدَمِ صِحَّةِ الْعَقْلِ مِنْهُمَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الإِسْلاَمُ** : فَشَرْطُ صِحَّةٍ أَيْضًا، وَلاَ أَعْلَمُ فِيهِ خِلاَفًا بَيْنَ الأُمَّةِ، وَذَكَرَ ابْنُ بَرَكَةَ فِي كِتَابِهِ[1] ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَمَّ أُنَاسًا فِي سَفَرٍ سَنَةً كَامِلَةً، ثُمَّ خَرَجَ مُشْرِكًا، فَأَلْزَمَهُمُ الْفُقَهَاءُ إِعَادَةَ الصَّلاَةِ.

**وَكَذَلِكَ الْخِتَانُ** عِنْدَ أَصْحَابِنَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلاَةِ؛ لأَنَّهُ لاَ تَجُوزُ عِنْدَهُمْ إِمَامَةُ الأَقْلَفِ الْبَالِغِ وَلاَ صَلاَتُهُ فِي الأَيَّامِ الَّتِي لاَ يُعْذَرُ فِيهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الذُّكُورِيَّةُ** : وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُهَا، وَأَنَّهَا لاَ تَجُوزُ إِمَامَةُ الْمَرْأَةِ لِلنُّقْصَانِ اللاَّحِقِ بِهَا قِيَاسًا عَلَى الإِمَامَةِ الْعُظْمَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْحُرِّيَّةُ** : فَفِيهَا خِلاَفٌ، قِيلَ: هِيَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلاَةِ، فَلاَ تَجُوزُ إِمَامَةُ الْعَبْدِ لِنُقْصَانِهِ بِالرِّقِّ، وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ إِمَامَتَهُ فِي الصَّلاَةِ دُونَ الأَحْكَامِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالْعَدَالَةُ** : اضْطَرَبَتْ فِيهَا أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى كَرَاهِيَةِ الصَّلاَةِ خَلْفَ مَنْ يَلُوذُ بِالْحَرَامِ مِنْ فَرْجٍ أَوْ مَالٍ أَوْ شَرَابِ خَمْرٍ، وَأَجَازَ بَعْضُهُمُ الصَّلاَةَ خَلْفَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ مَا لَمْ يُدْخِلُوا فِيهَا مَا يُفْسِدُهَا؛ لأَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الإِمَامِ صِحَّةُ الصَّلاَةِ.

وَلَمْ يُجِزْ أَصْحَابُنَا الصَّلاَةَ خَلْفَ مَنْ يَقْنُتُ فِيهَا أَوْ يَقُولُ: وَلاَ الضَّالِّينَ آمِينَ؛ لأَنَّهَا مِنْ كَلاَمِ الآدَمِيِّينَ، وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

---

(١) [جامع ابن بركة، ١/ ٤٧٣].

(٢) جُمْهُورُ عُلَمَائِنَا عَلَى أَنَّ الْقُنُوتَ قَدْ كَانَ سُنَّةً، ثُمَّ نُسِخَ لِحَدِيثِ أَنَسٍ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَنَتَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ" [مسند الربيع، الزيادات،

**وَأَمَّا الْعِلْمُ بِمَا لاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ إِلاَّ بِهِ قِرَاءَةً وَفِقْهًا**: فَهُوَ مِنْ شُرُوطِ الصِّحَّةِ؛ لأَنَّ الإِمَامَ إِذَا أَخَلَّ بِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ عَنْ عَمْدٍ أَوْ سَهْوٍ فَقَدْ بَطَلَتْ صَلاَتُهُ وَصَلاَةُ مَنْ خَلْفَهُ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَذَلِكَ الْقِرَاءَةُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الإِمَامَةِ؛ لأَنَّ الأُمِّيَّ الَّذِي لاَ يُحْسِنُ الْقِرَاءَةَ لاَ تَصِحُّ إِمَامَتُهُ لِنَفْسِهِ وَلاَ لِغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى النُّطْقِ بِالْحُرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا عَلَى الصِّحَّةِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ، دُونَ حُلُولِ الآفَةِ فِي لِسَانِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الأَلْكَنُ فَتَجُوزُ إِمَامَتُهُ لِلسَّالِمِ مِنَ اللُّكْنَةِ إِذَا كَانَ يُقِيمُ الْحُرُوفَ إِقَامَةً تُجْزِئُ فِي الصَّلاَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا اللَّحَّانُ فَإِذَا كَانَ لَحْنُهُ لاَ يُغَيِّرُ الْمَعْنَى فَقَدْ تَصِحُّ صَلاَتُهُ، إِذَا كَانَ بِغَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ لَحْنُهُ يُغَيِّرُ الْمَعْنَى كَعجْمِ الدَّالِّ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿**فَقَدَرَ فَهَدَىٰ**﴾[1]، أَوِ التَّاءِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿**وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾**﴾[2]، أَوْ يُبْدِلُ آيَةَ رَحْمَةٍ

---

ر٩٠٩]، فَمَنْ قَنَتَ فَسَدَتْ صَلاَتُهُ وَصَلاَةُ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ يَقْنُتُ، إِلاَّ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ صَلاَةَ الْمَأْمُومِ غَيْرُ مُرْتَبِطَةٍ بِصَلاَةِ الإِمَامِ.

أَمَّا زِيَادَةُ "آمِينَ" بَعْدَ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَإِنْ ثَبَتَتْ عِنْدَ غَيْرِنَا مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلاَمِ، لِذَلِكَ نَجِدُ جُمْهُورَنَا يَحْكُمُونَ بِفَسَادِ صَلاَةِ الْفَذِّ إِذَا زَادَهَا، وَبِفَسَادِ صَلاَةِ مَنْ صَلَّى خَلْفَ مَنْ يَزِيدُهَا، وَهُوَ مَا جَرَى عَلَيْهِ الْمُصَنِّفُ ﷺ، بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ مِنْ عُلَمَائِنَا مَنْ يَحْكُمُ بِصِحَّةِ صَلاَةِ مَنْ صَلَّى خَلْفَ مَنْ يَقُولُهَا كَمَا هُوَ مُخْتَارُ الشَّيْخِ خَمِيسٍ الْعُمَانِيِّ صَاحِبِ مَنْهَجِ الطَّالِبِينَ [٤/ ٣٥٣]، وَهُنَاكَ مَسَائِلُ فِي الصَّلاَةِ غَيْرُ الْقُنُوتِ وَزِيَادَةِ آمِينَ، كَرَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلاَةِ، وَالإِشَارَةِ بِالسَّبَّابَةِ، وَالتَّوَرُّكِ عَلَى الْيَسَارِ، وَوَضْعِ الْيَدَيْنِ عَلَى السُّرَّةِ، لَمْ تَثْبُتْ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَثَبَتَتْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ. قَالَ الشَّيْخُ خَمِيسٌ فِي حَقِّهَا أَيْضًا: "لاَ بَأْسَ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَغَيْرُنَا يَرَاهُ سُنَّةً". اهـ. وَقَالَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْعبرِيُّ: "إِنَّ مَا يَفْعَلُهُ غَيْرُنَا فِي الصَّلاَةِ لَمْ يَفْعَلُوهُ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ جَهْلاً أَوْ لِمُجَرَّدِ هَوًى أَوْ عَمَلاً لِلْبِدْعَةِ، وَلَكِنَّهُمْ فَعَلُوهُ عَمَلاً بِالسُّنَّةِ الَّتِي بَلَغَتْهُمْ، وَصَحَّتْ عِنْدَهُمْ، وَتَنَاقَلُوهَا خَلَفًا بَعْدَ سَلَفٍ، وَإِنَّ أَصْحَابَنَا لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى أَنَّهَا مِمَّا يُفْسِدُ الصَّلاَةَ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى مَنْعِ الصَّلاَةِ خَلْفَهُمْ، بَلِ الأَصَحُّ الَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُنَا جَوَازُهَا، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ". اهـ مُصَحَّحه.

(١) الأعلى: ٣.

(٢) الحج: ٣٤.

بِآيَةِ عَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ، فَإِنَّ هَذَا لاَ تَصِحُّ إِمَامَتُهُ وَلاَ صَلاَتُهُ لِنَفْسِهِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الأُمُورُ مِنْ قِبَلِ اللِّسَانِ فَلاَ بَأْسَ بِصَلاَتِهِ وَإِمَامَتِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ بِلاَلاً ﷺ كَانَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ بِالسِّينِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: "سِينُ بِلاَلٍ هُوَ الشِّينُ"(١).

**أَمَّا نُقْصَانُ الْخَلِيقَةِ وَسَلاَمَةِ الأَعْضَاءِ** الَّتِي يَكُونُ فَقْدُهَا قَادِحًا فِي الصَّلاَةِ فَهُوَ عَلَى وُجُوهٍ:

**أحدها**: نُقْصَانُ الْعُضْوِ الَّذِي لاَ يُقَرِّبُ بِهِ الإِنْسَانُ مِنَ الأُنْثَوِيَّةِ، كَالْعَمَى وَشَبَهِهِ مِنَ الصَّمَمِ وَنَحْوِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلاَفُ فِي إِمَامَةِ الأَعْمَى.

**الثَّانِي**: نُقْصَانٌ يُقَرِّبُ مِنَ الأُنُوثِيَّةِ، كَالْخِصَاءِ وَالْعِنَّةِ وَشَبَهِهَا، فَتُكْرَهُ إِمَامَةُ الْخَصِيِّ وَالْعِنِّينِ وَالْمَجْبُوبِ وَالْمُسْتَأْصَلِ، إِلاَّ لِمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ.

**وَالثَّالِثُ**: النُّقْصَانُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَرْضُ الصَّلاَةِ، كَالْمَرِيضِ الْعَاجِزِ عَنِ الْقِيَامِ وَالْمُقْعَدِ وَأَشْبَاهِهِمَا، فَلاَ تَجُوزُ إِمَامَةُ هَؤُلاَءِ لِلْقَادِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ، وَقَدْ أَجَازَ أَصْحَابُنَا إِمَامَةَ الْقَاعِدِ إِذَا كَانَ إِمَامًا عَادِلاً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الرَّابِعُ**: النُّقْصَانُ الْمُتَعَلِّقُ بِالأَعْضَاءِ الْمُوَجَّهَةِ لِلسُّجُودِ، كَقَطْعِ الْيَدِ أَوْ شَلَلِهَا، فَلاَ يَؤُمُّ الأَقْطَعُ وَلاَ الأَشَلُّ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَضَعَ يَدَيْهِ فِي الأَرْضِ؛ لأَنَّهُ وَإِنْ بَلَغَ نِهَايَةَ طَاقَتِهِ فِي فِعْلٍ لاَ يَتَحَمَّلُهُ عَنِ الْمَأْمُومِ فَإِنَّهُ مُنْتَقِصٌ عَنْ دَرَجَةِ الْكَمَالِ، وَكَذَلِكَ الْمُقَطَّرُ وَمَنْ بِهِ سَلَسُ الْبَوْلِ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَؤُمَّ الأَصِحَّاءَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا شُرُوطُ الْفَضِيلَةِ**: فَلاَ يُؤَثِّرُ إِخْلاَلُهَا فِي نُقْصَانِ الصَّلاَةِ، كَإِمَامَةِ الْمُتَيَمِّمِ بِالْمُتَوَضِّئِ، وَالْبَادِي بِالْحَاضِرِ، وَالْمُسَافِرِ بِالْمُقِيمِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ الأَفْضَلَ فِي الْهَيْئَةِ

(١) [ذكره العجلوني: كشف الخفاء، ر١٥٢٠، ١/ ٤٦٤، وقال: "قال ابن كثير ليس له أصل، ولا يصح"].

وَاللِّبَاسِ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ، وَكَذَلِكَ مَنِ انْفَرَدَ بِالْعِلْمِ وَالْوَرَعِ فَهُوَ أَوْلَى مِمَّنْ دُونَهُ؛ إِذْ بِهِمَا يَحْسُنُ الأَدَاءُ وَتَحْصُلُ الشَّفَاعَةُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تَزْكُوَ صَلاَتُكُمْ فَقَدِّمُوا خِيَارَكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَفْدُكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ**"(١).

## الْقِسْمُ الْخَامِسُ
## فِي الْوَظَائِفِ الْمُشْتَرَطَةِ عَلَى الإِمَامِ

**وَهِيَ عَشْرٌ:**

**إِحْدَاهَا**: مُرَاعَاةُ الْوَقْتِ لِحَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: "إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالأَظِلَّةَ"(٢).

**الثَّانِيَةُ**: الصَّلاَةُ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللهِ، وَأَوْسَطُهُ رَحْمَةُ اللهِ، وَآخِرُهُ عَفْوُ اللهِ"(٣)، إِلاَّ مَا اسْتُحِبَّ لَهُ مِنْ تَأْخِيرِ الظُّهْرِ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ حَتَّى يَبْرُدَ.

**الثَّالِثَةُ**: أَنْ يَجْعَلَ مَنْ يُرَاعِي الصُّفُوفَ وَيُسَوِّيهَا، لِثُبُوتِ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلاَ يُكَبِّرُ حَتَّى تُسَوَّى.

**الرَّابِعَةُ**: أَنْ يُرْسِلَ نِيَّتَهُ إِرْسَالاً لِكُلِّ مَنْ يُصَلِّي بِإِمَامَتِهِ، وَيَعْقِدَ نِيَّتَهُ وَيَقُولَ: "اللهُمَّ إِنَّ نِيَّتِي وَاعْتِقَادِي أَنْ أُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلاَةَ الْحَاضِرَةَ وَبِكُلِّ مَنْ لَهُ صَلاَةٌ

---

(١) [رواه الربيع، ببعض معناه منقطعا، باب الحجة على من لا يرى الصلاة على موتى أهل القبلة، ر٧٨١، والطبراني في الكبير، ببعض معناه، ر٧٧٧].

(٢) [رواه البيهقي، باب مراعاة أدلة المواقيت، ر١٦٥٦] [روي هذا الحديث من طريق ابن أبي أوفى، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، لاَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ كَمَا سَاقَهُ الْمُؤَلِّفُ].

(٣) [رواه البيهقي، باب الترغيب في التعجيل بالصلوات في أوائل الأوقات، ر١٨٩٢].

وَبِجَمِيعِ مَنْ يُصَلِّي وَرَائِي هَذِهِ الصَّلاَةَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَعْلُومِ"، كَمَا قَدَّمْنَا فِي اعْتِقَادِ الْمُنْفَرِدِ قَبْلَ هَذَا.

**الْخَامِسَةُ**: أَنْ يُجْزِمَ التَّكْبِيرَ وَالتَّسْلِيمَ جَزْمًا، وَلاَ يَمُدَّ بِهِمَا صَوْتَهُ لِئَلاَّ يُسَابِقَهُ بِهِمَا مَنْ وَرَاءَهُ.

**السَّادِسَةُ**: أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ كُلِّهِ، وَبِسَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لِيَقْتَدِيَ بِهِ مَنْ وَرَاءَهُ.

**السَّابِعَةُ**: أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلْمَأْمُومِينَ فِي حِفْظِ صَلاَتِهِ، وَمُرَاعَاةِ حُدُودِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَالاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا.

**الثَّامِنَةُ**: أَنْ يَقْتَصِدَ فِي صَلاَتِهِ وَلاَ يُطَوِّلَهَا عَلَيْهِمْ، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ.

**التَّاسِعَةُ**: أَنْ يَتَنَحَّى عَنْ مَكَانِهِ إِذَا صَلَّى وَلاَ يَمْكُثَ فِي مُصَلاَّهُ إِذَا كَانَ فِي مَسْجِدٍ.

**الْعَاشِرَةُ**: أَنْ يَجْعَلَ وَرَاءَهُ أَفْضَلَ الْقَوْمِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "لِيَلِيَنِي أَهْلُ الإِخْلاَصِ وَالْفَضْلِ"[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الربيع، باب الحجة على من لا يرى الصلاة على موتى أهل القبلة...، ر٧٨٣، بلفظ: "لِيَلِيَنِي فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ أُولُو النُّهَى مِنْكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"].

# الْقِسْمُ السَّادِسُ
# فِي شُرُوطِ الْقُدْوَةِ

وَيَنْحَصِرُ فِي أَرْبَعَةِ شُرُوطٍ:

**أحدها** : النِّيَّةُ لِلاقْتِدَاءِ بِالإِمَامِ، فَإِنْ كَانَ الْمَأْمُومُ مُقِيمًا فَلْيَنْوِ أَدَاءَ فَرْضِهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمَأْمُومُ مُسَافِرًا فَلْيَنْوِ أَنْ يُصَلِّيَ بِصَلاَةِ الإِمَامِ، وَلْيَقُلْ: صَلاَتِي صَلاَةُ الإِمَامِ، مُقِيمًا كَانَ الإِمَامُ أَوْ مُسَافِرًا، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ فَوَافَقَ، فَفِيهِ خِلاَفٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الثَّانِي** : أَنْ لاَ يُنْزِلَ الْمَأْمُومُ جِنْسَ صَلاَةِ الإِمَامِ عَنْ جِنْسِ صَلاَتِهِ، كَمُتَنَفِّلٍ يَؤُمُّ مُفْتَرِضًا.

**الثَّالِثُ** : اتِّحَادُ الْفَرْضِ الْمُؤْتَمِّ فِيهِ، فَلاَ يُصَلِّي الظُّهْرَ خَلْفَ مَنْ يُصَلِّي الصُّبْحَ أَوْ غَيْرَهُ.

**الرَّابِعُ** : الْمُتَابَعَةُ وَالْمُسَاوَقَةُ دُونَ الْمُسَاوَاةِ وَالْمُسَابَقَةِ، وَهَذَا فِي أَفْعَالِ الصَّلاَةِ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَأَقْوَالِهَا الْمُخْتَصَّةِ بِالْجَهْرِ، كَالإِحْرَامِ، وَالْجَهْرِ فِي الْقِرَاءَةِ، وَالتَّسْلِيمِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَإِنْ أَحْرَمَ قَبْلَ الإِمَامِ أَعَادَ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَإِلاَّ بَطَلَتْ صَلاَتُهُ بِلاَ خِلاَفٍ، وَكَذَلِكَ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَالتَّسْلِيمُ إِنْ سَبَقَ بِهَا الإِمَامَ مُتَعَمِّدًا، وَإِنْ كَانَ نَاسِيًا رَجَعَ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، وَإِنْ سَاوَى إِمَامَهُ فِي أَفْعَالِ الصَّلاَةِ فَصَلاَتُهُ غَيْرُ مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ عَلَى الْمَأْمُومِ أَنْ يَتْبَعَ الإِمَامَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِلاَّ فِي قَوْلِ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَذَهَبَ بَعْضٌ إِلَى أَنَّ الإِمَامَ يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ

حَمِدَهُ، وَيَقُولُ الْمَأْمُومُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، "إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ"(١)، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الإِمَامَ وَالْمَأْمُومَ يَقُولاَنِ جَمِيعًا: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## الْقِسْمُ السَّابِعُ
## فِيمَا يَحْمِلُهُ الإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ

وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الإِمَامَ لاَ يَحْمِلُ عَنِ الْمَأْمُومِ شَيْئًا مِنْ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ مَا خَلاَ الْقِرَاءَةَ، فَإِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِيهَا، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الإِمَامَ يَحْمِلُهَا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ"(٢)، وَقَالَ آخَرُونَ: لاَ يَحْمِلُ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ الْقِرَاءَةِ إِلاَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ(٣)، لِقَوْلِهِ ﷺ: "لاَ تَفْعَلُوا إِلاَّ بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِهَا"(٤)، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**مَسْأَلَةٌ [في صلاة الاستخلاف]:** وَإِذَا أَحْدَثَ الإِمَامُ بِقَيْءٍ أَوْ رُعَافٍ أَوْ خَدَشٍ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ مَنْ يُتِمُّ بِالْقَوْمِ، وَلَيْسَ الاسْتِخْلاَفُ بِوَاجِبٍ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا الْتَزَمَ لِيُقْتَدَى بِهِ مَا دَامَ الاقْتِدَاءُ بِهِ مُمْكِنًا، فَإِذَا تَعَذَّرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِعِوَضٍ مِنْهُ؛ لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَأْمُومُونَ مَمْنُوعِينَ مِنَ الْكَلاَمِ كَانَ مِنْ

(١) [سبق تخريجه].

(٢) [سبق تخريجه].

(٣) [لعل الصواب: يحمل عنه القراءة إلا فاتحة الكتاب، أي يحمل الإمام عن المأموم قراءة ما زاد بعد الفاتحة من القرآن؛ لأن أغلب الفقهاء يرون أن الفاتحة لا تسقط عن المأموم وراء الإمام. أو أن المؤلف يقصد سقوط القراءة مطلقا عن المأموم في الصلاة الجهرية، في قول بعض الفقهاء. وقد سبق ذكر هذه المسألة (انظر: تفصيل سنن الصلاة وأعمالها...، مسألة: في القراءة)].

(٤) [رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، ر٨٢٣].

حُسْنِ النَّظَرِ لَهُمْ أَنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَنْ يُتِمَّ بِهِمْ، وَلاَ يَجُوزُ الاسْتِخْلاَفُ إِلاَّ فِي الثَّلاَثَةِ الأَحْدَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ، لِلْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا لاَ تَنْقُضُ الصَّلاَةَ، فَإِذَا انْفَلَتَ الْمُصَلِّي بِهَا تَوَضَّأَ وَبَنَى عَلَى صَلاَتِهِ[1]، وَأَمَّا إِذَا أَحْدَثَ بِغَيْرِ هَذِهِ الثَّلاَثَةِ الأَوْجُهِ مِنْ جَمِيعِ الأَنْجَاسِ وَالأَحْدَاثِ الَّتِي تَنْقُضُ الصَّلاَةَ، فَقَدْ فَسَدَتْ صَلاَتُهُ وَصَلاَةُ الْقَوْمِ جَمِيعًا، وَيَجُوزُ الاسْتِخْلاَفُ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ إِلاَّ فِي صَلاَةِ الْمَيِّتِ فَإِنَّ فِيهَا خِلاَفًا.

**وَصِفَةُ الاسْتِخْلاَفِ**: أَنْ يَجْذِبَهُ الإِمَامُ مِنْ يَدِهِ وَيُوقِفَهُ فِي مَكَانِهِ، وَيَأْخُذَ فِي الصَّلاَةِ مِنْ حَيْثُ كَانَ الإِمَامُ إِنْ عَلِمَهُ، وَإِلاَّ فَمِنْ حَيْثُ هُوَ، وَيُصَلِّي بِالْقَوْمِ صَلاَةَ الإِمَامِ، مُقِيمًا كَانَ أَوْ مُسَافِرًا، وَإِنْ بَقِيَ لِلْخَلِيفَةِ شَيْءٌ فِي أَوَّلِ صَلاَتِهِ أَوْ فِي آخِرِهَا اسْتَدْرَكَهُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلاَةِ، وَلاَ يُسَلِّمُ مَنْ خَلْفَهُ حِينَ يَسْتَدْرِكُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ فَيُسَلِّمُونَ مَعَهُ جَمِيعًا، وَلاَ يَسْتَخْلِفُ إِلاَّ الإِمَامُ، وَيُسَاعِدُهُ الْمُسْتَخْلَفُ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ أَبَى فَلْيَسْتَخْلِفْ غَيْرَهُ إِلَى ثَلاَثَةٍ، وَقِيلَ: لاَ يُجَاوِزُ وَاحِدًا، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ لاَ يَسْتَخْلِفُ هُوَ أَيْضًا إِلاَّ وَاحِدًا، وَقِيلَ: يَسْتَخْلِفُ إِلَى ثَلاَثَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الْقَيْءُ وَالرُّعَافُ لاَ يُنْقِضَانِ الصَّلاَةَ" [سبق تخريجه].

# الجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ
# فِي صَلاَةِ السُّنَنِ

**وَهِيَ بِالْجُمْلَةِ عَشْرٌ:** صَلاَةُ الْوِتْرِ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ، وَرَكْعَتَا الْمَغْرِبِ، وَقِيَامُ رَمَضَانَ، وَرَكْعَتَا الطَّوَافِ، وَصَلاَةُ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ، وَصَلاَةُ الاسْتِسْقَاءِ، وَصَلاَةُ الضُّحَى، وَصَلاَةُ الْعِيدَيْنِ، وَصَلاَةُ الْجَنَائِزِ، فَتَشْتَمِلُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى عَشَرَةِ فُصُولٍ[1]:

---

(١) [ذكر المؤلف أنها عشرة فصول، ولكن عند التفصيل جعلها تسعة فصول، حيث جمع بين ركعتي الفجر والمغرب فجعلهما في فصل واحد؛ وهو "الفصل الثاني"].

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

# فِي صَلاَةِ الْوِتْرِ

**وَفِيهَا أَرْبَعُ مَسَائِلَ:**

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى فِي حُكْمِهِ:** وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا إِلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "الْمَغْرِبُ وِتْرُ النَّهَارِ، فَأَوْتِرُوا صَلاَةَ اللَّيْلِ"(١)، وَبِقَوْلِهِ: "إِنَّ اللهَ زَادَكُمْ صَلاَةً سَادِسَةً... الْحَدِيث"(٢)، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ رحمه الله، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ، وَأَنَّ الْفَرْضَ مَقْصُورٌ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ"(٣)، وَقَوْلِهِ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: "أَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ"(٤) فِي أَمْثَالِهَا، وَهِيَ أَيْضًا لاَ تُصَلَّى جَمَاعَةً، وَلاَ لَهَا فِي الْمَكْتُوبَاتِ نَظَائِرُ وَلاَ وَقْتٌ مُرَتَّبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ تَوَابِعِ الصَّلاَةِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الْمَدَنِيُّ وَالشَّافِعِيُّ.

**وَفَائِدَةُ الْخِلاَفِ:** هَلْ يُكَفَّرُ تَارِكُ الْوِتْرِ وَتَلْزَمُهُ الْكَفَّارَةُ أَمْ لاَ؟ وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه النسائي: السنن الكبرى، الأمر بالوتر، ر١٣٨٢].

(٢) [رواه الربيع، كتاب الصلاة ووجوبها، باب في فَرْض الصَّلاة في الْحضر وَالسفر، ر١٩٢].

(٣) [رواه الربيع، كتاب الصلاة، باب في فرض الصلاة في الحضر والسفر، ر١٨٩].

(٤) [رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ر١٣٣١].

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي صِفَتِهِ:** وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: هِيَ سَبْعُ رَكَعَاتٍ، وَقِيلَ: خَمْسٌ، وَقِيلَ: ثَلاَثٌ، وَقِيلَ: وَاحِدَةٌ[١]، وَبِهَذَا يَقُولُ أَصْحَابُنَا، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا أَنْ يُصَلَّى ثَلاَثًا يَفْصِلُ بَيْنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَالرَّكْعَةِ بِالتَّسْلِيمِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ.

وَالنَّظَرُ فِيهِ: هَلْ مِنْ شَرْطِ الْوِتْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَهُ شَفْعٌ أَمْ لاَ؟ فَيُشْبِهُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ مِنْ شُرُوطِهِ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى حَتَّى إِذَا خَافَ الْفَجْرَ أَوْتَرَ بِوَاحِدَةٍ[٢]، وَيُشْبِهُ أَنْ يُقَالَ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ شَرْطِهِ؛ لأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ ﷺ يُصَلِّي مَثْنَى مَثْنَى حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى الْوِتْرِ أَيْقَظَ عَائِشَةَ ﷺ فَأَوْتَرَتْ مَعَهُ[٣]. فَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهَا أَوْتَرَتْ مِنْ غَيْرِ شَفْعٍ مُتَقَدِّمٍ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَصْحَابُنَا أَنَّ مَنْ أَوْتَرَ بَعْدَ الْعَتَمَةِ بِرَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ أَجْزَأَهُ، لِمَا رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ "أَنَّهُ أَوْتَرَ بِوَاحِدَةٍ لِيُرِيَ أَصْحَابَهُ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لَهُمْ، فَقَالَ: هَذَا وِتْرُ الْعَاجِزِ"[٤]. وَكَذَلِكَ بَلَغَنَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْحَهُ مِنْ أَيْنَ عَرَفَ هَذَا لاَ أُمَّ لَهُ؟!، أَمَا إِذَا عَرَفَ هَذَا فَلاَ يَزِيدُ عَلَى رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمُسْتَحَبَّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنْ يُصَلِّيَ الْوِتْرَ ثَلاَثًا، إِنْ شَاءَ فَصَلَ بَيْنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَالرَّكْعَةِ بِالتَّسْلِيمِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْصِلْ، إِلاَّ مَنْ كَانَ لَهُ عُذْرُ خَوْفٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ شُغُلٍ، فَإِنِ اقْتَصَرَ عَلَى وَاحِدَةٍ أَجْزَأَهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْتَرَ بِثَلاَثٍ، فَقَرَأَ فِي الأُولَى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَفِي الثَّانِيَةِ

---

(١) وَالْحَقُّ التَّخْيِيرُ لِحَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلاَثٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ". [رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب كم الوتر، ر١٤٢٢].

(٢) [رواه البخاري، باب الحلق والجلوس في المسجد، ر٤٦١].

(٣) [روى المصنف حديثين في حديث واحد، الأول: هو نفس الحديث السابق. والثاني: عن عائشة قالت: "كان النبي صلى الله عليه و سلم يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت"، (رواه البخاري، باب إيقاظ النبي صلى الله عليه وسلم أهله بالوتر، ر٩٥٢)].

(٤) [انظر: بيان الشرع للكندي، ١٤/ ٢٠].

بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّالِثَةِ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ[١]، وَفِي حَدِيثٍ أَيْضًا أَنَّهُ لاَ يُسَلِّمُ إِلاَّ فِي آخِرِهِنَّ[٢]، وَقِيلَ عَنْهُ أَيْضًا: إِنَّهُ يُوَاظِبُ فِي الْوِتْرِ عَلَى رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ[٣].

وَلاَ بَأْسَ أَنْ تُصَلَّى النَّوَافِلُ بَعْدَ الْوِتْرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ فِي وَقْتِهِ:** وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنَّ وَقْتَهُ مِنْ بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ صَلاَتِهِ بَعْدَ الْفَجْرِ، فَقَوْمٌ مَنَعُوا ذَلِكَ، وَقَوْمٌ أَجَازُوهُ مَا لَمْ يُصَلِّ الْفَجْرَ، وَالْمُسْتَحَبُّ لِمَنْ يَعْتَادُ الْقِيَامَ فِي اللَّيْلِ أَنْ يُؤَخِّرَ الْوِتْرَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ، وَإِنْ صَلَّى أَوَّلَ اللَّيْلِ فَلاَ بَأْسَ، وَتُجْزِئُ فِي قِرَاءَةِ الْوِتْرِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ مَعَ أَيِّ سُورَةٍ اتَّفَقَتْ، لَكِنِ الْمُسْتَحَبُّ مَا شَرَعَهُ أَصْحَابُنَا فِيهِ[٤] مِنْ قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَخَوَاتِمِ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ فِي قَضَائِهِ بَعْدَ الْفَجْرِ:** هَلْ يَجُوزُ أَمْ لاَ؟ فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَبِهِ قَالَ طَاوُسٌ، وَبَعْضُهُمْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَبِهِ قَالَ الأَوْزَاعِيُّ، وَبَعْضُهُمْ يُقْضَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وَسَبَبُ التَّنَازُعِ: اخْتِلاَفُهُمْ فِي تَأْكِيدِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ دَرَجَةِ الْفَرْضِ، فَمَنْ رَآهُ أَقْرَبَ أَوْجَبَ الْقَضَاءَ فِي زَمَانٍ أَبْعَدَ مِنَ الزَّمَانِ الْمُخْتَصِّ بِهِ، وَمَنْ رَآهُ أَبْعَدَ أَوْجَبَ

(١) [رواه النسائي، ذكر اختلاف الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر، ر١٦٩٩].

(٢) [رواه النسائي، ذكر اختلاف الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر، ر١٧٠١].

(٣) [رواه مسلم، باب صَلاَةِ اللَّيْلِ وَعَدَدِ رَكَعَاتِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ الْوِتْرَ رَكْعَةٌ، وَأَنَّ الرَّكْعَةَ صَلاَةٌ صَحِيحَةٌ، ر١٧٥٢].

(٤) يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا التَّشْرِيعَ مُجَرَّدُ اسْتِحْسَانٍ مِنَ الأَصْحَابِ، وَلاَ يُقْبَلُ هَذَا الاسْتِحْسَانُ إِلاَّ إِذَا كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَى دَلِيلٍ نَقْلِيٍّ، وَإِلاَّ فَقِرَاءَةُ مَا ثَبَتَ عَنِ الرَّسُولِ أَوْلَى وَأَحَبُّ، وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ إِلْزَامَ النَّاسِ بِتَرْتِيبٍ وَضْعِيٍّ فِي بَابِ الْعِبَادَةِ تَشْرِيعٌ، وَلاَ تَشْرِيعَ فِيهَا إِلاَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. اهـ مُصَحِّحه.

الْقَضَاءَ فِي زَمَانٍ أَقْرَبَ، وَمَنْ رَآهُ سُنَّةً كَسَائِرِ السُّنَنِ ضَعُفَ عِنْدَهُ الْقَضَاءُ؛ إِذِ الْقَضَاءُ إِنَّمَا يَجِبُ فِي الْوَاجِبَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ[1].

(١) لَكِنْ وَرَدَ فِي الْوِتْرِ الْقَضَاءُ، لِقَوْلِهِ ﷺ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: "مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إِذَا ذَكَرَهُ". [رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الدعاء بعد الوتر، ر١٤٣١]. وَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الأَصْحَابُ مِنْ أَنَّ الْوِتْرَ سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ. اهـ مُصَحّحه.

## الفَصْلُ الثَّانِي

# فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ

**وَفِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ:**

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى فِي حُكْمِهِمَا:** وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُمَا سُنَّةٌ، وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَإِنَّمَا اتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ لِمُعَاهَدَتِهِ ﷺ إِيَّاهُمَا أَكْثَرَ مِنْهُ عَلَى سَائِرِ النَّوَافِلِ، وَلِرَغْبَتِهِ فِيهَا؛ وَلأَنَّهُ قَضَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حِينَ نَامَ عَنِ الصَّلاَةِ[1]، وَلِمَا رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا سَأَلَهُ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾[2]، فَقَالَ: "**هُمَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ**"، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾[3]، فَقَالَ: "**رَكْعَتَا الْمَغْرِبِ**"[4]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي وَقْتِهِمَا:** فَرَكْعَتَا الْفَجْرِ وَقْتُهُمَا إِذَا انْفَجَرَ الصُّبْحُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلاَّ رَكْعَتَا الصُّبْحِ**"[5]، وَوَقْتُ رَكْعَتَيِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ، وَقَالَ مَنْ قَالَ: وَقْتُ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ حِينَ يَدْخُلُ النِّصْفُ الأَخِيرُ

(١) [رواه أبو داود، باب من نام عن الصلاة أو نسيها، ر٤٤٤].

(٢) الطُّور: ٤٩.

(٣) ق: ٤٠.

(٤) [رواه ابن أبي شيبة، في إدبار السجود وإدبار النجوم، ر٨٧٥٣].

(٥) [رواه الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء لا صلاة بعد طلوع الفجر إلا ركعتين، ر٤١٩].

مِنَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلاَّهُمَا ثُمَّ نَامَ فَعَلَيْهِ إِعَادَتُهُمَا، وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ عَلَى الْقَوْلِ الأَوَّلِ فَصَلاَّهُمَا فَلْيُعِدْهُمَا، وَلاَ يُسْتَحَبُّ الْكَلاَمُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْفَرِيضَةِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ فِيمَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِيهِمَا:** فَاسْتَحَبَّ أَصْحَابُنَا فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ مَعَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، لِثُبُوتِ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِمَا ذَكَرْنَا"[1]، وَيُسْتَحَبُّ التَّخْفِيفُ فِيهِمَا، لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُخَفِّفُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِيمَنْ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ الْمَكْتُوبَةُ قَبْلَ أَنْ يَرْكَعَهُمَا،** أَوْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ الإِمَامَ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ فَلْيَدْخُلْ مَعَ الإِمَامِ وَلاَ يُصَلِّيهِمَا فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنْ لَمْ يَدْخُلِ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْهُمَا خَارِجًا مِنْهُ مَا لَمْ يَخَفْ فَوَاتَ رَكْعَةٍ مِنَ الصَّلاَةِ، وَإِنْ خَافَ فَلْيَدْخُلْ مَعَ الإِمَامِ، ثُمَّ يُصَلِّيهِمَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ[3]، وَقَالَ بَعْضٌ: يَرْكَعُهُمَا خَارِجًا مَا لَمْ يَخَفْ فَوَاتَ الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الصُّبْحِ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ يُصَلِّيهِمَا دَاخِلَ الْمَسْجِدِ وَلاَ خَارِجَهُ.

---

(١) [رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي الفجر...، ر١٧٢٣]. لاَ يُوجَدُ تَكْرِيرُ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِيمَا اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ، بَلْ وَرَدَ مُطْلَقًا بِلاَ ذِكْرِ الْعَدَدِ.

(٢) لِحَدِيثِ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: "كَانَ ﷺ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصُّبْحِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ". [رواه الربيع، باب في سبحة الضحى وتبردة الصلاة، ر١٩٩].

(٣) [لقوله ﷺ: "مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَذَلِكَ وَقْتُهَا". (سبق تخريجه)].

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: تَنَازُعُهُمْ فِي مَفْهُومِ قَوْلِهِ ﷺ: "**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةُ**"(١)، فَمَنْ حَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى عُمُومِهِ لَمْ يُجِزْ رُكُوعَهُمَا إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ وَلاَ خَارِجَهُ، وَمَنْ قَصَرَهُ عَلَى الْمَسْجِدِ فَقَطْ فَقَدْ أَجَازَ ذَلِكَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ مَا لَمْ تَفُتْهُ الْفَرِيضَةُ أَوْ رَكْعَةٌ مِنْهَا، فَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ الْعُمُومِ فَالْعِلَّةُ فِي النَّهْيِ عِنْدَهُ إِنَّمَا هُوَ الاشْتِغَالُ بِالنَّفْلِ عَنِ الْفَرْضِ، وَمَنْ قَصَرَ ذَلِكَ عَلَى الْمَسْجِدِ فَالْعِلَّةُ عِنْدَهُ لِئَلاَّ تَكُونَ الصَّلاَتَانِ مَعًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ فِي قَضَائِهِمَا**: إِذَا فَاتَتَا حَتَّى صَلَّى الصُّبْحَ، فَقَالَ مَنْ قَالَ: يَقْضِيهِمَا بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَطَاءٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَقَالَ قَوْمٌ: يَقْضِيهِمَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقَطْ، وَقَالَ مَنْ قَالَ: مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الزَّوَالِ، وَالأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: "مَنْ فَاتَتْهُ رَكْعَتَا الْفَجْرِ فَلْيُصَلِّهِمَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ"(٢).

---

(١) [رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن...، ر١٦٧٨].

(٢) تَقَدَّمَ.

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# فِي قِيَامِ رَمَضَانَ

وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مُرَغَّبٌ فِيهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: "**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**"(١)، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُخْتَارِ مِنْ عَدَدِ الرَّكَعَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا النَّاسُ فِي رَمَضَانَ، فَاخْتَارَ بَعْضُهُمُ الْقِيَامَ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً سِوَى الْوِتْرِ، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَحِبُّ الْقِيَامَ بِستٍّ وَثَلَاثِينَ رَكْعَةً، وَالْوِتْرَ بِثَلَاثٍ. وَالْعَمَلُ الْمُسْتَقِرُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْقِيَامُ بِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً مَا خَلَا الْوِتْرَ وَرَكْعَتَيْهِ.

**وَأَحْسَبُ أَنَّ سَبَبَ الْخِلَافِ فِي هَذَا**: اخْتِلَافُ الأَحَادِيثِ الْمَنْقُولَةِ فِيهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ قَالَ لأَصْحَابِهِ: "هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ وَلَمْ يُفْتَرَضْ قِيَامُهُ"(٢)، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَهُ وُحْدَانًا؛ مِنْهُمْ مَنْ يَقُومُ فِي بَيْتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُومُهُ فِي الْمَسْجِدِ، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ وَرَغْبَتِهِ فِي الْقِيَامِ، فَكَانَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ وَخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرٍ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ، فَبَلَغَنَا أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَرَأَى النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ أَوْزَاعًا مُتَفَرِّقِينَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ وَحْدَهُ، وَآخَرُ يُصَلِّي بِصَلَاةِ

(١) [رواه الربيع، باب في فضل رمضان، ر٣٢٧].

(٢) [رواه ابن ماجه، باب ما جاء في قيام شهر رمضان، ر١٣٢٨].

الرَّهْطِ، قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ لأَرَى أَنِّي لَوْ جَمَعْتُ النَّاسَ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجَ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ فَقَالَ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا، يَعْنِي الصَّلاَةَ آخِرَ اللَّيْلِ[1]. وَبَلَغَنَا أَنَّ عُمَرَ ضَمَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ بِإِحْدَى وَعِشْرِينَ رَكْعَةً بِالْوِتْرِ، فَكَانَا يُطِيلاَنِ الْقِيَامَ وَالْقِرَاءَةَ، فَكَانَ الْقَارِئُ مِنْهُمَا يَقْرَأُ بِالْمِائَتَيْنِ، حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، وَمَا كَانُوا يَنْصَرِفُونَ إِلاَّ فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ[2]، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ طُولُ الْقِيَامِ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَأَمَرَ الْقَارِئَيْنِ أَنْ يُخَفِّفَا مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، وَيَزِيدُوا فِي عَدَدِ الرُّكُوعِ فَفَعَلاَ، فَكَانَا يَقُومَانِ بِثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً، فَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْبَقَرَةِ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، فَإِذَا قَرَأَهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، رَأَى النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ، وَلَقَدْ كَانُوا يَنْصَرِفُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيَسْتَعْجِلُونَ الْخَدَمَ بِالسَّحُورِ مَخَافَةَ الْفَجْرِ، فَكَانَ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْفِطْرِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى النَّاسِ طُولُ الْقِيَامِ شَكَوْا ذَلِكَ أَيْضًا، فَنَقَصُوا مِنْ طُولِ الْقِرَاءَةِ وَزَادُوا فِي عَدَدِ الرُّكُوعِ، حَتَّى أَتَمُّوا سِتًّا وَثَلاَثِينَ رَكْعَةً، وَالْوِتْرَ ثَلاَثَ رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ تِسْعٌ وَثَلاَثُونَ رَكْعَةً بِالْوِتْرِ سِوَى الْعَتَمَةِ، فَصَارَ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَبَلَغَنَا أَنَّ أَهْلَ عُمَانَ كَانُوا يُصَلُّونَ أَرْبَعِينَ رَكْعَةً غَيْرَ الْعَتَمَةِ وَالْوِتْرِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَى بَعْضُ النَّاسِ، فَأُمِرَ الْقُرَّاءُ فِي رَمَضَانَ أَنْ يَقُومُوا بِذَلِكَ، وَأَنْ يَقْرَءُوا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ عَشْرَ آيَاتٍ، فَاسْتَقَرَّ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَذَلِكَ فِي زَمَانِ مِائَةِ عَامٍ مِنَ التَّارِيخِ، فَهَذَا مَا وَجَدْتُهُ فِي أَثَرِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه البخاري، باب فضل من قام رمضان، ر١٩٠٦].

(٢) [رواه الهندي: كنز العمال، صلاة التراويح، ر٢٣٤٦٥].

## الفَصْلُ الرَّابِعُ

# فِي رَكْعَتَيِ الطَّوَافِ

وَهِيَ سُنَّةٌ أَيْضًا، يُصَلِّيهِمَا الطَّائِفُ بعدَ كُلِّ أُسْبُوعٍ[1] مِنْ طَوَافِهِ خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَوْ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَبِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا، فَمَنْ تَرَكَ رُكُوعَهُمَا فِي الطَّوَافِ الْوَاجِبِ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَلْيَرْكَعْهُمَا مَا دَامَ فِي الْحَرَمِ، وَإِنْ خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ وَلَمْ يَرْكَعْهُمَا فَلْيَرْكَعْهُمَا حَيْثُ شَاءَ، وَعَلَيْهِ دَمٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [بعد أسبوع من طوافه: أي بعد الطواف بالبيت سبعة أشواط، يقال: طاف بالبيت سبعا، أو أسبوعا (تاج العروس، مادة سبع)].

## الفَصْلُ الخَامِسُ

# فِي صَلاَةِ الْكُسُوفِ

وَقَدِ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ صَلاَةَ كُسُوفِ الشَّمْسِ سُنَّةٌ، وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلاَّهَا وَعَمِلَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ، وَهِيَ رَكْعَتَانِ مِنْ غَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ، يُسْتَحَبُّ فِيهِمَا طُولُ الْقِيَامِ وَالْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، لِمَا ثَبَتَ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ حِينَ مَاتَ وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، فَصَلاَّهَا وَانْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ النَّاسُ: كُسِفَتِ الشَّمْسُ لأَجْلِ مَوْتِ وَلَدِهِ ﷺ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ بَشَرٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ وَتَضَرَّعُوا"، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "وَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاَةِ"[1]، وَيُصَلِّيهَا النَّاسُ حَيْثُ شَاؤُوا فِي الْمَسْجِدِ أَوْ خَارِجًا مِنْهُ، وَرُوِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلاَّهَا بِالنَّاسِ فِي مَسْجِدِهِ[2]، وَتُصَلَّى بِالْجَمَاعَةِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَإِذَا فَرَغَ الإِمَامُ مِنْهَا اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، فَيَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَمَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ مِنَ الصَّلاَةِ فَأَدْرَكَ بَعْضَهَا مَعَ الإِمَامِ فَلْيَقْضِ مَا فَاتَهُ مِنهَا إِذَا سَلَّمَ الإِمَامُ عَلَى حَسَبِ مَا فَاتَهُ، وَلاَ تُصَلَّى فِي الأَوْقَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا، وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ فِي ذَلِكَ كَثْرَةُ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ تَعَالَى حِينَ تَنْجَلِي.

---

(١) [رواه الربيع، باب في صلاة الكسوف، ر١٩٤].

(٢) [رواه البخاري، باب خطبة الإمام في الكسوف، ر٩٩٩].

وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلاَةِ لِخُسُوفِ الْقَمَرِ، فَقِيلَ: تُصَلَّى جَمَاعَةً، وَقِيلَ: تُصَلَّى فُرَادَى، تُصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَسَائِرِ النَّوَافِلِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِذَا انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ أَوِ انْخَسَفَ الْقَمَرُ فَصَلُّوا كَإِحْدَى صَلاَةٍ صَلَّيْتُمُوهَا**"(١)، فَمَنْ فَهِمَ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الأَمْرَ بِالصَّلاَةِ قَالَ: "تُصَلَّى جَمَاعَةً قِيَاسًا عَلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ، وَمَنْ فَهِمَ مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الصَّلاَةِ قَالَ: تُصَلَّى فُرَادَى كَالنَّافِلَةِ؛ لأَنَّهُ قِيلَ: لَمْ يُرْوَ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى فِي خُسُوفِ الْقَمَرِ جَمَاعَةً، مَعَ كَثْرَةِ دَوَرَانِهِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَعُثْمَانَ صَلَّيَا فِي خُسُوفِ الْقَمَرِ جَمَاعَةً.

وَقَدِ اسْتَحَبَّ قَوْمٌ الصَّلاَةَ لِلزَّلْزَلَةِ، وَالرِّيحِ، وَالظُّلْمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، قِيَاسًا عَلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه أبو داود، باب من قال أربع ركعات، ر١١٨٧].

# الفَصْلُ السَّادِسَ عَشَرَ

# فِي صَلاَةِ الاسْتِسْقَاءِ(١)

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْخُرُوجَ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ، وَالدُّعَاءَ إِلَى اللهِ، وَالتَّضَرُّعَ إِلَيْهِ فِي نُزُولِ الْمَطَرِ سُنَّةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلاَةِ فِي الاسْتِسْقَاءِ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا مِنْ سُنَّةِ الاسْتِسْقَاءِ، وَمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ آخَرُونَ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: اخْتِلاَفُ الآثَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي بَعْضِهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ، فَصَنَعَ كَمَا صَنَعَ فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى(٢)، وَقِيلَ: إِنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ، وَرَفَعَ بِيَدَيْهِ، وَاسْتَسْقَى، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ حَوَّلَ ظَهْرَهُ إِلَى النَّاسِ، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ(٣)، وَفِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَسَأَلَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ الاسْتِسْقَاءَ، فَقَالَ: "اللهُمَّ اسْتَقْنَا" مِنْ

---

(١) اسْتِسْقَاءُ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ عَلَى أَنْوَاعٍ، فَالأَوَّلُ: خُرُوجُهُ إِلَى الْمُصَلَّى وَصَلاَتُهُ وَخُطْبَتُهُ، وَالثَّانِي: يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ أَثْنَاءَ الْخُطْبَةِ، وَالثَّالِثُ: اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ، اسْتَقَى مُجَرَّدًا فِي غَيْرِ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ، وَلَمْ يُحْفَظْ لَهُ فِيهِ صَلاَةٌ، الرَّابِعُ: أَنَّهُ اسْتَسْقَى وَهُوَ جَالِسٌ بِالْمَسْجِدِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا اللهَ ﷻ، الْخَامِسُ: أَنَّهُ اسْتَسْقَى عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ، وَهِيَ خَارِجَ بَابِ الْمَسْجِدِ، السَّادِسَةُ: أَنَّهُ اسْتَسْقَى فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَاءِ، وَقَدْ أُغِيثَ ﷺ فِي كُلِّ مَرَّةٍ اسْتَسْقَى فِيهَا. اهـ.

(٢) [رواه أبو داود، باب الاستسقاء، ر١١٦٧، بلفظ: "صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدِ"، والطبراني في الكبير، ر١٠٨١٩].

(٣) [رواه البخاري، باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء، ر٩٧٨].

غَيْرِ صَلاَةٍ[١]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَاسْتَسْقَى فَدَعَا قَائِمًا، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ فَسُقُوا[٢].

وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ الْخُرُوجِ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ، فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ وَقْتَهَا حِينَ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَيْهَا حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ[٣]، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ وَقْتَهَا حِينَ الزَّوَالِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَيْهَا بِثِيَابِ رَثَّةٍ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، مُتَوَاضِعِينَ مُتَخَشِّعِينَ وَجِلِينَ مُتَوَرِّعِينَ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ الْجَانِيَ إِذَا رَأَى مَخَايِلَ الْعُقُوبَةِ الْمُهْلِكَةَ مِنْ مَوْلاَهُ لَمْ يَأْتِهِ رَاجِيًا فِي رَفْعِ الْعُقُوبَةِ، إِلاَّ وَأَمَارَةُ الذُّلِّ بَادِيَةً عَلَيْهِ، وَالْخَوْفُ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، فَإِذَا بَلَغُوا الْمُصَلَّى فَيَنْبَغِي لِلإِمَامِ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ، ثُمَّ إِذَا فَرَغَ خَطَبَهُمْ خُطْبَتَيْنِ، يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَسِيرًا، فَإِذَا فَرَغَ تَحَوَّلَ إِلَى الْقِبْلَةِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَيَجْعَلُ ظُهُورَهُمَا إِلَى السَّمَاءِ وَبُطُونَهُمَا إِلَى الأَرْضِ، وَيَدْعُو كَذَلِكَ مُسْتَقْبِلاً لِلْقِبْلَةِ يَقُولُ: اللهُمَّ أَمَرْتَنَا بِدُعَائِكَ وَوَعَدْتَنَا بِإِجَابَتِكَ، فَقَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا، اللهُمَّ فَامْنُنْ عَلَيْنَا بِمَغْفِرَةِ مَا قَارَفْنَا، وَإِجَابَتِكَ فِي سُقْيَانَا، وَسَعَةِ أَرْزَاقِنَا، وَيَدْعُو النَّاسُ كَذَلِكَ جُلُوسًا مُسْتَقْبِلِينَ لِلْقِبْلَةِ، فَيَدْعُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ.

وَأَمَّا تَحْوِيلُ الرِّدَاءِ فَإِنَّمَا هُوَ تَفَاؤُلٌ بِتَحْوِيلِ الْحَالِ مِنَ الْمحْلِ إِلَى الْخِصْبِ، وَكَيْفِيَّةُ تَحْوِيلِهِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ: أَنْ يَجْعَلَ مَا عَلَى يَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ، وَمَا عَلَى شِمَالِهِ

(١) [رواه ابن ماجه، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، ر١٢٧٠] بلفظ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ لاَ يَتَزَوَّدُ لَهُمْ رَاعٍ، وَلاَ يَخْطِرُ لَهُمْ فَحْلٌ. فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ: "اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا سَرِيعًا طَبَقًا غَدَقًا عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ". ثُمَّ نَزَلَ فَمَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ وَجْهٍ مِنَ الأَوْجُهِ إِلاَّ قَالُوا: قَدْ أُحْيِينَا).

(٢) [رواه البخاري، باب الدعاء في الاستسقاء قائما، ر٩٧٧].

(٣) [رواه أبو داود، باب رفع اليدين في الاستسقاء، ر١١٧٥].

عَلَى يَمِينِهِ، وَلَيْسَ عَلَى الإِمَامِ أَنْ يَرْجِعَ بِوَجْهِهِ إِلَى النَّاسِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُدِيمَ الإِمَامُ وَالنَّاسُ الاسْتِغْفَارَ وَالدُّعَاءَ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ عُمَرَ ﷺ اسْتَسْقَى بِالنَّاسِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الاسْتِغْفَارِ حَتَّى انْصَرَفَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: مَا رَأَيْنَاكَ اسْتَسْقَيْتَ! فَقَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْمَطَرَ[1] لِمَجَادِيحِ[2] السَّمَاءِ الَّتِي بِهَا يُسْتَنْزَلُ الْمَطَرُ، ثُمَّ تَلاَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾[3]، وَقَوْلَهُ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾[4] الآيَةَ[5]، وَيَقُولُ الإِمَامُ: اللهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بِلاَدَكَ الْمَيْتَةَ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى بَعْدَمَا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[6]، قِيلَ: كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَالاسْتِسْقَاءِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ الْغَاشِيَةِ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ بِوَجْهِهِ الْمُبَارَكِ وَقَلَبَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَكَبَّرَ تَكْبِيرَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَسْقِيَ، ثُمَّ قَالَ: "اللهُمَّ اسْقِنَا وَأَغِثْنَا، اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا وَحَيًّا رَبِيعًا وَجِدًا طَبَقًا مُغْدِقًا مُوَنِّقًا عَامًا هَنِيئًا مَرِيئًا سَرِيعًا مَرِيعًا مُرِيعًا وَابِلاً سَائِلاً مُسْبِلاً مجللاً دَيِمًا دَرَرًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ، اللهُمَّ تُحْيِي بِهِ الْبِلاَدَ، وَتُغِيثُ بِهِ الْعِبَادَ، وَتَجْعَلُهُ بَلاَغًا لِلْحَاضِرِ مِنَّا

(١) وَفِي نُسْخَةٍ "الْغَيْثَ".

(٢) ["المجَادِيح: واحِدُها مِجْدَح... والمِجْدَح: نَجْم من النجوم، قِيلَ هو الدَّبَران، وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافِي تَشْبِيهاً بالمِجْدح الذي له ثلاث شُعَب، وهو عند العرب من الأنْواء الدَّالَّة عَلَى المَطر فَجعل الاستِغفار مُشَبَّهاً بالأنواء مُخاطَبَة لهم بما يعرفونه لا قَوْلاً بالأنْواء، وجاء بلفظ الجمْع؛ لأنه أراد الأنْواء جَمِيعَها التي يَزْعُمون أنَّ من شأنِها المَطَر" (النهاية في غريب الأثر، ١/٧٠٠)].

(٣) نُوح: ١٠-١٢.

(٤) هُود: ٣.

(٥) [رواه البيهقي، باب ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء، ر٦٢١٧، دون ذكر الآية الثانية].

(٦) [رواه البخاري، باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء، ر٩٧٨].

وَالْبَادِي، اللهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِنَا زِينَتَهَا، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِنَا سَكَنَهَا، اللهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، فَأَحْيِ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا، وَاسْقِهِ مِمَّا خَلَقْتَ لَنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا[1].

وَقِيلَ: إِنَّمَا قَلَبَ رِدَاءَهُ لِكَيْ يَنْقَلِبَ الْقَحْطُ إِلَى الْخِصْبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَوَّلَ الأَيْسَرَ عَلَى الأَيْمَنِ، وَالأَيْمَنَ عَلَى الأَيْسَرِ.

وَالْغَيْثُ وَالْحَيَا: قَطْرٌ تُحْيِي الأَرْضَ، وَالْجدَا: الَّذِي يَعُمُّهَا، وَالطَّبَقُ: الَّذِي يَطْبِقُهَا، وَالْغَدقُ وَالْمُغْدِقُ: الْكَثِيرُ الْقَطْرِ، وَالْمُونقُ: الْمُعْجِبُ، وَالْمرِيعُ: ذُو الْمَرَاعَةِ وَالْخِصْبِ، وَالْمُرْبِعُ: الَّذِي يُرْبِعُ النَّاسَ عَلَى الانْقِيَادِ، أَيْ يَحْبِسُهُمْ، وَالْوَابِلُ: الْكَثِيرُ الْقَطْرِ، وَالْمجلِلُ: الَّذِي يُجَلِّلُ الأَرْضَ، أَيْ: يَكْسُوهَا بِالْمَاءِ وَالنَّبَاتِ، وَالدُّرَرُ: جَمْعُ دُرَّةِ الْمَطَرِ، وَالرَّائِثُ: الْبَطِيءُ، وَزِينَةُ الأَرْضِ: النَّبَاتُ، وَسَكَنُهَا: قُوتُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلاَ بَأْسَ بِخُرُوجِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ، وَيُكْرَهُ لِلنَّاسِ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجِبَالِ وَالصَّحَارِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ بِالْبُكَاءِ وَالصُّرَاخِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ تَشَبُّهٌ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَيْسَتْ تُطْلَبُ رَحْمَةُ اللهِ بِمِثْلِ إِصَابَةِ السُّنَّةِ، وَلاَ بَأْسَ أَنْ يُسْتَسْقَى فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِرَارًا، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

---

(١) [رواه الطبراني: المعجم الأوسط، ر٧٦١٩].

## الفَصْلُ السَّابِعُ

# فِي صَلاَةِ الضُّحَى

وَهِيَ سُنَّةٌ، قِيلَ: عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهَا قَالَتْ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الضُّحَى فِي بَيْتِي ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ[1].

وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِيهَا مِنَ اثْنَتَيْنِ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَأَقَلُّهَا رَكْعَتَانِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ أَفْضَلُ، وَوَقْتُهَا: مُنْذُ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ إِلَى أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهَارُ، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يُصَلُّونَ عِنْدَ الإِشْرَاقِ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "أَلاَ إِنَّ صَلاَةَ الأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ"[2]، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الأَفْضَلَ فِي الضُّحَى أَنْ تُصَلَّى إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ مِنَ الْحَرِّ، إِذَا كَانَ يَقْتَصِرُ عَلَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ تُصَلَّى الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَانْبِسَاطِهَا وَارْتِفَاعِهَا قَيْدَ رُمْحٍ، وَتُصَلَّى أَرْبَعًا أَوْ سِتًّا أَوْ ثَمَانِيَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ، وَضَحِيَتِ الأَقْدَامُ بِحَرِّ الشَّمْسِ، فَوَقْتُ الرَّكْعَتَيْنِ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[3]، وَوَقْتُ الرَّكَعَاتِ الأَرْبَعِ هُوَ الضُّحَى الأَعْلَى الَّذِي

(١) [رواه الربيع، باب في سبحة الضحى وتبردة الصلاة، ر١٩٧].

(٢) [رواه مسلم، باب صلاة التوابين حين ترمض الفصال، ر١٧٨٢]، ["رمضت: احترقت أخفاف صغار الإبل من شدة حر الرمل. الفصال: جمع الفصيل، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه"].

(٣) ص: ١٨.

أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ﴾ [1]، فَاسْمُ الضُّحَى يَنْطَلِقُ عَلَى الْكُلِّ، وَكَانَ رَكْعَتَا الإِشْرَاقِ تَقَعُ فِي مَبْدَإِ وَقْتِ الصَّلاَةِ وَانْقِطَاعِ الْكَرَاهِيَةِ، إِذْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الضُّحَى: ١.

(٢) [رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس، ر١٤١٩].

## الفَصْلُ الثَّامِنُ

# فِي صَلاَةِ الْعِيدَيْنِ

وَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ مَعْمُولٌ بِهَا عَلَى الْكِفَايَةِ[1] وَأَهْلِ الآفَاقِ، وَعَدَدُهَا رَكْعَتَانِ، وَهِيَ كَسَائِرِ الصَّلَوَاتِ فِي الشَّرَائِطِ وَالْهَيْئَةِ، إِلاَّ فِي زِيَادَةِ التَّكْبِيرِ، وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾[2] أَنَّهَا زَكَاةُ الْفِطْرِ، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[3] أَنَّهَا صَلاَةُ الْعِيدِ، وَكَذَلِكَ قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾[4] أَنَّهَا صَلاَةُ الأَضْحَى، وَالنَّحْرُ بَعْدَهَا، وَيُسْتَحَبُّ الْبُرُوزُ إِلَيْهَا بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، لِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: "أَمَرَنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ حَتَّى الْعَوَاتِقَ مِنَ الْخُدُورِ"[5]، وَيُسْتَحَبُّ التَّأْخِيرُ فِي صَلاَةِ الْفِطْرِ لاشْتِغَالِ النَّاسِ بِالصَّدَقَةِ، وَالتَّعْجِيلُ لِصَلاَةِ الأَضْحَى لِيَرْجِعَ النَّاسُ إِلَى ضَحَايَاهُمْ.

**وَمِنْ سُنَنِهَا**: الْغُسْلُ بَعْدَ الْفَجْرِ، وَالسِّوَاكُ، وَالطِّيبُ، وَاللِّبَاسُ الْحَسَنُ لِلرِّجَالِ، وَأَمَّا الْعَجَائِزُ فَيَخْرُجْنَ فِي ثِيَابِ رَثَّةٍ، وَإِقَامَتُهَا فِي الصَّحْرَاءِ أَفْضَلُ، إِلاَّ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ، وَلَيْسَ لِصَلاَةِ الْعِيدَيْنِ أَذَانٌ وَلاَ إِقَامَةٌ، وَاخْتُلِفَ فِي التَّنَفُّلِ فِيهَا،

(١) يَظْهَرُ أَنَّهُ سَقَطَ مِنَ الْعِبَارَةِ: "عَلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ وَالْقُرَى".
(٢) الأَعْلَى: ١٤ – ١٥.
(٣) الأَعْلَى: ١٤ – ١٥.
(٤) الْكَوْثَر: ٢.
(٥) [رواه البخاري، كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين ويعتزلن المصلى، ر٣٢٤].

فَقِيلَ: يَجُوزُ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ أَنَسٍ وَعُرْوَةَ، وَقِيلَ: لاَ يُتَنَفَّلُ قَبْلَهَا وَلاَ بَعْدَهَا، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِمَا، وَقِيلَ: يُتَنَفَّلُ بَعْدَهَا وَلاَ يُتَنَفَّلُ قَبْلَهَا، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ وَغَيْرِهِ، وَالْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا التَّنَفُّلُ قَبْلَهَا[1]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدِ اسْتَحَبَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُصَلَّى بَعْدَ عِيدِ الْفِطْرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَبَعْدَ الأَضْحَى سِتًّا، وَقِيلَ: هِيَ مِنَ السُّنَّةِ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَصِفَتُهَا**: أَنْ يَتَقَدَّمَ الإِمَامُ مُسْتَقْبِلاً لِلْقِبْلَةِ، فَيَنْوِي فِي ذَلِكَ أَدَاءَ السُّنَّةِ فِي صَلاَةِ الْعِيدِ طَاعَةً لِلهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِمَنْ يُصَلِّي وَرَاءَهُ بِصَلاَتِهِ، فَيُوَجِّهُ وَيُحْرِمُ وَيُكَبِّرُ عَلَى أَثَرِ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَسْتَعِيذُ وَيَقْرَأُ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْمُسْتَحَبِّ مِنَ الْقِرَاءَةِ، فَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ سُورَةَ الأَعْلَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ الْغَاشِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، وَرَوَوْا ذَلِكَ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3]، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ سُورَةَ ق فِي الأُولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ[4]، وَاسْتَحَبَّ أَصْحَابُنَا أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَةِ وَالشَّمْسِ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةِ وَالضُّحَى، وَيَجْهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ، ثُمَّ إِذَا قَرَأَ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَقْرَأُ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ ثَلاَثًا، ثُمَّ يَرْكَعُ بِتَكْبِيرَةٍ، وَيَسْجُدُ وَيَتَشَهَّدُ وَيُسَلِّمُ. فَهَذَا حُكْمُ مَنْ كَبَّرَ فِيهَا بِسَبْعٍ، وَهُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ

---

(١) لاَ تَنَافِيَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ بَيْنَ مَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَ صَلاَةِ الْعِيدِ وَلاَ بَعْدَهَا، وَبَيْنَ الْمَعْمُولِ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا مِنَ التَّنَفُّلِ قَبْلَهَا، فَذَاكَ بِصِفَتِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا بِصِفَتِهِ نَافِلَةٌ؛ لأَنَّ مُطْلَقَ النَّفْلِ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ مَنْعٌ بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، إِلاَّ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي وَقْتِ الْكَرَاهَةِ فِي جَمِيعِ الأَيَّامِ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) وَرَدَ عَنْ سُفيان الثَّوْرِي، [قَالَ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ر٦٢٥، ٢/ ١٢٥]: "لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلاً فِي كَوْنِهِ سُنَّةً، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مَا يُخَالِفُهُ، وَهُوَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلاَ بَعْدَهَا، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي قَوْلِ التَّابِعِيِّ مِنَ السُّنَّةِ كَذَا، وَأَمَّا قَوْلُ تَابِعِي التَّابِعِيِّ كَذَلِكَ كَالثَّوْرِيِّ فَهُوَ مَقْطُوعٌ".

(٣) [رواه مسلم، باب ما يُقرأ في صلاة الجمعة، ر٢٠٦٥].

(٤) [رواه مسلم، باب ما يُقرأ به في صلاة العيدين، ر٢٠٩٦].

أَصْحَابِنَا: أَبِي عُبَيْدَةَ وَغَيْرِهِ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُكَبِّرَ فِيهَا بِتِسْعٍ كَبَّرَ فِي الأُولَى بَعْدَ الإِحْرَامِ بِأَرْبَعٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِخَمْسٍ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُكَبِّرَ بِإِحْدَى عَشْرَةَ كَبَّرَ فِي الأُولَى بَعْدَ الإِحْرَامِ بِسِتٍّ، وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ بِخَمْسٍ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُكَبِّرَ بِثَلاَثَ عَشْرَةَ كَبَّرَ فِي الأُولَى خَمْسًا، وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ خَمْسًا، وَبَعْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ ثَلاَثًا، وَقِيلَ: يُكَبِّرُ فِي الأُولَى بَعْدَ الإِحْرَامِ سِتًّا، وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ سَبْعًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الْمُفْرِدُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ التَّكْبِيرَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَالنَّافِلَةِ، ثُمَّ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قَامَ إِلَى الْخُطْبَةِ مُفْتَتِحًا لَهَا بِسَبْعِ تَكْبِيرَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ إِذَا فَرَغَ مِنَ الْكَلِمَاتِ عَادَ إِلَى التَّكْبِيرِ، ثُمَّ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ بَيْنَهُمَا جَلْسَةٌ، يَذْكُرُ فِي خُطْبَةِ الْفِطْرِ زَكَاةَ الْفِطْرِ وَسُنَنَهَا، وَيَحُضُّ النَّاسَ عَلَى أَدَائِهَا، وَيَذْكُرُ فِي خُطْبَةِ الأَضْحَى الضَّحِيَّةَ وَمَا يُجْزِئُ مِنْهَا.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْغُسْلِ لِلْعِيدَيْنِ وَتَقْدِيمِ الصَّلاَةِ عَلَى الْخُطْبَةِ فِيهِمَا، لِثُبُوتِ ذَلِكَ عَنْهُ ﷺ[1]، وَكَذَلِكَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمُسْتَحَبَّ يَوْمَ الْفِطْرِ أَنْ يُفْطِرُوا قَبْلَ الْغُدُوِّ إِلَى الصَّلاَةِ[2]، وَيَوْمَ الأَضْحَى بَعْدَ الانْصِرَافِ مِنَ الصَّلاَةِ، وَأَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَرْجِعَ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي مَشَى عَلَيْهَا، لِثُبُوتِ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3]، وَأَجْمَعُوا عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّكْبِيرِ بَعْدَهَا فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾[4]، وَبِاللهِ التَّوْفِيق.

---

(١) [رواه البخاري، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر، ر٩١٣].

(٢) [رواه أبو داود، كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، ر٢٣٥٦].

(٣) [رواه البخاري، كتاب العيدين، باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد، ر٩٨٦].

(٤) البَقَرَة: ١٨٥.

# الفَصْلُ التَّاسِعُ

# فِي أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ

وَيَنْحَصِرُ ذَلِكَ فِي سَبْعِ مَسَائِلَ تَجْرِي مَجْرَى الأُمَّهَاتِ.

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى: فِي آدَابِ الْمُحْتَضِرِ**، وَهُوَ أَنْ يُلَقَّنَ الشَّهَادَةَ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ"(١)، وَاخْتَلَفُوا فِي تَوْجِيهِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ، فَرَأَى ذَلِكَ قَوْمٌ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْمَوْتِ، وَعَلاَمَتُهُ: إِحْدَادُ نَظَرِهِ وَإِشْخَاصُ بَصَرِهِ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ عَطَاءٍ وَالنَّخَعِيِّ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالأَوْزَاعِيِّ وَأَهْلِ الشَّامِ، وَكَرِهَ ذَلِكَ آخَرُونَ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، ثُمَّ إِذَا قَضَى غُمِّضَتْ عَيْنَاهُ، وَاسْتُحِبَّ تَعْجِيلُ دَفْنِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**لاَ يَنْبَغِي أَنْ تُحْبَسَ جِيفَةُ مُسْلِمٍ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِهِ إِلاَّ الْغَرِيقَ وَنَحْوَهُ فَإِنَّهُ يُنْتَظَرُ بِهِ**"(٢)، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ قِرَاءَةَ يَس عَلَيْهِ، وَقِيلَ: سُورَةِ الرَّعْدِ؛ لأَنَّهُ قِيلَ: أَهْوَنُ لِقَبْضِ رُوحِهِ وَأَيْسَرُ لِشَأْنِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي غُسْلِهِ**، وَيَتَفَرَّعُ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

**الأَوَّلُ**: فِي حُكْمِ غُسْلِهِ، وَهُوَ سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكِفَايَةِ عِنْدَ الأَكْثَرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**اغْسِلُوا مَوْتَاكُمْ**"(٣).

---

(١) [رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، ر٢١٦٢].

(٢) [رواه الربيع، كتاب الجنائز، باب الكفن والغسل، ر٤٧٦].

(٣) [رواه الربيع، كتاب الجنائز، باب الكفن والغسل، ر٤٧٦].

**الثَّانِي** : فِيمَنْ يَجِبُ غُسْلُهُ مِنَ الْمَوْتَى، وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى غَسْلِ الْمَيِّتِ الْمُقِرِّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مَا لَمْ يُقْتَلْ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي غُسْلِ الشَّهِيدِ الْمَقْتُولِ فِي الْمَعْرَكَةِ فِي حَرْبِ الْكُفَّارِ، فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ لاَ يُغَسَّلُ، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي شُهَدَاءِ أُحُدٍ: "زَمِّلُوهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ وَدِمَائِهِمْ"[1]، وَشَذَّ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، فَقَالاَ: يُغَسَّلُ؛ لأَنَّ كُلَّ مَيِّتٍ يُجْنِبُ. وَاخْتُلِفَ فِي قَتِيلِ اللُّصُوصِ، فَرُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ وَالأَوْزَاعِيِّ أَنَّهُ لاَ يُغَسَّلُ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُغَسَّلُ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَجْدُورِ وَمَنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ، فَقِيلَ: يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ إِذَا خِيفَ أَنْ يَتَهَرَّى لَحْمُهُ، وَقِيلَ: بَلْ يُتَيَمَّمُ لَهُ، وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ.

**وَأَمَّا عَلَى مَنْ يَجِبُ غُسْلُهُ:** فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الرِّجَالَ يُغَسِّلُونَ الرِّجَالَ، وَالنِّسَاءَ يُغَسِّلْنَ النِّسَاءَ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَرْأَةِ تَمُوتُ مَعَ الرِّجَالِ، أَوِ الرَّجُلِ يَمُوتُ مَعَ النِّسَاءِ، فَرُوِيَ عَنِ النَّخَعِيِّ أَنَّهَا تُغَسَّلُ فِي ثِيَابِهَا، وَبِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ، وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَيْهَا الْمَاءُ صَبًّا، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَحَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ وَمَالِكٍ وَأَهْلِ الرَّأْيِ أَنَّهُ يُتَيَمَّمُ لَهَا، وَبِهَذَا يَقُولُ أَصْحَابُنَا.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** هُوَ التَّرْجِيحُ بَيْنَ تَغْلِيبِ النَّهْيِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى بَدَنِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ، وَتَغْلِيبِ الأَمْرِ بِغُسْلِهَا، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّيَمُّمِ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ كِلاَ الْوَجْهَيْنِ، إِذِ الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ لَيْسَا بِعَوْرَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الربيع، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، ر٤٥٩]. وَتَمَامُ الْحَدِيثِ: "فَإِنَّ دِمَاءَهُمْ تَعُودُ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِيمَا وَجَدْتُهُ إِلَى جَوَازِ غَسْلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا، لِثُبُوتِ ذَلِكَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وَجَابِرَ بْنَ زَيْدٍ وَأَبَا مُوسَى قَدْ أَوْصَوْا أَنْ تُغَسِّلَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ[1]، وَاخْتَلَفُوا فِي الزَّوْجِ هَلْ يُغَسِّلُ زَوْجَتَهُ، فَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى إِجَازَةِ ذَلِكَ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَأَبُو حَنِيفَةَ إِلَى مَنْعِهِ.

**وَسَبَبُ الْخِلَافِ:** تَشْبِيهُ الْمَوْتِ بِالطَّلَاقِ الْبَائِنِ، فَمَنْ شَبَّهَهُ بِهِ رَأَى أَنَّ الْعِصْمَةَ قَدِ انْقَطَعَتْ بَيْنَهُمَا، إِذَا كَانَ يَجُوزُ لَهُ تَزَوُّجُ أُخْتِهَا، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ عِلَّةَ الْجَمْعِ مُرْتَفِعَةٌ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ أَجَازَ غَسْلَهَا[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ تُغَسِّلُ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ، وَاخْتَلَفُوا فِي سِنِّهِ، فَقِيلَ عَنِ الْحَسَنِ: تُغَسِّلُ الْفَطِيمَ أَوْ فَوْقَهُ بِشَيْءٍ، وَقِيلَ: ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ، وَعَنِ الأَوْزَاعِيِّ ابْنَ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ، وَأَمَّا الطِّفْلَةُ فَلاَ يُغَسِّلُهَا الرَّجُلُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ، صَغِيرَةً كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةً، وَقَالَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ: تُغَسِّلُ الْمَرْأَةُ الطِّفْلَ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَيُغَسِّلُ الرَّجُلُ الصَّغِيرَةَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي كَيْفِيَّةِ غُسْلِهِ،** فَفِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ تُحْفَرُ حُفْرَةٌ، وَيُوضَعُ عَلَيْهَا بَابٌ وَأَعْوَادٌ، فَتُفْرَشُ الْحَصِيرَةُ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ تُبَلَّ بِالْمَاءِ، وَيُعْمَلُ عَلَيْهَا مُسْتَحَمٌّ بِحِجَارَةٍ عَرِيضَةٍ، ثُمَّ يَلِفُّ الْغَاسِلُ يَدَهُ إِلَى الرُّسْغِ، وَيَقْعُدُ الرَّجُلُ خَلْفَ الْمَيِّتِ يَرْفَعُهُ عَلَى الْمُسْتَحَمِّ قَلِيلاً، وَيَنْزِعُ ثَوْبَ الْمَيِّتِ بَعْدَ أَنْ تُوضَعَ عَلَيْهِ خِرْقَةٌ تَسْتُرُهُ مِنَ الرُّكْبَةِ إِلَى السُّرَّةِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ سُتْرَةٌ، ثُمَّ أُخْرَى

---

(١) وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ ﵂: "لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ النَّبِيَّ ﷺ إِلاَّ نِسَاؤُهُ". [رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب في ستر الميت عند غسله، ر٣١٤١].

(٢) الْجُمْهُورُ عَلَى الْجَوَازِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ، لِمَا رُوِيَ مِنْ غَسْلِ عَلِيٍّ فَاطِمَةَ ﵂، [رواه البيهقي، باب الرجل يغسل امرأته إذا ماتت، ر٦٤٥٣]، وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ ﵂: "لَوْ مُتِّ قَبْلِي لَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ". [رواه ابن ماجه، باب ما جاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها، ر١٥٣٢].

بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُمْسِكُ السُّتْرَةَ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ، وَآخَرُ يَسْنِدُهُ مِنْ خَلْفِهِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَآخَرُ يَصُبُّ الْمَاءَ، فَيَقْعُدُ الْغَاسِلُ حَيْثُ أَمْكَنَهُ غَسْلُ الْمَيِّتِ، فَيَبْدَأُ بِغَسْلِ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَسْتَنْجِي لَهُ بِيَدِهِ الْمَلْفُوفَةِ مِنَ السُّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ لَهُ، ثُمَّ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ فَيُضْجِعُ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ فَيُغْسَلُ، ثُمَّ عَلَى شِقِّهِ الأَيْسَرِ فَيُغْسَلُ[1]، وَيُمِرُّ الْمَاءَ مَعَ الْيَدِ عَلَى جَمِيعِ أَعْضَائِهِ وَجَسَدِهِ مَعَ الدَّلْكِ، وَيَبْدَأُ بِمَيَامِنِهِ قَبْلَ مَيَاسِرِهِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُغَسَّلَ ثَلاَثًا، وَالْوَاحِدَةُ تُجْزِئُ.

وَفِي حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلنِّسْوَةِ لَمَّا تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ[2] ﷺ: "اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَاغْسِلْنَهَا بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي"، فَقَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ: فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَلْقَى إِلَيْنَا حَقْوَهُ وَقَالَ: "أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ"[3]، وَفِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا لَمْ يَنْقَطِعْ بَلَلُهُ، أَوْ كَانَ مَفْتُوحَ الْفَمِ أَوِ الْعَيْنَيْنِ، أَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِ قُرَادَةٌ مَنْجُوسَةٌ لاَ يُمْكِنُ نَزْعُهَا، وَبِالْجُمْلَةِ كُلُّ مَا يَمْنَعُهُ الْغُسْلَ فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ يُتَيَمَّمُ لَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَلاَ يَجُوزُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الأَخْذُ مِنْ شَعْرِ الْمَيِّتِ، وَلاَ أَظْفَارِهِ، وَلاَ يُعْصَرُ بَطْنُهُ، أَيْ: عَصْرًا قَوِيًّا، وَلاَ يُشَقُّ بَطْنُ حَامِلَةٍ[4].

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي التَّوْقِيتِ فِي غُسْلِهِ، فَاعْتَبَرَ بَعْضُهُمْ فِيهِ الْوِتْرَ ثَلاَثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا، وَلَمْ يَعْتَبِرْ بَعْضُهُمْ فِيهِ إِلاَّ الإِنْقَاءَ وَالتَّنْظِيفَ، وَأَنَّ الْوَاحِدَةَ تَكْفِي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الظَّاهِرُ: عَلَى جَنْبِهِ الأَيْسَرِ، فَيُغَسَّلُ ثُمَّ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ فَيُغَسَّلُ. تَأَمَّلْ.

(٢) زَيْنَب ﷺ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. [باب في غسل الميت، ر٢٢١٦]

(٣) [رواه الربيع، باب الكفن والغسل، ر٤٧٥]، [(فآذنني): من الإيذان وهو الإعلام، (حقوه): إزاره، (أشعرنها): أي اجعلنه شعارا، وهو الثوب الذي يلي الجسد].

(٤) قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا مَاتَتْ وَفِي بَطْنِهَا جَنِينٌ حَيٌّ وَجَبَ شَقُّ بَطْنِهَا لإِخْرَاجِ الْجَنِينِ، إِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ مَرْجُوَّةً، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ الأَطِبَّاءِ الثِّقَاتِ.

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي تَكْفِينِهِ**، وَهُوَ وَاجِبٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**كَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ**"(١)، وَالْمُسْتَحَبُّ فِي لَوْنِ الْكَفَنِ الْبَيَاضُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**عَلَيْكُمْ بِالثِّيَابِ الْبِيضِ أَلْبِسُوهَا أَحْيَاءَكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**"(٢)، وَأَمَّا جِنْسُهُ: فَالْكِتَّانُ وَالْقُطْنُ وَكُلُّ مَلْبُوسٍ جَائِزٌ لِبَاسُهُ فِي حَالِ الْحَيَاةِ، وَلاَ يُكَفَّنُ فِي الْحَرِيرِ إِلاَّ إِذَا لَمْ يُوجَدْ غَيْرُهُ، وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ تَحْسِينَ الْكَفَنِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ**"(٣)، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: لاَ تُغَالُوا فِي كَفَنِي، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ "**كُفِّنَ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سُحُولِيَّةٍ يَمَانِيَةٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ، وَأُدْرِجَ فِيهَا إِدْرَاجًا**"(٤)، وَعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كُفِّنَ فِي ثَلاَثَةٍ أَيْضًا، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَحَبُّ الأَكْفَانِ مَا كُفِّنَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَيُجْزِئُ مَا كُفِّنَ فِيهِ مِنْ ثَوْبٍ أَوْ ثَوْبَيْنِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ كُفِّنَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي خُمْرَةٍ، فَكَانَ إِذَا غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلاَهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ**"(٥)، وَأَقَلُّ مَا يُجْزِئُ ثَوْبٌ سَاتِرٌ لِجَمِيعِ الْجَسَدِ، وَلَكِنَّ الْمُسْتَحَبَّ فِي كَفَنِ الرَّجُلِ ثَلاَثَةُ أَثْوَابٍ.

اخْتُلِفَ فِي كَفَنِ الْمَرْأَةِ، فَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ اسْتَحَبُّوا فِيهِ خَمْسَةَ أَثْوَابٍ: دِرْعٍ وَخِمَارٍ، وَلِفَافَتَيْنِ، وَثَوْبٍ لَطِيفٍ لِيُشَدَّ عَلَى وَسَطِهَا يُجْمَعُ بِهَا ثِيَابُهَا،

(١) [رواه البخاري، كتاب أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب المحرم يموت بعرفة...، ر١٨٤٩]. وَالثَّوْبَانِ هُمَا الإِزَارُ وَالرِّدَاءُ.

(٢) [رواه الربيع، كتاب الجنائز، باب الكفن والغسل، ر٤٧١].

(٣) [رواه مسلم، عن جابر بن عبد الله بلفظه، كتاب الجنائز، باب في تحسين كفن الميت، ر٢٢٢٨، بلفظ: "إذا كفن أحدكم..."].

(٤) [رواه الربيع، باب الكفن والغسل، ر٤٧٤، " قال الربيع: السحولية ثياب من موضع يسمى سحولا، وهو موضع بأرض اليمن"]

(٥) [رواه البخاري، باب غزوة أحد، ر٣٨٢١]. وَالإِذْخِرُ: حَشِيشَةٌ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ تُسَقَّفُ بِهَا الْبُيُوتُ فَوْقَ الْخَشَبِ.

وَقِيلَ: يُجْزِئُ دِرْعٌ وَخِمَارٌ، وَلِفَاقَةٌ تُدْرَجُ فِيهَا، وَيُجْزِئُ فِي كَفَنِ الصَّبِيِّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ أَوْ إِزَارٌ أَوْ خِرْقَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَجْمَعُوا عَلَى تَغْطِيَةِ رَأْسِ الْمَيِّتِ مَا خَلاَ الْمُحْرِمَ، فَإِنَّ السُّنَّةَ فِيهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**يُغَسَّلُ الْمُحْرِمُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَيُكَفَّنُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلاَ يَمَسُّ طِيبًا، وَلاَ يُخَمَّرُ رَأْسُهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ مُلَبِّيًا**"[1]، وَيُكْشَفُ رَأْسُ الْمُحْرِمِ مِنَ الْكَفَنِ وَوَجْهُ الْمُحْرِمَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلاَ يُكَفَّنُ الْمَيِّتُ فِي الثَّوْبِ الْمَنْجُوسِ، وَلاَ فِي جَمِيعِ مَا لاَ يُصَلَّى بِهِ مِنَ الْجُلُودِ وَغَيْرِهَا، إِلاَّ فِي حَالِ الاضْطِرَارِ.

وَأَجْمَعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْكَفَنَ إِنَّمَا يُخْرَجُ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ قَبْلَ الدَّيْنِ وَالْوَصِيَّةِ، وَمَنْ لاَ مَالَ لَهُ فَلْيُكَفَّنْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَكَفَنُهُ عَلَى كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُبَخَّرَ الْمَيِّتُ بَعُودٍ إِنْ تَيَسَّرَ، ثُمَّ يُلَفُّ الْكَفَنُ عَلَيْهِ، وَيُشَدُّ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ، وَقِيلَ: يُخَاطُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: فِي صِفَةِ الْمَشْيِ مَعَ الْجَنَازَةِ وَاتِّبَاعِهَا،** وَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِعِيَادَةِ الْمَرْضَى وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَاخْتَلَفُوا فِي حَمْلِهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مُؤَقَّتٌ تُحْمَلُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ حَامِلُهَا، وَيُسْرِعُ بِهَا، لِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "**أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ**"[2]، وَقِيلَ: يَرْفُقُ بِهَا، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي جَنَازَةِ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: "لاَ تُزَلْزِلُوا وَارْفُقُوا، فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ"، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) [رواه الربيع، كتاب الحج، باب في غسل المحرم، ر٤٠٣-٤٠٤].

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُنْ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ**" [رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة، ر١٣١٥]. وَالإِسْرَاعُ هُنَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: الإِسْرَاعُ بِالْجَنَازَةِ فِي السَّيْرِ بِهَا إِلَى مَقَرِّهَا الأَخِيرِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقِيلَ: الإِسْرَاعُ أَنْ لاَ يُتَبَاطَأَ بِالْمَيِّتِ عَنِ الدَّفْنِ.

وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمُ الْمَشْيَ خَلْفَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَمَامَهَا، وَرَوَوْا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ**"(١)، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الرَّاكِبَ فِيهَا كَالْجَالِسِ فِي أَهْلِهِ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ لِلْمَاشِي فِيهَا قِرَاطَيْنِ، وَلِلرَّاكِبِ قِيرَاطًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلاَ يَنْبَغِي لِلنِّسَاءِ أَنْ يَتْبَعْنَ الْجَنَازَةَ، لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِطَرْدِ امْرَأَةٍ رَآهَا فِي الْجَنَازَةِ، فَطُرِدَتْ حَتَّى لَمْ يَرَهَا(٢)، وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لِنِسَاءٍ رَآهُنَّ فِي جَنَازَةٍ: "**أَتَحْمِلْنَهُ فِيمَنْ يَحْمِلُهُ؟**" قُلْنَ: لاَ، فَقَالَ: "**أَفَتُدْخِلْنَهُ فِي قَبْرِهِ مَعَ مَنْ يُدْخِلُهُ؟**" فَقُلْنَ: لاَ، قَالَ: "**أَفَتَحْثِينَ عَلَيْهِ فِيمَنْ يَحْثِي؟**" قُلْنَ: لاَ، قَالَ: "**فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ**"(٣)، وَقِيلَ: كَانَ مَسْرُوقٌ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِنَّ التُّرَابَ وَيَطْرُدُهُنَّ، فَإِنْ لَمْ يَرْجِعْنَ وَإِلاَّ رَجَعَ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَطْرُدُهُنَّ، فَإِذَا لَمْ يَرْجِعْنَ لَمْ يَرْجِعْ، وَيَقُولُ: لاَ نَدَعُ حَقًّا لِبَاطِلٍ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَيْسَ لِلنِّسَاءِ فِي الْجَنَازَةِ نَصِيبٌ.

---

(١) [رواه الترمذي، باب ما جاء في الصلاة على الأطفال، ر١٠٣١].

(٢) الَّذِي أَبْصَرَ الْمَرْأَةَ هُوَ عُمَرُ لاَ النَّبِيُّ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "**إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي جَنَازَةٍ، فَرَأَى عُمَرُ امْرَأَةً فَصَاحَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: دَعْهَا يَا عُمَرُ، فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ، وَالنَّفْسَ مُصَابَةٌ، وَالْعَهْدَ قَرِيبٌ**". [رواه النسائي، باب الرخصة في البكاء على الميت، ر١٨٥٩]. نَعَمْ يُكْرَهُ اتِّبَاعُ النِّسَاءِ الْجَنَازَةَ، لِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: "نُهِينَا أَنْ نَتْبَعَ الْجَنَائِزَ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا". [رواه البخاري، باب اتباع النساء الجنائز، ر١٢١٩].

(٣) [رواه ابن ماجه، باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز، ر١٥٧٨] بلفظ: "عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: "خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا نِسْوَةٌ جُلُوسٌ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُنَّ؟ قُلْنَ: نَنْتَظِرُ الْجَنَازَةَ. فَقَالَ: هَلْ تُغَسِّلْنَ؟ قُلْنَ: لاَ. قَالَ: هَلْ تَحْمِلْنَ؟ قُلْنَ: لاَ. قَالَ: هَلْ تُدْلِينَ فِيمَنْ يُدْلِي؟ قُلْنَ: لاَ. قَالَ: فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ".

وَيُسْتَحَبُّ خَفْضُ الصَّوْتِ فِي الْجَنَازَةِ، وَأَنْ لاَ يَجْلِسَ حَتَّى تُوضَعَ عَنْ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ[1]، وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَكْرَهُونَ رَفْعَ الصَّوْتِ فِي الْجَنَازَةِ، وَعِنْدَ الْقِتَالِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: فِي الصَّلاَةِ عَلَى الْمَيِّتِ**، وَفِيهَا ثَلاَثَةُ مباحث:

## المبحث الأَوَّلُ

## فِي حُكْمِهَا وَصِفَةِ الصَّلاَةِ عَلَى الْجَنَازَةِ

أَمَّا حُكْمُهَا فَهِيَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهَا الْبَعْضُ أَجْزَأَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِنْ تَرَكَهَا الْجَمِيعُ هَلَكُوا، وَيَدُلُّ عَلَى وُجُوبِهَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "**الصَّلاَةُ عَلَى الْمَوْتَى الْمُقِرِّينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاجِبَةٌ**"[2]، وَخَصَّ أَصْحَابُنَا بِالْمَنْعِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى مَانِعِ الْحَقِّ، وَالآبِقِ، وَالْمَرْأَةِ الْعَاصِيَةِ، وَالْبَاغِيَةِ، وَالْقَاعِدَةِ عَلَى فِرَاشِ الْحَرَامِ، فَلاَ أَدْرِي بِأَيِّ حُجَّةٍ احْتَجُّوا وَلاَ بِأَيِّ دَلِيلٍ اسْتَدَلُّوا[3]، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ لَمْ يُجِزِ

(١) لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ قَالَ: ["إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع"، باب من تبع جنازة فلا يقعد حتى توضع على مناكب الرجال...، ر١٢٤٨].

(٢) رَوَاهُ الرَّبِيعُ بِلَفْظِ: "الصَّلاَةُ عَلَى مَوْتَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ الْمُقِرِّينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَاجِبَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" [باب الحجة على من لا يرى الصلاة على موتى أهل القبلة ولا يرى الصلاة خلف كل بار وفاجر، ر٧٧٦].

(٣) يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ مُبَالَغَةً فِي الزَّجْرِ عَنْ هَذِهِ الْمُخَالَفَاتِ الشَّنِيعَةِ، قِيَاسًا عَلَى امْتِنَاعِ الرَّسُولِ ﷺ عَنِ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَدِينِ الَّذِي لَمْ يَتْرُكْ فَضْلاً، وَأَمْرِهِ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَعَلَى قَوْلِهِ ﷺ فِي قَاتِلِ نَفْسِهِ بِمَشَاقِصَ: "أَمَّا أَنَا فَلاَ أُصَلِّي عَلَيْهِ" [رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على القاتل نفسه، ر٢٣٠٩]، فَصَلَّى عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ [مشاقص: جمع مشقص، وهو: النصل الطويل العريض، والسهم ذو النصل العريض. (المعجم الوسيط، مادة "شقص")]، وَإِلاَّ فَإِنَّ مَا جَرَى عَلَيْهِ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ أَنْ يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمَحْدُودٍ وَمَرْجُومٍ وَقَاتِلِ نَفْسِهِ وَوَلَدِ الزِّنَى وَأُمِّهِ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: "صَلُّوا عَلَى مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَصَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ" [رواه الدارقطني، باب صفة من تجوز الصلاة معه والصلاة عليه، ر٣]، وَلَقَدِ اسْتَقَرَّ نِظَامُ الْعِزَابَةِ فِي مِيزَابَ عَلَى قَاعِدَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ آرَاءِ الْفُقَهَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ: ذَلِكَ أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ، لَكِنْ لاَ مِنْ قِبَلِ

الصَّلاَةَ عَلَى أَهْلِ النِّفَاقِ وَأَهْلِ الْكَبَائِرِ وَأَهْلِ الْبَغْيِ وَالْبِدَعِ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ قُتِلَ فِي حَدٍّ[1]، أَو قَتَلَ نَفْسَهُ، أَوْ وَلَدِ الزِّنَى[2]، وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّلاَةِ عَلَى الشُّهَدَاءِ الْمَقْتُولِينَ فِي الْمَعْرَكَةِ[3]، وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الصَّلاَةَ عَلَى أَهْلِ النِّفَاقِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾[4]، وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ فَلاَ اخْتِلاَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ، وَأَمَّا قَاتِلُ نَفْسِهِ فَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ، وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِالصَّلاَةِ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْهُمْ أَحَدًا، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَيُصَلَّى عَلَى الطِّفْلِ إِنْ صَحَّتْ حَيَاتُهُ، وَكَذَلِكَ وَلَدُ الزِّنَى يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُتَوَلَّى إِنْ كَانَ أَهْلاً لِذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

الْفُضَلاَءِ، لِهَذَا اسْتَمَلَ هَذَا النِّظَامُ عَلَى هَيْئَةٍ رَئِيسِيَّةٍ تَقُومُ بِالْفَرْضِ الْكِفَائِيِّ إِزَاءَ عُمُومِ الْمَوْتَى الْمُقِرِّينَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَعَلَى هَيْئَةٍ ثَانَوِيَّةٍ تَتَوَلَّى بَدَلاً مِنَ الرَّئِيسِيَّةِ الْقِيَامَ بِمَوْتَى الْفَرِيقِ الْمُنْحَرِفِ، وَهَكَذَا يَتَحَقَّقُ بِفَضْلِ ذَلِكَ غَرَضُ الشَّارِعِ، وَهُوَ حَمْلُ هَؤُلاَءِ الْمُنْحَرِفِينَ وَسَائِرِ الْفُسَّاقِ عَلَى الانْزِجَارِ، ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال: ٥٧) اهـ مُصَحّحه.

(١) الْمَشْهُورُ أَنْ يُغَسَّلَ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ، لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَسْلَمَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاعْتَرَفَ بِالزِّنَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: إِنَّكَ مَجْنُونٌ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: أُحْصِنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ بِالْمُصَلَّى (الْمَكَانِ الَّذِي يُصَلَّى فِيهِ الْعِيدُ)، فَلَمَّا أَذْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ فَرَّ، فَأُدْرِكَ فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ لَهُ - أَيْ عَنْهُ - النَّبِيُّ ﷺ خَيْرًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ [باب الرجم بالمصلى، ر٦٤٣٤. ولكن روي بأنه لم يصل عليه، كما روى ذلك أبو داود، باب رجم ماعز بن مالك، ر٤٤٣٢، والترمذي، باب ما جاء في درء الحد عن المعترف إذا رجع، ر١٤٢٩، وكذلك النسائي والدارقطني والبيهقي وغيرهم]، وَكَذَلِكَ الْغَامِدِيَّةُ بَعْدَ أَنْ رُجِمَتْ أَمَرَ بِهَا أَنْ يُصَلَّى عَلَيْهَا فَدُفِنَتْ. [رواه مسلم، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ر٤٥٢٨].

(٢) قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْقَاضِي: مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً الصَّلاَةُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمَحْدُودٍ وَمَرْجُومٍ وَقَاتِلِ نَفْسِهِ وَوَلَدِ الزِّنَى [شرح صحيح مسلم، ٧/ ٤٧]، وَمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يُصَلِّ عَلَى الْغَالِّ وَقَاتِلِ نَفْسِهِ، فَلَعَلَّهُ لِلزَّجْرِ عَنْ هَذَا الْفِعْلِ، كَمَا امْتَنَعَ عَنِ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَدِينِ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ. اهـ مُصَحّحه.

(٣) الرَّاجِحُ أَنَّ الشَّهِيدَ الَّذِي قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ لاَ يُغَسَّلُ وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ، لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِدَفْنِ شُهَدَاءِ أُحُدٍ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلْهُمْ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ. [رواه أبو داود، باب في الشهيد يغسل، ر٣١٣٧].

(٤) التَّوْبَة: ٨٤.

**وَأَمَّا صِفَتُهَا**[١]: فَقَدِ اخْتَلَفَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي عَدَدِ تَكْبِيرِهَا[٢] وَقِرَاءَتِهَا وَالدُّعَاءِ فِيهَا، لَكِنِ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا: أَنْ يُوضَعَ الْمَيِّتُ عَلَى سَرِيرٍ طَاهِرٍ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلاً بِهِ الْقِبْلَةَ، رَأْسُهُ مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ، وَرِجْلاَهُ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ، فَيَتَقَدَّمُ لِلصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَلِيُّهُ إِذَا حَضَرَ أَوْ مَنْ أَمَرَهُ، أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَحْضُرْ، فَيَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَيِّتِ مِقْدَارَ سُجُودِهِ بَعْدَ أَنْ يَأْتِيَ بِشُرُوطِ الصَّلاَةِ فِي نَفْسِهِ وَفِي الْمَيِّتِ، وَيَسْتَقْبِلُ مِنَ الذَّكَرِ صَدْرَهُ، وَمِنَ الأُنْثَى رَأْسَهَا، وَيَعْقِدُ النِّيَّةَ، فَيَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّ نِيَّتِي وَاعْتِقَادِي أَنْ أُصَلِّيَ صَلاَةَ الْمَيِّتِ طَاعَةً لَكَ وَلِرَسُولِكَ ﷺ، سُبْحَانَ اللهِ الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سِرًّا فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ ثَانِيَةً، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ أَيْضًا سِرًّا، ثُمَّ يُكَبِّرُ ثَالِثَةً، ثُمَّ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ وَنَحْنُ عَبِيدُكَ بَنُو عَبِيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ، تَوَفَّيْتَهُ وَأَبْقَيْتَنَا بَعْدَهُ، اللهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ يُكَبِّرُ رَابِعَةً فَيُسَلِّمُ. هَكَذَا الصَّلاَةُ عَلَى عَامَّةِ الأَمْوَاتِ: أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ، وَتَسْلِيمَةٌ وَاحِدَةٌ، لَيْسَ فِيهَا رُكُوعٌ وَلاَ سُجُودٌ وَلاَ تَشَهُّدٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ أُنْثَى قَالَ: اللهُمَّ إِنَّ هَذِهِ أَمَتُكَ، فَيُخَاطِبُهَا بِلَفْظِ التَّأْنِيثِ فِي جَمِيعِ خِطَابِهَا، وَإِنْ كَانَ طِفْلاً زَادَ فِي دُعَائِهِ: اللهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا سَلَفًا وَفَرَطًا وَأَجْرًا وَذُخْرًا عِنْدَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَإِنْ كَانَ مُتَوَلَّى تَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللهُمَّ أَبْدِلْ لَهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَقَرَارًا خَيْرًا مِنْ قَرَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِ

---

(١) [انظر: المعتصم المعولي: المعتمد في فقه الصلاة، ص ٣٦٣- ٣٦٥].

(٢) أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ أَرْبَعًا وَخَمْسًا، فَاجْتَمَعْنَا عَلَى أَرْبَعٍ. وَرَوَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ سَعِيدٍ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانُوا يُكَبِّرُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعًا وَخَمْسًا وَسِتًّا وَعَشْرًا، فَجَمَعَ عُمَرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ بِمَا رَأَى، فَجَمَعَهُمْ عُمَرُ عَلَى أَرْبَعِ تَكْبِيرَاتٍ".

لَحْدَهُ، وَأَلْحِقْهُ بِنَبِيِّكَ ﷺ، وَأَصْعِدْ رُوحَهُ مَعَ أَرْوَاحِ الصَّالِحِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، ثُمَّ يُكَبِّرُ رَابِعَةً وَيُسَلِّمُ فِي جَمِيعِ مَا قَدَّمْنَا. وَتُصَلَّى صَلاَةُ الْمَيِّتِ بِالْجَمَاعَةِ وَبِالانْفِرَادِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

## المبحث الثَّانِي
## فِي مَوَاضِعِ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَأَوْقَاتِهَا

وَهُوَ كُلُّ مَوْضِعٍ طَاهِرٍ تَجُوزُ الصَّلاَةُ عَلَيْهِ، وَاخْتُلِفَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَجَازَ بَعْضُهُمُ الصَّلاَةَ فِيهِ عَلَى الْمَيِّتِ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ آخَرُونَ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُهَا، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ "**صَلَّى عَلَى سُهَيْلِ بْنِ بَيْضَاءَ فِي الْمَسْجِدِ**"(١)، وَاخْتُلِفَ فِيهَا بَيْنَ الْقُبُورِ، وَالصَّحِيحُ كَرَاهِيَتُهَا، لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنِ الصَّلاَةِ فِي الْمَقَابِرِ.

**وَأَمَّا وَقْتُ صَلاَتِهَا:** فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ أَيْضًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُصَلَّى عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، إِلاَّ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَعِنْدَ تَوَسُّطِهَا حَتَّى تَزُولَ، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ غُرُوبُهَا، لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنِ الصَّلاَةِ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ(٢).

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ بِلَفْظِ: "وَاللهِ لَقَدْ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ابْنَيْ بَيْضَاءَ فِي الْمَسْجِدِ"؛ أَيْ: بِالْقَسَمِ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ رَدًّا عَلَى مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهَا صَلاَتَهَا عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَتْ: "مَا أَسْرَعَ وَمَا أَنْسَى النَّاسَ! وَاللهِ لَقَدْ صَلَّى.... الْحَدِيث. وَبِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ فِي ابْنَيْ بَيْضَاءَ، وَهُمَا: سَهْلٌ، وَسُهَيْلٌ، وَبَيْضَاءُ اسْمُهَا "دَعْدٌ"، وَالْبَيْضَاءُ وَصْفٌ، وَأَبُوهُمَا وَهْبُ بْنُ رَبِيعَةَ الْقُرَشِيُّ الْفِهْرِيُّ.

(٢) لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: "ثَلاَثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ وَأَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

## المبحث الثَّالِثُ
## فِي شُرُوطِ صَلاَةِ الْمَيِّتِ

وَقَدِ اتَّفَقَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ مِنْ شُرُوطِهَا الطَّهَارَةَ، كَمَا أَنَّ مِنْ شُرُوطِهَا الاسْتِقْبَالَ لِلْقِبْلَةِ بِهَا، وَاخْتُلِفَ فِي التَّيَمُّمِ فِيهَا إِذَا خِيفَ فَوَاتُهَا، فَأَجَازَهُ بَعْضٌ، وَمَنَعَ مِنْهُ آخَرُونَ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** قِيَاسُهَا عَلَى الصَّلاَةِ الْمَفْرُوضَةِ، فَمَنْ شَبَّهَهَا بِالْفَرِيضَةِ أَجَازَ التَّيَمُّمَ عِنْدَ فَوَاتِ وَقْتِهَا، وَمَنْ لَمْ يُشَبِّهْهَا لَمْ يُجِزِ التَّيَمُّمَ؛ لأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى جَوَازِ الصَّلاَةِ عَلَيْهَا بِغَيْرِ طَهَارَةٍ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ اسْمَ الصَّلاَةِ الشَّرْعِيَّةِ لاَ يَنْطَلِقُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهَا اسْمُ الدُّعَاءِ؛ إِذْ لَيْسَ فِيهَا رُكُوعٌ وَلاَ سُجُودٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: فِي الدَّفْنِ،** وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى وُجُوبِهِ، والأَصْلُ فِيهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾[2]، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**احْفِرُوا وَوَسِّعُوا وَادْفِنُوا الاثْنَيْنِ وَالثَّلاَثَةَ، وَقَدِّمُوا أَكْثَرَ الْقَوْمِ قُرْآنًا**"[3].

---

(١) الْمُرْسَلات: ٢٥ – ٢٦.

(٢) الْمَائِدَة: ٣١.

(٣) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: "شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْحَفْرُ عَلَيْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ شَدِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "احْفِرُوا، وَأَعْمِقُوا، وَأَحْسِنُوا، وَادْفِنُوا الاثْنَيْنِ وَالثَّلاَثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ". فَقَالُوا: فَمَنْ نُقَدِّمُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا". وَكَانَ أَبِي ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. [النسائي: المجتبى، باب ما يستحب من إعماق القبر، ر٢٠١٠].

وَلاَ بُدَّ لِلْمَيِّتِ مِنْ حُفْرَةٍ تُحْرِزُهُ عَنِ السِّبَاعِ، وَتَكْتُمُ رَائِحَتَهُ عَنِ النَّاسِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ أَوْصَى أَنْ يُعَمَّقَ قَبْرُهُ قَامَةً وَسِطَةً، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْصَى فَقَالَ: احْفِرُوا لِي وَلاَ تُعَمِّقُوا، فَإِنَّ خَيْرَ الأَرْضِ أَعْلاَهَا، وَشَرَّهَا أَسْفَلُهَا.

وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ أَنْ تُحْفَرَ إِلَى الرُّكْبَتَيْنِ، فَإِنْ زَادَتْ فَإِلَى الْحِقْوَيْنِ، فَإِنْ زَادَتْ فَإِلَى الْمَنْكِبَيْنِ، وَلاَ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ، وَأَمَّا طُولُهَا فَعَلَى قَدْرِ الْمَيِّتِ وَزِيَادَةِ أَرْبَعَةِ أَصَابِعَ، وَعَرْضُهَا ثَلاَثَةُ أَشْبَارٍ، وَلاَ يُقْتَلُ فِيهَا مَا لَهُ رُوحٌ، وَيَكُونُ الْحَافِرُ مُشْتَمِلاً عَلَى عَوْرَتِهِ، وَلاَبِسًا سَرَاوِيلَ، وَلاَ يَنِينُ فِي حَالِ الْحَفْرِ، وَلاَ يَتْفُلُ فِي الْقَبْرِ وَلاَ فِي يَدَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ، وَاللَّحْدُ أَفْضَلُ مِنَ الضَّرِيحِ مَعَ إِمْكَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَلْيَكُنْ فِي نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ، وَيُدْخَلُ الْقَبْرَ مِنْهَا، وَيُوضَعُ تُرَابُهُ خَلْفَهُ أَوْ حَيْثُ أَمْكَنَهُ.

وَاخْتَلَفُوا مِنْ أَيْنَ يُؤْخَذُ عِنْدَ إِدْخَالِهِ فِي الْقَبْرِ، فَقَالَ قَوْمٌ: يُسَلُّ سَلاًّ مِنْ عِنْدِ رِجْلِ الْقَبْرِ، وَقِيلَ: يُؤْخَذُ مِنْ قِبَلِ الْقِبْلَةِ مُعْتَرِضًا، وَخَيَّرَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ شَاءَ، وَيُضْجَعُ الْمَيِّتُ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلاً لِلْقِبْلَةِ، وَتَمْدِيدُهُ الْيُمْنَى مَعَ جَسَدِهِ، وَتُحَلُّ الْعُقَدُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ، وَيُعْدَلُ رَأْسُهُ بِالتُّرَابِ لِئَلاَّ يَتَصَوَّبَ، وَكَذَلِكَ رِجْلاَهُ، وَيُرْفَقُ بِهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كَأَنَّهُ حَيٌّ، وَيَقُولُ وَاضِعُهُ: بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ. وَإِنْ كَانَ مُتَوَلِّي قَالَ: وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ، وَيُسْتَرُ الْقَبْرُ بِالثَّوْبِ مِنْ أَوَّلِ إِدْخَالِهِ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ امْرَأَةً تَوَلَّى إِدْخَالَهَا فِي الْقَبْرِ زَوْجُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَمَحَارِمُهَا مِنْ أَعْلاَهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ إِذَا وُضِعَ فِي اللَّحْدِ نُضِّدَتِ اللَّبِنُ عَلَى فُرَجِ اللَّحْدِ لِتَمْنَعَ عَنْهُ التُّرَابَ، ثُمَّ يُهَالُ عَلَيْهِ التُّرَابُ، وَيَحْثِي كُلُّ مَنْ دَنَا حَثَيَاتٍ، وَلاَ يُرْفَعُ الْقَبْرُ إِلاَّ بِقَدْرِ شِبْرٍ، وَلاَ يُجَصَّصُ وَلاَ يُطَيَّنُ، وَيُوضَعُ الْحَجَرُ عَلَى رَأْسِ الْقَبْرِ، وَيُسَوَّى تُرَابُهُ، وَيُدِيرُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ خُطُوطًا بِأَرْجُلِهِمْ وَهُمْ يَقْرَءُونَ

أَوَّلَ سُورَةِ يَس إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] وَيَنْصَرِفُونَ عَنِ الْقَبْرِ، وَلاَ يَتَلَفَّتُونَ إِلَيْهِ.

**مَسْأَلَةٌ [في التعزية]:** وَيُعَزَّى وَلِيُّ الْمَيِّتِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْبُعْدِ عَنْ قَبْرِهِ أَوْ فِي مَنْزِلِهِ.

**وَمَعْنَى التَّعْزِيَةِ:** الْحَمْلُ عَلَى الصَّبْرِ لِوَعْدِ الأَجْرِ، وَيُدْعَى لِلْمُسْلِمِ بِالصَّبْرِ وَحُسْنِ الْعَزَاءِ وَالثَّوَابِ فِي الآخِرَةِ، وَغَيْرِ الْمُسْلِمِ يُدْعَى لَهُ بِالْخَلَفِ وَمَا يُمْكِنُهُ مِنْ دُعَاءِ الدُّنْيَا، وَيَرُدُّ الْجَوَابَ الْمُعَزِّي لِمَنْ عَزَّاهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، إِنْ كَانَ مُسْلِمًا دَعَا لَهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَغَيْرُ الْمُسْلِمِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا فَقَطْ.

وَلاَ يُعَزَّى أَهْلُ الْفِتْنَةِ وَقُطَّاعُ الطُّرُقِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيُعَزَّى عَلَيْهِمْ قَرِيبُهُمْ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَيُعَزَّى الْمُسْلِمُ وَلَوْ مَضَى عَلَيْهِ زَمَانٌ كَثِيرٌ، وَغَيْرُ الْمُسْلِمِ مَا دُونَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، وَيُسْتَحَبُّ تَهْيِئَةُ الطَّعَامِ لأَهْلِ الْمَيِّتِ مَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى نِيَاحَةٍ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لأَهْلِهِ: **"اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ مَشْغُولُونَ بِمَيِّتِهِمْ"**[2]، وَالْبُكَاءُ جَائِزٌ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْ غَيْرِ نِيَاحَةٍ وَجَزَعٍ وَضَرْبِ خَدٍّ وَشَقِّ ثَوْبٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، لِنَهْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ.

---

(١) يس: الآيات ١- ٩.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ بِلَفْظِ: "فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ". وَلَقَدِ انْعَكَسَتِ الْقَضِيَّةُ لِطُولِ الزَّمَنِ، فَأَصْبَحَ أَهْلُ الْمَيِّتِ هُمُ الَّذِينَ يُطْعِمُونَ الْوَافِدِينَ عَلَيْهِمْ أَيَّامَ الْمَآتِمِ، الأَمْرُ الَّذِي اضْطَرَّ الآبَاءَ - شَفَقَةً عَلَى الأَبْنَاءِ - أَنْ يُوصُوا بِمَا يُطْعِمُونَهُ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ. هَذَا وَأَنَّ مَنْ تَتَبَّعَ مَا يَجْرِي فِي مُعْظَمِ نَوَاحِي الْبِلاَدِ مِنْ إِسْرَافٍ وَتَكَاثُرٍ وَمَا يُعَانِيهِ أَهْلُ الْمَيِّتِ مِنْ نَفَقَاتٍ، وَيَرَكَبُهُمْ مِنْ دُيُونٍ قَدْ تُؤَدِّي بِهِمْ أَحْيَانًا إِلَى بَيْعِ مُمْتَلَكَاتِهِمْ، سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْفَقِيدُ مِنَ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِمْ وَأَهْلُهُ فُقَرَاءَ؛ لأَنَّ أَيَّامَ الْمَأْتَمِ قَدْ تَمْتَدُّ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ أُسْبُوعٍ، بَيْنَمَا يُحَدِّدُهَا الشَّرْعُ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَمِمَّا زَادَ الطِّينَ بِلَّةً مَا أَحْدَثُوهُ مِمَّا أَسْمَوْهُ "مَأْتَمَ الأَرْبَعِينَ" وَ"مَأْتَمَ رَأْسِ السَّنَةِ" مِمَّا لَمْ يَرِدْ فِيهِمَا عَنِ الشَّارِعِ تَرْغِيبٌ، بَلْ هُمَا مِنَ الْبِدَعِ السَّيِّئَةِ الَّتِي أَضَرَّتْ بِالأُمَّةِ، لِمَا يَقَعُ فِيهِمَا مِنْ إِسْرَافٍ وَمُبَاهَاةٍ وَإِغْنَاتِ الضُّعَفَاءِ، عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْجِهَاتِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنَ الْوَطَنِ - وَإِنْ

## الفَصْلُ العَاشِرُ

# فِي فَضَائِلِ الصَّلاَةِ

وَذَلِكَ كَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، وَرَكْعَتَيِ السَّحَرِ، وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ.

**أَمَّا قِيَامُ اللَّيْلِ**: فَهُوَ فَرِيضَةٌ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَفَضِيلَةٌ لأُمَّتِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: **"ثَلاَثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرِيضَةٌ وَهُنَّ لَكُمْ تَطَوُّعٌ: قِيَامُ اللَّيْلِ، وَالْوِتْرُ، وَالسِّوَاكُ"**(١)، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ**﴾ (٢)، وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: **"رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"**(٣)، وَقَالَ: "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ

---

نَالَهُمُ بِدَوْرِهِمْ دَاءُ الْمَأْتَمَيْنِ الأَخِيرَيْنِ - لاَ تَزَالُ تُحَافِظُ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، فَقَدِ اعْتَادَ جِيرَانُ أَهْلِ الْمَيِّتِ وَأَقَارِبُهُمْ وَأَصْهَارُهُمْ وَأَصْدِقَاؤُهُمْ وَأَهْلُ الإِحْسَانِ يَصْنَعُونَ لَهُمُ الطَّعَامَ أَيَّامَ الْمَأْتَمِ إِسْعَادًا وَتَكَافُلاً طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللهِ. هَذَا وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ أَحْرَارِ الْعُلَمَاءِ مُخَالَفَةَ سُنَّةِ الرَّسُولِ فِي الإِطْعَامِ، مِنْهُمُ الْعَلاَّمَةُ نُورُ الدِّينِ السَّالِمِيُّ، وَلَهُ فِي أُرْجُوزَتِهِ جَوْهَرِ النِّظَامِ كَلاَمٌ نَفِيسٌ [انظر: باب إنفاذ الوصايا، ٣/ ١٣٦]، وَلَعَلَّ الْمُسْلِمِينَ يَتُوبُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ فَيَتَّبِعُونَ فِي مَآتِمِهِمْ - الَّتِي لاَ يَخْلُو مِنْهَا يَوْمٌ - سُنَّةَ الْمُصْطَفَى الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا مَا عِنْدَ اللهِ مِنْ جَزِيلِ الْمَثُوبَةِ بِالإِحْسَانِ إِلَى الْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا يَعْتَادُونَ مِنَ التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرِ الْبَاعِثِ عَلَيْهِمَا الرِّيَاءُ الَّذِي يُحْبِطُ أَعْمَالَ الْعَبْدِ، وَيَحْرِمُهُ ثَوَابَ اللهِ، وَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ. اهـ مُصَحَّحه

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ والدَّارَقُطْنِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) الْمُزَّمِّل: ٢٠.

(٣) [رواه الديلمي في الفردوس، ر٥٤٠٤].

الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهِيَّاتٌ عَنِ الإِثْمِ"[1]، وَسُئِلَ ﷺ: أَيُّ اللَّيْلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "نِصْفُ اللَّيْلِ الْغَابِرُ"[2]، أَيِ الْبَاقِي، وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ ﷺ قَالَ: إِلَهِي إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَعَبَّدَ لَكَ، فَأَيُّ وَقْتٍ أَفْضَلُ؟ فَأَوْحَى إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ، لاَ تَقُمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَلاَ آخِرَهُ، فَإِنَّهُ مَنْ قَامَ أَوَّلَهُ نَامَ آخِرَهُ، وَلَكِنْ قُمْ وَسَطَ اللَّيْلِ حَتَّى تَخْلُوَ بِي وَأَخْلُوَ بِكَ، وَارْفَعْ إِلَيَّ حَوَائِجَكَ.

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ فِي اللَّيْلِ قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مِمَّا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ[3]، اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ فَإِنَّهُ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا فَإِنَّهُ لاَ يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ الْمِسْكِينِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْمُفْتَقِرِ الذَّلِيلِ، فَلاَ تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَكُنْ

---

(١) [رواه الترمذي، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ر٣٥٤٩].

(٢) أَيِ: الْبَاقِي، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ بِلَفْظِ: "قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ لأَبِي ذَرٍّ: أَيُّ قِيَامِ اللَّيْلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ كَمَا سَأَلْتَ فَقَالَ: "جَوْفُ اللَّيْلِ الْغَابِرِ، وَقَلِيلٌ فَاعِلِهِ". وَفِي مَعْنَاهُ مَا جَاءَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُونَ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ". رَوَاهُ الْحَاكِمُ، وَقَالَ: عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ أَيْضًا النَّسَائِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَالْمُرَادُ مِنْ جَوْفِهِ الآخِرِ: هُوَ الثُّلُثُ الأَخِيرُ كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الأَحَادِيثُ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَمَالِكٌ بِزِيَادَةٍ بَعْدَ قَوْلِهِ: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ": "وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ".

بِي رَءُوفًا رَحِيمًا حَفِيًّا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَأَكْرَمَ الْمُعْطِينَ، يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[1].

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ، فَقَالَ: اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا أُخْتُلِفُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، أَنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[2]، ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَثْنَى مَثْنَى مَا تَيَسَّرَ لَهُ، وَيَخْتِمُ بِالْوِتْرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَلَّى الْوِتْرَ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَ صَلاَتَيْنِ عِنْدَ تَسْلِيمِهِ بِمِائَةِ تَسْبِيحَةٍ لِيَسْتَرِيحَ وَيَزْدَادَ نَشَاطُهُ لِلصَّلاَةِ، وَقَدْ صَحَّ فِي صَلاَتِهِ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى أَوَّلاً رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقْصُرُ بِالتَّدْرِيجِ إِلَى ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً[3]، وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ: أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْهَرُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ أَمْ يُسِرُّ؟ فَقَالَتْ: رُبَّمَا جَهَرَ وَرُبَّمَا أَسَرَّ. وَأَكْثَرُ مَا صَحَّ عَنْهُ ﷺ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً[4]، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ قَدْرَ ثَلاَثِمِائَةِ آيَةٍ مِنَ السُّوَرِ الْمَخْصُوصَةِ الَّتِي رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قِرَاءَتِهَا، مِثْلِ: يس، وَالسَّجْدَةِ، وَلُقْمَان، وَسُورَةِ الدُّخَانِ، وَتَبَارَكَ الْمُلْكِ، وَالزُّمَرِ، وَالْوَاقِعَةِ، وَخَوَاتِمِ الْحَدِيدِ، وَخَوَاتِمِ الْحَشْرِ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِزِيَادَةٍ وَنَقْصٍ فِي أَوَّلِهِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

(٣) [رواه الربيع، باب في سبحة الضحى وتبردة الصبح، ر١٩٩]، ومُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

(٤) وَقَدْ فُصِّلَ إِجْمَالُهُ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ ﵂: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ لاَ يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ فِي آخِرِهَا". [رواه مسلم، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي...، ر١٧٥٤]

**وَأَمَّا تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ**: فَهِيَ رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا الإِنْسَانُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى يَمِينِ الْمِحْرَابِ، وَهَذَا إِذَا كَانَ فِي وَقْتٍ تَحِلُّ فِيهِ الصَّلاَةُ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي حُكْمِ رَكْعَتَيِ الْمَسْجِدِ، فَذَهَبَ جُمْهُورُ الأُمَّةِ إِلَى أَنَّهَا مَنْدُوبٌ إِلَيْهِمَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ**"(١)، وَذَهَبَ أَهْلُ الظَّاهِرِ إِلَى وُجُوبِهِمَا فِيمَا وَجَدْتُ، تَعَلُّقًا بِأَنَّ الأَصْلَ هُوَ حَمْلُ الأَمْرِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْوُجُوبِ حَتَّى يَدُلَّ الدَّلِيلُ عَلَى النَّدْبِ، وَذَهَبَ غَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّهُمَا مَنْدُوبَتَانِ، لِمَكَانِ التَّعَارُضِ الَّذِي بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَسَائِرِ مَا وَرَدَ مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي تَقْتَضِي أَنْ لَيْسَ عَلَى الإِنْسَانِ فَرْضُ الصَّلاَةِ مَا خَلاَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَاخْتُلِفَ فِيمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَقَدْ رَكَعَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرَ فِي بَيْتِهِ، هَلْ يَرْكَعُ فِي الْمَسْجِدِ أَمْ لاَ؟ فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّهُ لاَ يَرْكَعُ فِيهِ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مَا خَلاَ رَكْعَتَيْهِ، لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصُّبْحِ، مَا خَلاَ الْفَجْرَ وَرَكْعَتَيْهِ(٢)، وَلَكِن يُسْتَحَبُّ إِذَا مُنِعَ مِنَ الصَّلاَةِ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا تَعْدِلُ رَكْعَتَيْنِ فِي الْفَضْلِ، وَإِنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ فَلاَ يُصَلِّي فِيهِ، لَكِنْ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى، وَيُقَالُ: مَنْ لَمْ يُحَيِّ الْمَسْجِدَ عِنْدَ دُخُولِهِ بِرَكْعَتَيْنِ حَاجَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا رَكْعَتَا السَّحَرِ**: فَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِمَا، لاقْتِضَاءِ الْمَدْحِ لِلْمُصَلِّينَ فِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾**﴾(٣) أَيْ يُصَلُّونَ، وَهَذَا السَّحَرُ مُقَارِبٌ لِلْفَجْرِ الَّذِي هُوَ وَقْتُ انْصِرَافِ مَلاَئِكَةِ اللَّيْلِ وَإِقْبَالِ مَلاَئِكَةِ النَّهَارِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي

---

(١) [رواه الربيع، باب الإمامة في النوافل، ر٢٠١]، ومُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ.

(٢) لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلاَّ سَجْدَتَيْنِ". [رواه أبو داود، باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة، ر١٢٨٠]، وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: "لاَ صَلاَةَ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلاَّ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ". وَمِثْلُهُ لِلدَّارَقُطْنِيِّ عَنِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ.

(٣) الذَّارِيَات: ١٨.

هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ خُرُوجَنَا وَقُعُودَنَا فِي الْمَسْجِدِ هَذِهِ السَّاعَةَ - يَعْنِي: قَبْلَ الْفَجْرِ - بِمَنْزِلَةِ غَزْوَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَذَكَرَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِهِ[1] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ ﷺ وَهُمَا نَائِمَانِ فَقَالَ: أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2].

وَيُقَالُ: إِنَّ الْقَبْرَ يُنَوَّرُ بِرَكْعَتَيِ السَّحَرِ كَمَا يُضِيءُ الْبَيْتُ الْمِصْبَاحِ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَسْجِدِ يُصَلِّي فِيهِ صَلاَةَ الصُّبْحِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةٌ، وَمُحِيَ عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَإِذَا صَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ حَسَنَةٌ، وَانْقَلَبَ بِحَجَّةٍ مَبْرُورَةٍ، فَإِنْ جَلَسَ حَتَّى يَرْكَعَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعَتَمَةَ فَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَانْقَلَبَ بِعُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ"[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا إِحْيَاءُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ**: فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ حَتَّى قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِصَلاَةٍ غَيْرِ الْمَكْتُوبَةِ؟ فَقَالَ: مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[4] الآيَة، فَقَالَ:

---

(١) [إحياء علوم الدين، باب عدد الأوراد وترتيبها، ١/ ٣٣٢].

(٢) الكهف: ٥٤، [رواه البخاري، باب تحريض النبي صلى الله عليه و سلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ر١٠٥٧].

(٣) لَمْ أَعْثُرْ عَلَى سَنَدِهِ بِهَذَا اللَّفْظِ وَإِنْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي مَعْنَاهُ: [منها ما رواه الترمذي، باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، ر٥٨٦، بلفظ :"مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ"، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ"].

(٤) السَّجْدَة: ١٦.

"هِيَ صَلاَةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَهِيَ صَلاَةُ الأَوَّابِينَ"(١)، وَقَالَ: "عَلَيْكُمْ بِهَا فَإِنَّهَا مَذْهَبَةٌ لِمُلاَغَاتِ النَّهَارِ"(٢)، وَهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ اللَّغْوِ، وَعَنِ الأَسْوَدِ(٣) قَالَ: مَا أَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلاَّ وَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: نَعَمْ، هِيَ سَاعَةُ الْغَفْلَةِ، وَكَانَ أَنَسٌ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا، وَيَقُولُ: هِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ، وَيَقُولُ: فِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾، وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ صَوْمِ النَّهَارِ وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ: اجْمَعْ بَيْنَهُمَا إِنْ تَيَسَّرَ، قَالَ: وَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ؟ قَالَ: أَفْطِرْ وَصَلِّ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً حَفِظَ اللهُ لَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَدِينَهُ وَوَلَدَهُ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ"(٤)، وَمِمَّا نُقِلَ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ سِتُّ رَكَعَاتٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة: ١٦): "نَزَلَتْ فِي انْتِظَارِ الصَّلاَةِ الَّتِي تُدْعَى الْعَتَمَةَ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(١) [رواه ابن أبي شيبة عن أنس موقوفا، في الصلاة بين المغرب والعشاء، ر٥٩٨١].

(٢) صَلاَةُ الأَوَّابِينَ هِيَ أَيْضًا صَلاَةُ الضُّحَى، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى أَهْلِ قُبَاءَ وَهُمْ يُصَلُّونَ الضُّحَى، فَقَالَ: "صَلاَةُ الأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ مِنَ الضُّحَى". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ وَقْتَ الضُّحَى يَمْتَدُّ مِنْ وَقْتِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قَدْرَ رُمْحٍ، وَيَنْتَهِي حِينَ الزَّوَالِ، وَلَكِنَّ الْمُسْتَحَبَّ أَنْ تُؤَخَّرَ إِلَى أَنْ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ وَيَشْتَدَّ الْحَرُّ، وَإِنَّ عَدَدَ رَكَعَاتِهَا إِلَى مَا لاَ حَدَّ لَهُ. فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّى أَرْبَعًا، وَصَلَّى ثَمَانِي، وَصَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ. عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديث غريب. اهـ مُصَحّحه.

(٣) تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٤) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ بِلَفْظِ: "قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ صَلَّى بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ". وَفِي إِسْنَادِهِ يَعْقُوبُ بْنُ الْوَلِيدِ، اتَّفَقُوا عَلَى ضَعْفِهِ. وَقَالَ فِيهِ الإِمَامُ أَحْمَدُ: مِنَ الْكَذَّابِينَ الْكِبَارِ، وَكَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ. وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ، وَقَالَ: "مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ". حَدِيثٌ غَرِيبٌ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الثَّلاَثَةِ. وَقَالَ: تَفَرَّدَ بِهِ صَالِحُ بْنُ قُطْنٍ الْبُخَارِيُّ. كَمَا رُوِيَ: "مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ رُفِعَتْ صَلاَتُهُ إِلَى عِلِّيِّينَ". وَكَانُوا يَتَنَفَّلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمَا، وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ – كَمَا قَالَ الْحَسَنُ – مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ. اهـ مُصَحّحه.

## الفَصْلُ الحَادِي عَشَرَ

# فِي مُتَطَوَّعِ الصَّلاَةِ

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[1]، أَيْ: زِيَادَةً لَكَ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ صَلاَةُ اللَّيْلِ نَافِلَةً؛ لأَنَّهَا زَائِدَةٌ عَنِ الْفَرْضِ يَتَطَوَّعُ الْعَبْدُ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ بِهَا، وَقَالَ ﷺ: "الصَّلاَةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٌ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْلِلْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ"[2]، وَرُوِيَ: "النَّوَافِلُ تَكْمُلُ بِهَا الْفَرَائِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[3].

وَقَالَ أَشْيَاخُنَا رَحِمَهُمُ اللهُ: مَثَلُ النَّفَلِ لِلْفَرِيضَةِ كَالْغِلاَفِ لِلْغَرْسِ يَقِيهِ مِنَ الآفَاتِ، وقَالُوا: يُسْتَحَبُّ لِلْمُقِيمِ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ خَمْسِينَ رَكْعَةً، وَهِيَ: أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٌ لَهَا، وَأَرْبَعٌ بَعْدَهَا، وَأَرْبَعٌ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَأَرْبَعٌ لَهَا، وَثَلاَثٌ لِلْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَهَا، وَقِيلَ: أَرْبَعٌ، وَأَرْبَعٌ بَعْدَهَا قَبْلَ الْعَتَمَةِ، وَأَرْبَعٌ لَهَا، وَسَبْعٌ بَعْدَهَا بِالْوِتْرِ، وَرَكْعَتَا السَّحَرِ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَهَا، وَأَرْبَعٌ لِلضُّحَى.

---

(١) الإسْرَاء: ٧٩.

(٢) [رواه أحمد، ر٢١٥٨٦].

(٣) وَنَصُّ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاَتُهُ؛ فَإِنْ كَانَ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكْمِلُونَ بِهَا فَرِيضَتَهُ؟ ثُمَّ الزَّكَاةُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ".

أَمَّا الأَرْبَعُ قَبْلَ الظُّهْرِ: فَلِمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ صَلاَّهَا، وَقَالَ: "لِيَرْتَفِع عَمَلِي فِي الْعَابِدِينَ"(١)، وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: "مَنْ صَلاَّهُنَّ تَامَّاتٍ صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى اللَّيْلِ"(٢)، وَتُصَلَّى بَعْدَ الزَّوَالِ، وَهِيَ سَاعَةٌ يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ فِيمَا قِيلَ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِي هَذِهِ النَّافِلَةِ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةِ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا، وَفِي الثَّالِثَةِ بِخَوَاتِمِ الْبَقَرَةِ، وَفِي الرَّابِعَةِ بِسُورَةِ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، وَيُقْرَأُ فِي الأَرْبَعِ بَعْدَهَا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَسُورَةِ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا، وَفِي اللَّوَاتِي قَبْلَ الْعَصْرِ بِإِذَا زُلْزِلَتْ، وَسُورَةِ الْعَادِيَاتِ، وَبِالْقَارِعَةِ وَبِالتَّكَاثُرِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "رَحِمَ اللهُ مَنْ صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ"(٣)، وَقَدْ قِيلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ بَعْدَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَرْبَعًا؛ لأَنَّهُ قِيلَ عَنْهُ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ تُتْبَعَ الْفَرِيضَةُ بِمِثْلِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ رَكْعَتَانِ إِلاَّ الْمَغْرِبَ"(٤)، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ بِالْحَمْدِ وَسُورَةٍ، وَكَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْعِشَاءِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَنَامُ.

---

(١) رَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَيْضًا أَرْبَعًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذِهِ الصَّلاَةُ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّيهَا، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: "إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ".

(٢) [ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ر٥٧٠، ٢/ ٧٠، وقال: "ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث أبي مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة "].

(٣) [رواه ابن خزيمة، باب فضل صلاة التطوع قبل العصر، ر١١٩٣].

(٤) رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مغفل أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ". وَقَالَ فِي الثَّالِثِ: "لِمَنْ شَاءَ". وَلابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ صَلاَةٍ مَفْرُوضَةٍ إِلاَّ وَبَيْنَ يَدَيْهَا رَكْعَتَانِ". وَهَذَا الْحَدِيثُ يَتَعَارَضُ مَعَ الاسْتِثْنَاءِ الْوَارِدِ فِي رِوَايَةِ الْمُصَنِّفِ، فَيُحْمَلُ الْمُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيَّدِ، قَالَ الْقُطْبُ فِي الذَّهَبِ الْخَالِصِ [ص ٢١٩]: "وَعَنْهُ ﷺ: "بَعْدَ كُلِّ أَذَانٍ رَكْعَتَانِ إِلاَّ أَذَانَ الْمَغْرِبِ"، فَهَذَا نَاسِخٌ لِمَا كَانُوا يُصَلُّونَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ بَيْنَهُمَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الْمَغْرِبِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَمَرَ النَّاسَ بِرَكْعَتَيْنِ، فَكَانُوا يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ فَيَرْكَعُونَهُمَا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاَةَ قَدْ صُلِّيَتْ لِكَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهَا" - إِلَى أَنْ قَالَ -: "ثُمَّ وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى تَرْكِهِمَا". اهـ

وَيُقَالُ: مُسْتَحَبَّاتُ النَّوَافِلِ خَمْسٌ: أَنْ تُصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، وَأَنْ يُفْصَلَ بَيْنَهُمَا بِتَسْلِيمٍ، وَالْجَهْرُ فِيهَا فِي اللَّيْلِ، وَالإِسْرَارُ فِي النَّهَارِ، وَإِجْفَاءُ ذَلِكَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ.

**وَاخْتُلِفَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ:** تَكْثِيرُ الرَّكَعَاتِ أَوْ تَطْوِيلُ الْقِيَامِ؟ وَاخْتَارَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَكْثِيرَ الرَّكَعَاتِ بِالنَّهَارِ، وَتَطْوِيلَ الْقِيَامِ بِاللَّيْلِ.

**وَشُرُوطُ النَّافِلَةِ**: كَالْفَرِيضَةِ مِنَ الطَّهَارَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا، إِلاَّ فِي أَدَائِهَا عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِالنَّافِلَةِ دُونَ الْفَرِيضَةِ، إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[1]، وَمَنْ قَطَعَ النَّافِلَةَ بَعْدَمَا دَخَلَهَا بِالتَّمَامِ لَزِمَهُ إِعَادَتُهَا، وَلاَ يُتَنَفَّلُ فِي الأَوْقَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا.

وَالْمُصَلِّي بِالتَّكْبِيرِ قِيلَ: إِنَّهُ لاَ يَتَنَفَّلُ دُونَ الْقَاعِدِ وَالْمُومِئِ فِي الصَّلاَةِ.

**وَأَمَّا صَلاَةُ التَّطَوُّعِ الْمُخْتَصَّةُ بِالأَسْبَابِ**: وَذَلِكَ كَالصَّلاَةِ فِي الْمَنْزِلِ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ لِوَدَاعِهِ عِنْدَ الْخُرُوجِ إِلَى السَّفَرِ أَوِ الْقُدُومِ مِنْهُ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الإِخْلاَصِ ثَلاَثًا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِيهِمَا: "نِعْمَتِ السُّورَتَانِ"[2]، أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَالأُخْرَى رُبُعَهُ[3]، وَكُلُّ ذَلِكَ مَأْثُورٌ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ ﷺ. وَيَقُولُ

---

(١) الْبَقَرَة: ٢٣٩.

(٢) [رواه ابن خزيمة، باب استحباب قراءة قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون في الركعتين قبل الفجر، ١١١٤]

(٣) أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِسُورَةِ الإِخْلاَصِ فَقَدْ وَرَدَ: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الإِخْلاَصِ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ". رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ. وَرَوَاهُ الرَّبِيعُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بِلَفْظِ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" [ر٨]. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِسُورَةِ "الْكَافِرِينَ" فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ["من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن". رواه الترمذي، باب ما جاء في إذا زلزلت، ر٢٨٩٣.].

بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُمَا: اللهُمَّ إِنِّي اسْتَوْدَعْتُكَ دِينِي وَإِيمَانِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَسَرَائِرِي وَخَوَاتِمَ عَمَلِي.

وَبَلَغَنَا أَنَّ مَنْ تَعَاهَدَ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنْ غَابَ افْتَقَدَهُ، وَيَقُولُ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ مَرِيضًا فَاشْفِهِ، وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا فَرُدَّ غُرْبَتَهُ، وَإِنْ كَانَ مُحْتَاجًا فَأَغْنِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ فَيَسِّرْهَا لَهُ، فَإِذَا قَدِمَ تَبَاشَرَ بِقُدُومِهِ.

**وَمِنْهَا صَلاَةُ التَّسْبِيحِ**(١): وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ: "يَا عَمِّ، صَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا انْقَضَتِ الْقِرَاءَةُ فَقُلْ: اللهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ، ثُمَّ ارْكَعْ وَقُلْهَا عَشْرًا، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْهَا عَشْرًا، ثُمَّ اسْجُدْ وَقُلْهَا عَشْرًا، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ وَقُلْهَا عَشْرًا، ثُمَّ اسْجُدْ وَقُلْهَا عَشْرًا، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْهَا عَشْرًا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ مَرَّةً فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَهِيَ ثَلاَثُمِائَةٍ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ(٢) لَغَفَرَهَا اللهُ لَكَ"(٣)، وَهَذِهِ الصَّلاَةُ مَأْثُورَةٌ عَلَى وَجْهِهَا، وَلاَ تَخْتَصُّ بِوَقْتٍ

(١) [أي: ومِنْ مُتَطَوَّعِ الصَّلاةِ]

(٢) ["عالج: ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض" (ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب العين مع اللام)].

(٣) [رواه الترمذي، باب ما جاء في صلاة التسبيح، ر٤٨٢]. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: "يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلاَ أُعْطِيكَ أَلاَ أَمْنَحُكَ أَلاَ أَحْبُوكَ (أَخُصُّكَ) أَلاَ أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ"؛ أَيْ: أُعَلِّمُكَ مَا يُكَفِّرُ عَشْرَ أَنْوَاعٍ مِنْ ذُنُوبِكَ، "إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللهُ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، وَخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، وَسِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ: أَنْ تُصَلِّيَ - إِلَخْ قَوْلِهِ - فَذَلِكَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَتَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ زَادَ: وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ، وَالطَّبَرَانِيُّ. قَالَ الْحَافِظُ: وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَمْثَلُهَا حَدِيثُ عِكْرِمَةَ هَذَا، وَقَدْ صَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِيُّ، وَشَيْخُنَا أَبُو

وَلاَ سَبَبٍ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ جُمُعَةٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ سَنَةٍ.

**وَمِنْهَا صَلاَةُ الاسْتِخَارَةِ:** وَذَلِكَ إِذَا هَمَّ الرَّجُلُ بِأَمْرٍ لاَ يَدْرِي عَاقِبَتَهُ، وَلاَ يَعْرِفُ أَنَّ الْخَيْرَ فِي تَرْكِهِ وَلاَ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَذَلِكَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ سِوَى الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، أَسْأَلُكَ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ الْخَيْرَ لِي فِي هَذَا الأَمْرِ لِدِينِي وَدُنْيَايَ وَمَعِيشَتِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ وَآجِلِهِ فَيَسِّرْهُ لِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَمَعِيشَتِي وَعَافِيَتِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي وَعَاجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَقَدِّرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ مَا كَانَ[1].

**وَمِنْهَا صَلاَةُ الاسْتِغْفَارِ:** وَذَلِكَ مَرْوِيٌّ عَنْهُ ﷺ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ، إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾[2].

---

مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْمِصْرِيُّ، وَشَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ الْمَقْدِسِيُّ رَحِمَهُمُ اللهُ. وَقَالَ ابْنُ مُبَارَكٍ: صَلاَةُ التَّسْبِيحِ مُرَغَّبٌ فِيهَا، يُسْتَحَبُّ أَنْ يَعْتَادَهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَلاَ يَتَغَافَلَ عَنْهَا. اهـ مُصَحَّحه.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَقُولُ: "إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ...." إِلَخْ مَا سَاقَهُ الْمُصَنِّفُ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَتُسَمَّى صَلاَةَ التَّوْبَةِ أَيْضًا. وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا مَكْتُوبَةً أَوْ غَيْرَ مَكْتُوبَةٍ، فَأَحْسَنَ فِيهِنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ؛ غُفِرَ لَهُ".
آل عِمْرَانَ: ١٣٥.

**وَمِنْهَا صَلاَةُ الدَّهْرِ**: وَهِيَ عَشْرُ رَكَعَاتٍ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ بِالْفَاتِحَةِ وَقُلْ هُوَ اللهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَيُقَالُ: مَنْ صَلاَّهَا كَمَنْ وَافَقَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَتُصَلَّى فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، أَوْ فِي كُلِّ شَهْرٍ، أَوْ سَنَةٍ، أَوْ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ.

**وَمِنْهَا صَلاَةُ الرَّجَاءِ**: وَهِيَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةِ الإِخْلاَصِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، تُصَلَّى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيُقَالُ: مَنْ صَلاَّهَا لاَ يَرْجُو عِنْدَ اللهِ شَيْئًا إِلاَّ وَجَدَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَمِنْهَا صَلاَةُ الأَجْرِ**: وَهِيَ رَكْعَتَانِ، وَقِيلَ: أَرْبَعٌ. تُصَلَّى فِي وَقْتِ الضُّحَى مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْغُسْلِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ الْبِيضِ النَّقِيَّةِ فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ وَحْدَهُ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ عَشْرًا وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ عَشْرًا، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ عَشْرًا، وَسُورَةَ الإِخْلاَصِ عَشْرًا، ثُمَّ يُسَلِّمُ فَيَسْتَغْفِرُ سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ حَاجَتَهُ مِائَةَ مَرَّةً، فَقِيلَ: لاَ يَسْأَلُ اللهَ حَاجَتَهُ إِلاَّ قَضَاهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

# بَابٌ
# فِيمَا تَتَغَيَّرُ بِهِ أَحْكَامُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ صُورَةَ الصَّلاَةِ تَتَغَيَّرُ بِأَسْبَابٍ:

**أحدها [السَّببُ الأولُ]: لِصَلاَةِ الْخَوْفِ**، وَهِيَ عِنْدَ مُوَاجِهَةِ الْعَدُوِّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ (١).

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي صِفَتِهَا اخْتِلاَفًا كَثِيرًا لاخْتِلاَفِ الأَثَرِ، لَكِنَّ الْمَعْمُولَ بِهِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا: الرَّبِيعِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَصْحَابِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ مَا رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جُمْلَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ، فَصَفَّتْ طَائِفَةٌ خَلْفَهُ وَطَائِفَةٌ وَاجَهَتِ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِالَّذِينَ مِنْ خَلْفِهِ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، فَانْصَرَفَتِ الطَّائِفَةُ الأُولَى وَوَاجَهَتِ الْعَدُوَّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً ثَانِيَةً، ثُمَّ سَلَّمَ فَسَلَّمُوا جَمِيعًا، فَثَبَتَ لَهُ ﷺ رَكْعَتَانِ وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكْعَةٌ. وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ: "الصَّلاَةُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعٌ، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةٌ وَاحِدَةٌ"، وَلَيْسَ عَلَى مَنْ وَاجَهَ الْعَدُوَّ

(١) النِّسَاء: ٢٠١.

تَشَهُّدٌ، وَلَكِنْ يُسَلِّمُونَ إِذَا سَلَّمَ الإِمَامُ، وَهَكَذَا تُصَلَّى جَمِيعُ الصَّلَوَاتِ: الْمَغْرِبِ وَغَيْرِهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ سَوَاءٌ فِي حَالِ الْحَرْبِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالسَّبَبُ الثَّانِي** : **تَغَيُّرُهَا لِصَلاَةِ الْمُسَايَفَةِ** كَيْفَمَا أَمْكَنَهُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَدَاءَهَا إِلاَّ بِالتَّكْبِيرِ فَلْيُكَبِّرْ خَمْسًا لِكُلِّ صَلاَةٍ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ بِالتَّكْبِيرِ، وَكَذَلِكَ الرَّاكِبُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ النُّزُولَ لِمَخَافَةِ الْعَدُوِّ أَوْ غَيْرِهِ صَلَّى عَلَى دَابَّتِهِ وَاقِفًا وَسَائِرًا حَيْثُ تَوَجَّهَتْ، إِذَا خَافَ الطَّلَبَ وَلَمْ يَكُنْ بَاغِيًا، وَإِذَا كَانَ هُوَ الطَّالِبَ صَلَّى صَلاَةً تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ مُنْهَزِمًا مَطْلُوبًا كَبَّرَ خَمْسًا، كَمَا قَدَّمْنَا فِي الْمُسَايَفَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَالسَّبَبُ الثَّالِثُ** الْمُغَيِّرُ لِصُورَةِ الصَّلاَةِ الْفَرْضِ: **الْمَانِعُ مِنَ اسْتِيفَاءِ أَرْكَانِهَا**، فَلْيُصَلِّ كَمَا أَمْكَنَهُ، وَكَذَلِكَ رَاكِبُ السَّفِينَةِ يُصَلِّي كَمَا أَمْكَنَهُ، وَكَذَلِكَ الأَسِيرُ الْمَمْنُوعُ بِعُذْرِ الإِكْرَاهِ يَفْعَلُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ كَيْفَ أَمْكَنَهُ.

**[السَّببُ الرابعُ]** وَالْمُغَيِّرُ الرَّابِعُ لِصُورَةِ الصَّلاَةِ: **تَقْصِيرُهَا فِي السَّفَرِ**، كَمَا قَدَّمْنَا قَبْلَ هَذَا.

**وَ[السَّببُ] الْخَامِسُ** : **تَغْيِيرُهَا لِصَلاَةِ الْجُمُعَةِ بِالْقَصْرِ وَالْجَهْرِ**، وَقَدْ بَدَا لَنَا أَنْ نُثْبِتَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ طَرَفًا فِي هَذَا الْمَرْسُومِ لِيَتَضَمَّنَ كِتَابُنَا أَقْسَامَ الصَّلاَةِ عَلَى الْعُمُومِ.

# بَابٌ
# فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ

وَهَذَا الْبَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى فَصْلَيْنِ، **أَحَدُهُمَا**: فِي الْجُمُعَةِ، **وَالثَّانِي**: فِي قَضَاءِ الْفَوَائِتِ الْمَفْرُوضَاتِ.

## الفَصْلُ الأَوَّلُ

# فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ

وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ تَجْرِي مِنْهَا مَجْرَى الْقَوَاعِدِ وَالأُمَّهَاتِ.

## الْقِسْمُ الأَوَّلُ

## فِي حُكْمِ الْجُمُعَةِ

وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى وُجُوبِهَا خَلْفَ الإِمَامِ الْعَادِلِ فِي الأَمْصَارِ السَّبْعَةِ الَّتِي مَصَّرَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، وَهِيَ: مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ، وَالْبَصْرَةُ، وَالْكُوفَةُ، وَالشَّامُ، وَالْيَمَنُ، وَالْبَحْرَيْن، وَعُمَانُ، فَهَذِهِ مُتَّفَقٌ عَلَى وُجُوبِ الْجُمُعَةِ فِيهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ (١)، وَالأَمْرُ عَلَى الْوُجُوبِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ" (٢).

وَاخْتَلَفُوا فِيهَا خَلْفَ الْجَبَابِرَةِ، فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا إِلَى أَنَّ صَلاَةَ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ فِي الأَمْصَارِ السَّبْعَةِ وَاجِبَةٌ، وَالْمُعَطِّلَ لَهَا مُعَطِّلٌ لِلْفَرِيضَةِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لاَ تُصَلَّى خَلْفَ الْجَبَابِرَةِ، وَزَعَمُوا أَنَّ وُجُوبَهَا فِي الأَصْلِ خَلْفَ

(١) الْجُمُعَة: ٩.

(٢) [رواه الربيع، باب في أوقات الصلوات، ر١٨٢، ومسلم، باب فضل صلاة الجماعة...، ر١٥١٧].

الأَئِمَّةِ الْعَادِلَةِ، أَعْنِي النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ، قَالُوا: فَالْمُدَّعِي جَوَازَهَا خَلْفَ الْجَبَابِرَةِ مُحْتَاجٌ إِلَى دَلِيلٍ[1]، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لأَنَّ الْفِسْقَ لاَ يُؤَثِّرُ فِي الصَّلاَةِ إِذَا تَمَّتْ شُرُوطُهَا، لاتِّفَاقِنَا عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ إِذَا تَابَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِعَادَةُ مَا صَلَّى فِي حَالِ فِسْقِهِ إِذَا وَفَّاهَا شُرُوطَهَا، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: "صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ"[2]، وَلِمَا رُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا ذَرٍّ وَجَابِرَ بْنَ زَيْدٍ وَالْحَسَنَ وَأَنَسًا وَغَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يُصَلُّونَ خَلْفَ عُثْمَانَ[3] وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَنَجْدَةَ بْنِ عَامِرٍ وَالْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ وَوُلاَةِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) أَجَلْ هُنَاكَ دَلِيلٌ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩) الآية، فَقَدْ أُطْلِقَتِ الآيَةُ وَلَمْ تُقَيَّدْ. قَالَ صَاحِبُ الإِيضَاحِ نَقْلاً عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَا نَصُّهُ: "لأَنَّ فَرْضَهَا وَاجِبٌ لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ الآيَة، وَهَذَا أَمْرٌ عَامٌّ، فَلاَ يَزُولُ فَرْضُهَا إِلاَّ بِإِجْمَاعٍ؛ يَعْنِي: يُقَيِّدُ عُمُومَهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَمْرِ عَادِلٌ أَوْ غَيْرُ عَادِلٍ، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ الأَخِيرُ عِنْدِي أَشْبَهُ الْقَوْلَيْنِ وَأَقْرَبُهُمَا فِي الْحُجَّةِ". اهـ [كتاب الإيضاح، باب في شروط صلاة الجمعة، ١/ ٦٠٥].

وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: "صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ" [سبق تخريجه]. وَهُوَ كَمَا تَرَى عَامٌّ غَيْرُ خَاصٍّ. وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ: "وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا، فِي يَوْمِي هَذَا، فِي مِنْبَرِي هَذَا، فِي عَامِي هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتِخْفَافًا بِهَا فَلاَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَلاَ بَارَكَ اللهُ فِي أَمْرِهِ، أَلاَ وَلاَ صَلاَةَ لَهُ، أَلاَ وَلاَ صَوْمَ لَهُ، أَلاَ وَلاَ بَرَكَةَ حَتَّى يَتُوبَ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ" [رواه البيهقي، كتاب الجمعة، ر٥٣٥٩]. وَعَلَيْهِ فَلاَ يَتِمُّ لِصَاحِبِ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ لِمُجَرَّدِ اعْتِمَادِهِ عَلَى أَنَّ وُجُوبَهَا خَلْفَ الأَئِمَّةِ الْعَادِلَةِ هُوَ الأَصْلُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) [سبق تخريجه].

(٣) لاَ يَنْبَغِي حَشْرُ عُثْمَانَ فِي زُمْرَةِ الْجَبَابِرَةِ، كَيْفَ وَهُوَ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ، وَمَا وَقَعَ مِنَ ارْتِبَاكٍ وَفِتْنَةٍ فِي أَيَّامِهِ إِنَّمَا كَانَ سَبَبُهُ عِنْدِي تَلاَعُبَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالسُّلْطَةِ اسْتِغْلاَلاً لِحُسْنِ ظَنِّهِ فِيهِ.

# الْقِسْمُ الثَّانِي
# فِي شُرُوطِهَا

**وَهِيَ أَحَدَ عَشَرَ:** الْبُلُوغُ، وَالْعَقْلُ، وَالإِسْلاَمُ، وَالذُّكُورِيَّةُ، وَالصِّحَّةُ، وَالْحُرِّيَّةُ، وَالإِقَامَةُ، وَالإِمَامُ، وَالْمِصْرُ، وَالْجَمَاعَةُ، وَالْخُطْبَةُ.

**فَأَمَّا الْبُلُوغُ والعَقْلُ** فَلاَ خِلاَفَ فِي أَنَّ الْفَرْضَ لاَ يَجِبُ عَلَى طِفْلٍ وَلاَ عَلَى مَجْنُونٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثٍ... الْحَدِيث**"(١).

**وَكَذَلِكَ الإِسْلاَمُ** شَرْطٌ فِي جَمِيعِ الْفَرَائِضِ أَيْضًا، لاتِّفَاقِ الْجَمِيعِ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكَ لاَ تُقْبَلُ مِنْهُ طَاعَةٌ مَا دَامَ مُقِيمًا عَلَى شِرْكِهِ.

**وَأَمَّا الذُّكُورِيَّةُ وَالصِّحَّةُ** فَهُمَا مِنْ شُرُوطِ الْجُمُعَةِ، لاتِّفَاقِ النَّاسِ عَلَى أَنَّهَا لاَ تَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا حَضَرُوا كَانُوا مِنْ أَهْلِهَا.

**وَكَذَلِكَ الْحُرِّيَّةُ وَالإِقَامَةُ** مِنْ شُرُوطِ الْجُمُعَةِ أَيْضًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ الأَعْظَمِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِلاَّ خِلاَفًا شَاذًّا يُرْوَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِهِ أَنَّهُمْ أَوْجَبُوا الْجُمُعَةَ عَلَى الْمُسَافِرِ وَالْعَبْدِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: تَنَازُعُهُمْ فِي صِحَّةِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: "**الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلاَّ عَلَى أَرْبَعَةٍ: عَبْدٍ مَمْلُوكٍ، أَوِ امْرَأَةٍ، أَوْ صَبِيٍّ، أَوْ مَرِيضٍ**"(٢)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: "إِلاَّ خَمْسَةً: أَوْ مُسَافِرٍ"(٣)، وَقَالَ

(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَتَمَامُهُ: "... عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

(٢) [رواه أبو داود، باب الجمعة للمملوك والمرأة، ر١٠٦٩].

(٣) وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ [المعجم الأوسط، ر٨١٨] بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ عَلَى مُسَافِرٍ جُمُعَةٌ".

أَصْحَابُنَا: إِذَا لَمْ يَبْقَ عِنْدَ الإِمَامِ إِلاَّ النِّسَاءُ وَالْعَبِيدُ وَالْمُسَافِرُونَ صَلَّى أَرْبَعًا، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَحْرَمَ بِهَا صَلاَّهَا جُمُعَةً، وَقَالُوا: إِنَّ الْجُمُعَةَ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَاطَبَهُمْ فَقَالَ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآيَة[1]، وَالْعَبِيدُ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ، وَلاَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْعِ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[2].

وَأَمَّا سُقُوطُهَا عَنِ الْمُسَافِرِ فَلِمَا رُوِيَ "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِعَرَفَةَ صَلاَةَ الْمُسَافِرِ وَهُوَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ"[3]، وَكَذَلِكَ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا صَلَّى بِأَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ: أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، وَلأَنَّ اتِّخَاذَ الْوَطَنِ مِنْ شُرُوطِ الصَّلاَةِ، لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ اتَّخَذَ الْمَدِينَةَ وَطَنًا، فَكَانَتْ لَهُ مَوْضِعَ التَّمَامِ، ثُمَّ فَتَحَ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ فَكَانَتْ دَارَ إِسْلاَمٍ، فَلَمْ يَتَّخِذْهَا وَطَنًا، فَكَانَ يَقْصُرُ فِيهَا الصَّلاَةَ، وَفِيهَا دَارُهُ وَدَارُ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ﷺ، فَكَانَا يُصَلِّيَانِ فِي مَكَّةَ رَكْعَتَيْنِ، وَفِيهَا دُورُهُمْ وَدُورُ آبَائِهِمْ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الإِمَامُ وَالْمِصْرُ** فَهُمَا مِنْ شُرُوطِ الْجُمُعَةِ أَيْضًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا، وَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَلَمْ يَرَ السُّلْطَانَ وَالْمِصْرَ شَرْطًا فِي الْجُمُعَةِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: الاحْتِمَالُ الْمُتَطَرَّقُ فِي فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّهَا إِلاَّ فِي جَمَاعَةٍ وَمِصْرٍ وَمَسْجِدٍ جَامِعٍ، فَمَنْ رَأَى أَنَّ هَذِهِ الأَشْيَاءَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ وُجُوبِ الْجُمُعَةِ اشْتَرَطَهَا، وَمَنْ رَأَى بَعْضَهَا دُونَ بَعْضٍ اشْتَرَطَ ذَلِكَ

(١) الْجُمُعَة: ٩.

(٢) النَّحْل: ٧٥.

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الْبَعْضَ دُونَ غَيْرِهِ، وَقَدْ رَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: "لاَ جُمُعَةَ وَلاَ تَشْرِيقَ إِلاَّ فِي مِصْرٍ جَامِعٍ"، يَعْنِي بِالتَّشْرِيقِ صَلاَةَ الْعِيدَيْنِ، وَقِيلَ: كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ لاَ يَرَى فِي شَيْءٍ مِنْ بِلاَدِ الأَعَاجِمِ جُمُعَةً، وَقِيلَ: كَانَ ضُمَامٌ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْعَرَبِ أُقِيمَتْ فِيهَا الْحُدُودُ جُمِعَ فِيهَا، وَقِيلَ عَنْ أَبِي الْحَوَارِيِّ[1] مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ قَالَ: تَجُوزُ صَلاَةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَ الْجَبَابِرَةِ فِي الأَمْصَارِ السَّبْعَةِ، وَلاَ تَجُوزُ فِي غَيْرِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ** فَهِيَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْجُمُعَةِ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، إِذْ لاَ تُصَلَّى فُرَادَى[2]، وَاخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ الْجَمَاعَةِ، فَقِيلَ: وَاحِدٌ مَعَ الإِمَامِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلرَّجُلَيْنِ: "هَذَانِ جَمَاعَةٌ"[3]، وَقِيلَ: اثْنَانِ سِوَى الإِمَامِ، وَقِيلَ: ثَلاَثَةٌ سِوَى الإِمَامِ، وَقِيلَ: ثَلاَثُونَ، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ.

---

(١) أَبُو الْحَوَارِيِّ: هُوَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَوَارِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَوَارِيِّ الْعُمَانِيُّ، مِنْ بَلْدَةِ تنُوف مِنْ أَعْمَالِ بَيْنَ نِزْوَى وَالْجَبَلِ الأَخْضَرِ، عَاشَ بِنِزْوَى، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِي الْمُؤَثِّرِ الصَّلْتِ بْنِ خَمِيسٍ الْخروصِيِّ، وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ مَرْجِعَ الْعُمَانِيِّينَ فِي عَصْرِهِ، وَمِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، وَكَانَ ﷺ فَاضِلاً زَاهِدًا يَعِيشُ بِكَدِّ يَمِينِهِ، نَاهِيكَ أَنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْفَلاَةِ فَيَأْتِي بِالْخَشَبِ إِلَى السُّوقِ يَبِيعُهُ لِيَعِيشَ مِنْهُ، أَدْرَكَهُ زَمَنُ الْقَرَامِطَةِ الَّذِينَ عَمَّ بَلاَؤُهُمُ الْجَزِيرَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَأَصْدَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ وُلاَتِهِمْ حُكْمًا بِالإِعْدَامِ، فَوَجَدَهُ الرَّسُولُ يَتْلُو الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فِي مَسْجِدِ الشَّجبِيِّ فِي عُفْرِ نَزْوَى، فَأَمْسَكَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَمْ تَقْتُلْهُ؟ قَالَ: خَشِيتُ أَنْ يَنَالَ دَمُهُ جُدْرَانَ الْمَسْجِدِ. وَلَقَدْ تَرَكَ لَنَا تُرَاثًا أَدَبِيًّا زِيَادَةً عَلَى مَا تَخَرَّجَ عَلَيْهِ مِنْ عُلَمَاءَ، تَرَكَ لَنَا: زِيَادَاتٍ مُفِيدَةً عَلَى جَامِعِ ابْنِ جَعْفَرٍ، وَكِتَابَ تَفْسِيرِ خَمْسِمِائَةِ آيَةٍ، الَّذِي قَامَ بِطَبْعِهِ أَخِيرًا أَخُونَا الْفَاضِلُ الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ حَمَدٍ الْحَارِثِيُّ، وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدِ امْتَلأَتْ كُتُبُ الأَصْحَابِ بِعِلْمِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. اهـ مُصَحِّحه.

(٢) بَلْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ الْجُمُعَةَ تُصَلَّى وَلَوْ فُرَادَى وَلَوْ يُصَلِّيهَا الإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا الْجَمَاعَةُ لِئَلاَّ تَنْقَطِعَ.

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ. وَفِي مَعْنَى الْحَدِيثِ قَوْلُهُ ﷺ: **"الاثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ"**. رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: تَنَازُعُهُمْ فِيمَا يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْجَمْعِ، وَأَمَّا مَنِ اشْتَرَطَ الأَرْبَعِينَ، فَلِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلاَّهَا بِالْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ بِأَرْبَعِينَ رَجُلاً[1].

**وَالْخُطْبَةُ أَيْضًا** مِنْ شُرُوطِ الْجُمُعَةِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَلُّوا الظُّهْرَ أَرْبَعًا، وَلَيْسَتِ الْخُطْبَةُ بَدَلاً مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ؛ لأَنَّ الْمُصَلِّيَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَالْخَطِيبَ يَسْتَدْبِرُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدِ احْتَجَّ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّ الْخُطْبَةَ فَرِيضَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[2]، يَقُولُ: تَخْطُبُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهَا سُنَّةٌ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لِمُؤَذِّنِهِ: "**إِنَّمَا الْخُطْبَةُ عَزِيمَةٌ**"[3]، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهَا شَرْطٌ وَرُكْنٌ فِي الصَّلاَةِ، كَمَا قَدَّمْنَا.

## الْقِسْمُ الثَّالِثُ
## فِي شُرُوطِ أَدَاءِ الْجُمُعَةِ

**وَهِيَ**: دُخُولُ الْوَقْتِ، وَالنِّيَّةُ، وَالسَّعْيُ لَهَا، وَالْخُطْبَةُ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَهَا يُجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةٍ بَعْدَهَا، وَاخْتُلِفَ فِي الأَذَانِ لَهَا، وَالإِنْصَاتِ إِلَيْهَا، وَالطَّهَارَةِ فِيهَا.

**أَمَّا الْوَقْتُ** فَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ وَقْتَهَا وَقْتُ الظُّهْرِ بِعَيْنِهِ، يَعْنِي بَعْدَ الزَّوَالِ، فَلاَ تَجُوزُ الْخُطْبَةُ وَلاَ الصَّلاَةُ قَبْلَهُ، إِلاَّ خِلافًا شَاذًّا يُرْوَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ أَجَازَهَا قَبْلَ الزَّوَالِ، وَاحْتَجَّ بِمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: مَا كُنَّا

(١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "كَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: أَرْبَعُونَ رَجُلاً". [رواه الدارقطني، ذكر العدد في الجمعة، ر٧].

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) [لم أجد من خرجه].

نَتَغَدَّى فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ بَعْدَ الْجُمُعَةِ[١]، وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الأَوَّلُ، لِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلِ الشَّمْسُ[٢]، وَأَيْضًا فَإِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ بَدَلاً مِنَ الظُّهْرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ وَقْتُهَا وَقْتَ الظُّهْرِ.

**وَأَمَّا النِّيَّةُ وَالسَّعْيُ لَهَا** فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣]، فَالذِّكْرُ هُوَ الصَّلاَةُ، وَالسَّعْيُ هُوَ الْقَصْدُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَأَمَّا الْخُطْبَةُ** فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهَا، وَهُمَا خُطْبَتَانِ، يُفْصَلُ بَيْنَهُمَا بِجَلْسَةٍ خَفِيفَةٍ عِنْدَ بَعْضِهِمْ[٤]، وَأَمَّا فِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا قَالَ: لاَ يَجُوزُ الْجُلُوسُ، وَقَالَ: لَمْ يُرْفَعْ إِلَيْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا كَانُوا يَجْلِسُونَ بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ فِي آخِرِ سِنِّهِ لِلْكِبَرِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَحْدَثَ الْجُلُوسَ مُعَاوِيَةُ حِينَ كَثُرَ شَحْمُ بَطْنِهِ[٥]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَقَلُّ مَا قِيلَ فِي الْخُطْبَةِ الَّتِي تَصِحُّ بِهَا الْجُمُعَةُ، وَتَنْعَقِدُ بِهَا صَلاَةُ الْعِيدَيْنِ، وَيَتِمُّ بِهَا التَّرْوِيحُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ، وَهِيَ: الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَصَلَّى اللهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَلاَةَ الْجُمُعَةِ تُصَلَّى قَبْلَ الزَّوَالِ، نَعَمْ كَانَ ﷺ يُسَارِعُ بِصَلاَةِ الْجُمُعَةِ فِي أَوَّلِ وَقْتِ الزَّوَالِ بِخِلاَفِ الظُّهْرِ، فَقَدْ كَانَ يُؤَخِّرُهُ بَعْدَهُ حَتَّى تَجْتَمِعَ النَّاسُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

(٣) الجمعة: ٩.

(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا ثُمَّ يَجْلِسُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا، فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ يَخْطُبُ جَالِسًا فَقَدْ كَذَبَ، فَقَدْ وَاللهِ صَلَّيْتُ مَعَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ صَلاَةٍ". الْمُرَادُ بِهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

(٥) رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ طَاوُوسَ قَالَ: "خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَأَوَّلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ مُعَاوِيَةُ".

**وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ فِيهَا** فَأَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُقْرَأَ فِيهَا بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ، لِحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنَ الصَّحَابَةِ يَقُولُونَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى أَثَرِ سُورَةِ الْجُمُعَةِ بِسُورَةِ الْغَاشِيَةِ[1]، وَقَالَ جَابِرٌ: وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّهُ يَقْرَأُ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى[2]، وَالْقَوْلُ الأَوَّلُ رُوِيَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْهُ ﷺ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِسُورَةِ الْمُنَافِقِينَ[3]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَاخْتُلِفَ فِي الأَذَانِ لَهَا**، فَقِيلَ: هُوَ أَذَانٌ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

**وَكَذَلِكَ الإِنْصَاتُ إِلَى الإِمَامِ وَهُوَ يَخْطُبُ**، اخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْوَالٍ، **[القول الأول]** مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ حُكْمٌ لاَزِمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْخُطْبَةِ، وَعَلَى هَذَا الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ"[4]، وَاخْتَلَفُوا فِي رَدِّ السَّلاَمِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، فَأَجَازَهُ بَعْضٌ، وَمَنَعَ مِنْهُ آخَرُونَ، **وَالْقَوْلُ الثَّانِي**: أَنَّ الْكَلاَمَ جَائِزٌ، إِلاَّ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الشَّعْبِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا**﴾[5]، وَأَنَّ مَا عَدَا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ يَجِبُ لَهُ الإِنْصَاتُ، وَفَرَّقَ آخَرُونَ بَيْنَ أَنْ يَسْمَعَ الْخُطْبَةَ أَوْ لاَ يَسْمَعَهَا، وَأَمَّا اخْتِلاَفُهُمْ فِي رَدِّ السَّلاَمِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ فَلِتَعَارُضِ الأَمْرِ بِهِمَا وَالأَمْرِ بِالإِنْصَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى – هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ. [سبق تخريجه]

(٢) أَنَّهُ ﷺ تَارَةً يَقْرَأُ هَكَذَا وَتَارَةً هَكَذَا.

(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٥) الأَعْرَاف: ٢٠٤.

وَقَدِ اتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ وَقْتَ الأَذَانِ هُوَ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَخَذَ الإِمَامُ فِي الْخُطْبَةِ، وَلاَ يَنْزِلُ حَتَّى يَقُولَ الْمُؤَذِّنُ: قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ، فَيَدْخُلُ الإِمَامُ فِيهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَسُنَنُ الْجُمُعَةِ الْمُخْتَصَّةُ بِهَا:** الْغُسْلُ عِنْدَ الرَّوَاحِ لَهَا، وَلاَ يُجْزِئُهُ إِلاَّ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَالطِّيبُ، وَالسِّوَاكُ، وَالتَّجْمِيلُ فِي اللِّبَاسِ، وَالْبُكُورُ، وَالإِنْصَاتُ لِلإِمَامِ، وَالاسْتِقْبَالُ لَهُ بِالْوَجْهِ، وَالْجَهْرُ بِالْقِرَاءَةِ.

**وَفَضَائِلُهَا:** التَّهْجِيرُ لَهَا، وَصِلَةُ الْغُسْلِ بِالرَّوَاحِ لَهَا، وَاسْتِعْمَالُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ: مِنْ قَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإِبِطِ، وَالاسْتِحْدَادِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَالاقْتِصَادُ فِي خُطْبَتِهَا[1]، وَالتَّوَكُّؤُ عَلَى عَصًا أَوْ سَيْفٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَاشْتِمَالُهَا عَلَى الذِّكْرِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ وَالشَّهَادَتَيْنِ، وَالتَّذْكِيرُ وَالدُّعَاءُ وَالصَّدَقَةُ قَبْلَهَا.

## الْقِسْمُ الرَّابِعُ
## فِي أَحْكَامِ الْجُمُعَةِ

**وَفِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ:**

**إِحْدَاهَا: فِي غُسْلِ الْجُمُعَةِ،** وَهُوَ سُنَّةٌ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَهَبَ أَهْلُ الظَّاهِرِ إِلَى وُجُوبِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**طُهْرُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**"[2]،

---

(١) لِحَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "طُولُ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرُ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَالْمَئِنَّةُ: الْعَلاَمَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ ثُمَّ نُونٍ مُشَدَّدَةٍ؛ يَعْنِي: مِمَّا يُعْرَفُ بِهِ فِقْهُ الرَّجُلِ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِلَفْظِ: "الْغُسْلِ".

وَاحْتَجَّ الأَوَّلُونَ بِقَوْلِهِ ﷺ: "**مَنْ تَوَضَّأَ فِيهَا وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَهُوَ أَفْضَلُ**"[1].

**وَالثَّانِيَةُ**: اخْتِلاَفُهُمْ فِيمَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجِ الْمِصْرِ، فَقِيلَ: عَلَى مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ، وَقِيلَ: فَرْسَخَانِ. وَقِيلَ: ثَلاَثَةُ أَمْيَالٍ.

**وَالثَّالِثَةُ**: اخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ الرَّوَاحِ إِلَيْهَا الْمُرَغَّبِ فِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً...**" الْحَدِيثَ[2]، فَقِيلَ: أَوَّلَ النَّهَارِ، وَقِيلَ: قَبْلَ الزَّوَالِ، وَقِيلَ: بَعْدَهُ.

**وَالرَّابِعَةُ**: اخْتَلَفُوا فِي الْبَيْعِ بَعْدَ النِّدَاءِ، فَقِيلَ: يُفْسَخُ، وَقِيلَ: لاَ يُفْسَخُ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: تَنَازُعُهُمْ فِي النَّهْيِ، هَلْ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ أَمْ لاَ؟ وَأَمَّا بَيْعُ مَنْ لاَ تَجِبُ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ فَلاَ يُفْسَخُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ والنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بِلَفْظِ: "وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ".

(٢) [رواه الربيع، باب في صلاة الجمعة وفضل يومها، ر٢٨٣]، والْجَمَاعَةُ إِلاَّ ابْنَ مَاجَةَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَفْظُ الْحَدِيثِ: "مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَغُسْلِ الْجَنَابَةِ فَرَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى فَكَأَنَّهُ قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ".

# بَابٌ
# فِي اسْتِدْرَاكِ الصَّلاَةِ وَقَضَاءِ الْفَوَائِتِ مِنْهَا

وَهَذَا الْبَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى فَصْلَيْنِ:

## الفَصْلُ الأَوَّلُ
## فِي اسْتِدْرَاكِ فَوَائِتِ الصَّلاَةِ

إِذَا فَاتَ الْمَأْمُومُ وَرَاءَ إِمَامِهِ، فَإِنَّ فِيهِ مَسَائِلَ تَجْرِي مَجْرَى الأَصْلِ:

**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى:** مَتَى تَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ إِذَا دَخَلَ وَالإِمَامُ قَدْ هَوَى إِلَى الرُّكُوعِ؟ فَقَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: إِذَا رَكَعَ مَعَ الإِمَامِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ فَهُوَ مُدْرِكٌ لِتِلْكَ الرَّكْعَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاؤُهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِذَا رَكَعَ الإِمَامُ فَقَدْ فَاتَتْهُ الرَّكْعَةُ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ قَائِمًا، وَهَذَا مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقِيلَ: إِذَا رَفَعَ الإِمَامُ رَأْسَهُ وَأَدْرَكَ بَعْضَ الْمَأْمُومِينَ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ إِنَّ ذَلِكَ يُجْزِئُهُ؛ لأَنَّ بَعْضَهُمْ أَئِمَّةٌ لِبَعْضٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: تَرَدُّدُ الرَّكْعَةِ بَيْنَ أَنْ تَدُلَّ عَلَى الانْحِنَاءِ فَقَطْ، أَوْ تَدُلَّ عَلَى الانْحِنَاءِ وَالْوُقُوفِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ"[1]، فَمَنْ قَصَرَ اسْمَ الرُّكُوعِ عَلَى الْقِيَامِ قَالَ: إِذَا فَاتَهُ وُقُوفُ الإِمَامِ فَقَدْ فَاتَتْهُ الرَّكْعَةُ، وَمَنْ قَالَ: الرُّكُوعُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْقِيَامِ وَالانْحِنَاءِ، جَعَلَ إِدْرَاكَ الانْحِنَاءِ إِدْرَاكًا لِرَكْعَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّكُوعَ يُطْلَقُ عَلَى الانْحِنَاءِ لُغَةً، وَعَلَى الْقِيَامِ وَالانْحِنَاءِ وَالسُّجُودِ شَرْعًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الأَوَّلِ إِذَا دَخَلَ فِي رُكُوعِ الإِمَامِ بِتَكْبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ بَعْضٌ: يُجْزِئُهُ إِذَا نَوَاهَا تَكْبِيرَةَ الإِحْرَامِ، وَلَكِنَّ الاخْتِيَارَ اثْنَتَانِ: إِحْدَاهُمَا لِلافْتِتَاحِ، وَالثَّانِيَةُ لِلرُّكُوعِ، وَقَالَ قَوْمٌ: لاَ بُدَّ مِنْ تَكْبِيرَتَيْنِ، وَقِيلَ: تُجْزِئُهُ وَاحِدَةٌ وَإِنْ لَمْ يَنْوِهَا لِلإِحْرَامِ، وَالصَّحِيحُ الأَوَّلُ.

وَأَمَّا إِذَا سَهَى عَنِ اتِّبَاعِ الإِمَامِ فِي الرُّكُوعِ حَتَّى سَجَدَ فَقَالَ قَوْمٌ: إِذَا فَاتَهُ إِدْرَاكُ الرُّكُوعِ مَعَهُ فَقَدْ فَاتَتْهُ الرَّكْعَةُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ قَضَاؤُهَا، وَقِيلَ: إِذَا رَكَعَ وَأَدْرَكَ الإِمَامَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ يَعْتَدُّ بِهَا وَتُجْزِئُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَتْبَعُهُ وَيَعْتَدُّ بِهَا مَا لَمْ يَرْفَعِ الإِمَامُ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: هَلْ مِنْ شَرْطِ فِعْلِ الْمَأْمُومِ أَنْ يَكُونَ مُقَارِنًا لِفِعْلِ الإِمَامِ أَمْ لاَ؟ فَإِنْ كَانَ شَرْطًا، فَهَلْ هُوَ فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الرَّكْعَةِ الثَّلاَثَةِ: مِنَ الْقِيَامِ وَالانْحِنَاءِ وَالسُّجُودِ، أَمْ إِنَّمَا هُوَ شَرْطٌ فِي بَعْضِهَا؟ وَمَتَى يَكُونُ اخْتِلاَفًا عَلَى الإِمَامِ إِذَا لَمْ يَكُنْ يُقَارِنُ فِعْلَ الْمَأْمُومِ فِعْلُهُ؟ أَعْنِي أَنْ يَفْعَلَ هُوَ فِعْلاً وَيَفْعَلَ الإِمَامُ فِعْلاً ثَانِيًا،

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا جِئْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ وَنَحْنُ سُجُودٌ فَاسْجُدُوا وَلاَ تَعُدُّوهَا شَيْئًا، وَمَنْ أَدْرَكَ الرَّكْعَةَ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَقَالَ: صَحِيحٌ. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ الإِمَامَ سَاجِدًا وَافَقَهُ فِي السُّجُودِ، وَلاَ يُعِدُّ ذَلِكَ رَكْعَةً، وَمَنْ أَدْرَكَ الرَّكْعَةَ؛ أَيِ: الرُّكُوعَ مَعَ الإِمَامِ؛ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ؛ أَيِ: الرَّكْعَةَ، وَحُسِبَتْ لَهُ.

فَمَنْ قَالَ: الرَّكْعَةُ وَجَمِيعُ أَجْزَائِهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: إِذَا اتَّبَعَ الإِمَامَ وَلَحِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَهُوَ مُدْرِكٌ لِلرَّكْعَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي قَوْلِهِ ﷺ: "**لاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ**"(١)، وَمَنْ قَالَ: لَيْسَ مِنْ شَرْطِ فِعْلِ الْمَأْمُومِ أَنْ يُقَارِنَ فِعْلَ إِمَامِهِ، وَإِنَّمَا مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ فَقَطْ، قَالَ: إِنْ أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ يَعْتَدُّ بِهَا.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:** وَاخْتَلَفُوا فِيمَا يَسْتَدْرِكُهُ الْمَأْمُومُ بَعْدَ تَسْلِيمِ الإِمَامِ، هَلْ يَكُونُ قَضَاءً أَوْ أَدَاءً؟ فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ قَضَاءٌ، وَأَنَّ مَا أَدْرَكَ لَيْسَ هُوَ أَوَّلَ صَلاَتِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ أَدَاءٌ، وَأَنَّ مَا أَدْرَكَ هُوَ أَوَّلُ صَلاَتِهِ.

**وَفَائِدَةُ الْخِلاَفِ:** فِيمَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْمَغْرِبِ رَكْعَةً، فَعَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ قَضَاءٌ، يَقُومُ الْمَأْمُومُ إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَهُمَا، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي يَقُومُ إِلَى رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةٍ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ جَلَسَ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الثَّانِيَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** أَنَّهُ وَرَدَ الْحَدِيثُ الْمَشْهُورُ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ: "فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"(٢)، وَالإِتْمَامُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَا أَدْرَكَ هُوَ أَوَّلَ صَلاَتِهِ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ: "**فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا**"(٣)، وَالْقَضَاءُ يُوجِبُ أَنَّ مَا أَدْرَكَ هُوَ آخِرُ صَلاَتِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَا أَدْرَكَ هُوَ أَوَّلُ صَلاَتِهِ،

---

(١) يُشِيرُ إِلَى حَدِيثِ: "لاَ تَخْتَلِفُوا عَلَى إِمَامِكُمْ وَلاَ تُتَابِعُوهُ فِي الْقُعُودِ". قَالَ صَاحِبُ سُبُلِ السَّلاَمِ: "كَذَا فِي شَرْحِ الْقَاضِي، وَلَمْ يُسْنِدْهُ إِلَى كِتَابٍ، وَلاَ وَجَدْتُ قَوْلَهُ: "لاَ تُتَابِعُوهُ فِي الْقُعُودِ" فِي حَدِيثٍ، فَيُنْظَرُ". اهـ. [الصنعاني: سبل السلام، ٢٣/٢].

(٢) [رواه البخاري، كتاب الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة، ٦٠٩، ومسلم، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار، ر١٣٨٩].

(٣) [رواه الربيع، كتاب الصلاة ووجوبها، باب في صلاة الجماعة والقضاء في الصلاة، ر٢١٧، والنسائي، كتاب الإمامة، باب السعي إلى الصلاة، ر٨٦١].

لاتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ مَوْضِعُ الإِحْرَامِ، وَإِيجَابِهِمْ عَلَى الدَّاخِلِ تَرْتِيبَ آخِرِ صَلاَتِهِ، لَكِنْ تَخْتَلِفُ فِي التَّرْتِيبِ نِيَّةُ الْمَأْمُومِ وَالإِمَامِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ:** وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ أَدْرَكَ مِنْ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ رَكْعَةً، فَقَالَ قَوْمٌ: عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ رَكْعَةً ثَانِيَةً[1]، وَإِنْ أَدْرَكَ أَقَلَّ مِنْ رَكْعَةٍ صَلَّى أَرْبَعًا، وَقَالَ قَوْمٌ: بَلْ يَقْضِي الرَّكْعَتَيْنِ أَدْرَكَ مِنْهُمَا مَا أَدْرَكَ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ:** التَّعَارُضُ الْوَاقِعُ بَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ: **"مَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"**، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: **"مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الصَّلاَةِ رَكْعَةً فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ"**[2].

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ:** قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لاَ يُمْكِنُ وُصْلاَنُ الصَّلاَةِ إِلاَّ فِي حَالِ الْقِيَامِ أَوِ الْقُعُودِ، وَيُسَلِّمُ الدَّاخِلُ - إِذَا اسْتَدْرَكَ مَا فَاتَهُ بِهِ الإِمَامُ - قَاعِدًا عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقِيلَ: إِنْ أَدْرَكَ الْقِيَامَ يُسَلِّمُ قَائِمًا، وَيَلْزَمُ الْمُسَافِرَ إِنْ دَخَلَ عَلَى الإِمَامِ الْحَاضِرِ التَّمَامُ، وَإِنِ اسْتَخْلَفَهُ الْحَاضِرُ كَانَ خَلِيفَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) لِقَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنْ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ فَلْيُضِفْ إِلَيْهَا أُخْرَى، وَقَدْ تَمَّتْ صَلاَتُهُ". [رواه الدارقطني، باب فيمن يدرك من الجمعة ركعة أو لم يدركها، ر١٢].

(٢) تَقَدَّمَ قَرِيبًا.

## الفَصْلُ الثَّانِي
# فِي قَضَاءِ الْفَوَائِتِ

اتَّفَقَ أَهْلُ الإِسْلاَمِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْقَضَاءُ عَلَى النَّائِمِ وَالنَّاسِي، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَذَلِكَ وَقْتُهَا**"(١)، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ التَّارِكَ لِلصَّلاَةِ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا أَنَّهُ آثِمٌ عَاصٍ، وَأَنَّ الْقَضَاءَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، إِلاَّ مَا ذُكِرَ عَنِ الظَّاهِرِيَّةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: هُوَ آثِمٌ وَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ شَيْئَانِ**، أَحَدُهُمَا: قِيَاسُ الْعَامِدِ عَلَى النَّاسِي الَّذِي عَذَرَهُ الشَّرْعُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَالْمُتَعَمِّدُ أَحْرَى أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ؛ لأَنَّهُ غَيْرُ مَعْذُورٍ، وَالْحَقُّ فِي هَذَا إِذَا جُعِلَ الْوُجُوبُ مِنْ بَابِ التَّغْلِيظِ كَانَ الْقِيَاسُ سَائِغًا، وَأَمَّا إِنْ جُعِلَ مِنْ بَابِ الرِّفْقِ فَلاَ يَسُوغُ؛ لأَنَّ الْعَامِدَ ضِدُّ النَّاسِي، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا صِفَةُ الْقَضَاءِ فَهِيَ بِعَيْنِهَا صِفَةُ الأَدَاءِ إِذَا كَانَتِ الصَّلاَتَانِ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِثْلِ أَنْ يَذْكُرَ صَلاَةً حَضَرِيَّةً فِي سَفَرٍ، أَوْ سَفَرِيَّةً فِي حَضَرٍ، فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، فَذَهَبَ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنَّ الْعَامِدَ لِتَرْكِ الصَّلاَةِ، أَوْ يُصَلِّيهَا بِمَا لا تَتِمُّ بِهِ، إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الصَّلاَةِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ سَفَرٍ وَلاَ حَضَرٍ؛ لأَنَّهَا دَيْنٌ عَلَيْهِ، وَأَمَّا النَّائِمُ وَالنَّاسِي فَلْيُرَاعِ الْوَقْتَ الَّذِي اسْتَيْقَظَ فِيهِ أَوْ تَرَكَ الصَّلاَةَ فِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "**فَذَلِكَ وَقْتُهَا**"، فَيَقْضِي الْحَضَرِيَّةَ فِي السَّفَرِ سَفَرِيَّةً، وَالسَّفَرِيَّةَ فِي الْحَضَرِ حَضَرِيَّةً، وَقَالَ بَعْضٌ: يَقْضِي أَرْبَعًا عَلَى كُلٍّ،

(١) [سبق تخريجه].

سَفَرِيَّةً كَانَتِ الْمَنْسِيَّةُ أَوْ حَضَرِيَّةً، فَعَلَى رَأْيِ هَؤُلاَءِ إِنْ ذَكَرَ فِي السَّفَرِ حَضَرِيَّةً صَلاَّهَا حَضَرِيَّةً، وَإِنْ ذَكَرَ فِي الْحَضَرِ سَفَرِيَّةً صَلاَّهَا حَضَرِيَّةً، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ التَّرْتِيبِ فِي قَضَاءِ الْمَنْسِيَّاتِ، أَعْنِي تَرْتِيبَ الْمَنْسِيَّاتِ مَعَ الصَّلاَةِ الْحَاضِرَةِ فِي الْوَقْتِ، وَتَرْتِيبَ الْمَنْسِيَّاتِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ إِذَا كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ وَاجِبٌ فِي الْخَمْسِ الصَّلَوَاتِ فَمَا دُونَهَا، وَأَنَّهُ يَبْدَأُ بِالْمَنْسِيَّةِ وَإِنْ فَاتَهُ وَقْتُ الْحَاضِرَةِ، حَتَّى أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ ذَكَرَ الْمَنْسِيَّةَ وَهُوَ فِي الْحَاضِرَةِ فَسَدَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: التَّرْتِيبُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَاضِرَةِ وَاسِعًا فَحَسَنٌ.

**وَسَبَبُ الْخِلاَفِ**: تَشْبِيهُ الْقَضَاءِ بِالأَدَاءِ، وَلِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَاتَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فَصَلاَّهُنَّ عَلَى التَّرْتِيبِ[1].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت، ٥٧١]، لَكِنَّهُ نَصَّ عَلَى أَنَّ الْفَائِتَةَ صَلاَةُ الْعَصْرِ فَقَطْ، لاَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ، وَذَكَرَ الشَّيْخُ عَامِرٌ فِي كِتَابِ الإِيضَاحِ أَنَّ الْفَائِتَاتِ أَرْبَعٌ، لِمَا رُوِيَ "أَنَّهُ ﷺ فَاتَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَرْبَعَ صَلَوَاتٍ فَصَلاَّهُنَّ عَلَى التَّرْتِيبِ" [باب القضاء في الصلاة، ١/ ٦٨٦]، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: "مَلأَ اللهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ"، وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ جَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كِدْتُ أُصَلِّي حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَاللهِ مَا صَلَّيْتُهَا"، فَنَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بطْحَانَ، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ. [رواه البخاري، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ر٣٨٨٦].

وَهُنَاكَ رِوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مُخْتَلِفَةٌ: فَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ لَمْ يَفُتْهُ إِلاَّ الْعَصْرُ، وَفِي الْمُوَطَّإِ: الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ شَغَلُوا رَسُولَ اللهِ عَنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. [موطأ مالك – رواية يحي الليثي، باب صلاة الخوف، ١/ ٣٤٥].

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي طَرِيقِ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ: "إِنَّ وَقْعَةَ الْخَنْدَقِ بَقِيَتْ أَيَّامًا، فَكَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَيَّامِ، وَهَذَا فِي بَعْضِهَا"، وقَالَ – قبل ذلك –: "وَأَمَّا تَأْخِيرُ النبي ﷺ صَلاَةَ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ

**مَسْأَلَةٌ [فِي حُكْمِ تَارِكِ الصَّلاَةِ بِغَيْرِ عُذْرٍ]:** وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ تَارِكَ الصَّلاَةِ بِغَيْرِ عُذْرٍ كَافِرٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **"لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ إِلاَّ تَرْكُهُ الصَّلاَةَ"**(١)، وَفِي أَثَرِ أَصْحَابِنَا: عَمْرُوسِ بْنِ فَتْحٍ وَغَيْرِهِ: مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ، وَصَلاَةَ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ فَقَدْ ضَلَّ وَهَلَكَ، وَرَوَى أَصْحَابُ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ مُؤَذِّنًا أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ حِينَ غَزَا بَنِي قُرَيْظَةَ: **"مَنْ كَانَ سَمِيعًا مُطِيعًا فَلاَ يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"**(٢)، فَلَمْ يُصَلِّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْعَصْرَ إِلاَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، وُقُوفًا لأَمْرِهِ ﷺ، وَشَغَلَهُمْ فِيمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ فِي حَرْبِهِمْ، قَالَ: فَمَا عَاتَبَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ وَلاَ عَنَّفَهُمْ رَسُولُهُ ﷺ.

وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ عُمَانَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ الْعَامِدَ لِتَرْكِ الصَّلاَةِ وَالْمُشْتَغِلَ عَنْهَا حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا أَنَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ وَالتَّوْبَةَ وَالْكَفَّارَةَ: صِيَامَ شَهْرَيْنِ، أَوْ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ، وَبِهِ الْحَوْلُ وَالتَّوْفِيقُ.

## تَمَّ الْجُزْءُ الأَوَّلُ بِعَوْنِ اللهِ، وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الثَّانِي

## أَوَّلُهُ كِتَابُ الزَّكَاةِ

---

الشَّمْسُ فَكَانَ قَبْلَ نُزُولِ صَلاَةِ الخَوْفِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَخَّرَهَا نِسْيَانًا لاَ عَمْدًا، وَكَانَ السَّبَبُ فِي النِّسْيَانِ الاشْتِغَالَ بِأَمْرِ الْعَدُوِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَخَّرَهَا عَمْدًا لِلاشْتِغَالِ بِالْعَدُوِّ، وَكَانَ هَذَا عُذْرًا فِي تَأْخِيرِ الصَّلاَةِ قَبْلَ نُزُولِ صَلاَةِ الْخَوْفِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَلاَ يَجُوزُ تَأْخِيرُ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا بِسَبَبِ الْعَدُوِّ وَالْقِتَالِ، بَلْ يُصَلِّي صَلاَةَ الْخَوْفِ عَلَى حَسَبِ الْحَالِ. [شرح صحيح مسلم، ٥/ ١٣٠].

(١) رَوَاهُ الرَّبِيعُ [كتاب الصلاة ووجوبها، باب جامع الصلاة، ر٣٠٣]، وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ"** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: "لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ". فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

# الفهارس

مقدمة التحقيق..... ٥
مقدمة المصحح..... ١٥
الشيخ الجيطالي وكتابه قواعد الإسلام..... ١٧
ترجمة الشيخ الجيطالي..... ٢١
مقدمة المؤلف (الجيطالي)..... ٢٥
كِتَابُ التَّوْحِيدِ..... ٢٧
الرُّكْنُ الأَوَّلُ: فِي مَعْرِفَةِ اللهِ..... ٢٨
مقدمة..... ٢٩
علامات البلوغ..... ٣٠
الباب الأول: في معرفة الله عز وجل، وما لا يسع جهله كل مكلف..... ٣٣
فصل في أَدِلَّةُ مَعْرِفَةِ اللهِ..... ٣٣
الأَبْوَابُ الثَّلاَثَةُ الَّتِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا هَذَا الرُّكْنُ الأَوَّلُ..... ٣٥
الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي مَعْرِفَةِ اللهِ عز وجل..... ٣٧
القسم الأول: فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي اللهِ ﷻ وُجُوبًا وَإِثْبَاتًا.. ٣٧
الْقِسْمُ الثَّانِي: فِيمَا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ نَفْيًا وَاسْتِحَالَةً..... ٣٨
الْفَصْلُ الثَّانِي: فِي مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ..... ٤٠
الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ..... ٤١
بَابُ ذِكْرِ الأَقْسَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الأُمَّهَاتِ مِنْ وَظَائِفِ

الاعْتِقَادَاتِ.....٤٧
القسم الأول: الإيمان بالموت.....٤٧
الْقِسْمُ الثَّانِي: فِي قِيَامِ السَّاعَةِ.....٥٠
الْقِسْمُ الثَّالِثُ: فِي اعْتِقَادِ كَوْنِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.....٥٠
الْقِسْمُ الرَّابِعُ: فِي الْحِسَابِ.....٥١
الْقِسْمُ الْخَامِسُ: فِي الثَّوَابِ.....٥٣
الْقِسْمُ السَّادِسُ: فِي الْعِقَابِ.....٥٤
الْقِسْمُ السَّابِعُ: فِي الْمَلاَئِكَةِ.....٥٥
الْقِسْمُ الثَّامِنُ: فِي الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.....٥٧
الْقِسْمُ التَّاسِعُ: فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ.....٦١
الْقِسْمُ الْعَاشِرُ: فِي الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ.....٦٤
الْقِسْمُ الْحَادِي عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ.....٦٧
الْقِسْمُ الثَّانِي عَشَرَ: فِي فَرْزِ مَا بَيْنَ كَبَائِرِ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ.....٧١
الْقِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ: في معرفةِ حرمةِ دماءِ المسلمينَ وغنيمةِ أموالِهم وسبيِ ذراريهم.....٧٤
الْقِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ: فِي معرفةِ أمرِ اللهِ ونهيِهِ .....٧٦
الْقِسْمُ الْخَامِسَ عَشَرَ: فِي الْمَنِّ وَالدَّلاَئِلِ.....٧٧
الْقِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ: فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.....٧٨
الْبَابُ الثَّانِي مِنَ الرُّكْنِ الأَوَّلِ: فِي الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَأَحْكَامُهَا.....٨١

الْجُمْلَةُ الأُولَى: فِي الْوَلاَيَةِ وَتَقَاسِيمِهَا.....٨١
الفصل الأول: فِي مَعْنَى الْوَلاَيَةِ وَالاسْتِشْهَادِ عَلَى وُجُوبِهَا.....٨٣
الْفَصْلُ الثَّانِي: فِي وَلاَيَةِ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ.....٨٥
الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي وَلاَيَةِ الأَوْلِيَاءِ الْمَوْصُوفِينَ بِالْعِصْمَةِ وَالاصْطِفَاءِ فِي الْقُرْآنِ.....٨٦
الْفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي وَلاَيَةِ الْبَيْضَةِ.....٨٨
الْفَصْلُ الْخَامِسُ: فِي وَلاَيَةِ الْخَارِجِ مِنَ الشِّرْكِ إِلَى الإِسْلاَمِ.....٩٠
الْفَصْلُ السَّادِسُ: فِي وَلاَيَةِ الْخَارِجِ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْخِلاَفِ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْوِفَاقِ.....٩٢
الْفَصْلُ السَّابِعُ: فِي وَلاَيَةِ الْمَخْصُوصِ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ بِشَخْصِهِ.....٩٧
القسم الأول: فِي الاستدلالِ علَى فَرضِ وَلايةِ الأشخاصِ.....٩٨
القسم الثَّانِي: فِي كَيْفِيَّةِ وَلاَيَتِهِ.....٩٨
القسم الثَّالِثُ: فِي الْفَرْقِ بَيْنَ وَلاَيَةِ الْمَنْصُوصِ وَغَيْرِهِ.....١٠٠
الْفَصْلُ الثَّامِنُ: فِي وَلاَيَةِ الأَطْفَالِ.....١٠١
الْفَصْلُ التَّاسِعُ: فِي شُرُوطِ الْوَلاَيَةِ وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا.....١٠٥
الْفَصْلُ الْعَاشِرُ: فِي وَلاَيَةِ الأَئِمَّةِ وَقَادَةِ الأُمَّةِ.....١٠٧
الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي الْبَرَاءَةِ وَتَقَاسِيمِهَا.....١١١
الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي مَعْنَى الْبَرَاءَةِ وَأَدِلَّةِ وُجُوبِهَا.....١١١
الْفَصْلُ الثَّانِي: فِي بَرَاءَةِ الْجُمْلَةِ.....١١٤

**الْفَصْلُ الثَّالِثُ**: فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَذْمُومِينَ فِي الْقُرْآنِ.....١١٦

**الْفَصْلُ الرَّابِعُ**: فِي الْبَرَاءَةِ مِنْ إِمَامِ الْجَوْرِ وَجَمِيعِ مَنْ تَبِعَهُ عَلَى جَوْرِهِ..١١٨

**الْفَصْلُ الْخَامِسُ**: فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمُرْتَدِّ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلَى الشِّرْكِ.....١٢٠

**الْفَصْلُ السَّادِسُ**: فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْخَارِجِ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْخِلاَفِ.....١٢٢

**الْفَصْلُ السَّابِعُ**:فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَخْصُوصِ بِاسْمِهِ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ بِشَخْصِهِ. ١٢٤

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: فِي الاستدلالِ على فَرْضِ براءةِ الأشخاصِ .....١٢٤

**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي حُكْمِ براءةِ الشَّخْصِ المَخْصُوصِ .....١٢٥

**الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي حُكْمِ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ فِي الْقُرْآنِ أَوْ فِي السُّنَّةِ.....١٢٦

**الْفَصْلُ الثَّامِنُ**: فِي الْجِهَاتِ الَّتِي تَصِحُّ بِهَا الْبَرَاءَةُ .....١٢٨

**الْفَصْلُ التَّاسِعُ**: فِي اسْتِتَابَةِ الْمُتَوَلِّي إِذَا قَارَفَ كَبِيرَةً.....١٣٠

**الْفَصْلُ الْعَاشِرُ**: فِي حَقِيقَةِ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَوَلاَيَةِ اللهِ فِي الْعِبَادِ، وَأَلْفَاظِ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ.....١٣٥

**القسمُ الأَوَّلُ**: فِي حَقِيقَةِ الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ.....١٣٥

**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي وَلاَيَةِ اللهِ فِي الْعِبَادِ.....١٣٦

**الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي مَا يَجُوزُ مِنَ الأَلْفَاظِ فِي الْوَلاَيَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَمَا لاَ يَجُوزُ١٣٩

**الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي الْوُقُوفِ.....١٤٣

**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي الأَدِلَّةِ عَلَى فَرْضِ الْوُقُوفِ.....١٤٤
**الْفَصْلُ الثَّانِي**: فِي حُكْمِ الْمَوْقُوفِ عَنْهُ.....١٤٦
**الْفَصْلُ الثَّالِثُ**: فِي أَحْكَامِ الْوُقُوفِ فِي الأَفْعَالِ الإِنْسَانِيَّةِ .....١٤٨
**الْبَابُ الثَّالِثُ**: فِي الْمِلَلِ السِّتِّ وَأَحْكَامِهَا.....١٥٣
**الْجُمْلَةُ الأُولَى**: فِي أَحْكَامِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ.....١٥٣
**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي حُكْمِ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ.....١٥٦
**القسم الأول**: في حكم أهل الوفاق.....١٥٦
**القسم الثاني**: في حكم أهل خلاف المسلمين.....١٥٧
**الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ**: فِي أَحْكَامِ مِلَلِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالأَصْنَامِ.....١٦١
**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: في أحكام الملل الثلاث: اليهود والنصارى والصابئين١٦١
**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي أحكَامِ الْمَجُوسِ.....١٦٣
**الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي أَحْكَامِ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ مِنْ أَهْلِ اللاَّتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى.....١٦٣
**مسألة**: في مقدار الجزية وأحكامها.....١٦٤
**مسألة**: فِي الزيِّ الذِي يمتازُ بِهِ أهلُ الكتابِ عنْ غيرِهِم، وبعضِ أحكامِ معاملتِهم.....١٦٦
**مسألة**: في حُكمُ بَلَلِ أهلِ الكتابِ.....١٦٧
**الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي الْقَوَاعِدِ وَالأَرْكَانِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ.....١٦٨
قواعد الدين الأربعة.....١٦٨

**فَصْلٌ**: فِي مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ الْمُفْتَرَضِ تَعَلُّمُهُ.....١٧١
**الوجه الأول**: فِي مَعْرِفَةِ مَا لاَ يَسَعُ النَّاسَ جَهْلُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ.....١٧١
**الوجه الثاني**: في مَعْرِفَةُ مَا يَسَعُ جَهْلُهُ إِلَى الْوُرُودِ.....١٧١
**الوجه الثالث**: في معرفةِ مَا يَسَعُ جَهْلُهُ أَبَدًا.....١٧٢
مَا لا يسعُ جهلُهُ فِي هَذَا الوَجهِ.....١٧٢
**فَصْلٌ**: فِي الْعَمَلِ.....١٧٦
**فَصْلٌ**: فِي النِّيَّةِ وَتَوَابِعِهَا مِنَ الصِّدْقِ وَالإِخْلاَصِ.....١٧٨
**فَصْلٌ**: فِي الْوَرَعِ.....١٨٢
درجات الورع أربعة.....١٨٣
- ورعُ العُدولِ.....١٨٣
- ورعُ الصَّالحين.....١٨٣
- ورعُ المُتَّقين.....١٨٣
- ورعُ الصِّدِّقين.....١٨٤
وجوب اقتران العلم بالورع.....١٨٤
**فَصْلٌ**: فِي أَرْكَانِ الدِّينِ الأَرْبَعَةِ.....١٨٥
- مَسْأَلَةٌ فِي الاسْتِسْلاَمِ لأمرِ اللهِ.....١٨٥

- مَسْأَلَةٌ فِي الرِّضَى بقضاءِ اللهِ.....١٨٥

- مَسْأَلَةٌ فِي التَّوَكُّلِ على اللهِ وبعضُ أحْكَامِهِ.....١٨٦

- مسأَلَةٌ في تَفْوِيضِ الأُمُورِ إِلَى الله.....١٨٩

**كتاب الطهارات**.....١٩١

**الرُّكْنُ الثَّانِي مِنَ الْكِتَابِ**: فِي شُرُوطِ الصَّلاَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ السُّنَنِ وَالآدَابِ١٩٢

**الْمُقَدِّمَةُ الأُولَى**: فِي آدَابِ قَضَاءِ حَاجَةِ الإِنْسَانِ.....١٩٣

**الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ**: فِي أَعْيَانِ النَّجَاسَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا وَالْمُخْتَلَفِ فِيهَا.....١٩٧

الأعيانُ المتَّفَقُ على تحريمِها ونجاستِها عشرةٌ.....١٩٧

الأعيانُ المختلَفُ في نجاستِها عشرةٌ.....٢٠٣

**الْمُقَدِّمَةُ الثَّالِثَةُ**: فِيمَا تُزَالُ عَنْهُ هَذِهِ النَّجَاسَاتُ وَبِمَا تُزَالُ بِهِ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالْجِهَاتِ.....٢١٣

الأشياءُ التي تُزالُ عنها النَّجاسةُ ثلاثةٌ.....٢١٣

الأَشْيَاءُ الَّتِي تُزَالُ بِهَا النَّجَاسَةُ عشرةٌ.....٢١٤

**الأولُ**: الغسلُ.....٢١٤

المياه أربعة أقسام.....٢١٥

**القسم الأول**: الماء المطلق.....٢١٥

**الْقِسْمُ الثَّانِي**: الماء المقيد.....٢١٥

**الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: الماء المضاف..... ٢١٦
**الْقِسْمُ الرَّابِعُ**: الماء المستعمل..... ٢١٦
**فَصْلٌ**: في أحكام الماء المطلق..... ٢١٨
**فَصْلٌ**: فِي أَحْكَامِ الْغَسْلِ بِالْمَاءِ..... ٢٢١
**الثاني: فَصْلٌ فِي الْمَسْحِ**..... ٢٢٣
**الثالث**: النَّضحُ..... ٢٢٤
**الرابع**: الوطءُ..... ٢٢٥
**الخامس**: النَّارُ..... ٢٢٦
**السادس**: الزَّمانُ..... ٢٢٦
**السابع**: الدِّباغُ..... ٢٢٧
**الثامن**: التَّتْرِيبُ..... ٢٢٨
**التاسع**: الرِّيحُ والشَّمسُ والمطرُ..... ٢٢٨
**العاشر**: الرَّشْحُ..... ٢٢٩
**الْمُقَدِّمَةُ الرَّابِعَةُ: فِي الاسْتِنْجَاءِ**..... ٢٣١
**الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي الاسْتِجْمَارِ**..... ٢٣٢
**الْفَصْلُ الثَّانِي: فِي كَيْفِيَّةِ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ**..... ٢٣٤
**بَابٌ فِي الطَّهَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ لِلصَّلاَةِ**..... ٢٣٧
**الفصلُ الأَوَّلُ**: طهارةُ الوضوءِ من الأحداثِ..... ٢٣٧
**الْقِسْمُ الأَوَّلُ: فِي الْوُضُوءِ وَكَيْفِيَّتِهِ**..... ٢٣٧

**أقسام الوضوء:**.....٢٣٨
فرض (المفروض).....٢٣٨
سنة (المسنون).....٢٣٨
فضيلة (المستحب).....٢٣٨
مباح (المباح).....٢٣٨
**فَصْلٌ:** فِي أَحْكَامِ الْوُضُوءِ.....٢٣٩
فرائض الوضوء.....٢٣٩
مسنونات الوضوء.....٢٤٥
فضائل الوضوء.....٢٥٠
مكروهات الوضوء.....٢٥١
**مسألة** في المسح على الخفين.....٢٥٢
**القِسمُ الثَّانِي:** فِي نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ.....٢٥٤
موجبات الوضوء.....٢٥٥
**الْفَصْلُ الأَوَّلُ:** فِي الأَحْدَاثِ.....٢٥٦
**الْفَصْلُ الثَّانِي:** فِي الأَسْبَابِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى نَقْضِ الْوُضُوءِ.....٢٥٨
**الْفَصْلُ الثَّالِثُ:** فِي الأَفْعَالِ الْمُوجِبَةِ لِلْوُضُوءِ.....٢٦٢
**القسمُ الثَّالِثُ:** فِي الطَّهَارَةِ الصُّغْرَى (وهِيَ التَّيَمُّمُ).....٢٦٤
**فَصْلٌ:** فِي أَسْبَابِ التَّيَمُّمِ وَكَيْفِيَّتِهِ وَأَحْكَامِهِ .....٢٦٥
**الْقِسْمُ الأَوَّلُ:** فِيمَا يَنْقُلُ إِلَى التَّيَمُّمِ وَهُوَ الْعَجْزُ وأسبابُه ستَّةٌ.....٢٦٥

**الأول**: فقد الماء..... ٢٦٥
**الثاني** :الخوف..... ٢٦٧
**الثالث**: الحاجة إلى الماء..... ٢٦٨
**الربع**: الجهل بوجود الماء..... ٢٦٨
**الخامس**: المرض..... ٢٦٨
**السادس**: عدم إمكان عزل الجروح والقروح..... ٢٦٩
**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي كَيْفِيَّةِ التَّيَمُّمِ..... ٢٧٠
أركان التيمم..... ٢٧٠
**الركن الأول**: النية..... ٢٧٠
**الرُّكْنُ الثَّانِي**: مَا تُعْمَلُ بِهِ هَذِهِ الطَّهَارَةُ (مَا يَجوزُ بِهِ التَّيَمُّمُ)..... ٢٧١
**الرُّكْنُ الثَّالِثُ**: فِي كَيْفِيَّةِ التَّيَمُّمِ..... ٢٧٢
**الرُّكْنُ الرَّابِعُ**: فِي أَحْكَامِ التَّيَمُّمِ (مُفْسِدَاتُهُ)..... ٢٧٥
**الْقِسْمُ الرَّابِعُ**: فِي الطَّهَارَةِ مِنَ الأَحْدَاثِ الْمُوجِبَةِ لِلاغْتِسَالِ..... ٢٧٥
الغسل الواجب لخمسة أحداث..... ٢٧٥
**الأول** :الإنزال، غيوب الحشفة..... ٢٧٥
**الثاني**:انقطاع الحيض وكمال وقته..... ٢٧٥
**الثالث**: انقطاع دم النفاس..... ٢٧٦
**الرابع**: الموت..... ٢٧٦
**الخامس**: الدخول في الإسلام..... ٢٧٦

الغسل المسنون خمسة..... ٢٧٦
الغسل المستحب ستة..... ٢٧٦
فرائض الاغتسال ستة..... ٢٧٦
سنن الاغتسال ستة..... ٢٧٧
فضائل الاغتسال أربع..... ٢٧٧
مكروهات الاغتسال..... ٢٧٧
**الجُمْلَةُ الأُولَى**: فِي الغُسْلِ مِنَ الجَنَابَةِ..... ٢٧٩
**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي الاحْتِلاَمِ..... ٢٨٠
**الْفَصْلُ الثَّانِي**: فِي مُوجِبِ الْغُسْلِ مِنَ الْجِمَاعِ..... ٢٨٢
**الْفَصْلُ الثَّالِثُ**: فِي كَيْفِيَّةِ الْغُسْلِ..... ٢٨٥
**الْفَصْلُ الرَّابِعُ**: فِي أَحْكَامِ الْجَنَابَةِ..... ٢٨٨
**الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ**: فِي أَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِمَا..... ٢٩١
**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي مَعْرِفَةِ أَنْوَاعِ الدِّمَاءِ الْخَارِجَةِ مِنَ الأَرْحَامِ..... ٢٩١
**الأول**: دم الحيض..... ٢٩١
**الثاني**: دم الاستحاضة..... ٢٩٢
**الثالث**: دم النفاس..... ٢٩٢
**الْفَصْلُ الثَّانِي**: فِي أَحْكَامِ الْحَيْضِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ وَالْمَمْنُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ.... ٢٩٣
**الأول**: فِي حَدِّ الْحَيْضِ..... ٢٩٣
**الثَّانِي**: فِي مُدَّةِ الْحَيْضِ..... ٢٩٣

**الثَّالِثُ**: فِي حُكْمِ مَا يُمْتَنَعُ بِهِ فِي حَالِ الْحَيْضِ.....٢٩٥
**الْفَصْلُ الثَّالِثُ**: فِي اخْتِلاَفِ حُكْمِ النِّسَاءِ الْمُعْتَادَةِ [الْمُعَدَّةِ] لِلْمَحِيضِ.٢٩٨
**الأُولَى**: الْمُبْتَدِئَةُ.....٢٩٨
**الثانية**: المُعتادَةُ.....٢٩٩
**الثالثة**: المُستحَاضَةُ.....٣٠٢
**الرابعة**: الحَامِلُ.....٣٠٣
في اليائسَةِ تَرَى الدَّمَ أَوْ شيئًا مِنْ تَوابِعِهِ.....٣٠٥
الأشياءُ التِي تَقْطَعُ الحَيْضَ.....٣٠٥
**الْفَصْلُ الرَّابِعُ**: فِي دَمِ النِّفَاسِ.....٣٠٦
**الرُّكْنُ الثَّانِي مِن الْكِتَابِ**: فِي الصَّلاَةِ.....٣١٠
أقسام الصلاة.....٣١١
**الأول**: قِسْمُ فُرُوضٍ.....٣١١
**الثاني**: قِسْمُ سُنَنٍ.....٣١١
**الثالث**: قِسْمُ فَضَائِلَ.....٣١١
**الرَّابِعُ**: قِسْمُ تَطَوُّعٍ.....٣١١
**الْخَامِسُ**: قِسْمُ مَمْنُوعِ الصَّلاَةِ.....٣١٢
**الْجُمْلَةُ الأُولَى: فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَفَرَائِضِهَا وَسُنَنِهَا وَفَضَائِلِهَا**.....٣١٤
**فرائض الصلاة**.....٣١٤
- **فرائضها قبل الدخول فيها**.....٣١٤

- فرائضها بعد الدخول فيها.....٣١٥

سنن الصلاة.....٣١٥

فضائل الصلاة.....٣١٦

مكروهات الصلاة.....٣١٧

مفسدات الصلاة.....٣١٧

الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي تَفْصِيلِ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ وَسُنَنِهَا عَلَى مَا يَنْبَغِي.....٣١٩

الفريضة الأولى: طَهَارَةُ الثَّوْبِ.....٣١٩

الفريضة الثانية: طهارة البدن.....٣١٩

الفريضة الثالثة: طهارة البقعة (المكان).....٣١٩

الْفَرِيضَةُ الرَّابِعَةُ: دُخُولُ الْوَقْتِ لأَدَائِهَا.....٣٢٣

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: فِي الأَوْقَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا.....٣٢٤

الْفَصْلُ الثَّانِي: فِي الأَوْقَاتِ الْمَنْهِيِّ عَنِ الصَّلاَةِ فِيهَا.....٣٣١

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي أَوْقَاتِ الْمَعْذُورِينَ.....٣٣٣

الفريضة الخامسةُ: فِي سَتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا.....٣٣٤

الْقِسْمُ الأَوَّلُ: فِي حَدِّ الْعَوْرَةِ وَحُكْمِ سَتْرِهَا.....٣٣٥

الْقِسْمُ الثَّانِي: فِي اللِّبَاسِ الْمُجْزِئِ فِي الصَّلاَةِ.....٣٣٧

الْفَرِيضَةُ السَّادِسَةُ: فِي الْقِيَامِ مَعَ الْقُدْرَةِ فِي الصَّلاَةِ.....٣٣٩

الْفَرِيضَةُ السَّابِعَةُ: فِي اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ فِي جَمِيعِ الصَّلاَةِ.....٣٤٠

الرُّكْنُ الأَوَّلُ: فِي الصَّلاَةِ.....٣٤١

**الرُّكْنُ الثَّانِي**: فِي أَدِلَّةِ الْقِبْلَةِ.....٣٤١
**الرُّكْنُ الثَّالِثُ**: فِي الْمَعْنَى الْمُعَيَّنِ عَلَى الْمُكَلَّفِ اسْتِقْبَالُهُ.....٣٤٣
**مسألة**: في استحبابِ السُّترةِ للمُصلِّي.....٣٤٦
**الفريضةُ الثَّامنةُ**: فِي النِّيَّةِ.....٣٤٧
**مَسْأَلَةٌ** فِي كَيْفِيَّةِ النِّيَّةِ فِي الصَّلاَةِ.....٣٤٨
**مَسْأَلَةٌ** فِي أَخْذِ الْوَطَنِ.....٣٤٨
**مَسْأَلَةٌ** فِي صَلاَةِ السَّفَرِ.....٣٤٨
**الْمَسْأَلَةُ الأُولَى** فِي حُكْمِ الْقَصْرِ.....٣٤٩
**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ**: فِي الْمَسَافَةِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا الْقَصْرُ.....٣٥٠
**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي أَنْوَاعِ السَّفَرِ الَّذِي تُقْصَرُ فِيهِ الصَّلاَةُ.....٣٥٢
**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ**: فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ الْمُسَافِرُ قَصْرَ الصَّلاَةِ....٣٥٢
**الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ**: في مقدار المدة التي يصير فيها المسافر مقيما.....٣٥٣
**تفصيل سنن الصلاة وأعمالها، وبعض فرائضها بعد الدخول فيها**.....٣٥٦
**فَصْلٌ**: فِي الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ.....٣٥٦
**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: فِي الأَذَانِ.....٣٥٦
**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي الإِقَامَةِ.....٣٥٩
**فَصْلٌ**: فِي التَّوْجِيهِ.....٣٦١
**فصل**: في الاستعاذة.....٣٦٣
**فصل**: في الإحرام.....٣٦٣

**فصل**: في فِي قِرَاءَةِ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ".....٣٦٦
**فصل**: في القراءة.....٣٦٨
**فصل**: في الركوع.....٣٧٣
**فصل**: في السجود.....٣٧٦
**فصل**: في الجلوس.....٣٧٧
**فصل**: في التحيات.....٣٧٨
**فصل**: في التسليم.....٣٨٠
**فصل**: في الدعاء.....٣٨٢
**بَابٌ**: فِي سُجُودِ السَّهْوِ والتِّلاَوَةِ.....٣٨٥
**النوع الأول**: سجود السهو.....٣٨٥
**النوع الثاني**: سجود التلاوة.....٣٨٩
**فَصْلٌ**: فِي صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ وَتَرْتِيبِ أَئِمَّتِهَا.....٣٩٣
**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: فِي حُكْمِ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ.....٣٩٣
**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِيمَنْ أَوْلَى بِالإِمَامَةِ الْفَقِيهُ أَوِ الْقَارِئُ؟.....٣٩٥
**الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي مَقَامِ الْمَأْمُومِ مِنَ الإِمَامِ.....٣٩٧
**الْقِسْمُ الرَّابِعُ**: فِي تَرْتِيبِ الإِمَامِ وَصِفَتِهِ.....٣٩٩
**الْقِسْمُ الْخَامِسُ**: فِي الْوَظَائِفِ الْمُشْتَرَطَةِ عَلَى الإِمَامِ.....٤٠٣
**الْقِسْمُ السَّادِسُ**: فِي شُرُوطِ الْقُدْرَةِ.....٤٠٥
**الْقِسْمُ السَّابِعُ**: فِيمَا يَحْمِلُهُ الإِمَامُ عَنِ الْمَأْمُومِ.....٤٠٦

**مسألة**: في صلاة الاستخلاف.....٤٠٦

**الجملة الثالثة**: في صلاة السنن.....٤٠٨

**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي صَلاَةِ الْوِتْرِ.....٤٠٩

**الْفَصْلُ الثَّانِي**: فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ.....٤١٣

**الْفَصْلُ الثَّالِثُ**: فِي قِيَامِ رَمَضَانَ.....٤١٦

**الْفَصْلُ الرَّابِعُ**: فِي رَكْعَتَيِ الطَّوَافِ.....٤١٨

**الْفَصْلُ الْخَامِسُ**: فِي صَلاَةِ الْكُسُوفِ.....٤١٩

**الْفَصْلُ السَّادِسُ**: فِي صَلاَةِ الاسْتِسْقَاءِ.....٤٢١

**الْفَصْلُ السَّابِعُ**: فِي صَلاَةِ الضُّحَى.....٤٢٥

**الْفَصْلُ الثَّامِنُ**: فِي صَلاَةِ الْعِيدَيْنِ.....٤٢٧

**الْفَصْلُ التَّاسِعُ**: فِي أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ.....٤٣٠

**مسألة**: في الصلاة على الميت.....٤٣٧

**الْمبحَثُ الأَوَّلُ**: فِي حُكْمِهَا وَصِفَةِ الصَّلاَةِ عَلَى الْجَنَازَةِ.....٤٤٠

**الْمبحَثُ الثَّانِي**: فِي مَوَاضِعِ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَيِّتِ وَأَوْقَاتِهَا.....٤٤١

**الْمبحَثُ الثَّالِثُ**: فِي شُرُوطِ صَلاَةِ الْمَيِّتِ.....٤٤١

**مسألة**: في الدفن.....٤٤١

**مسألة**: في التعزية.....٤٤٣

**الْفَصْلُ الْعَاشِرُ: فِي فَضَائِلِ الصَّلاَةِ**.....٤٤٤

- قِيَامُ اللَّيْلِ.....٤٤٤

- تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ.....٤٤٧

- رَكْعَتَا السَّحَرِ.....٤٤٧

- إِحْيَاءُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ.....٤٤٨

**الفَصْل الحادي عشر: فِي مُتَطَوِّعِ الصَّلاَةِ**.....٤٥٠

- النوافل قبل صلاة الفريضة وبعدها.....٤٥٠

- صلاة السحر.....٤٥٠

- صلاة الضحى.....٤٥١

- صَلاَةُ التَّطَوُّعِ الْمُخْتَصَّةُ بِالأَسْبَابِ:.....٤٥٢

كَالصَّلاَةِ فِي الْمَنْزِلِ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ لِوَدَاعِ المسافر أو قدومه...٤٥٢

- صلاة التسبيح.....٤٥٣

- صلاة الاستخارة.....٤٥٤

- صلاة الاستغفار.....٥٤٥

- صلاة الدهر.....٤٥٥

- صلاة الرجاء.....٤٥٥

- صلاة الأجر.....٤٥٥

**بَابٌ**: فِيمَا تَتَغَيَّرُ بِهِ أَحْكَامُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ.....٤٥٦

**السبب الأول**: لِصَلاَةِ الْخَوْفِ.....٤٥٦

**السَّبَبُ الثَّانِي**: لِصَلاَةِ الْمُسَايَفَةِ.....٤٥٧

**السَّبَبُ الثَّالِثُ**: الْمَانِعُ مِنَ اسْتِيفَاءِ أَرْكَانِهَا.....٤٥٧

**السَّببُ الرابعُ**: تَقْصِيرُهَا فِي السَّفَرِ.....٤٥٧

**السَّببُ الْخَامِسُ**: تَغْيِيرُهَا لِصَلاَةِ الْجُمُعَةِ بِالْقَصْرِ وَالْجَهْرِ.....٤٥٧

**بَابٌ**: فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ.....٤٥٩

**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي صَلاَةِ الْجُمُعَةِ.....٤٦٠

**الْقِسْمُ الأَوَّلُ**: فِي حُكْمِ الْجُمُعَةِ.....٤٦٠

**الْقِسْمُ الثَّانِي**: فِي شُرُوطِهَا.....٤٦٢

**الْقِسْمُ الثَّالِثُ**: فِي شُرُوطِ أَدَاءِ الْجُمُعَةِ.....٤٦٥

سنن الجمعة.....٤٦٨

فضائل الجمعة.....٤٦٨

**الْقِسْمُ الرَّابِعُ**: فِي أَحْكَامِ الْجُمُعَةِ.....٤٦٨

- فِي غُسْلِ الْجُمُعَةِ.....٤٦٨

- فِيمَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجِ الْمِصْرِ.....٤٦٩

- فِي وَقْتِ الرَّوَاحِ إِلَيْهَا الْمُرَغَّبِ فِيهِ.....٤٦٩

- فِي الْبَيْعِ بَعْدَ النِّدَاءِ.....٤٦٩

**بَابٌ**: فِي اسْتِدْرَاكِ الصَّلاَةِ وَقَضَاءِ الْفَوَائِتِ مِنْهَا.....٤٧٠

**الْفَصْلُ الأَوَّلُ**: فِي اسْتِدْرَاكِ فَوَائِتِ الصَّلاَةِ.....٤٧٠

**الْفَصْلُ الثَّانِي**: فِي قَضَاءِ الْفَوَائِتِ.....٤٧٤

**مسألة**: في حكم تارك الصلاة بغير عذر.....٤٧٦

**فَهَارِسُ**:.....٤٧٧

قيل عن كتاب:

# قواعد الإسلام




وكتاب "قواعد الإسلام" للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي وهو في غاية الحسن أيضاً وللمتأخرين عليه حواشي واختصار

(الشيخ السالمي: اللمعة المرضية)

"قواعد الإسلام" ولا يقل هذا الكتاب روعة عن القناطر، وإن كان كتاب القواعد لم يعن بالناحية الفلسفية للشريعة الإسلامية، وإنما عنى المؤلف فيه بالتحليل والتعليل والتدليل، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع في قواعد الإسلام الخمسة، وهو كتاب ضخم قل أن تجد في موضوعه مثله.

(الشيخ علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ)

"قواعد الإسلام" كتابُ فِقْهٍ في مَجْمُوعِه، صَدَّرَهُ مؤلِّفُه بأبوابٍ في العقيدة - التي هي الفقهُ الأكبر - كعادة العلماء المتقدمين، ويتبوأ مكانةً معتبرةً بين أسفار تراث المكتبة الإباضية لإيجازه وإلْمَامِه

(الدكتور عمرو خليفة النامي)


مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

ص ب 2. الرمز البريدي 121 . السيب . سلطنة عمان

البريد الإلكتروني : t.k.aldhamri@gmail.com

الهاتف : 00968/96444669